



بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :

Date:

العدد: ب ت ٤ / ١٣٨٢
التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٣

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة المصباح

تحية طيبة... .

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٩/٩/٢٠١٣ والحاقا بكتابتنا المرقم ب ت ٤ / ٨٠٣٣ في ٦/٦/٢٠١٣ بالإمكان اعتماد 'مجلة المصباح' الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية .
....مع وافر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/

- دائرة البحث والتطوير / الشؤون العلمية.
- الصادرة.
- انس/١٠/٦

Website: www.rddiraq.com

mail : gd_office@rddiraq.com .scientificdep@rddiraq.com

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥



العتبة الحسينية المقدسة

المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن

الأمانة العامة

للعتبة الحسينية المقدسة

العدد التاسع عشر - خريف (٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ)

المشرف العام

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ مَهْدِيِّ الْكِرْبَلَائِيِّ

الأمين العام للعبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

محمد علي هادي

مدير التحرير والعلاقات العامة

د. حميد مجيد هادي

هيئة التحرير

أ.د. صالح مهدي عباس	أ.د. علي رحيم هادي الحلوي
أ.د. علي محسن مال الله	أ.د. زهير غازي زاهد
أ.د. عمار عبودي نصار	أ.م.د. علي عباس الأعرجي

الريادة الاستشارية

أ.د. عبد الجبار ناجي

بيت الحكمة - بغداد

أ.د. احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. حازم سليمان الحلي

جامعة بابل - العراق

أ.د. محمد كريم ابراهيم

جامعة بابل - العراق

أ.د. عبود جودي الحلي

جامعة كربلاء - العراق

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

أ.م.د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية
تصدُر عن

الأمانة العامة
للجنة الحسينية المقدسة

العدد التاسع عشر - خريف (٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ)

التقييم الدولي :

ISSN: 2226 - 5228

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٤١٤ لسنة ٢٠١٠ م

العنوان البريدي

مجلة المصباح - شارع السدرة
كربلاء المقدسة - جمهورية العراق
أرضي: ٣٢١٧٧٦ - ٣٢١٧٧٦ - ٠٠٩٦٤٣٢
داخلي: ٥٦١

موقعنا على شبكة الإنترنت

www.almissbah imamhussain.org

البريد الإلكتروني

almissbah@imamhussain.org

التسيق والمتابعة

علي إفضيلة الشمري

السؤون الادارية والمالية

رضا جواد الحائري

معلم الترجمة الانكليزية

سعد شريف طاهر

الافراج والتصميم

قاسم سالم محمد

التنضيد العربي والمراسلة

غازر عبد الامير الطريحي

التنضيد الانكليزي

سيف علي كاظم



« كلمة الافتتاح/رئيس التحرير..... ٩

« مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم (الجزء الاول)/ أ.م.د. محمد محمود عبود زوين ١٥

« التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته/ سماحة العلامة المحقق محمد هادي معرفة..... ٥٥

« القمر والهلال والتوقيت بهما في القرآن الكريم/ عبد الامير المؤمن ٧٣

« الحجر والحجارة في القرآن الكريم/ أ.د. محمد عبد المطلب البكاء..... ٩٧

« الحرية في المنظور القرآني/ الشيخ عبد الجليل احمد المكراني..... ١٢١

« الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (الجزء الثاني)/ الشيخ موسى راضي نصار..... ١٤٥

« صيغة (افعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن الكريم/ أ.م.د. محمد توفيق الدغمان..... ١٧١

« المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن/ الشيخ الدكتور هاشم ابو خمسين..... ٢١١

« نظرة القرآن الكريم الى الاثار الانسانية/ أ.د. علي ابو الخير..... ٢٢٩

« حكاية القرآن اقوال الاخرين/ محمد عدنان الربيعي..... ٢٥٣

« تأملات في سورة الانسان وخصوصية اهل البيت/ د. نوري كاظم الساعدي..... ٢٧٧

« جمال الجرس القرآني/ د. تحسين فاضل عباس..... ٣٠٥

« إطلالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن/ السيد فالح الموسوي..... ٣٢٥

نافذة المصباح

« السيد المسيح (عليه السلام) في الاناجيل/ تحقيق الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي..... ٣٤٤

« التفسير المسترسل... نمط جديد واسلوب مغاير/ د. حسين رشيد الطائي..... ٣٧٣

« نماذج من مصاحف اثرية محفوظة/ سماحة السيد احمد الحسيني الاشكوري..... ٣٨٧

ضوابط النشر

١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجهها في نشر الابحاث التي تتعلق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو مما أشبع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً مما لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. يرسل البحث محملاً على CD أو فلاش او بوساطة البريد الالكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولاتستوفي المجلة أية مبالغ نقدية عن نشر الابحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٥. تقوم المجلة باشعار الباحث بوصول البحث، ثم تشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك وعندها يكون البحث ملكاً للمجلة لايجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٦. ترتيب الابحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهميته أو لمكانة الباحث بذلك.
٧. يهمل كل بحث لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه -درجته العلمية -مكان عمله -عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الالكتروني).
٨. يستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
٩. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لايتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ماخرج منها عن منهج البحث العلمي أوالموضوعي أو مامس جوهر العقائد الاسلامية ورموزها الفكرية والدينية.

كلمة الافتتاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾

كم هي من نعمة غامرة أن يصادف إعداد العدد التاسع عشر من المجلة، حلول شهر رمضان المبارك الذي يعد ربيع القرآن، إذ فيه أنزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فالحمد لله الذي أولانا وكل الإخوة العاملين في المجلة والسادة العلماء والباحثين، من نعمة وشرف، إذ احتسبنا - سبحانه - من خدام كتابه الكريم والسائرين على درب الايمان القويم عسى أن نسعد بنيل رضاه - سبحانه في علاه -.

لقد توسطت المجلة عامها الخامس بصور عددها التاسع عشر (خريف عام ٢٠١٤) محتفظة لنفسها بالمستوى العلمي الذي قدرته لنفسها يوم صدور عددها الأول، وهي اليوم تغدو السير وتتابع الخطى للارتقاء الى منزلة الاصطفاف مع مناهل العلماء الذين يهتمهم الخوض في مباحث القرآن الكريم ممن أهمهم القرآن وممن نستطيع أن نصنفهم على فرق رمت كل فرقة بنظرها الى جانب من الهدف السامي الذي من أجله تعرضت لتلك المباحث الشريفة. فرقة أخذها القرآن الكريم

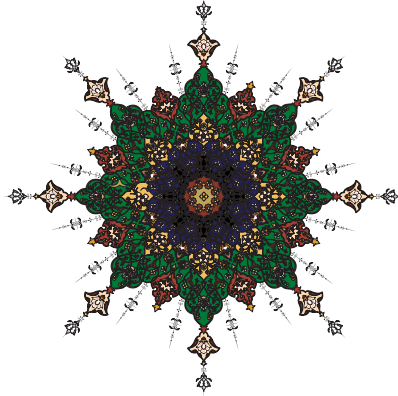
بإعجازه وجمالِ نظمه وما انماز به من خصائص جعلته موضع انبهار
بُهِتَتْ له العقولُ و الأبصار، وهم الرعيْلُ الأوْلُ من العلماءِ وأهلِ اللُغةِ
والبلاغةِ وفن القول، والذين يُعدّون العمدةَ في الأخذِ برأيهم، كونهم
عاصروا اللُغةِ الفصحى التي لم تُشَبَّها غائلةُ التهجينِ، وممن عايشوا
أعرابَ البوادي وسمعوا منهم وشخّصوا مواطنَ النكتةِ البلاغيةِ في
القرآن الكريم بالرغم من أنّ أولئك الأعرابَ كانوا معروفين بالأخذِ
بظاهر المعنى مع مراعاةِ المجازِ أحياناً. امثال هؤلاء الأعرابِ استفاد
منهم العلماءُ في تشخيصِ جمالِ نظم القرآنِ و شواهدِ معاني مفرداته
من المأثور العربيّ (الجاهلي او الاسلامي). وكتب اللُغةِ غيرُ مقصرةٍ في
استقراء ذلك.

اما الفرقةُ الأخرى من العلماء، فهم الذين أخذهم القرآن بطريقة
طرحه الأفكارَ وتنسيقها وجعلها قابلة للخضوع لنظريات الفلسفة والمنطق
ومتساوقة مع المفهوم الآني للفكر الانساني في كل عصر من العصور،
حتى لكأنه أنزل في العصر الذي عاش فيه العالم والباحث فضلاً عن
القاريء.

وهكذا تجد كلُّ فرقة من الفرق ذواتِ الاختصاصِ في علوم القرآن
ضالَّتْها في ماتريد أن تطرح من رأي في جانب من جوانبه، وهو في كل
ذلك حمّالٌ لما يرونه واقعياً ينسجم مع توجّهاته ومراده، مستنديين الى
مصادره المعتبرة والتي تضيء الدرب للوصول الى الحقيقة مع مجانية
التفسير بالرأي الذي لا يُسْمَن ولا يغني من جوع والذي نهانا عن مزاولته
الرسولُ الاكرمُ والائمةُ الاطهارُ وقرروا أنّ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ
مقعده من النار، ذلك أن مثل هذا التفسير قد ينتابُه الهوى ويؤثر فيه
المشرب الذي عليه المفسر فيميل القرآن حيثما مال وفي ذلك بلاء عظيم

وطامة كبرى. لذا فنحن نهيب دائماً بالاخوة من العلماء والباحثين،
تحرّي الدقة والاستقلالية في عرض مباحث القرآن وأن لا يبدوا آراءهم
الاعلى أرسخ الاسس وأمتن المساند واوثق المصادر.
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين
اصطفى وهو المسدد للصواب.

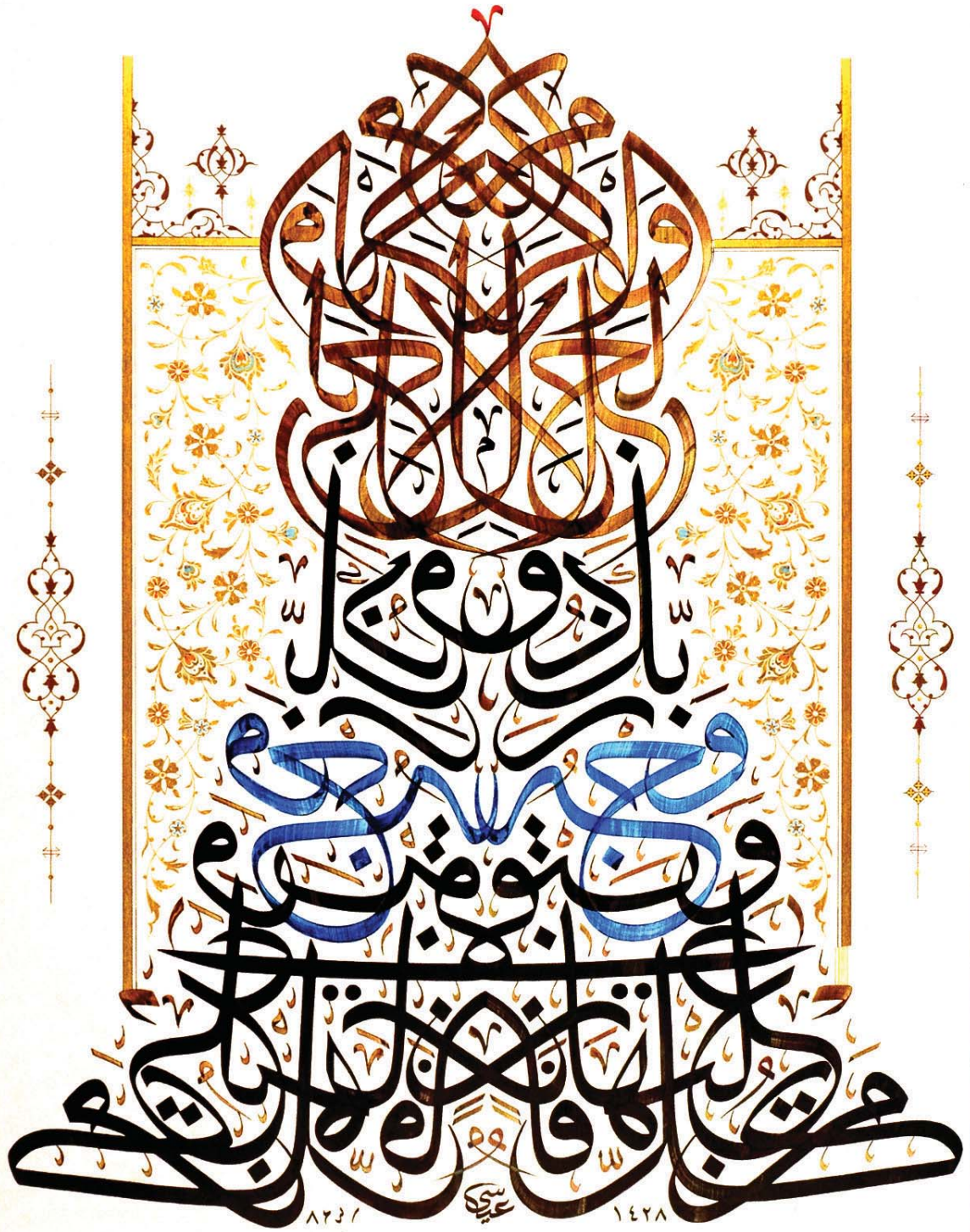
رئيس التحرير





بحوث العدد

البحوث وما تتضمنها من آراء وافكار تعبر عن رأي كاتبها



٨٢٣١

سید

١٤٢٨

مَظَاهِرُ الإِسْتِدْلَالِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(الجزء الأول)

مَظَاهِرُ الْمَبَانِي الإِسْتِدْلَالِيَّةِ

أ.م.د. محمد محمود عبود زوين
كلية الفقه - جامعة الكوفة

فحوى البحث

قامت هذه الدراسة على بحث بعض ملامح مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم. وقد قام القسم الاول من البحث على تمهيد وقسمين فضلا عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر (وهو ما سيرد في القسم الثاني منه). وقد عرف التمهيد بمصطلح (الاستدلال). ودرس القسم الاول: (مظاهر المباني الاستدلالية في القرآن الكريم) من خلال منظومتها، واستعرض حلقاتها ووضح بنيتها النظرية والعملية.

اما القسم الثاني من البحث فقد ناقش (مظاهر المعاني الاستدلالية في القرآن الكريم) وهو ما سنقرؤه في العدد القابل ان شاء الله - تعالى -.

المقدمة

الحمد لله الذي فتق جنائن العقول بسوايغ نعمه، وألهم بصائر عباده فطرة توحيده، فأعزهم بمعرفته، وكرمهم بطاعته، وجعلهم آيةً من آيات خلقه، وبرهاناً على سلطانه وحكمته، وصلى الله على نبيه المؤيد ورسوله المسدد، أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، وأصحابه الخالص الميامين المنتجبين. وبعد...

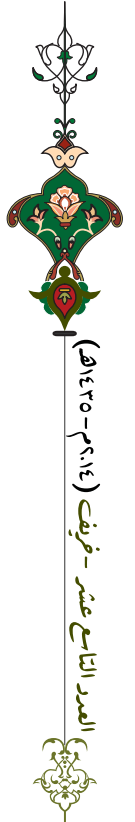
فقد أسس القرآن الكريم قواعد المعرفة الاستدلالية، وأصل مظاهرها البرهانية في محكم آياته ورسخها في خطابه بأساليب كثيرة، وطرائق مختلفة عمادها الجمع بين العقل والحس، فمن جهة ترى أصالة منطق البرهان وعقلانيته، ومن أخرى تلحظ أنه غير بعيد من روح الإنسان ومشاعره، فهو مشخص في نفسه، ملموس في فاعليته الحياتية اليومية، مدرك بحواسه الموصلة إلى التفكير والتدبر.

لقد امتاز الخطاب القرآني المعجز بمفاهيمه العقلية، وأساليبه البيانية، التي تمتلك نفوس المخاطبين بما لها من

احتجاجات جمعت بين الدلائل الأنفسية، والآيات الآفاقية في توكيد العقائد والشرائع السماوية ونقض ما عداها، من خلال منظومة استدلالية برهانية متكاملة الأبعاد، ولا أحسب قضية قرآنية إلا وتجد لها طريقاً من فرائد الاستدلال، وبينت من نواذر الآيات؛ أيضاً لمقاصدها، فتبصرها أقرب للقلوب، وأرسخ في العقول؛ لأنها متجانسة مع فطرة الإنسان ولبابه.

فالتأمل بكتاب الله المجيد تأسره مظاهر الاستدلال الذي يسخر هذا الوجود بأكمله ويوظفه ويقدمه للإنسان -المختص بخطاب القرآن- مُعقلناً متناسباً مع جبلته؛ سعياً في بنائه النفسي والسلوكي، وصناعة النموذج المثالي في وعيه لنفسه وإدراكه لما حوله في هذا الوجود سواء ما كان منه ومضى، أو ما هو كائن، وما سيكون ولو بعد حين.

وعلى أية حال فقد قامت هذه الدراسة على بحث ملامح ((من مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم)) قصداً لاستكشاف جوانب المنظومة الاستدلالية ومحاولة المقاربة بين مبانيها ومعانيها التفسيرية،



وأسس علة البحث وفرضيته لا تفارق هذه الغائية والقصدية في الاستكشاف، بل تنهض اعتماداً عليه، وتقوم على استكناه معالم أبعاده؛ ولذا جاء البحث في تمهيد وقسمين فضلاً عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، وقد عرّف التمهيد بمصطلح (الاستدلال في اللغة والاصطلاح والاستعمال) وأشار إلى علاقاته الدلالية والألفاظ المتداخلة معه، ودرس القسم الأول (مظاهر المباني الاستدلالية في القرآن الكريم) من خلال المنظومة الاستدلالية واستعرض حلقاتها وأوضح بنيتها النظرية والعملية، وشمولية تجسيدها، وأركان الاستدلال.

أما الخاتمة فقد أنبأت عن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث، وقد استفرغت وسعي في الحصول على المصادر والمراجع ذات العلاقة.

الاستدلال في اللغة والاصطلاح

والاستعمال القرآني

الاستدلال في اللغة: الأصل في

المصطلح (دَلَّل) الثلاثي، ومنه الدليل^(١):

(١) الدليل لغة: المرشد والموصل إلى المطلوب.=

ما يستدل به، والدليل الدالّ، وقد دلّه على الطريق، يدلّه دَلَالَةٌ ودِلَالَةٌ، ودُلُولَةٌ، والفتح أعلى^(٢).

ولا يخفى معنى (دلّه على الطريق) تعني الإرشاد والهداية إليه. ويبدو أن الاستعمال الأفصح والأكثر هو الفتح على أن الكسر والضم صحيح الاستعمال ولكن أقل شهرة من الأول. واجمع له «أدلة، وإدلاء، والاسم الدلالة، والدلالة بالكسر والفتح. والدُّلُولَةُ والدَّلِيلِي: قال سيبويه: والدَّلِيلِي: علمه بالدلالة ورسوخه فيها، وفي حديث علي عليه السلام في صفة الصحابة عليهم السلام: (ويخرجون من عنده

= واصطلاحاً: له معنيان أحدهما أعم من الآخر مطلقاً، فالأول الأعم هو: ما يمكن التوصل إليه بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، وهو يشمل القطعي، والظني وهذا المعنى هو المعبر عند الأكثر.

والثاني الأخص هو: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري، وهذا يختص بالقطعي المسمى بالبرهان. ظ/ الاستدلال عند الأصوليين/ ٢٠ وانظر مصادره.

(٢) لسان العرب/ مادة (دل)، ظ كذلك: تاج العروس/ مادة (دل) الصحاح/ مادة (دل) وغيرها.



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم البصائر

قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا

أدلة)، وهو جمع دليل أي: فيدلّون عليه الناس، يعني يخرجون من عنده فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلةً مبالغة، ودلت بهذا الطريق: عرفته»^(٣) ولا يخفى معنى المبالغة في الجمع والاستعمال فضلاً عن رسوخ المعرفة وإيصالها إلى طالبها.

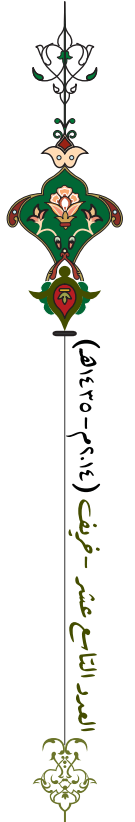
- فتكون الأقسام ستة وهي:
- أ. الدلالة اللفظية الوضعية: مثل دلالة (الأسد) على الحيوان المفترس.
 - ب. الدلالة اللفظية العقلية: مثل دلالة (اللفظ) على وجود لافظه، أو حياته.
 - ت. الدلالة اللفظية العادية: مثل دلالة لفظ (أخ) بفتح الهمزة على الوجود مطلقاً، ولفظ ((أح)) بالهمزة والحاء المهملة على وجع الصدر.
 - ث. الدلالة غير اللفظية الوضعية: مثل دلالة الإشارة بالرأس إلى الأسفل على معنى (نعم)، وإلى أعلى على معنى (لا).
 - ج. الدلالة غير اللفظية العقلية: مثل تغير العالم على حدوثه.
 - ح. الدلالة غير اللفظية العادية: مثل دلالة الحمرة على الخجل والحياء، والصفرة على الوجع والخوف.
- والدلالة الوضعية اللفظية محل اهتمام الأصوليين في مباحث الدليل اللفظي وهي لا تخرج عن الأقسام الثلاثة:
- أ. مطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الإنسان (على الحيوان مطلقاً).
 - ب. تضمينية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن المعنى كدلالة (الإنسان) على حيوان فقط، أو على ناطق فقط.
 - ت. إلتزامية: وهي دلالة اللفظ على لازم معناه، أو دلالته على خارج معناه كدلالة (الإنسان) على كونه ضاحكاً "الاستدلال عند الأصوليين/ ١٩.

ويبين الراغب الأصفهاني معنى الدلالة وأقسامها بقوله «الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالةً أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة الإنسان فيعلم أنه حي»^(٤)، قال تعالى ﴿فَلَمَّا

(٣) لسان العرب/ مادة دلدل.

(٤) مجمل قول الراغب هذا تعريف للدلالة وبيان لأقسامها، والدلالة لا تخرج عن المعنيين «الأول: كون أمر بحيث يفهم منه أمر آخر، وإن لم يفهم بالفعل، المراد بالأمر الأول: الدال، والثاني: المدلول.

والثاني: فهم أمر من أمر، أي فهمه منه بالفعل، فهو أخص مما قبله، والمراد بالأمر الأول: المدلول، والثاني: الدال، على عكس الأول. والدلالة إما لفظية أو غير لفظية، وكل منهما إما وضعية، أو عقلية، أو عادية.



الاستدلال في الاصطلاح:

استعمل مصطلح (الاستدلال) وتداولته بيئات معرفية متعددة^(٧)، فقد عرّفه الاصوليون، والفلاسفة، والمناطقية والمتكلمون، وأهل الأدب والبلاغة، فضلاً عن اللغويين فهو "من المفاهيم العابرة للاختصاصات والعلوم وفروعها في مختلف المنظومات العلمية والثقافية، ولئن كان الاستدلال مفهوماً مشتركاً في المنظومة المعرفية القديمة في علوم المنطق والكلام وأصول الفقه والبلاغة، فهو أيضاً مشترك في علومنا الحديثة بين اللسانيات والدلاليات والتداوليات، وعلم النفس والذكاء الصناعي، والإعلاميات والعرفان... الخ"^(٨) وليس

دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ [سورة سبأ: ١٤]

ويحدد العلماء معاني متقاربة للدليل وهي الإرشاد والهداية يقول الكفوي: "الدليل: المرشد إلى المطلوب يذكر ويراد به الدال، ومنه (يادلل المتحيرين) أي: هادهم إلى ما تزول به حيرتهم، ويُذكر ويراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول، منة سمي الدخان دليلاً على النار"^(٥).

والاستدلال: طلب دلالة الدليل، كالاستغفار طلب المغفرة، والاستنصار طلب النصرة، ولا تخفى زيادة الحروف ((الألف، والسين، التاء)) في دلالتها على الطلب.

«وإذا كانت لفظة (الدلالة) في اللغة تعني: الإشارة، ولفظة (الدليل) تعني المرشد والوصول إلى المطلوب، فالاستدلال عبارة عن: طلب الارشاد والاهتداء إلى المطلوب»^(٦).

(٥) الكليات / ٢ / ٣٢٠، ظ كذلك / التعريفات / ٦١، أساس البلاغة / ١ / ٢٩٥.
(٦) الاستدلال عند الأصوليين / ٢١، وانظر مصادره.

(٧) ظ / الاستدلال في كتاب نهج البلاغة / ٤-٦، الاستدلال عند الأصوليين / ١٩-٣٥، ظ كذلك ما ألفه بعض الباحثين في الاستدلال منهم الأستاذ الدكتور محمود عبد الحليم منسي في كتابه (الإحصاء الاستدلالي في علم النفس)، والدكتور عبد المرضي حامد عزام في كتابه (أساسيات الاستدلال الإحصائي).

(٨) الاستدلال البلاغي / شكري المبخوت /



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم البصباح

والإرشاد وتقرير الأثر وظهوره، ولعلك لا تغادر هذه المعاني مطلقاً عند الاستعمال القرآني لمادة (دلل)، ومن لازم القول والبيان هنا إن الاستدلال عملية عقلية تنجح إلى القياس والمفارقة بين القضايا مناط البحث الاستدلالي، للوصول إلى إثبات دلالة بدليل بديهي واضح لا يكاد ينفصل عن قضية بل هو الجزء الواضح المبين لها.

استعمال مشتقات (دلل) في

القرآن الكريم:

جاء استعمال القرآن الكريم لمشتقات اللفظ (دلل) في سبعة مواضع^(١١). على صيغ مختلفة تبعاً لتناسب دلالة الألفاظ مع سياقات الآيات فيها، وهذه الألفاظ في دلالتها المركزية أو الهامشية تؤكد ذلك التلازم المعبر عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لها فالإرشاد والهداية واثبات المعنى وتقريره يكاد لا يغيب عن الغاية في استعمال اللفظ، والآيات هي:

١. (دَلَّم) في قوله تبارك وتعالى ﴿ فَلَمَّا

(١١) ظ / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة (دلل).

من وكَّد البحث الخوض في ذلك بقدر ما يريد أن يبيِّن مفهوم هذا المصطلح وغاياته ومراميه وأهم البيئات التي أعتته بحثاً وتنظيراً.

فالاستدلال في الاصطلاح بحدِّ يكاد يكون جامعاً مانعاً ولا سيما عند المناطقة هو "استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة، أو هو: التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الاحكام التصديقية المعلومة"^(٩) أو هو "تقرير ثبوت الأثر لاثبات المؤثر"^(١٠).

وأرى أن بيئة الأصوليين والمناطقة أوفر البيئات العلمية تناولاً للمصطلح وتطويراً لحدوده، وتطبيقاً لممارساته، ولا سيما عند أهل الأصول إذ يعتمد على آياته في استنباط الحكم الشرعي من أصول النصوص الشرعية. من هنا تتجسد العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستدلال في أنها دالان على معنى الهداية

(٩) ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة / ١٤٩، ظ الاستدلال عند الاصوليين / ٢٢.
(١٠) ظ / الكليات / ٢ / ٣٢٢.

قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾
[سورة سبأ: ١٤].

٢. (أدلك) في طه، قال تعالى
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَنَادِمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [سورة طه: ١٢٠].

٣. (أدلكم) في ثلاث مواضع هي: قوله
تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ
فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ [سورة
القصص: ١٢]، وقوله جل ذكره
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ
مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ [سورة الصف: ١٠].

قال تعالى ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ
كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَجَنَّبَكِ
مِنَ الْعَمْرِ وَفَنَّكَ فُؤُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤِسُونَ﴾ [سورة
طه: ٤٠].

٤. (ندلكم) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ
إِذَا مَرِئْتُمْ كُلِّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَعِى خَلْقٍ
جَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ: ٧].

٥. (دليلاً) في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ
رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا
تُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة
الفرقان: ٤٥].

ولا يغيب عن الفطن وضوح ارتباط
المشاهد الحسية في استعمال لفظ (دل)
بكل صياغاته القرآنية فالأول الإرشاد
والإعلام والهداية لصورة موت سليمان عليه السلام
بعد قضائه، والثاني إشارة إبليس (لعنه الله)
لآدم بشجرة الخلد، وهكذا بقية الصور
الأخرى المرتبطة باللفظ (أدلكم، ندلكم،
دليلاً) فضلاً عن ذلك فقد استعملت
الصيغة الفعلية للفظ ست مرات مقابل
الاسمية مرة واحدة في الآية الأخير، وهذه
الآيات خلقت من الصيغة الدالة على طلب
الدليل بلفظ (استدلال) أي اللفظ (دل)
المزيد بـ(الألف والسين والتاء) والموحية
بالطلب إلا أن جميع الصيغ المستعملة في
القرآن الكريم لم تخرج عن المعنى الذي
قرره الكتاب المجيد لمعنى اللفظ وهو



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصائر

الهداية والإرشاد والانتقال إلى جانب من جوانب البنية المعنوية للفظ القرآني.

العلاقات الدلالية للمصطلح:

يعقد الكتاب المجيد نظماً دلاليًا بين مصطلحاته في دائرة الاستعمال القرآني، وينسج أواصر الترابط بينهما من خلال علاقة التداخل والتكامل مرة، أو التقارب والترادف أحياناً، أو من خلال دلالة التضاد والتخالف مرة ثالثة، ولقد رصد الباحث علاقات لمصطلح (الاستدلال) مع غيره من المصطلحات التي يتقارب معها دلالياً ومنها (البرهان، السلطان، البيان) فهذه الألفاظ بحسب الاستعمال القرآني ولاسيما في الوجوه والنظائر القرآنية ترتبط بمصطلح (الاستدلال) إلى حد بعيد حتى غدت وجوه العلاقة فيما بينها أوضح من مواطن الافتراق. فالبرهان يأتي بمعنى

[سورة النساء: ١٧٤] قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧]، فالبرهان أو أكد الأدلة، وهو الذي يتضمن الصدق ابداً لا محالة" (١٢).

ومصطلح (الحجة) في القرآن الكريم يكاد يتقارب في الدلالة إلى حد الترادف مع الدليل فالحجة "ما دلّ على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد" (١٣) وقرر ذلك التهانوني بقوله: "الحجة مرادف للدليل" (١٤)، في حين ألمح بعضهم إلى مواطن الفرق بين الاصطلاحين فجعل "الدليل مادل على صوابك، والحجة عنك قول فخالفك" (١٥) أما مصطلح (البيان أو السلطان) فتداخل دلالتها مع الدليل أو الاستدلال (١٦).

«الدليل والحجة، قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١١١] وقوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾

(١٢) بصائر ذوي التمييز / ٢ / ٤٣١.

(١٣) التعريفات / ٥٠.

(١٤) كشاف اصطلاحات الفنون / ١ / ٦٢٢، ظ المصباح المنير/ مادة (حجج) يقول: (الحجة الدليل والبرهان).

(١٥) البحر المحيط في أصول الفقه / ١ / ٥، ظ / الاستدلال البلاغي / ١٨.

(١٦) ظ / أرشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة / ٣٥.

وقد توافرت الآيات الكريمة^(١٧) في بيان ذلك.

ومن نافلة القول، إن التقارب الدلالي أو الترادف -على رأي القائلين به- بين هذه الألفاظ لا يعني انعدام الفوارق بينها مطلقاً، فقد تجد مكانم الدلالة الخاصة باللفظ لا تمكن من الاعتقاد بتساوي اللفظين بالمعنى، وبهذا قد يجوز الاعتقاد- وفي هذا يقيني -، بأن الترادف في القران الكريم يستحيل مع دقة اختيار الألفاظ وتناسبها في الاستعمال القرآني، وترباطها في سياقاته المعجزة، من هنا فرق أهل الدلالة بينها مرة وحاولوا إيجاد علاقة التقارب أو التداخل المعنوي الدلالي فيما بينها مرة ثانية^(١٨).

وحسبي أنني أذهب إلى إمكانية عدم حصول إجماع تام بين الباحثين في تحديد دلالات كل المصطلحات التي يتداولونها،

(١٧) ظ/ المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم/ الألفاظ الآتية (الحجة، البرهان، السلطان، البيان).

(١٨) ظ على سبيل المثال: الفروق اللغوية/ ابو هلال العسكري/ ٦٣- ٦٨، الفروق/ ابن قيم الجوزية/ ١٠٩، بهجة الخاطر ونزهة الناظر/ ١٦٨، ١٩٤.

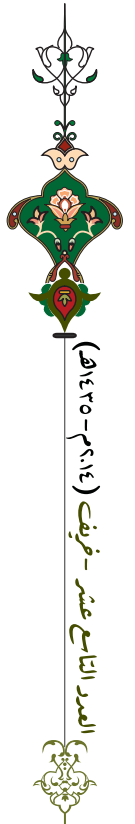
لان الحدود اللغوية تنتمي إلى أساليب فكرية متعددة، وتنمو وتزدهر بحسب ملابسات ومفارقات سياقيه مختلفة، فتتولد منها بنية معرفية دلالية خاصة فضلاً عن المعنى العام الذي يشكل مظهراً تتقارب فيه مع غيرها من الألفاظ، ولا يمكن معه اعتماد تحديد جانب من الدلالة من دون النظر إلى الآخر^(١٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن النظر في معاني الألفاظ المتقاربة والمتداخلة مع (الدليل أو الاستدلال) يمكننا من لحاظ سمو وعلو الاستدلال القرآني فضلاً عن شموله على أعلى مراتب الوضوح، وأكمل درجات الخطاب للمستدل عليه، أو المخصوص بالاستدلال فكون الدليل (حجة أو برهانا أو سلطانا أو بياناً) يعني هو المقصد المستقيم، وهو الدليل الذي يشعرك بقوته وقدرته وعلو شأنه، وهو الذي يدل على الوضوح والظهور والتجلي المؤثر^(٢٠)، فهذه المعاني

(١٩) ظ/ الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة: / ١١.

(٢٠) ظ/ مادة هذه الألفاظ (الحجة، البرهان، السلطان، البيان) في المصادر الآتية:





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

المصباح

والدلالات إنما هي تشخيص لواقع الدليل والاستدلال القرآني الذي جاء في أسمى درجات الخطاب، وأظهر معالم البدهة والعقلنة في الحوار والحجاج؛ لذا ذهب ثلثة من الباحثين الى استعمال (عَقَلَ أو تعقل) بمعنى (استدل أو دلل) أي طلب الدليل والقرينة والعلة، فكلا اللفظين (التعقل) و (الاستدلال) يتداخلان في الفعاليّتين اللتين يعبران عنهما ومع ذلك فلا مناص من القول إلا بوجود الحدود المميزة لهما^(٢١). اخلص من جميع ما تقدم إلى أن (الاستدلال) له من الخصوصية في الحراك الذهني العقلي ما يؤدي به إلى نتيجة تتعاضد مع دلالاته اللغوية والاصطلاحية. ويؤديان بتناسب عجيب "معنيين معنى يعود به إلى النظر، ومعنى يعود به إلى المناظرة، ففي حالة النظر يعني الاستدلال (انتزاع الدلالة)، وفي حالة المناظرة يعني (المطالبة بالدلالة) والعمدة في الاستدلال

لمعنييه هو الدلالة"^(٢٢). ولو راجعنا مفهوم النظر العقلي في القرآن الكريم وإجراءات المناظرة فيه من جهة، والاستدلال من جهة ثانية لوجدنا ذلك التماثل في ضبط حركية التفاعل الدلالي للمصطلحات القرآنية، ولأنبأنا عن واقع حال بنية استدلالية معجزة تظهر من سمات سياقاته ومعالم آياته الكريمة.

القسم الأول

مظاهر المباني الاستدلالية

في القرآن الكريم

ينهج الاسلوب القرآني طريقاً منظماً في بناء الفكر الاستدلالي ويجعل من قوام الفطرة الخالصة وحواسها النقية الصافية من جهة، والمدارك العقلية والبدهة الذهنية من جهة ثانية قاعدة تؤسس لمنظومة استدلالية معرفية شاملة متكاملة تسعى إلى صناعة الإنسان المفكر العقائدي الذي يلتزم سلوك القرآن فكراً وعملاً، وواقعاً وتطبيقاً، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ

أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

(٢٢) الاستدلال في علم الكلام / ١٥٥.

التعريفات / ٣١ / ٥٠ / ٦١، بصائر ذوي التمييز / ٢ / ٤٣١، بهجة الخاطر ونزهة الناظر / ١٦٨.

(٢١) ظ / الاستدلال مستويات في القوة والوثاقه / ١١ - ١٢.

وَالْأَفْعِدَّةُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [سورة النحل: ٧٨].

وبعبارة أخرى يؤصل لنا كتاب الله المجيد مسلكاً استدلالياً يقوم على أبعاد نظرية وعملية، فضلاً عن اعتماده حركية فطرة الإنسان وفاعليتها ودرجة نقائها في إدراك الاستدلال ووعيه عملياً، وانتقاله من مراحل النظرية إلى مرحلة العملية وواقعه التطبيقي، فمن جانب يحث القرآن الكريم على إعمال الفكر والتعقل والاستدلال بآيات مختلفة وفي مواقف شتى وموضوعات متعددة وحسبك النظر في الآيات الدالة على العقل أو التدبر أو النظر والتفكير^(٢٣)، ومنها قوله تبارك

وتعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ إِذَا أَنْتُمْ عَائِيْتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ

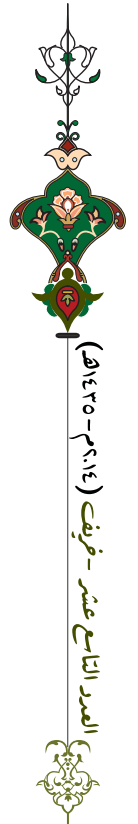
(٢٣) ظ/ المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم (مادة: عقل، دبر، فكر، نظر).

بَشَرٌ تَنْشَرُونَ ﴿١٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنْدِ كُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِعَالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾ [سورة الروم: ١٩-٢٥].

فقد ضمنت الآيات الكريمة الحث على التعقل ومقتضياته من التدبر والتفكير والنظر بالاستدلال المستند إلى فطرة الإنسان من جهة وبداهة العقل من جهة ثانية.

وفي جميع الآيات نجد الاستدلال واضحاً جلياً، ففي خطابه تعالى لأهل الكتاب احتجاج على تكذيب ادعائهم من





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصائر

وكان أول أركان المنظومة الاستدلالية وحلقاتها في كتاب الله تعالى الحث على النهج الاستدلالي والإتيان بالحجة والبرهان، وفي مقابل جادة الحث على الاستدلال يعرض لنا جانبا آخر من هذه المنظومة وهو المسلك العملي والممارسة الواقعية للاستدلال في صورتين أو مشهدين أستطيع أن أصف احدهما بالاستدلال الباطل اللامنطقي؛ لافتقاده أسس التفكير الصحيح وقيامه على المغالطة وجريانه على التقليد الأعمى، وإلغائه العقل واعتماده على العناد، وإصراره على العزة بالآثم والخطيئة.

وهو ما تؤكده وتقرره الآيات المجيدة في أكثر من موطن^(٢٥)، ففي معرض دعوات القرآن الكفار للإيمان والتوحيد والتسليم لله تبارك شأنه ترسيخ للقدرة على الإحياء والإماتة من خلال الاستدلال

دون علم، واستدلاله في سورة الروم على القدرة على الخلق والإعادة وتبدأ الآيات في إجراء البراهين والأدلة الواضحة التي تتصل من جهة بالحس والإدراك العياني الواقعي التي يقرر فيها القرآن القدرة على الإحياء ثم البعث والنشور بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [سورة الروم: ١٩]، ثم تستعرض الآيات الكريمة البراهين الحسية والعقلية على البعث والحياة بعد الموت وتؤكد المعنى نفسه مرة أخرى زيادة في التقدير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ﴾ [سورة الروم: ٢٥].

ويسلك بنا القرآن الكريم نهجاً تربوياً قيمياً في الحث على الاستدلال وإدراك كيفية إقامة الدليل والمطالبة به والبرهان عليه، وعدم الركون إلى العقيدة من دون الاستدلال عليها بالدليل القاطع اليقيني. ولهذا تكررت الدعوة القرآنية لاعتتماد الدليل أكثر من مرة^(٢٤).

(٢٤) ظ/ [الآيات الآتية على سبيل المثال: البقرة/

١١١، الأنبياء/ ٢٤، القصص/ ٧٥].

(٢٥) ظ/ على سبيل المثال الآيات الكريمة: [الإنعام/ ١٤٨، التوبة/ ٢٣، هود/ ١٠٩، الأعراف/ ٢٨، ٧٠، يونس/ ٧٨، الشعراء/ ٢٦، ٧٤، المؤمنون/ ٦٨، الفرقان/ ١٨، يوسف/ ٤٠، الصافات/ ١٢٦، الدخان/ ٨].

ءَابَاءَنَا عَلَيَّ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثِرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثِرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿سورة الزخرف: ٢١ - ٢٥﴾.

ولا يغيب عن ملاحظة الفطن إشارة السياق القرآني إلى تكرار قول الكافرين وإصرارهم على (الاهتداء والافتداء) بنهج آبائهم على الرغم من بطلان استدلالهم وضعف حججهم؛ لذا جاء الجواب القرآني بإيضاح زيف ادعائهم وكشف واقع كفرهم ومآل عاقبتهم.

ويصور القرآن العظيم هذه السمات الباطلة المنهي عنها في الاستدلال على لسان الكافرين طلباً في التنبيه على مخالفتها للعقل والبرهان ومعارضتها للفطرة والوجدان لأنها تتبع طريق العمى من دون هداية وتسير من دون علم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا هُمْ لَا

بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة التي تحاكي الفطرة والوجدان، وتلازم العقل والبرهان، وتتسم بالوضوح والبيان فلا شائبة تبعد عن اليقين، ولا ظن يعترض الدليل إلا أن الكافرين أمام ذلك تراهم يستدلون بالمقاطعة والعناد والعمى والظن الذي لا يغنى من الحق شيئاً، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغِي مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا ءَابَاءَنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤ - ٢٦].

ويتكرر الموقف ثانياً وتأتي مغالطة الكافرين^(٢٦)، واستدلالهم في نقض دعوات الإيمان بالله تبارك وتعالى، وتوحيده والإقرار بقدرته على عمى التقليد لأبائهم والتماسهم الهداية من الضالين والافتداء بآثار المكذبين قال تعالى: ﴿أَمْ ءَانِيتَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهَم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا

(٢٦) ظ/ بحوث في مبادئ الاستدلال/ ١٨٦.



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

• البصائر

يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ [سورة البقرة: ١٧٠] وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٤﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿سورة المائدة: ١٠٤ - ١٠٥﴾.

ولعل كثرة موارد إنكار القرآن الكريم تقرّر بقاء الكفار في ضلالهم وعنادهم، والركون للتقليد الأعمى، ويدعو للتحذير منها ومن أمثالها، وتشخيصها سلوكاً منبوذاً بين العقلاء أو ممن يدعون التفكير أو النظر العقلي.

وقد مضى ذلك على لسان خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام في محاججته لقومه ومغالطتهم في الاستدلال وعنادهم السقيم مقابل استدلاله بالبرهان العقلي المشخص بالواقع الحسي الملموس العيني الذي لا يختلف فيه اثنان في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا

ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ ءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿سورة الأنبياء: ٥١ - ٦٧﴾.

ومن عظم خطر هذا المنهج الخاطئ والزائف في الاستدلال الباطل انه يؤدي بصاحبه إلى الضلال، والابتعاد عن طاعة الله بل والخروج من مقام العبودية إلى مقام التمرد والعصيان ومآله هذا الهلاك وعاقبته النار، وهو ما صورّه لنا كتاب الله تبارك شأنه في استدلال إبليس عندما أمره تعالى بالسجود لآدم، وهو في حقيقة الأمر سجد لله تبارك اسمه بدلالة طاعة الأوامر الإلهية، وعدم مخالفة ما يصدر منه جل شأنه، ولا سيما أن المأمور إبليس (لعنه الله) كان مع الملائكة ومن العباد وفي ذلك إشارة إلى الإنذار والتحذير من التكبر والتفاخر والعصيان والعناد؛ لذا جاءت المشاهد القرآنية الكريمة وهي تصور بدقة ووضوح بطلان استدلال إبليس وحجته بعدم السجود إلى آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ

أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ
لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَأَخْرَجَ مِنْكَ مِنَ الصَّنَعِينَ ﴿١٣﴾
[سورة الأعراف: ١١ - ١٣] فالتكبر كان
صريحاً منه وقد كان من الظهور والتجلي
بأن أشار إليه تعالى في محكم كتابه، فضلاً
عن ذلك فإن الاستدلال بأفضلية عنصر
على آخر، والقياس عليه في مدار التفضيل
زائف وغير حقيقي فزعمه -إبليس -
«كونه خيراً من آدم كذبة باطلة، واستدلاله
عليها بكونه مخلوقاً من نار، و(آدم) من
طين استدلال باطل، ليست النار خيراً من
الطين والتراب، بل التراب خير وأفضل
عنصراً من وجوه»^(٢٧) كثيرة وإنما الهدف
من ذلك يقع على قضية العصيان والمكابرة
في الطاعة والتسليم للأمر المولوي وهو ما
تؤكد آيات أخر منها قوله جل وعلا:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ
بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ،

(٢٧) ارشاد القرآن والسنة / ١٠٥، وقد ذكر ابن
القيم خمسة عشر وجهاً في أفضلية التراب
على النار.

سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ
السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَّبِعُ مَا لَكَ أَلَّا
تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ
لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِئَاكَ رَجِيمًا ﴿٣٤﴾ [سورة
الحجر: ٢٨ - ٣٤].

وتأكيد مشهد استدلال إبليس أكثر
من مرة في القرآن الكريم، مع الإشارة بل
التصريح بدمه، وزيفه يولد إجماعاً بأهمية
الاعتماد في الاستدلال على الحق والصواب
دون الباطل في التكبر والتعالي والحسد؛
فإنها موجبة للطرد من الرحمة الإلهية وهي
العاقبة والمآل الذي خلص إليه إبليس من
استدلاله الزائف^(٢٨)، وقد نصت عليه
وكررت مواقف (أربع مرات)، وفي كل
آية ترى الندم والطرد والتوبيخ ونقض
حجته وقياسه، وأعجب ما في الأمر أن
القرآن الكريم ينقل جرأة إبليس (لعنه الله)
واصراره على العناد والتكبر في خطاب الله
تبارك وتعالى، وميله للجدل المفروغ منه
وتوعده من كرمه الله تعالى بوقاحة تنبئ
(٢٨) ظ/ كذلك [سور ص: ٧١ - ٨٣].



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم البصباح

فكري يقود إلى إحكام الصحة والصواب، والحجة والدليل في شتى شؤون الإنسان وشجونه في حركته ليستحيل هذا عنده منهجا متبعا وطريقاً يُسلك، ولا سيما وهو منهج العقلانية والحكمة، ومن هم أهل حمل الكلمة الإلهية للناس، إنه منهج الأنبياء الذين قص علينا كتاب الله تعالى خطابهم الاستدلالي مع أقوامهم فضلاً عن بيان أهدافه ومقوماته وتناسقه مع سياقات النص المجيد وخطابه المعجز؛ وعليه فالتأمل اللبيب لا ينفك عن تحلي اللطائف والأسرار الإلهية من الاستدلال القرآني.

وكلما أنعمنا النظر أكثر فأكثر، رأينا العجز ظاهراً عن وصف ما نشعر به قبال فرائد الدلالات ونفائس المعاني، ولعلك تطلب مثال ذلك شاهداً على ما وصفته واليك قول الله تبارك شأنه على لسان خليله (صلوات الله عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

عن كبره بحضرة الذات المقدسة ومقابلة الخطاب بالخطاب، ولعل منشأ ذلك أو بعضه من سوء استدلاله وعظم بطلانه الذي أدى به إلى الإصرار عليه واستحباب العزة بالآثم والمعصية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُفْرًا مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ [سورة الإسراء: ٦١ - ٦٣].

هذه هي الصورة الأولى من الممارسة العملية للاستدلال التي ينقلها لنا القرآن الكريم محذراً منها؛ لقيامها على الباطل ومخالفتها المنطق، وجريانها على أسس العناد الأعمى والعصيان الذي لا تحمد عاقبته؛ لذا جاء الحديث عنها في القرآن لبيان ذمها وعدم صلاحها ومقارنتها بالصورة الثانية من الواقع العملي للاستدلال القرآني والذي يمكن إن نصفه بالاستدلال البرهاني - المنطقي المعتمد على الصدق والحق، والمؤسس لاتجاه

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ [سورة البقرة: ٢٥٨]، فقد جمعت هذه الآية المباركة صوري الاستدلال المتقدمة (استدلال الحق، واستدلال الباطل)، فقبال حجة إبراهيم عليه السلام التوحيدية ونسبة القدرة على الإحياء والإماتة لله تعالى، تجد سفاهة ادعاء الكافر وعناده، وإصراره على الطغيان من خلال زعمه بامتلاك هذه القدرة التي لا يستطيع بها دفع الضر عن نفسه، أو جلب النفع لها ولكن ركونه إلى العزة بالإثم والغطرسة جعله يدعي ما لا يمت للحقيقة بصلة بل هو الباطل بعينه، إذ أراد من معنى الإحياء والإماتة وجها من وجوه الظلم والغطرسة، ولم يجرؤ على أن يدعي ما ليس له لأنه فاقد الأهلية على نفسه، فكيف بادعاء هذه القدرة عموماً على الآخرين؟!.

ولم يقف خليل الرحمن عليه السلام عند استدلال نمروذ هذا بالتعقيب أو التعليق لسبيين فيما أرى والله العالم:

الأول: بطلان هذا الاستدلال من

أساسه؛ لأنه يفقد اقل درجات التعقل و المنطق؛ ولعله من ظهور انحطاطه، ووضوح سفاهة استدلاله تجاهله إبراهيم عليه السلام، وانطلق إلى استدلال آخر لا مندوحة من الإجابة عنه. ولا سبيل له في الرد عليه.

والثاني: اتخذ إبراهيم عليه السلام طريق الانتقال الجدلي مع خصمه والذي يقوم على انتقال المستدل إلى استدلال آخر غير الذي كان آخذاً فيه^(٢٩)، وتخطي استدلال خصمه وتجاوزه، وتجاهله ولو ظاهراً، ومن ثم إفحامه باستدلال آخر لا يحير له جواباً؛ لأنه حقيقة حيّة ملموسة متفق على نسبتها وتصورها العياني والعقلاني عند عامة الناس والخلق.

من هنا اسقط في يدي نمروذ وكنى عن حاله القرآن الكريم بقوله ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾ فهذا الاستدلال اخرس منطقته، وأمات حجته فلا جواب سوى لسان الحال من إحقاق الحق بوجه الكفر والظلم، والعجيب حقاً والمعجز صدقاً

(٢٩) ظ/ الإتيان في علوم القرآن/ ١١/ ١٢٦٧.



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصائر

إن هذه الآية التي جمعت بين مشهدين من الاستدلال جاءت في سياق فريد ونظم نادر فكأنها هي مصداق لما سبقها من جهة، وقاعدة تؤسس لقضية استدلالية لما بعدها، كيف ذلك وأنسى؟؟؟.

ولو راجعنا الآية السابقة لوجدناها تقرر معنى من تولى الله تعالى الذين امنوا بالهداية والإخراج من الظلمات إلى النور مقابل الذين كفروا (الشيطان) يخرجهم من النور إلى الظلمات قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

ثم تأتي الآية التي استدلت بها إبراهيم عليه السلام على نمرود مصداقاً حياً لهذه المقابلة بين مَنْ تولاهم الله تعالى بهديته أمام مَنْ كان وليهم الشيطان ولا يغيب عنك امتداح إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]، أكثر من مرة، فمرة يذكره باسمه، وأخرى بنسبة كلمة (رب) إليه مرتين، في (ربّه) وأخرى (ربي) وهذه إشارة واضحة إلى الثناء عليه، وعلى سلوكه ومنهجيه في الاستدلال الحق والله العالم.

وكما جعل السياق القرآني مقاما طيباً لخليل الله تعالى بما استحقه، وصف (نمرود) بالكفر والاستبعاد من الرحمة، فهو الجاحد بأنعم الله تعالى وعطاياه من خلال دلالة الكناية عنه وعن اسمه بلفظ (الذي) مع لحاظ السياق الذي قرر ونص على نعمه جلّ شأنه بقوله (أن آتاه الله الملك) فالملك كان منه تعالى، ولم يقابل هذا الموصوف بالكفر نعمة الملك إلا بالطغيان والتعنت، وسلوكه الاستدلالي الذي ينقله الكتاب المجيد ينبئ عن ظلمه وكفره وخروجه من ولاية الله تعالى إلى ولاية الشيطان، وعاقبة التولي ومآله في الاتجاهين ظاهرة بينة فكراً وعملياً وهي ما يوضحه القرآن الكريم في آيات لاحقة

في مواضع قرآنية في غير سورة البقرة، وما يهمني ها هنا أن الإشارة الاستدلالية كانت موجهة نحو منهجين أحدهما: يقوم على الصدق والحق، والآخر: يقوم على التضليل والزيف، وحسبك في هذه المقارنة من توجيه قرآني نحو السلوك والتربية الاستدلالية نحو الحق والصدق والتحذير من دون ما سواهما.

وفي هذا المنهج الاستدلالي توكيد لنقض العقائد الباطلة، وبناء للعقيدة الحققة، وهو سلوك إبراهيم عليه السلام عينه في حجاج (نمرود) حيث نقض دعواه، وألزمه الحجة، وكذّبه في حجته حتى ظهر عجزه وخارت دلائله، ولم يجر على لسانه إلا الخرس والعي (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ).

ولم تنته صورة مشهدي الاستدلال في هذه الآية [سورة البقرة: ٢٥٨] عند هذا الحد بل جاءت تؤسس استمرار الموضوع المهم الذي غادره إبراهيم عليه السلام ولم يقف عنده وهو زعم (نمرود) وادعاؤه -كاذبا- القدرة على الإحياء والإماتة، وكان ذلك التغافل عن هذا المعنى من باب ما سميناه (التسليم الجدلي)، إلا أن السياقات

القرآنية وإن نقلت قول (نمرود) لكنها وقفت عنده ونقضته ملياً، وبيّنت مفاصله وجلّتها استدلالياً في مواطن كثيرة في القرآن الكريم^(٣٠)، ولا سيما في هذا الوطن حيث فخامة الموضوع، وظهور مدع مضلل يزعم ما لا يستطيع فجاءت الآية اللاحقة بعد آية الحجاج مع إبراهيم لتحدثنا عن قدرته تبارك وتعالى على الإماتة والإحياء، قال عزّ من قائل: ﴿أَوْ

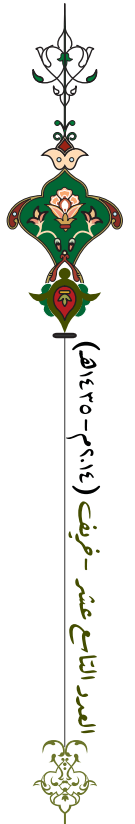
كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جَمْرِكَ وَاجْعَلْكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾

[سورة البقرة: ٢٥٩].

فهذا السياق حمل تناسباً استدلالياً

(٣٠) ظ: على سبيل المثال/ البرهان/ ٢، ١٨-١٩، الإتيان في علوم القرآن/ ١١/ ١٢٦١.





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصباح

أبلغ حجة وأوضح بياناً في أعمال الإيمان، وترسيخ الاعتقاد ويكون إبراهيم عليه السلام طرفاً في الخطاب وكلامه نهجاً للإيمان والاعتقاد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]، فموضوع الآية والسؤال لا يتعلق بخليل الله تعالى وإيانه؛ فإذا كنا نعتقد أن القرآن الكريم كما في روايات أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) نزل على قاعدة (إياك أعني واسمعي يا جاره) نفهم ونعي سؤال إبراهيم عليه السلام ودلالة سياق الآية من استعمال ألفاظ (رب) والإقرار بالإيمان ب(بلى) فضلاً عن أن السؤال أراد معنى (كيف) والغرض من ذلك كله ترسيخ العقيدة فيمن يؤمن باللسان دون الجنان، أو بالجنان دون الاطمئنان واليقين فجاء على لسانه وأراد به المخاطبين ممن حالهم على هذا النحو (ولكن ليطمئن قلبه)، أو التدرج في مقام اليقين لبلوغ

مع الموضوع نفسه لأنه من الأهمية بمكان بحيث لا يمكن إغفاله بمجرد إبطاله في زعم المضللين أو ادعاء الكافرين، فمسألة الإحياء والإماتة من ابلغ الحجج والبراهين على القدرة الإلهية وهي ما لا يحجمها تزييف وجهته (نمرود أو غيره)؛ لأن مقامها ومنزلتها لا يقبل الشركه مطلقاً ولو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ولذا جاءت قصة (عزير) لتؤكد حقيقة الموت والحياة والقدرة عليها منه تعالى ذكره، ولا يمكن لهذه الحقيقة أن توجه الآية بمظهر أهل الطغيان والغطرسة، ومن جميل التعبير وصدق الإيمان تجد في ختام الآية المباركة ذلك الإقرار والتسليم لله تعالى بعد ظهور الآية لمن بعثه بعد موته وعلى ما كان معه من طعامه وحماره، فقال مطمئناً موقناً، (اعلم أن الله على كل شيء قدير) بعد أن وعى الاستدلال عليها وأدركه ختم ذلك بالاعتراف والإقرار.

ولم يترك السياق الاستدلالي الأمر حول قضية الإحياء والموت عند هذا الحد وإنما جاءت الآية اللاحقة لتؤكد المعنى نفسه، والموضوع نفسه ولكن بإطار آخر

أرقى درجاته، من هنا جاء الجواب الإلهي الاستدلالي بحجة لا تقبل أدنى درجات الشك، فما أعجبه من برهان جمع بين ثلاثة أشياء (أربعة من الطير) تنوع و(صرهن) أي قطعهن واخلطهن، ثم (اجعل على كل جبل منهن جزءاً) توزيعهن على رؤوس الجبال؟!، وتأتي المعجزة بالإحياء، وسعيهن إليك عند دعوتك من دون أن تختلط أجزاءها أو يشتبه بعضها ببعض، وفي هذا الاستدلال إشارات ولطائف عظيمة يدركها مَنْ حسن ذوقه، وعَظُمَت الآيةُ في نفسه، ومنها أن صورة الإحياء هذه التي جرت بعد تعدد الأنواع، واختلاط الأجزاء، واختلاف الأماكن آية مصغرة لمشهد الإحياء العامة يوم القيامة من تعدد الأجناس، وتناثر الأجزاء واختلاطها وتشابهها واختلاف زمانها ومكانها فلا يبقى منها شيء يُرى أو يُحس ثم ما لها إلا القيام والبعث والنشور من جديد لا يختلط بعضها ببعض، ولا يشتبه شيء منها بغيره، ولا بعمله، وكل ذلك وغيره إنها هو مصداق للقدرة الإلهية العظيمة في الإحياء والإماتة.

ولا شك في أن المتأمل في الآيات الماضية (٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠) وقبلها الآية (٢٥٧) من سورة البقرة يرى انها جاءت متساوية متناسبة استدلالياً ووكدت معنى القدرة الإلهية في الموت والحياة بحقيقتها الناصعة التي لا يحجب إشراقها مزيف أو يغادرها مجادل، من هنا ترى تأكيد القرآن الكريم صورة الاستدلال الحق الصادق الذي يجعل البرهان طريقاً الى الاعتقاد والإيمان.

أخلص إلى أن الحلقة الثانية من المنظومة الاستدلالية في القرآن الكريم تتمثل بالممارسة التطبيقية للاستدلال من خلال صورتين أو مشهدين حذرت من احدهما، وامتدحت الآخر فكراً وسلوكاً؛ لأنه يوصل إلى الحقيقة ويؤدي بالإنسان إلى طلب الكمال وهي فطرته التي فطر عليها.

أما الحلقة الثالثة من هذه المنظومة القرآنية في الاستدلال والحلقة الأخيرة منه فهي شمولية تجسيد الاستدلال بأقسامه وأنواعه وأساليبه وموضوعاته فضلاً عن بنيته الفكرية في آيات الذكر



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم البصباح

وجدانية في آن واحد^(٣٢).
فقد وجه الكتاب المجيد الأنظار إلى أن فاعلية الاستدلال وحركيته في الإنسان تقوم على تكامل الفطرة الإنسانية وتناسبها مع البرهان العقلي، ولعل الاعتماد على الفطرة يأتي بالدرجة الأساس سابقاً الأدلة العقلية؛ لأنه جل ذكره أودع في «قلوب بني آدم المعارف الفطرية الضرورية ما يفرقون به بين الحق والباطل، وما يجعلها مستعدة لأدراك الحقائق ومعرفتها ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمكّن، لما أفاد النظر ولا الاستدلال ولا البرهان»^(٣٣).

فالبنية الفكرية للاستدلال لا يمكن تصورها من دون الفطرة والوجدان اعتماداً على العقل والبرهان فحسب، وإنما تتكامل القضايا التي توجب فيها البرهان مع الفطرة لإيجاد أكبر مساحة من التأثير

(٣٢) ظ/ الاستدلال في القرآن/ محمد هادي معرفة/ ٩٥ مجلة رسالة القرآن/ العدد ١/ ١٤١١هـ، كذلك ظ/ الاستدلال القرآني/ منهجه ومميزاته/ د. سامي عفيفي/ ص ٢.
(٣٣) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة/ عثمان بن علي بن حسن/ ١/ ٢٠٧.

الحكيم والتي تضمنت "جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق إحكام المتكلمين"^(٣١).

ويمكن للباحث أن يستخلص أبعاد هذا الجانب من المنظومة في دلالات وإشارات يجوز أن نسميها البنية الاستدلالية الفكرية المؤصلة لقواعده وأأسسه.

واعني بالبنية الاستدلالية الفكرية التي اقام القرآن الكريم على أساسها منظومته، وأصل من خلالها لقواعده وأساليبه وطرقه في توليد وصناعة الاستدلال بما ينسجم مع فطرة الإنسان ووجدانه من جهة، والبراهين العقلية البديهية من جهة ثانية فيؤدي بالنتيجة إلى قناعة عقلية برهانية، ومنتعة نفسية

(٣١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي/ ٢/ ١٧، الإتيان في علوم القرآن/ السيوطي/ ١١/ ١٢٦١.

والفاعلية للاستدلال، ومن هنا تختلف الاستدلالات من جهة القوة والوثاقة^(٣٤)، وقد تكون بعض القضايا تحتاج إلى دليل، وأخرى نعرف صدقها من دون الحاجة إلى الاستدلال^(٣٥)؛ أما لأنها من أوضح الواضحات؛ أو لأنها تعرف من جهة الفطرة ولعل من يطلب الاستدلال على القضايا الفطرية التي هي بحكم البديهية لا بد أن يقع بالدور القبلي المنطقي^(٣٦).

وإذا اعتقدنا بأن الاستدلال عملية عقلية تهدف إلى الإثبات من جهة علاقتها بقضايا أخرى؛ فإننا بالضرورة نعتقد أن للعقل وظيفة عملية فضلاً عن وظيفته النظرية، واعني بالعملية مسألة قيادة عملنا، مثلما هو توسيع معارفنا وتعميقها، فإذا كان سلوكنا غير مترواحيانا، ولا يصل إلى النتيجة الصواب فقد يكون نتيجة استدلالنا^(٣٧).

(٣٤) ظ/ الاستدلال في القوة والوثاقة / ٢٧.

(٣٥) ظ/ الاستدلال/ روبر بلانشي/ ترجمة ا. د. محمود يعقوبي/ ٦١.

(٣٦) ظ/ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ ٢٠٨.

(٣٧) ظ/ الاستدلال/ روبر بلانشي/ ٢٦٩.

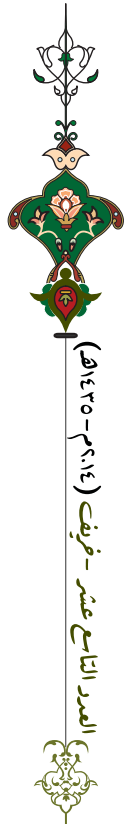
وعلى أية حال يمكن أن نعبر عن الاستدلال من جهة صنعته العقلية أو الذهنية بأنه «سلسلة متصلة من الحلقات، تندمج في طياتها عمليات متعبة من الاستنباط والمقارنة، وضرب المثال والبحث عن المثال المضاد، قصد إبطال فرضية ما وتدعيم منافستها، إذ النشاط العقلي منغرس في الانشغالات المتشعبة، وليس من السهل إقامة حواجز فيما بينها، وكل فكرة مشروطة بحيثيات؛ ولهذا كانت كل فكرة متولدة عن فكرة سابقة وتوجه إلى اقتراح تفسير جديد نسبياً، حيث يقارن العقل ويتنقد، ويقيد، ويستبعد بناء على معطيات معينة، ويتقبل بناءً على أخرى في سيورة من الأخذ والرد لا تتوقف، وفي كل عملياتنا يشتغل العقل من خلال إسقاط المعارف والأمثلة من مجال على مجال آخر بعيد أو قريب»^(٣٨).

وهذه الصورة الذهنية على الاستدلال لا تفترق عن الفطرة، وانما تعكس تكاملها وترابطها في محصلتها الاستدلالية المطردة

(٣٨) ظ/ الاستدلال مستويات في القوة

والوثاقة/ ٢١..





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصائر

قوام البنية الاستدلالية: من خلال ما مضى يمكنني الاعتقاد بأن قوام البنية الاستدلالية القرآنية يرسخ تجانس المضامين النظرية والعملية للاستدلال فكراً، ويوحّد غايتها في إيضاح المقاصد والأهداف الاستدلالية، واحسب ان ذلك يُشيد من خلال ما يأتي:-

أولاً: تقرير القضايا العقلية البديهية التي لا يمكن الاجتماع على خلافها أو الاتفاق على نقضها، وهو بذلك يؤصل تطبيع سلوك الإنسان المفكر ويمنطق آلياته الموصلة إلى الأحكام النهائية قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]، فالآية على إيجازها تقرر حكماً لا يمكن أن ينكره مفكراً، أو متعقلاً فالفساد يقوم على اختلاف الإرادات المتعددة المتناقضة، وما دام الأمر محكماً عظيماً في التدبير والخلق والإدارة؛ فيستحيل وجود غير الله -تعالى شأنه- خالقاً ومدبراً، ودلالة التمانع واضحة المعالم في الآية^(٤١)، ولا يمكن مخالفة العقل (٤١) ظ/ الاستدلال البلاغي / ١٨٨.

وهو أمر ما فتىء القرآن الكريم يشير إليها، ويؤكدها ويستثمرها في خطابه الإنساني الممنهج^(٣٩)، وإبداعه صورة واضحة مبنية على انه سلوك الهي تمثله الأنبياء والرسل، وعليه قامت أصول الحوار والمناظرة والجدل مع أقوامهم؛ فضلاً عن ذلك فإن الكثير من آيات الذكر العظيم التي عقت على الاستدلال الوجداني العقلي البرهاني أو الفطري الوجداني بفواصل قرآنية توضح صلته بالتعقل والعلم والتفكير والتدبير^(٤٠)، وجميعها في دائرة آيات الاستدلال، وهي لب العملية الذهنية التي ينتزع من خلالها الدليل، وقطب الرحي في الوصول إلى الحكم اليقيني الذي لا يدفعه شك ولا يقاربه ظن، وعماده الحق والصدق؛ لأنه معضد بالفطرة والوجدان ومصاغ بالعقل والجنان. وهو ما يؤدي بنا إلى تلمس عوامل توليد البنية الاستدلالية.

(٣٩) ظ/ الجدل والمناظرة في القرآن الكريم/

عثمان بن علي بن حسن / ٣٨٤.

(٤٠) ظ/ على سبيل المثال قول الله تبارك شأنه:

[النحل: ١٢، الروم: ٢٤، غافر: ٥٧، آل

عمران: ٦٦، الرعد: ٣، النحل: ١٠-١١،

المؤمنون: ٦٨، ص: ٢٩].

والبداهة في استكناه معنى أو دلالة تغادر موطن التوحيد لله تعالى وتنزيهه عن كل ما يعدُّ تلويحاً أو إشارة بالشرك أو شيء من معالمة قال: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١] (٤٢).

ثانياً: اعتماد القرآن الكريم الاستدلال منهجاً في ترسيخ القضايا العقديّة والمطالبة بالبرهان أو الدليل أو السلطان كما أسمته في الكثير من الآيات التي يُتطلّب فيها الوصول لحكم يُستنبط، أو الدعوة إلى إثبات بعض المطالب التي يزعم مدعيها - باطلاً - أنها على جادة من الصحة والصواب، ولا سيما ان العقل والمنطق فيها مخالف فهي تصدر عن العناد، وتسلك التضليل وليس لها من دليل في إثباتها، فتبنى من غير قواعد، وترفع من دون أسس في العلم أو الاعتقاد، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ

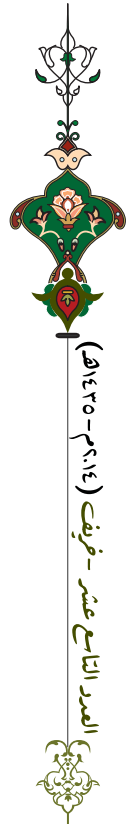
(٤٢) ظ/ كذلك على سبيل المثال الآيات الآتية: الزخرف/ ٨١، غافر/ ٥٦ - ٥٧.

اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة النمل: ٦٤].

ومن لطائف تلازم التقرير العقلي البرهاني للاستدلال مع نهج ومبدأ المطالبة بالدليل والبرهان أن آيات الذكر الحكيم تجمع فيما بينها في سياق واحد، فمن جهة ترى القرآن الكريم يقرر المبدأ البديهي، ومن أخرى يدعو لاعتماد الدليل والبرهان ويقدمه واضحاً بيّناً لا شائبة حوله بفرادة أساليبه، وندرة صياغاته، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (٣٢) لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ (٣٣) أَمْرٌ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٣٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

[سورة الأنبياء: ٢٢ - ٢٥]، فتنزيه الله تعالى عن الشرك والمطالبة بالبرهان تقع على من يعتقدون إلهيته، وبيان أن توحيد الله تعالى هي أساس الرسالات السابقة ولم يكن الإسلام بدعاً منها وتعبير (من قبلك من رسول) دال على جميع جنس الرسل





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصائر

في الاقرار له تعالى بالإلوهية والعبادة ولا سبيل بغير ذلك من الاعتقاد إلا الباطل .

ثالثاً: تأكيد الكتاب المجيد قضية إنزاله وصلته بالسماء أو بما له من خصوصية في نسبته الإلهية، وأدائه المحمدي أو تحديه الإعجازي كل ذلك لم يكن بمعزل عن الاستدلال والبرهان بل جاء كذلك في سياق استدلاي يجمع بين الخطاب العام (للناس) على اختلافهم، والبرهنة بالآيات الحسية المشاهدة والعقلية المستنبطة تقرير ربوبيته على خلقه، فهو ربكم الذي جعلتم من دونه أنداداً بدلاً عن عبادتكم إياه، وأن ارتيابكم من كتابه، وعبد المؤمن على القرآن العظيم إنما هو في سياق الاستدلال والاحتجاج، فتحدهم على مقابلة البرهان بالبرهان، وأن يأتوا بمثله، ولكن هيهات هيهات فقد ظهر العجز بدلالة التسليم بمقام الاستدلالات على ذلك، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢١﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَوُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ [سورة البقرة: ٢١ - ٢٤].

فالقرآن الكريم من دلائل النبوة، وهو كتاب الرسالة من السماء قامت الحججة به ومن خلاله، ومن أراد معارضته انتصارا لما يزعم ويدعي فالتحدي قائم، وفي هذا السبيل يتجلى الحق عن الباطل، ويتبين الصادق من المكذب، وكلُّ هذا في باب الاستدلال المستند إلى العقل والوجدان، وليس سوى ذلك طريق ومنهج لإثبات الكتاب والمرسل وصلتها بالسماء من عدمها على مَنْ أحتج القرآن عليهم بمسائل كثيرة ومختلفة بدءاً من التوحيد إلى البعث والنشور ثم الحساب والجزاء.

أخلص إلى أن النقاط التي ذكرتها آنفاً من أهم عوامل توليد البنية الاستدلالية في القرآن الكريم وقوامها ومن خلالها نستطيع أن نتبين أركان الاستدلال وأسسها التي يبنى عليها.

أركان الاستدلال^(٤٣):

يبدو للباحث إمكانية تحديد أركان الاستدلال من خلال تحليل العملية الاستدلالية نظرياً فحسب، إذ لا يمكن واقعاً فصل أو تفكيك أركانه؛ لأنه يمثل فكرة مترابطة الأجزاء تراكب المحصلات الدلالية حتى تصل بك حركية الاستدلال إلى النتيجة النهائية التي تربط المقدمات بالنتائج، إنها عملية فكرية وقدرة عقلية فاعلة ومؤثرة في الإثبات والإقناع^(٤٤).

ومهما يكن من أمر فإن أركان الاستدلال وفقاً لفهمه قرآنياً، ينقسم على خمسة أركان وهي:

الركن الأول: المستدل:

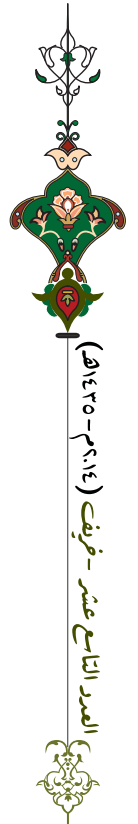
واعني به صاحب الاستدلال وهو

(٤٣) لا اقصد بأركان الاستدلال في ضوء كونه صناعة منطقية، وان قاربُ هذا المعنى في بعض ما ذهبُ إليه من رأي في بنيته الفكرية، فليست الأركان الاستدلالية تعني ما ذهب إليه أرسطو من قيامه على البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة، وانما أردنا من ذلك حركية استنباط المعنى والاحتجاج له أو عليه بعمق يرصد فيه ابعاد الفكرة من جهة تعلقها الحجاجي.
(٤٤) ظ/ الاستدلال/ روير بلاشي / ٤١.

بالمبدأ العام القرآن الكريم، وهو كلام رب العزة والعظمة أو مَنْ ينقل على لسانهم حكاية من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، أو أقوام الأنبياء في حجاجهم وجداهم الأنبياء والمرسلين، ولعل الباحث لا يفارق الصواب حينما يرى أن التمييز بين المستدلين أو الفاعلين للاستدلال يمكن أن يكون في جانبين بلحاظ غاية المستدل ومقاصده، فإذا كانت الغاية الحق والصدق وتأصيله بالعلم والتعقل والتفكير كان ذلك المستدل المحق المنصف وهذا الجانب الأول، والمقابل له -الجانب الثاني- المستدل الذي غايته الكفر والعناد، والإصرار على الذنب فهو المضل الذي لا يستند إلا على الظن، ولا يرجو سوى سوء المنقلب على زيف مراده ومقاصده، والشواهد القرآنية أوضح من أن تحصر في غالب الكتاب العزيز.

الركن الثاني: المستدل عليه:

وقصدي من ذلك موضوع الاستدلال، أو الموضوع الذي يراد إثباته، وإذا نظرنا إلى موضوعات القرآن الكريم التي أراد الاستدلال لها أو عليها لرأيانها كثيرة



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصباح

الظالمين والطغاة، وترسيخ العقائد الإلهية، وبناء الأمم على نهج الرسالات السماوية في التوحيد والعقائد الصحيحة^(٤٧) الفاعلة في حياة الناس والمجتمعات.

الركن الثالث: المخصوص بالاستدلال:

ويراد به الجانب الموجّه إليه الاستدلال وكانت اغلب خطابات القرآن الاستدلالية توجه إلى الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين فضلاً عن غيرهم مع تأكيدنا بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأن ما جرى من خطابات إنما هي في دلالتها العامة حجة على جميع المسلمين بل على من له نهج في التعقل والتفكر، ومن عظيم لطائف القرآن وإرشاداته السلوكية التربوية انه يحاول اجتذاب المخصوص بالاستدلال إلى مبدأ الصواب بأن يجعل من نفسه طالباً للحق وهو ومقابله على جادة واحدة في وجوب البحث عن الحق والهدى، قصداً لهما، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ

(٤٧) ظ / الاستدلال القرآني في منهجه ومميزاته / ؟؟؟.

ومتعددة، ويتصدرها قضية إثبات وجود الله تبارك وتعالى وربوبيته والدعوة الحقة إلى عبادته وتنزيهه عما لا يليق به، وليس ثمة مبالغة في قول الأستاذ العقاد «لم تتكرر البراهين على إثبات وجود الله تعالى في كتب الأديان السماوية كما تكررت في القرآن الكريم»^(٤٥).

ولعلنا ندرك حقيقة ذلك عندما نرى مئات الآيات القرآنية كانت مدار الاستدلال على الربوبية والقدرة الإلهية على الإحياء والإماتة، ومجادلة الكفار والمشركين من أقوام الأنبياء والمرسلين^(٤٦)، بأوضح البراهين وأبلغ الحجج، وأقوى الدلائل، في سياقات متلاحقة ومواطن متلازمة فلا «تنتهي من استدلال الال يقوم آخر بحسن تواصل وجمال تلاؤم وتعاقب، فيأخذ كل سياق حقه ومراده من البراهين بحسب موضوعه، وتفرد عرضه، وبلاغة حكايته قرآنيّاً من هدم العقائد الضالة في الفكر ونقض الشرك وتحطيم عروش

(٤٥) كتاب الله / ص ٢٢٥.

(٤٦) ظ / منهج الجدل والمناظرة / ١ / ٤١٤، ظ كذلك منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل والحجة / ١١٥.

وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [سورة سبأ: ٢٤].

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ [سورة

فهذا الأسلوب القرآني في التنزل إلى مقام المخصوص بالاستدلال يوحى بأن غايته إنما التوجيه والهداية إلى الحق والإيمان بما يقتضيه التعقل ويستلزم الإيمان، فليس من وكد الاستدلال القرآني إفحام الخصم وإلزامه لمجرد الغلبة والتنازع، وإن كان ذلك الإفحام والإلزام بالبراهين محصلاً في النتيجة ممّن جحد الحق، واتخذ العناد منهجاً، والإصرار على الضلال سلوكاً بتركه التفكير والتعقل، وما فطرت عليه النفس (٤٨).

النحل: ١٢٥]، والدعوة إلى الجدل أو الاستدلال بالتي هي أحسن عُضِّدَت كذلك بالتحذير من الذين يصدر عن الضلالة والعزة بالإثم.

ويمكن القول إن المخاطبين بالاستدلال شكلوا ظاهرة قرآنية بأن نقل الكتاب العزيز براهينهم وحججهم الزائفة التي لا تنهض بأن تكون استدلال حق أو صواب، وحكى موقف أنبيائهم ورسولهم منهم في الاستدلال على نقض عقائدهم، وإعلاء العقائد الإلهية وبنائها، وقص من جانب آخر كيف أنكر هؤلاء ما جاءت به الرسالات السماوية من دون دليل أو برهان فضلاً عن ذكر مآلهم وعاقبتهم (٤٩).

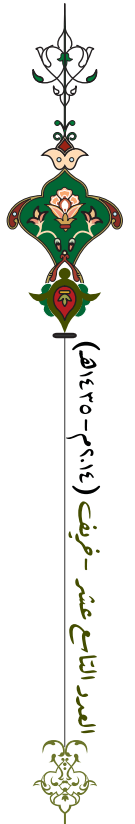
ومن روائع الأسلوب القرآني في الاستدلال انه يقابل الجانب الآخر (المخصوص بالاستدلال) بالحجج والبراهين الواحد تلو الآخر مقابل العناد والخصام، وهو في كل هذا وذاك يعضد الحجة بالحجة، والدليل بالآخر؛ لتكن الحجة على مَنْ كفر وضلّ أوضح وأبلغ، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ (٤٨) ظ/ منهج الجدل والمناظرة/ ٣٩٤.

الركن الرابع: برهان الاستدلال:

والمراد منه الدليل أو الحجة التي يأتي بها المستدلُّ حال إثبات صدق قضية أو نقضها، وقد حكى القرآن العظيم استدلالاته وبراهينه وأدلته المختلفة

(٤٩) ظ/ منهج الجدل والمناظرة/ ٥١٥ وما بعدها.





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

البصباح

جری من ذبح البقرة، أو قصة عزيز، أو قصة أصحاب الكهف، ومنها الاستدلال على البعث من طريق خلق السموات والأرض، أو إحياء الأرض الميتة وإخراج النبات، وغيرها كثير.

وكذا الأمر عندما تصدى الكتاب المجيد لأدلة المشركين والكافرين في إنكار الإلهية والربوبية لله تبارك وتعالى، ونقض دعواهم وأدلتهم في نسبة الولد إلى الخالق تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإبطال مزاعمهم في الاعتراض على شخص الرسول الأكرم ﷺ، أو إنكار نسبة القرآن إلى الله تبارك شأنه، أو ردّ دعوى أهل الكتاب لإلهية عيسى عليه السلام، أو نسبة صفات النقص لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، أو نسبة أهل الكتاب أنفسهم لله تعالى، أو قولهم زعمًا باطلاً في انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذريته، وقولهم على مريم عليها السلام بهتاناً عظيماً، وغير ذلك.

لقد عارض القرآن الكريم بالدليل الواضح والقوي ومنهج تسوده الدعوة للهداية والرشاد، واعتماد الحقيقة ونبد العناد، كل ما جاء ضالاً، ورسخ كل ما

المتنوعة بحسب القضايا التي ساقها في مقامات شتى وصور كثيرة، ونقل من جهة ثانية أدلة الجانب الآخر من الكافرين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وعقد في أحيان عديدة مقابلة بين برهانه القائم على العقل والفطرة الإنسانية، وبرهان الجانب الآخر الذي يفتقد المنطق والعقلانية ولا يركن إلا للظن، ويعتمد المغالطة طريقاً ومنهجاً في الاستدلال فتقوده إلى الضلال والعناد فانقسم بذلك الاستدلال أو البرهان على نحوين، برهان إثبات وبناء، وبرهان نفي ونقض (٥٠).

لقد واجه القرآن الكريم الأدلة الزائفة ببراهينه القوية الواضحة، فمسألة البعث بعد الموت مثلاً من أهم القضايا التي واجهها البرهان القرآني بما لها من تفصيلات عديدة، فأكدتها وأثبت حقيقتها التي أنكرها الآخرون باطلاً وابتعاداً عن الفطرة من خلال الاستدلال بوجوه كثيرة منها قياس البعث والإحياء من خلال الأمثلة كما في قصة موسى مع قومه وما (٥٠) ظ / منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة / ٢٢٢.

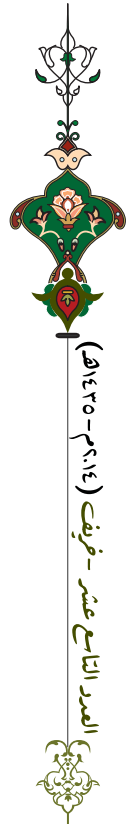
من شأنه الهداية، فبرهانه وحجته أفلح،
ومنهجه أحمد وأرشد.

وفي الجانب المقابل -استدلال أهل
الكفر والعناد -تلحظ انكسار الدليل
وابتعاذه عن مرامي القضية، وانقطاع صلته
بالموضوع، وانعدام علاقته بروح البرهان
الصحيح ولعل في استدلال نوح عليه السلام مع
قومه أوضح المشاهد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿٥٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٥٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا
نَرْبُكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ
يَادُوا الرُّبَا وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ
بَلْ نَنظَرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٥٧﴾ [سورة هود: ٢٥-
٢٧] فالدعوة الى التوحيد وعبادة الله تعالى
هي دعوة سائر الأنبياء وقد استدل نوح عليه السلام
على صحة وعقلانية برهانه وتلازمه مع
فطرة النفس البشرية قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ
إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٥٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ
وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٥٧﴾ ثُمَّ إِنِّي

دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٥٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَمْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ
غَفَّارًا ﴿٦٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٦١﴾
وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجْهِكُمْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلُ
لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٦٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٦٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٦٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿٦٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا
﴿٦٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٦٨﴾ وَاللَّهُ
جَعَلَ لِكُلِّ الْوَجْهِ لَكْرًا ﴿٦٩﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿٧٠﴾ [سورة نوح: ٥ - ٢٠].

ولا يغيب عن لحاظك ان تكرار
الدعوة يقابلها الاصرار على العناد
استكباراً وتعالياً، وتكرار الدعوة
وتواصلها ليلاً ونهاراً قد وصل الى نقطة
افتراق، ولا سيما بعد استفراغ الوسع
الرسالي فيها وفي أساليبها المتعددة
واستدلالة العجيب الذي ينتقل بالدليل
والبرهان مما هو ذاتي متعلق بالإنسان
كلاستغفار، وبين ما هو سماوي متعلق
بإرسال الغيث النافع، وما هو من نعم
الله تعالى على الأرض من معاش وأرزاق
وتكاثر، ثم ينتقل الاستدلال بنا إلى تقرير





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

المصباح

مباشرة^(٥١)، ولا سيما ان دلائل نوح عليه السلام وبراهينه كانت ابلغ في الاحتجاج والاستدلال على دعوته من حججهم في بقائهم على الشرك والكفر، وقد نقل القرآن الكريم عنهم مكرهم وإصرارهم على الكفر والشرك وتولي عباده الأصنام والأوثان قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ **﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتِكُمْ وَلَا نَدْرَأُ وَدًا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَفُوتٌ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا﴾** [سورة نوح: ٢٢ - ٢٣].

أخلص من ذلك إلى أن ثمة مفارقة بين استدلال نوح عليه السلام، واستدلال قومه فلم تواجه حجة نوح ودعوته للتوحيد وبراهينه العقلية البديهية والإنسانية والفطرية إلا بالتحول عن الموضوع إلى إشكاليات أخرى لا ترتبط مباشرة بالاستدلال على صحة تبنيهم الكفر والشرك، بل تراها احتياليًا وهروبًا من أصل الموضوع إلى هامشه، ولا سيما مع توافر المقاصد الباطلة لقوم نوح عليه السلام وهي تقود مركب العناد وشراعه التعالي

حال قومه وعدم رعايتهم مقام الإلوهية على عظم النعم التي قدمها نوح عليه السلام، التي يجدد التذكير بها مرة أخرى، فيرتفع بالبرهان من أنفسهم وخلقهم وتنشئتهم مراحل وأطواراً، إلى السماوات وما فيها من طباق، وأقمار وكواكب مع لازم صفاتها التي يدركونها ويمسسونها، ثم يأخذ بهم الخطاب الاستدلالي إلى النظر في كيفية إخراجهم وتكوينهم من الأرض والعود إليها والبعث منها مرة أخرى، وكل هذه الدلائل الناصعة التي تنقلنا من حجة بينة إلى أخرى أوضح وأبين، ومن معنى عقلي إلى دليل ومثال حسي مدرك مؤثر فاعل في حياة الإنسان وحركته، والأعجب الأغرب إن الجانب الآخر - وهم قوم نوح عليه السلام - قابلوا هذه البراهين والحجج بأخرى غير ناهضة للاستدلال على كفرهم وشركهم وهي لا تخرج عن نظرهم في (بشرية نوح، وصفة أتباعه بحسب زعمهم، وليس لهم من فضل سابق: وخلاصة ذلك اتهام نوح عليه السلام وأتباعه بالكذب) وكل هذه لا تمت إلى أصل الموضوع المستدل عليه بصلة

(٥١) ظ/ دراسات في التفسير الموضوعي/

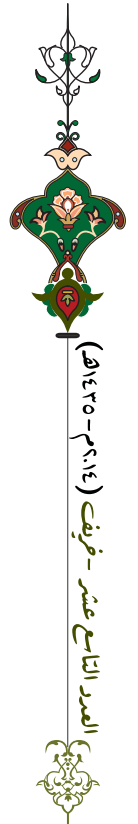
والاستكبار وغايته المكر والخداع.
ولا أحسب برهاناً استوعب أبعاد
الإنسان في ذاته وعلاقاته بمحيطه الذاتي
والبشري وغيره من جهة، وبيئته الكونية
الأرضية والسماوية من جهة ثانية، ومن
جهة ثالثة تواصله مع الشواهد الحسية
والعقلية التي هي جزء من مسالك الحياة
اليومية للإنسان مثل البرهان القرآني،
فالآيات الإلهية تحيط بنا أنى توجهنا
فسبحان الله الذي جعلنا آية شاهدة
ومشهودة قال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ
بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ
أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢)
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ [سورة
النحل: ٢ - ٤].

ويبدو ان أدراكنا لقيمة أثر البرهان
القرآني وفاعليته وخطابه الاستدلالي
يجعلنا نتفاعل كثيراً معه عندما نرى ذلك
مصاغاً بصورة مثل أو مشهد مصور يؤكد
القدرة الإلهية من جانب، وخواء وتصاغر
أدلة المعارضين له من جانب آخر، ولك في

تأمل آيات من سورة الحج خير دليل فبعد
أن يقرر القرآن حقيقة ضلالة وظلم عبادة
غير الله تعالى، ومصير الكافرين ينبه ويحذر
بمثال عجيب في مقارنة تحمل مفارقة
في الحس كما في المعنى، في القدرة كما في
الضعف بين الانسان ومخلوق آخر مُتْنَاهِ فِي
الضعف مقابل الإنسان وهو الذباب (٥٢)
قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ
فَأَسْتَجِئُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ
مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٥٣﴾
[سورة الحج: ٧٣].

وإذا أنعمت النظر في آيات السورة
من بدئها لتوصلت إلى أن من أهم مزايا
«احتجاجات القرآن أنه حينما يحاول
إخضاع العقل ببراهينة المتينة، تراه لا يتغافل
عن امتناع النفس بلطائف كلامه الظريفة،
ورقائق بيناته العذبة السائغة جامعاً بين
أناقة التعبير وفخامة المحتوى» (٥٣) ومن
(٥٢) ظ/ منهج القرآن الكريم في اقامة الدليل
والحجة/ ١٤.
(٥٣) الاستدلال في القرآن/ محمد هادي
معرفة/ ٩٥.





مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

المصباح

نافلة القول الاشارة إلى أن بعض الباحثين يجعلون الأدلة القرآنية على نوعين:

الأول: الأدلة البرهانية التي تتم عن طريق تقرير القضايا بالبرهان العقلي.

والثاني: الأدلة التكليفية وتكون دلالتها على الاحكام التكليفية. ومجال العقل في هذه الآية فهمها واستنباط ما فيها من أحكام شرعية ولا ريب في أن الكتاب العظيم قد كآمل وجمع بين الأدلة في بعضها البرهاني والتكليفي^(٥٤).

الركن الخامس: الاستدلال:

ونريد به ههنا المحصلة النهائية للجمع بين سلسلة من القضايا والانتقال من حكم إلى آخر حتى الوصول إلى نتيجة مبرهنة عقلاً ووجداناً، وللاستدلال عدة تقسيات بلحاظ البيئات العلمية التي وظفته في استنباط معارفها.

ولعل بعض الباحثين حاولوا أن يقيدوا الاستدلال بتقسيات المناطقة وتفريعاتهم، غرضهم المقاربة إلى حد بعيد بين مفاهيم المناطقة للاستدلال في

عناوينهم المنطقية والشواهد القرآنية، ولربما بدا ذلك مسوغاً أو مفضلاً، إلا أنني أجد ذلك يقيد الخطاب الاستدلالي القرآني من جهة، ويغفل عن بعده الوجداني الذوقي، ويهمش معانيه التفسيرية المتساوقة مع أساليبه وموضوعاته من جهة ثانية.

فأهل المنطق جعلوا الاستدلال على قسمين مباشر وغير مباشر على طريقة التقسيم الأرسطي ثم قسموا الاستدلال غير المباشر على القياس والاستقراء والتمثيل^(٥٥) وحلا لباحثين أن يجعلوا أساليب الاستدلال وآلياته وفقاً لعناوين ومفاهيم أهل المنطق ولعلي التمس لهم عذراً كونه حركة فكرية تؤدي من خلال عمليات عقلية متلاحقة تربط بين السبب والنتيجة للوصول إلى حكم. فقالوا بالاستدلال من خلال السرد والتقسيم، والترقي والتدلي، والاختراع، والقول بالموجب، والتسليم، والانتقال أو الهدم، والاستدراج والقياس، أو التوسع، أو

(٥٥) ظ/ منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ١١٧-١١٨.

(٥٤) ظ/ منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ١١٥-١١٧.

المنافضة إلى غير ذلك^(٥٦) ولعل اعتقادنا اليقيني «بأن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أوردته تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين»^(٥٧) فحديث القرآن وأساليبه وآلياته في الاستدلال أوسع من تقنين المتكلمين أو المناطقة؛ لأنه يقوم على شمولية النظر الاستدلالي، وتكامله مع الوجدان والذوق والبيان وهو ما تركن له النفوس، وتطمئن إلى حكمته القلوب مع كونه مبرهنًا عقلاً ومنسجماً مع البديهة والمنطق^(٥٨).

وبعبارة أخرى: لا يمكن أن ننظر للاستدلال القرآني من خلال بعده البرهاني

(٥٦) ظ على سبيل المثال / الإتقان في علوم القرآن / النوع ٦٨ / ١٢٦٥، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد / ٤٠١، منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة / ١٧٦.

(٥٧) البرهان في علوم القرآن / ٢ / ١٧.
(٥٨) ظ / الاستدلال في القرآن / محمد هادي معرفه / ٩٠.

العقلاني البديهي، من دون أن نشفع نظرنا إلى جانبه الآخر وهو اعتماده على خطاب فطرة الانسان ونزوعه الوجداني النفسي واعتقاده واطمئنانه إلى ما يتلاءم مع نقاء فطرته ومدارك حواسه؛ من هنا احسب أن النظر إلى الخطاب الاستدلالي القرآني لا يمكن الفصل بين شقيه أبداً، ولربما نبين الصواب عندما نعتمد جانباً على حساب الآخر سواءً في التقسيم او غيره؛ وعليه أميل إلى أن الاستدلال يقسم على قسمين وهما:

أ. الاستدلال الصريح:

وهو المبرهن عقلاً ووجداناً وتكون حجته ودلائله واضحة مذكورة صريحة في الآية ولعله أعتمد أكثر من برهان ودلالة وانتقل من مقام إلى آخر ومن قضية إلى أخرى في برهانه كقوله تبارك شأنه:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم

• البصيرة

اسمه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة غافر: ٥٨] ومن لطائف الأسلوب القرآني الاستدلالي إن هذا القسم من الاستدلال جاء مسبقاً وملحوظاً بالاستدلال الصريح ولعل الإتياء به على هذه الشاكلة قد يكون من باب التقرير وتثبيت المعنى في الأبواب كما هي الغاية من ترسيخها في القلوب والوجدان.

وأرى أن آلية انتزاع الدلالة للوصول الى الحكم من خلال بُعدي الاستدلال أمكن في الهداية والإرشاد، وإقامة الحججة وإحقاق الحق والصدق من الاعتماد على أحدهما من دون القول بالآخر أو إغفاله. ومن الجدير بالذكر ان قوة الخطاب الاستدلالي القرآني، وفخامته اللغوية الأسلوبية إنما هي محصلة استيعابه منهجين فعالين، وأسلوبين مؤثرين في الآخر المخاطب وهما:

الأول: أسلوب السؤال الاستنكاري:

الذي يراد منه تقرير الحقائق وإثباتها وتوكيد معانيها ودلالاتها في النفوس،

بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا تَوَنَّنَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿[سورة المؤمنون: ١٢ - ١٩].

ب. الاستدلال بالإشارة والتلويح:

ويعتمد على تقرير معنى الإلوهية والربوبية وما يستلزمها من إشارات إلى القدرة على الخلق والإحياء والإماتة والرزق والعدل كل ذلك يشير ويعبر بالتلويح عن الاستدلال ويراد منه الدعوة إلى التفكر والتأمل من جهة^(٥٩)، أو أن هذه القضايا بدرجة من الصدق والتبيان والظهور والجللاء بما لا حاجة لها إلى برهان أو دليل صريح إنما فطرتنا النقية خير دال عليها، وموصل إليها، قوله تعالى:

﴿ أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة ص: ٢٨] وقوله تبارك

(٥٩) ظ/ منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة/ ٢٥٦.

يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرِزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَاهُ مَعَ
اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٩﴾
[سورة النمل: ٥٩ - ٦٤].

الثاني: أسلوب التمثيل والتصوير:

ويراد به تقريب صورة من أخرى أو معنى
من آخر، وقد يكون هذا التقريب التمثيلي
أو التشبيه لمعنى طرفاه عقليان، أو حسيان
أو مختلفان حسي بعقلي أو عقلي بحسي،
وغاياته على كل الأحوال هنا إيضاح
مقاصد الاستدلال وغاياته واعتبار
وضوح احد الطرفين من الآخر وأثره
فيه^(٦٠) ولا يخفى اثر التمثيل والتصوير
في الاستدلال فانه يختصر المعنى ويوجز
الدلالة ويظهرها مشهداً متماسكا وان
تعددت جوانبه واختلقت أشخاصه^(٦١)
قال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [سورة الكهف: ٤٥].

ليس هذا فحسب فالتمثيل يقرر

- (٦٠) ظ/ الامثال في القران/ ابن القيم/ ٤٦،
التصوير الفني في خطب نهج البلاغة/ ٥٧،
الأثر القرآني في نهج البلاغة/ ١٨٨.
(٦١) ظ/ الأثر القرآني في نهج البلاغة/ ١٩٧.

وذلك أن الاستفهام يحتاج إلى جواب
والجواب الذي يقام على التقرير إنما هو
كشف عن وجوده في لباب المسؤول
ووجدانه، وهنا يكمن رجوع المخاطب
إلى نفسه، والاحتكام إلى فطرته وبديته ثم
الوصول إلى الاجابة (الحكم) التي يحكمها
ويقوم آلياتها، ويوازن غاياتها، منطقها
البرهان وعقلانيته، والوجدان نقاؤه.

قال تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَى ءَ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٥٩)
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا
أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ
قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ
فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ



مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم البصائر

حكى القرآن الكريم فحواها في قصص الأنبياء. وما جرى من حجاج وجدل ومناظرة مع أقوامهم المعاندين، وكيف كان موقف السماء منهم، ولعل ذلك كان المسوغ لمن أُلّف في علوم القرآن إن يجعل الاستدلال تبعاً للجدل، ولم يذكروا الاستدلال بوصفه علماً من علوم القرآن على الرغم من سعته على صعيد النص وفاعليته في الخطاب القرآني وأهميته في مسار الدعوة، فجاء في برهان الزركشي ضمن عنوان معرفة جدل القرآن، والأمر نفسه جرى عليه السيوطي في الإتيان.

أستنتج من خلال ما مضى أهمية الاستدلال في القرآن الكريم كونه يمثل منظومة لها أبعادها في الفكر والخطاب القرآني، وله أهدافه الوظيفية والسلوكية في تنمية المنهج الصائب والصحيح في مسائل الاعتقاد والإيمان، ولعلك تصل إلى ذلك من خلال المعاني التفسيرية التي يمكن استكشافها من خلال مظاهر مقاصد الآيات القرآنية الكريمة ودلائلها.

للبحث صلة في العدد القابل

ان شاء الله - تعالى -.

ويشخص المعنى في صورة يرسمها الخيال ويتقل بها من مجرد فكرة ذهنية الى تجسيد يقرب من الحس والإدراك العياني، وكأنه واقع ملموس مشاهد، المخاطب حاضر فيه، يدرك أبعاده ويستوعب غاياته، ولاسيما وهو يتحرك في حدود منطوق البدهاة والفطرة. قال تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

[سورة النحل: ٧٥-٧٦].

اخلى من ذلك إلى أهمية أسلوب الاستفهام التقريري والتمثيل في ترسيخ قضايا الاستدلال وموضوعاته في العقول والقلوب، ولاسيما أنها تأتي في مجالات تقتضي توظيفها في الإقناع و الإثبات والإلزام، فقد ساد الاستدلال مجالات الجدل والحجاج والمناظرة، وغالبها قد

أبحاث غير منشورة
للعلامة المحقق الشيخ محمد هادي معرفة
في علوم القرآن الكريم

تعريف

خَصَّت أسرة سماحة العلامة المحقق المرحوم الشيخ محمد هادي معرفة مجلة المصباح بباقة من أبحاثه دَسَّ والتي لم يسبق نشرها، بل مازالت بخط يده وهي أبحاث تنم عن طول بابه في علوم القرآن الكريم والتي أفنى حياته في دراستها وبنها في الوسط العلمي المتخصص. ومجلة المصباح، وحرصاً منها على استثمار كل ما يخص القرآن الكريم من العلوم، تأخذ نفسها بنشر هذه الكنوز المكنونة ضمن اوراق سماحته رحمه الله تبعاً لترى النور لأول مرة إعماماً للفائدة التي توخاها سماحته للمهتمين بالشأن القرآني الشريف.

والعلامة محمد هادي معرفة هو نجل العلامة الشيخ علي -ولد في كربلاء عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م وفيها استكمل تعليمه الحوزوي على يد كبار العلماء ومارس التدريس في المدرسة الهندية فيها. انصرف الى التأليف حتى وفاته في ١ محرم الحرام / ١٤٢٨هـ (١٩ / ١ / ٢٠٠٧). اهم مصنفاته كتاب (التفسير والمفسرون، التمهيد في علوم القرآن، صيانة القرآن، مقالات اسلامية وغيرها). ترجم له كل من ترجم لعلماء كربلاء.

التفسير الموضعي

مصطلح جديد يُشير عن فريضة من التفسير تهدف إلى فهم محتويات القرآن
وهي تعاضد المروضة في الكتاب لغرض ^{الهداية} التوضيح والسلام.

وهذه الساليم نبذة في الكتاب هنا وهناك بصوت متفرقة وتكررة أحياناً
أما نفس اللفظ أو باختلاف في الأراء والتعبير. الأمر الذي كان يتجيم نزوله

تجاً وعيب المناهات الرأية وهي تختلف - بطبيعة الحال - وفق المتخصصات .

فكان من الضروري - لما لجم هذا الصوت - أن يمد المفسر الصنطاع إلى جمع

هذه التفرقات وحسبها بصيرة وحدت موضوعية ، كأي موضوع ،

لمنت مراد آيات تخصه ، ثم تفسيرها

في ضوء هذا التبع الموضعي وفي إطار وحدتها

المحررة الخاصة ..

وهذا النوع من التفسير - بصوت وحدت موضوعية - لعله كان أنتع للعرض
وأثره للاستيناس بمقام الصرات ^{الذوقية} كالتأليه الراقية ، والتي بهرت العالم منذ بزورها
وفي ذمة الخلود .. الناس إلى فهم الأسس العلمية في القرآن ، أسوق منهم
إلى فهم ماني الجمل والكلمات ومن غير ما ارتباط .. فكانت ضرورية ملحة تستدعي
طبيعة الدعوة الإسلامية السالمة الشاملة ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته

سماعة العلامة المحقق محمد هاري معرفة

(..ربما نكون قد تصرفنا ببعض
العبارات قليلا لتقويم النص أو توضيح
المعنى بما لا يؤثر في الامانة العلمية..)
لجنة التقويم

مصطلح التفسير الموضوعي:

موضوعية، كل موضوع، تلتف حوله
آيات تخصه، ثم تفسيرها في ضوء هذا
التجمع الموضوعي وفي اطار وحدتها
المحورية الخاصة..

وهذا النوع من التفسير -بصورة
وحدات موضوعية -لعله كان انفع
للعرض واقرب للاستيناس بمقاصد
القرآن والوقوف على تعاليمه الراقية،
والتي بهرت العالم منذ بزوغه وفي ذمة
الخلود.. فالناس الى فهم الاسس التعليمية
في القرآن، اشوق منهم الى فهم معاني
الجملة والكلمات ومن غير ما ارتباط..
فكانت ضرورة ملححة تستدعيها طبيعة

● مصطلح جديد يعبر عن نوعية من
التفسير تهدف الى فهم محتويات القرآن،
وهي مقاصده المعروضة في الكتاب لغرض
الهداية والتعليم.

وهذه التعاليم منبثة في الكتاب هنا
وهناك بصورة متفرقة ومكررة احيانا
اما بنفس اللفظ او باختلاف في الاداء
والتعبير. الامر الذي كان نتيجة نزوله
منجماً وبحسب المناسبات الآنية وهي
تختلف -بطبيعة الحال -وفق المقتضيات.
فكان من الضروري -لمعالجة هذا
الهدف- ان يعمد المفسر المتضلع الى جمع
هذه المتفرقات وحشرها بصورة وحدات

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... (المصباح)

تصنيف آيات الذكر الحكيم، ثم شرحها و وضعها في تنسيق رتيب، وللإشراف بالمخاطبين على اغلا تعاليم القرآن واعلا برامج في التربية والتعليم

واول من صنف آيات القرآن في وحدات موضوعية، هم الفقهاء في تفاسيرهم الفقهية، وعلى الطريقة التي مشت عليها فقهاء الامامية منذ القرن السادس^(١) فقد صنفوا الايات بحسب تبويب الكتب الفقهية من الطهارة الى الديات، وبحثوا في كل باب عما يخصه من آيات وشرحها وتبيينها، ودعمها بالمأثور من احاديث الرسول والائمة المعصومين عليهم السلام.

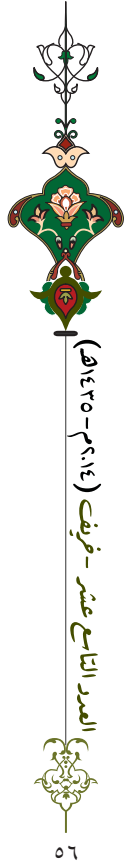
وهكذا فعل ارباب الكلام واصول المعارف من المبدأ الى المعاد وصفات الجلال والجمال وصفات الذات والفعال الى غيرها من مباحث عقديّة، كان مستقاهم الرّويّ هي الايات في مجموعة وآحاد، يستنبطون منها الصحيح من معارف الاسلام. وعلى غرارهم علماء

(١) كان قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ) هو اول من كتب بهذا الشأن من فقهاء الامامية.

الدعوة الاسلامية العامة الشاملة.. وقد تنبه دعاة الاسلام الى هذه الحقيقة منذ البدء ومنذ ان تحمل كاهلهم عبء الدعوة الثقيل.. عمدوا -لبث الدعوة- الى تجزئة مجموعة اي القرآن، وتفريقها بصورة كتل في وحدات موضوعية، واخذوا في البحث عن كل لفيف من هذه الوحدات ودراسة مفاهيمها الشاملة، وعرضها بصورة تعاليم منسقة ومنسجمة..

وهذه الكتب مدونة في اصول المعارف و الاداب و الاخلاق، يتصدرها -بل كل فصل منها -لمحة من آية قرآنية مترابطة ذات وحدة موضوعية مركزة، وتشكل المعين الصافي الذي يروي تلك الحقول النواشط..

ولعلك تجد من كتاب ((بحار الانوار)) للعلامة المجلسي، خير مثل لهذه الظاهرة الدينية العريقة.. ولعله انشط موسوعة جامعة قامت بهذه المهمة الخطيرة، ووافي البحث والتنقيب والتعقيب بوابل من احاديث مأثورة عن المعصومين. وهذه كتب الاخلاق و الاداب و السنن، كلها سارت على نفس المنهج، كانت مهمتها



الاخلاق، يستمدون في تعاليمهم من غرر كلامه تعالى ودرر فوائده كتابه العزيز، عند كل وارد وشارد..

وتلك كتب قصص القرآن، مركزة على تبين حقائق القصص بحسب المستفاد من تعابير القرآن نفسه، وملحوظة فيها مجموعة الايات المرتبطة بعضها مع بعض في كل قصة بالذات.

وهكذا نجد التفاسير التي سارت على الترتيب، وفسرت كل اية في موضعها الخاص من المصحف ومن السورة.. فانها ايضاً لم تغفل جانب المواضيع المطروحة في القرآن والبحث عنها بصورة وحدات موضوعية - اثناء التفسير العام - كلاً بحسب اول اية تعرضت للموضوع، وضم سائر الايات المتناسبة معها اليها، ليشكل المجموع كتلة واحدة ذات محورية واحدة، يدور حولها البحث والتنقيب.. وهذا عندما فتح باب الاجتهاد في التفسير، بإعمال النظر والتعمق في محتويات القرآن لغرض استجلاء حقائقها واستخراج لآئها، حسبما جاء الامر به في قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَفْئَالَهَا ﴾ [سورة محمد: ٢٤]..

وهذا التفسير الكبير للامام الرازي، فيه مباحث جليلة، عميقة وموسعة قلماً يجدها الطالب في غير هذا الكتاب.

وهكذا تفسير الكشاف والقرطبي والتبيان ومجمع البيان.. واخيراً المنار والميزان وفي ظلال ووحى القرآن.. وغيرهم كثير في كثير.. وفيها من مسائل الحياة اراء ونظرات علمية - تحليلية، عاجلت ضرورات الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية.. وفي ابعاد مترامية واسعة الافاق.. الامر الذي نجده في تفاسير عصرية بصورة اكمل واشمل.. والظاهرة التي تبدو على هذه التفاسير - المبسطة - عبر تاريخها المشرق، هي الحركة التكاملية النامية في نطاق واسع ودائب، وازدادت سرعتها في هذا الاخير.. ومن ثم فان علم التفسير - في شتى انحاءه - انعم عليه من بين سائر العلوم الاسلامية، بازدهاره اللائح وزهوه ونائه الدائب، وفي سرعة فائقة..

بينما نجد أن علم الفقه - وهو من اشرف العلوم الاسلامية بعد التفسير - لم



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... **البصباح**

اما انه شئ أغفله السلف، وتنبه له الخلف محضاً - كما يرى البعض - فلا سماح لقبوله، ولعله الى الجفاء في القول اقرب! . وبعد فلا موضع لما ذكره بعض افاضل العصر^(٣) من إغفال السلف جانب التفسير الموضوعي للقرآن بما ساعد على اعاقا الفكر الاسلامي القرآني عن النمو المكتمل، وساعد على اكتسابه حالة تشبه الحالات التكرارية، وحتى نكاد نقول: ان قروناً من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري و الرازي والشيخ الطوسي، لم يحقق فيها الفكر الاسلامي مكاسب حقيقية جديدة، وظل التفسير ثابتاً لا يتغير الا قليلاً خلال تلك القرون، على الرغم من الوان التغيير التي حفلت بها الحياة في مختلف المبادي^(٤).

وذكر المدرسة الفقهية شاهد مثال لهكذا تحول اخذ في التجدد والتحوير.. يقول رحمة الله عليه: ومن خلال المقارنة بين الدراسات القرآنية والدراسات الفقهية

(٣) هو الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر - رحمة الله عليه -
(٤) راجع محاضراته في المدرسة القرآنية ص ١٨.

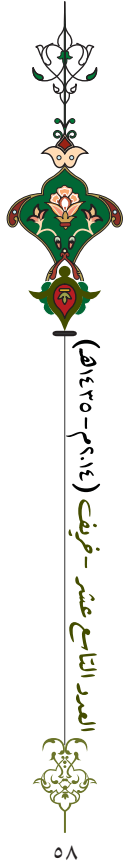
ينعم بمثل هذا التطور والازدهار، بعدما سُدَّتْ عليه طريق الاجتهاد، وظل التقليد - في الاجتهاد - هو المتحكم به طيلة قرون ولا يزال^(٢) ومن ثم كان الركود والجمود الفكري هو المهيمن على مدرسة الفقه الا نادراً او بصورة جزئية مع الاسف.

وعلى هذا النمط نجد الوفرة من مدونات قرآنية - سواء الموضوعية منها او الترتيبية عنيت بامهات مباحث قرآنية، دائرة حول مواضع اما معروضة على القرآن، لغرض الاستنطاق والاستلهام منه، او جاءت مطروحة في القرآن، فجمع متفرقها بصور وحدات..

وعلى الجملة فهذا امر تنبه له العلماء منذ فجر الاسلام، وليس بالجديد، انما الجديد هي التسمية والاصطلاح، اما المسمى والمصطلح عليه فشيء معهود قديم..

نعم لا يزال التطور والتكامل حاكماً على التفسير، حسب تقدم الزمان وتوسع الثقافات و لاسيما في العهد الاخير..

(٢) وليس في المذاهب الاربعة فحسب، بل وحتى في غيرها منذ قرنين..



التفسير الموضوعي ضرورة ملحة:

سبق ان نبهنا الى ان تفسير محتويات القرآن بصورة وحدات موضوعية، هي حاجة المجتمع الاسلامي بل الانساني العالمي بشكل عام، لان الناس الى فهم محاور التعليم الاسلامي واسس دعائمه في الدعوة والتبليغ، والتربية والارشاد.. اشوق واحوج منهم الى معرفة معاني الجمل والكلمات.. الناس في عطش الى دراسة محتويات القرآن الفخمة، والتي سيطرت على مشاعر الانسان وجذبتة الى حقائقه الرشيقة، بما اشرق عليه من الضوء واخرجه من الظلمات الى النور، منذ عهد سحيق، وغيرت وجه التاريخ من انحرافات الى استقامة واعتدال..

إن الناس في عطش الى معرفة هذه الركائز التي وجهت بالانسان نحو السعادة بالحياة و لا يزال، لو عرفوا ما في هذا القرآن من انوار وازهار..

الامر الذي يتعهدده التفسير الموضوعي، الكافل لابداء هذه المحاور بصورة شفافة وفي وحدات متميزة،

نلاحظ اختلاف مواقع الاتجاهين على الصعيدين، فبينما انتشر الاتجاه الموضوعي و التوحيدي على الصعيد الفقهي، وما خطا الفقه والفكر الفقهي خطوات في مجال نموه وتطوره حتى ساد هذا الاتجاه جُلَّ البحوث الفقهية، ونجد ان العكس هو الصحيح ايضا على الصعيد القرآني، حيث سيطر الاتجاه التجزيئي (الترتيبي) للتفسير على الساحة عبر ثلاثة عشر قرناً تقريباً..

وقال **فهرست**: واكثر ظني ان الاتجاه التوحيدي و الموضوعي في الفقه، بامتداده وانتشاره، ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر الفقهي واثراء الدراسات العلمية في هذا المجال، بقدر ما ساعد انتشار الاتجاه التجزيئي في التفسير على اعاققة الفكر الاسلامي القرآن عن النمو المكتمل.. الى اخر ما قال..^(٥)

وهذا الكلام من مثله - وهو الفقيه البارع - غريب^(٦)..

(٥) المصدر ص ١٦ - ١٨.

(٦) بعد ما عرفت من مقارنة عبارة بين الحركتين التفسيرية والفقهية..



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... **البصائر**

عملية التفسير الموضوعي بوصفها حواراً مع القرآن الكريم وطرحاً للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الاجابة القرآنية عنها.

اذن فاول اوجه الاختلاف الرئيسة بين الاتجاه التجزيئي (الترتيبي) في التفسير، و الاتجاه الموضوعي في التفسير، ان الاتجاه التجزيئي يكون دور المفسر فيه دوراً سلبياً يستمع ويسجل، بينما التفسير الموضوعي ليس هذا معناه وليس كنهه، وانما وظيفته دائماً في كل مرحلة وفي كل عصر ان يحمل كل تراث البشرية الذي عاشه، يحمل افكار عصره، ويحمل المقولات التي تعلمها في كل تجربته البشرية، ثم يضعها بين يدي القرآن ليحكم على هذه الحصيصة بما يمكن لهذا المفسر ان يفهمه، ان يستشفه، ان يتبينه من خلال مجموعة آياته الكريمة.

فهنا يلتحم القرآن بالواقع، يلتحم القرآن بالحياة، لان التفسير يبدأ من الواقع وينتهي بالقرآن.. لا انه يبدأ من القرآن وينتهي بالقرآن، فتكون عملية منعزلة عن الواقع، منفصلة عن تراث التجربة البشرية، بل هذه العملية تبدأ من الواقع

يحتضنها الطالب حينما وجد منشوده وحسبما يشاء.

مزية التفسير الموضوعي:

قال الشهيد الصدر: ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائماً بتيار التجربة البشرية، لانها المعالم و الاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الاسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة.

ومن هنا كانت عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليس مجرد استجابة سلبية، بل استجابة فعالة وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى.

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن الكريم: ((ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن اخبركم عنه، الا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم))^(٧).

التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام ابن القرآن، هو اروع تعبير عن (٧) نهج البلاغة خطبة: ١٥٨.



وتنتهي بالقرآن، بوصفه القيم والمصدر الذي يحدد في ضوءه الاتجاهات الربانية الى ذلك الواقع (فيه دواء دائكم).

ومن هنا تبقى للقران قدرته على القيمومية دائماً، قدرته على العطاء المستجد دائماً، قدرته على الابداع.. لان المسألة هنا ليست مسألة تفسير لفظ، فان طاقات التفسير اللغوي ليست طاقات لا متناهية، بينما القرآن الكريم دلت الروايات على انه لا ينفد، وصرح القرآن بان كلمات الله لا تنفذ، القرآن عطاء لا ينفد (عطاء غير مجذوذ). بينما التفسير اللغوي ينفد، لان اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدد في المدلول اللغوي.. ولو وجد.. فلا معنى لتحكيمة على القرآن..

اذن هذا العطاء الذي لا ينفد للقران، هي هذه المعاني المستنبطة من ثنايا القرآن، وعن طريق الاستفتاء والحصول على الاجابة من القرآن نفسه. (وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل). (له ظهر وبطن، فظاهرة حكم وباطنه علم). (ظاهرة انيق وباطنه عميق)^(٨). وهذه الحالة -من (٨) الكافي ج ٢ ص ٥٩٩.

عدم النفاذ -تكمين في هذا المنهج، فنهج التفسير الموضوعي (الذي لا يزال في اتساع واطراد وتحول مع الزمان). لاننا نستنطق القرآن، وان في القرآن علم ما كان وعلم ما يأتي، لان في القرآن ما يمكن ان نستشف منه مواقف السماء تجاه تجربة الارض (تجربة مستمرة).

فمن هنا كان التفسير الموضوعي قادراً على ان يتطور، على ان ينمو، على ان يثري.. لان التجربة البشرية تثريه، والدرس القرآني والتأمل القرآني -في ضوء التجربة البشرية -يجعل هذا الثراء محمولاً على فهم اسلامي قرآني صحيح.

اذن فالتفسير الموضوعي يبدأ بالواقع الخارجي بحصيلة التجربة البشرية، يتزود بكل ما وصلت الى يده من حصيلة هذه التجربة ومن افكارها ومن مضامينها. ثم يعود الى القرآن ليحكّمه فيها ويستنطقه، على حد تعبير الامام امير المؤمنين عليه السلام ويكون دوره دور المستنطق، دور الحوار، دور من يطرح المشاكل، من يطرح الاسئلة، من يطرح الاستفهامات في ضوء تلك الحصيلة البشرية، في ضوء تلك التجربة



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... **المصباح**

البشرية تغذي هذا التفسير بما تقدمه من مواد.

ثم إن هذه المواد تُطرح بين يدي القرآن لكي يستطيع هذا المفسر ان يتحصل الاجوبة من القرآن الكريم، وهذا هو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الاساسية للاسلام وللقرآن تجاه موضوعات الحياة المختلفة المتجددة عبر الزمان^(١٠).

هنا ملحوظة تنبه لها شهيدنا الصدر- طاب ثراه -وهي: ان الافضلية الموضوعية للتفسير لا تعني رفض الاتجاه الاخر للتفسير، اي التفسير الترتيبي، بل المعنى: اضافة هذا الاتجاه الى الاخر، اذ كل يعالج جانباً من الحياة الاسلامية العليا، وكل ضرورة، وان كان احد الاتجاهين يفضل الاخر..

قال عليه السلام: اذن فالتفسير الموضوعي في المقام هو افضل الاتجاهين في التفسير، الا ان هذا لا يعني ان يكون المقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزيئي، هذه الافضلية لا تعني استبدال اتجاه باتجاه

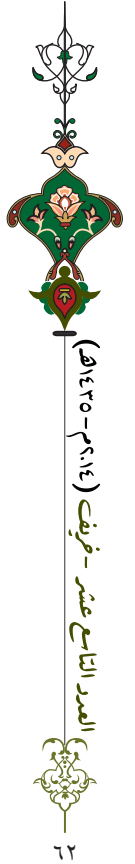
(١٠) المصدر: ٣٢-٣٣.

الثقافية التي استطاع الحصول عليها.. ثم يتلقى من خلال عملية الاستنطاق، من خلال عملية الحوار مع اشرف كتاب، يتلقى الاجوبة من ثنايا الايات المتفرقة، والتي جمعها في مكان واستنطقها جميعاً، هادفاً تلك الوحدة المحورية الجامعة لها..^(٩).

تلك كانت ميزة التفسير الموضوعي: محاوره دائمة مع القرآن لغرض استنطاقه لمعالجة ما استجد من مشاكل الحياة.. وبذلك يبدو -بوضوح -وجه قيمومية القرآن ورسالته الخالدة الى البشرية جمعاء.. ومن ثم كان هذا النمط من التفسير ضرورة اسلامية وفي صميم الحياة..

فقد تبينت عدة افضليات تدعو الى تفضيل المنهج الموضوعي في التفسير، على المنهج التجزيئي، فان المنهج الموضوعي - في ضوء ما ذكرنا - يكون اوسع أنفأ وارحب واكثر عطاءً، باعتبار انه يتقدم خطوة على التفسير التجزيئي، كما انه قادر على التجدد باستمرار، على التطور والابداع باستمرار، باعتبار ان التجربة

(٩) المدرسة القرآنية: ٢٠-٢٦ نقلاً بتصرف.



الموضوعية مفترضة في كلا الاتجاهين،
وانما الموضوعية هنا بمعنى: ان يبدأ من
الموضوع -الملتقط من واقع الحياة-
وينتهي الى القرآن، اي عرضه على القرآن
لغرض استفتاء رأيه فيه..

هذا اولاً، وثانياً يعمد الى مجموعة من
الايات تشترك في موضوع واحد، ويقوم
بعملية التوحيد بين مدلولاتها، من اجل
ان يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة الى
ذلك الموضوع..

وهذه العملية في التفسير الموضوعي
ليست محاولة لتحميل الرأي او العقيدة
على القرآن، كلا.. وانما هي عملية استعلام
و استفهام واستنباط النظرية القرآنية من
خلال مجموعة آيات مرتبطة بعضها مع
بعض في وحدة محورية جامعة..

فاصطلاح الموضوعية هنا بمعنى
انه يلتقي بالموضوع في خضم الحياة،
فيعود الى القرآن ليستلهم نظريته فيه..
والتعبير بالموضوعية باعتبار بدء الحركة
التفهمية من موضوع خارجي و الانتهاء
به الى القرآن الكريم لغرض عرضه عليه
واستنباط حكمه الشرعي منه..

وطرح التفسير التجزيئي رأساً و الاخذ
بالتفسير الموضوعي، وانما هي اضافة اتجاه
الى اتجاه، لان التفسير الموضوعي ليس
الا خطوة الى الامام بالنسبة الى التفسير
التجزيئي، ولا معنى للاستغناء عنه. اذن
فالمسألة هنا ليست مسألة استبدال، وانما
هي مسألة ضم اتجاه الى اخر، ويعني ذلك
افتراض خطوتين، خطوة هي التفسير
التجزيئي وخطوة اخرى هي التفسير
الموضوعي^(١١).

التعريف بالموضوعية هنا:

لا نقصد بالموضوعية هنا الموضوعية
في مقابل التحيز، مثلاً ما يقال عادةً من
ان هذا البحث موضوعي في مقابل ان
يكون البحث متحيزاً او منحازاً!!.. طبعاً
الموضوعية بذلك المعنى مفروضة في
كلا نوعي التفسير التجزيئي والتفسير
الموضوعي معاً.. ليست الموضوعية
بذلك المعنى من مزايا التفسير الموضوعي
فحسب، الموضوعية بذلك المعنى
عبارة عن الامانة في البحث، عبارة
عن الاستقامة على جادة البحث، تلك
(١١) المصدر: ٣٧ - ٣٨.



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... **التصنيف**

التفسير في مجالات مؤاتية و الاكثر مع تفسير اول اية تعرضت للموضوع..
وهذه الحقول بما انها متناثرة خلال التفسير العام، فلا بد من فهرسة موضوعية لها للدلالة على مواطنها.. وقد تعارفت عليه التفاسير المعاصرة الباحثة في ثنائها عن امهات المسائل الاسلامية العريقة، خذ لذلك مثلاً تفسير المنار وتفسير الميزان..

٢. ومن المصدّر في كل بحث اسلامي، والمكّمل كل حقل من حقوله بلمّة من ايات مترابطة ومرتبطة بصميم البحث، كما في الكتب الباحثة عن المعارف والاخلاق والاداب والسنن وحتى الكتب الفقهية يتجلل مطالع ابوابها بل وفروع مسائلها بآية او آيات ذات صلة بالبحث، والتي تمون البحث في مادته ومنابعه الاصيلة..

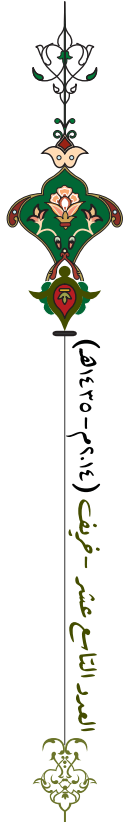
٣. ومنه المستقل بالبحث والتنقيب، بحثاً وراء العثور على آيات تجمعها وحدات موضوعية، اما بصورة مستوفاة او بقدر الحاجة ومدى الحاح الضرورة.

وهذا النوع الثالث -وهو موضع دراستنا هنا -يتواجد على نمطين: اذ قد

فهناك معالجة فنية للتوافق بين التجربة البشرية في عرصه الحياة، وبين النظرة القرآنية الحاسمة، لا بمعنى اخضاع القرآن لتجارب بشرية، كلا.. وانما هي محاولة دائمة لكشف نظرية القرآن بشأن تجارب بشرية يقاسيها اثناء مزاولاته في الحياة، فما هي نظرة القرآن الكريم بشأن واحدة فواحدة منها.. فما رافقه التوفيق حظي بالقبول والمشروعية، وما ناكه القرآن فمرفوض وغير مشروع.. الامر الذي يقوم باعلان التفسير الموضوعي الدائب في عملية عرض المواضيع على القرآن، المتجددة من غير تغير الاحوال والظروف. واول عملية يقوم التفسير الموضوعي -بعد الالتقاء بالموضوع في واقع الحياة -انه يبحث عن ايات تشترك محورياً في الدلالة على المقصود، دلالة ذاتية وليست محملة عليها.. ثم المثول بين يديها لغرض الاستماع لما تدليه من افادة وبيان.. وهذا هو معنى استنطاقها..

انحاء من التفسير الموضوعي:

١. منه المندرج ضمن التفسير الترتيبي الشامل، في شكل حقول مودعة اثناء



يكون بحثاً وراء مواضيع مطروحة في القرآن.. واخرى عن مسائل معروضة على القرآن.. وكلا النمطين ذوا اهمية تمس واقع الحياة وفي شمول عام..

اذ البحث عن مواضيع مطروحة في القرآن، بحث عن اصول وقواعد عامة عرضها القرآن لتكون دستوراً عاماً وشاملاً، يضمن سعادة الانسان في الحياة، مع الاجيال والأعصار مع الابد..

فالوقوف على هذه الاصول العامة والقواعد الشاملة، ضرورة في كل وقت وفي كل عصر، لغرض الاستلهاً منها في حل مشاكل الحياة في جميع الازمان.. وهكذا البحث عن مسائل تطرح على القرآن، ضرورة يستدعيها واقع الحياة في كل زمان.. اذ فهُمُ المشاكل حتم قبل عرض المسائل.. والعرض لا يمكن الا بعد معرفة مواقع العرض في القرآن المتناسبة..

وعلى اي تقدير فان المهم هي المقدرة العلمية على تبين مواضيع الاستعلام من القرآن ومواقع استنباط الاحكام منه، مما يتطلب حنكة واضطلاعاً وخبروية واسعة

الامر الذي ينبؤك عن مثل خبير..

اهم الكتب في التفسير الموضوعي:

والكتب في التفسير الموضوعي من النوعين الاول والثاني كثير في القديم والجديد، ولعل احسن من صنف الايات على حسب المسائل الاسلامية ووزعها في حقول مباحثها الزاهية بشكل دقيق ومستوفٍ، هو العلامة الكبير المجلسي، في بحار انواره. نراه صنف الآيات بدقة فائقة بحيث لم يشذ عنه شيء، ووزعها على مطالع الابواب في كل حقل من حقول المباحث الاسلامية العريقة، من اصول معارف، واحكام واداب وسنن، وقصص وتواريخ، وغيرها من مواضيع تمس واقع الحياة في المنهج الاسلامي العريض.. جزاه الله عن الاسلام خيراً..

اما الكتب الباحثة عن طرف من هذه المسائل فلعلها تفوق الاحصاء..

فمنها كتب بحثت في معارف القرآن، والاخلاق في القرآن، والسنن التاريخية في القرآن، ومعرفة الحياة في القرآن، ومعرفة الانسان في القرآن، والعلم والقرآن، وما شاكل، وهي كثير في كثير.. كلها باحثة عن



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... (المصباح)

تفسيره الترتيبي الشامل^(١٢)، ثم استخراج منه المباحث المعروضة فيه وجعله مواضيع في حقول متناسبة، بأسم ((بيام قرآن)) اي رسالة القرآن الى البشرية مع الابد.. وهذا من احسن التسمية لهذا النوع من التفسير.. وله ملحق بأسم ((اخلاق در قران)) على نفس النمط.

واخرون بحثوا في مسائل معروضة على القرآن لاجل استنباط نظرة القرآن بشأنها، منهم العارف الحكيم الاستاذ الشيخ عبد الله جوادي الاملي (ولد سنة ١٣٥٦هـ). له الى جنب تفسيره الترتيبي الرائع ((التسنيم))، تفسير موضوعي لطيف بحثاً عن اصول المعارف والاخلاق، والاداب والسلوك والعرفان.. عرضاً على القرآن، بدقة فائقة وعن فهم عرفاني لمعاني كلام الله المجيد.. وطبع منه ١٣ مجلداً ويزيد.. وكذا الاستاذ الفيلسوف الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (ولد سنة ١٣٥٥هـ) له كتب في معارف القرآن

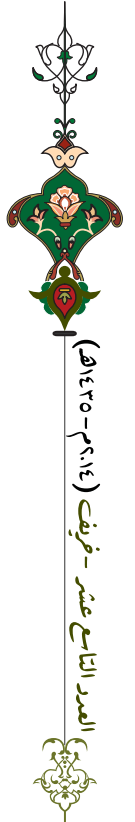
(١٢) بأسم ((تفسير نمونه)) اي التفسير النموذجي الرائع. وهو بالفارسية. وعرب بأسم ((التفسير الامثل)).

مواضيع مطروحة في القرآن او معروضة على القرآن..

اما الكتب الباحثة عن متشابهات القرآن، او رد المطاعن عنه، او التسخ فيه، او صيانة القرآن من الدس والتحريف، او عن اعراب القرآن، او عن اعجازه وادبه وبلاغته.. وما شاكل.. فتلك مباحث عن شؤون القرآن، مما اصطلحوا عليه بعلوم القرآن، وليس بحثاً عن محتوياته والمصطلح عليها بمعارف القرآن..

اما الكتب في التفسير الموضوعي بشكل شامل ومستوعب، فلم تظهر الى الوجود الا في عهد متأخر، وُجِدت الى جنب التفسير الترتيبي الشامل على ايدي علماء معاصرين.. منهم من بحث في مواضيع مطروحة في القرآن، كالعلامة المحقق الخبير الشيخ جعفر سبحاني (ولد سنة ١٣٠٨هـ). له اثران جليلان في هذا العرض: مفاهيم القرآن، باللغة العربية في عشر مجلدات. ومنشور جاويد، باللغة الفارسية في اثني عشر مجلداً.

والعلامة المحقق الفقيه الشيخ ناصر مكارم (ولد سنة ١٣٤٥هـ). كتب اولاً



والاخلاق والاداب.. من قسم العرض على القرآن والاستلهاهم منه. وهو في ذلك كان موقفاً الى حد بعيد.. وطبع من كتبه في ذلك لحد الان سبع مجلدات..

وعلى غرارهما الاستاذ الجليل محمد علي الصابوني السوري (ولد سنة ١٣٤٧) له كتاب في ١٦ مجلداً بحث فيه عن امهات المسائل الحياتية الاسلامية والمشاكل الاجتماعية الدينية الحاضرة بشكل مستوفٍ بالعرض على القرآن الكريم. وهو تأليف لطيف..

وهكذا فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي من العلماء المعاصرين، كان عارفاً بالفقه واللغة والتفسير. له تفسير كبير في ٢٩ مجلداً كتبه على منهج التفسير الموضوعي حيث اهتمامه البالغ بالمواضيع القرآنية ومن ثم اطلق عليه: خواطر الشعراوي. وهكذا احبّ ان يعرف تفسيره. ولخصه على منهج التفسير الموضوعي في ثلاث مجلدات نظراً لهذه الخواطر..

ولنا الآن أن نضرب مثلاً لمثل هذا اللون من التفسير وقد اخترنا لفظة (لا

جناح) في آية الحج [سورة البقرة: ١٥٨].

وقفه عند لفظة ((لا جناح))

في آية السعي بين الصفا والمروة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّمَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ

شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا

فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٥٨].

لاشك في ان السعي بين الصفا والمروة، فريضة واجبة، وشرط حتم (اي ركن) في الحج وكذا في العمرة، سواء اكانت مفردة ام متمتعاً بها الى الحج.

ولفظة ((لا جناح)) تعني عدم البأس، وهذا يعني الترخيص في الفعل فحسب دون اللزوم، فما وجه هذا التعبير الموهوم خلاف المقصود؟.

((جناح))، يعني: الاثم. اي لا اثم في ذلك، وهذا يعني نفي البأس المستلزم للترخيص فقط.

وقد حاول المفسرون ومن ورائهم الفقهاء، محاولات شتى في حل هذا المشكل وتوجيه هذا المعضل.

قال الامام الرازي: ظاهر قوله تعالى: ((لا جناح عليه)) انه لا اثم عليه. والذي



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... **الطَّوَافُ**

يصدق انه لا اثم في فعله، يُدخل الواجب والمندوب والمباح، ثم يمتاز كل واحد من هذه الثلاثة عن الاخر بقيد زائد. فاذن ظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة واجب او ليس بواجب، لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام لا دلالة فيه البتة على خصوصية، فلا بد في فهم الخصوصية من الرجوع الى دليل اخر.. (١٣).

واخرج الطبري باسناده عن عروة بن الزبير، قال: سألت عائشة: رأيت قول الله: فلا جناح عليه ان يطوف بهما.. والله ما على احد جناح ان يطوف بالصفا والمروة؟. فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن اختي. ان هذه الاية لو كانت كما أوَّها كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما.. قالت: نزلت الاية في الانصار، كانوا قبل ان يسلموا يهلون لمناة.. وكان من أهل يتخرج ان يطوف بين الصفا والمروة.. فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت الاية قالت: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لاحد ان يترك

الطواف بينهما.. (١٤).

فقد اقرت أن الآية بذاتها لا تدل على الوجوب، غير ان عمل الرسول ﷺ وسنته في الالتزام به كان دليلاً على وجوب الاتيان به. واخرج الترمذي باسناده عن سفيان قال: سمعت الزهري يحدث عن عروة، قال: قلت لعائشة: ما ارى على احد لم يطف بين الصفا و المروة شيئاً، وما ابالي ان لا اطوف بينهما. فقالت: بئس ما قلت يا ابن اختي. طاف رسول الله ﷺ وطاف المسلمون -وساق الحديث الى قولها -ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما..

قال الزهري: فذكرت ذلك لابي بكر بن عبد الرحمان بن الحرث بن هشام، فاعجبه ذلك، وقال: ان هذا هو العلم. ولقد سمعت رجلاً من اهل العلم يقولون: انما كان من لا يطوف بين الصفا والمروة من العرب، يقولون ان طوافنا بين هذين الحجرين من امر الجاهلية. وقال اخرون من الانصار: انا امرنا بالطواف

(١٤) تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٩.

بالبیت ولم نؤمر به بین الصفا والمروة.. فانزل الله الایة.. قال ابو بکر بن عبد الرحمان: فاراها نزلت فی هؤلاء وهؤلاء.. قال الترمذی: هذا حدیث حسن صحیح^(١٥).

واورد القرطبی الحدیث فی تفسیره، ثم قال: واخرجه البخاری بمعناه، وفیه: ان ابا بکر بن عبد الرحمان قال: ان هذا لعلم ما كنت سمعته..^(١٦).

ثم نقل القرطبی تحقیقاً لابن العربی حول تأویل عائشة لهذه الایة، قال: وتحقیق القول فیه ان قول القائل: لا جناح علیک ان تفعل، اباحة الفعل. وقوله: لا جناح علیک ان لا تفعل، اباحة لترك الفعل. فلما سمع عروة الایة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا..﴾ زعم ان ترك الطواف جائز. ثم لما رأى الشریعة مطبقة علی ان لا رخصة فی ترك الطواف رأى تعارضاً، فطلب الجمع بین هذین المتعارضین. فنبهته عائشة علی ان الایة لا

تدل علی جواز ترك الطواف، وانما تدل علی ذلك اذا كانت: ((لا جناح علیه ان لا يطوف..)) فلم یأت هذا اللفظ لاباحة ترك الطواف، و لا فیه دلیل علیه. وانما جاء لافادة اباحة الطواف لمن كان یتخرج منه..^(١٧).

قلت: وهو تحقیق لطیف.

غیر ان جماعة من اهل الجمود فی النظر، صمدوا علی ارادة جواز الترك، ومن ثم نسبوا الی بعض كبار الصحابة و التابعین ایضاً انهم قرأوا: ((فلا جناح علیه ان لا يطوف بهما))..

فقد اخرج الطبري باسناده عن ابي عاصم قال: حدثنا ابن جریح قال: قال عطاء: لو ان حاجاً افاض بعد ما رمى جمرة العقبة، فطاف بالبیت ولم یسع، فاصاب امرأته، لم یکن علیه شیء، لا فی حج ولا فی عمرة. من اجل قول الله - كما فی مصحف ابن مسعود -: ((فمن حج او اعتمر فلا جناح علیه ان لا يطوف بهما)).

قال: معاوية بعد ذلك، فقلت: انه قد

(١٥) جامع الترمذی ج ٥ کتاب التفسیر (٤٨) ص ٢٠٨- ٢٠٩ رقم ٢٩٦٥.
(١٦) تفسیر القرطبی ج ٢ ص ١٧٨.
(١٧) تفسیر القرطبی ج ٢ ص ١٨٢ (طبعة دار الکتب المصریة - ١٩٥٤).



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... **التَّبَرُّعُ**

ترك سنة النبي ﷺ: قال: الا تسمعه يقول: ((فمن تطوع خيراً))، فابي ان يجعل عليه شيئاً.. فقد اخذ التطوع بمعنى التبرع.

وايضاً اخرج عن سفيان عن عاصم الاصول قال: سمعت أنساً يقول: الطواف بينهما تطوع.. اي تبرع ومندوب اليه. وروى نحوه عن مجاهد، قال لم يخرج من لم يطف بهما.. اي لم يأت اثماً، لانه غير واجب. وروى عن عطاء عن عبد الله بن الزبير، قال: هما تطوع..^(١٨) اي الطواف بينهما.. وذكر القرطبي انه في مصحف ابي ايضاً كذلك اي ان لا يطوف بهما.. كما نسب الى ابن عباس ايضاً انه قرأ كذلك^(١٩).

قال القرطبي: اختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا و المروة، فقال الشافعي وابن حنبل: هو ركن. وهو المشهور من مذهب مالك. وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والشعبي: ليس بواجب، فان تركه احد من الحاج حتى يرجع الى بلاده، جبره بالدم. لانه سنة من

سنن الحج. وهو قول مالك في ((العتبية)) (كتاب في مذهب الامام مالك - كتبه محمد بن احمد العتبي القرطبي)..^(٢٠)

وذكر البيضاوي - في تفسيره - الاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه، فمن قال: انه سنة، وبه قال انس وابن عباس. لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ..﴾ فانه يفهم منه التخيير.. وهو ضعيف، لان نفي الجناح يدل على الجواز، الداخلة في الوجوب، فلا يدفعه. وعن ابي حنيفة انه واجب، يجبر بالدم. وعن مالك و الشافعي انه ركن..^(٢١)

وذكر ابن قدامة عن احمد روايتين، احدهما: انه ركن لا يتم الحج الا به. والثانية: انه سنة لا يجب بتركه دم. ثم رجح مذهب ابي حنيفة انه يجبر بدم، قال: وقول عائشة في ذلك - بكونه ركناً - معارض بقول من خالفها من الصحابة..^(٢٢)

قال الرازي: احتج ابو حنيفة لعدم

(٢٠) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٨٣.
 (٢١) تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٠٢. هكذا قال محمد رشيد رضا: روى عن احمد انه مندوب (المنارج ٢ ص ٤٥).
 (٢٢) المغني لابن قدامة ج ٣ ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(١٨) تفسير الطبري ج ٢ ص ٣٠.

(١٩) القرطبي ج ٢ ص ١٨٢.

الركنية بوجهين، احدهما هذه الاية ((فلا جناح..))، قال: وهذا لا يقال في الواجبات. وقد اكده تعالى ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا.. ﴾ فبين انه تطوع وليس بواجب. وثانيهما قوله ﷺ ((الحج عرفة، ومن ادرك عرفة فقد تم حجه..)).

ثم اخذ في الرد على الوجهين، ودعم مذهب غيره، على ما سننَّبُهُ اليه.

قال الشيخ ابو جعفر الطوسي -في كتاب الخلاف -: ((السعي بين الصفا والمروة ركن لا يتم الحج الا به. فان تركه او ترك بعضه ولو خطوة واحدة، لم تحل له النساء، حتى يأتي به..

قال: وعلى ذلك اجماع فقهاء الامامية. وقد فعله النبي ﷺ وامرنا بالاقداء به: ((خذوا عني مناسككم)). وقال: ((ان الله كتب عليكم السعي..)) ومعناه: فرض.. (٢٣).

قلت: لاشك في ان السعي بين الصفا والمروة، ركن من اركان الحج والعمرة. وعلى ذلك دلت الاثار وعليه استمرت (٢٣) راجع: الخلاف ج ١ ص ٤٤٩ م ١٤٠ من كتاب الحج.

سيرة المسلمين المتلقاة من فعل الرسول ﷺ وصحابته الاخير -واله الاطهار..

اما الاية الكريمة -صدراً وذيلاً -فلا صلة لها بمسألة وجوب السعي او ندبه او اباحته ونحو ذلك من الاحكام التكليفية او الوضعية. وانما هي: دفع لتوهم الحظر -

على ما اصطلح عليه علم الاصول. وذلك ان الاية نزلت في عمرة القضاء (٢٤)، كان رسول الله ﷺ قد شرط على المشركين -

ضمن شروط عقد عليها صلح الحديبية سنة ست من الهجرة -: انه في العام القابل يأتي هو و اصحابه لاداء العمرة، على ان يرفعوا الاصنام التي كان المشركون

وضعوهن حول البيت، وعلى جبلي الصفا والمروة، لمدة ثلاثة ايام، ليقوم المسلمون باداء مناسكهم خلالها. وكان المشركون قد وضعوا على جبل الصفا صنماً يقال له: أساف. وعلى المروة: نائلة. كانوا اذا سعوا

التمسوا اعتمابها...

ثم لما قدم النبي ﷺ واصحابه لاداء

(٢٤) وسميت عمرة القضاء، لانها وقفت شرطاً في عقد الصلح الذي ابتدئ بلفظ: هذا ما قاضي به...



التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتطبيقاته..... البصائر

اي لا حرج بذلك، لان السعي انما يقع لله، و الاعمال بالنيات. فلا منافاة بين وجود الاصنام ووقوع السعي لله عز وجل.. والصفة والمروة من شعائر الله، لا يتلوثنان بوضع الاصنام عليهما..

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ سَائِرٌ عَلَيْهِمْ ﴾.

يعني: ان الله ينظر الى قلوبكم ونياتكم في ضمائركم، فان كان العمل الذي يقوم به العامل، خيراً وكان قاصداً به لله، فالله يشكره عليه، وهو اعلم بما في الصدور.

﴿ اِنَّ يَـٰلَمُ اللّٰهُ فِى قُلُوْبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا اَخَذَ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الانفال: ٧٠].

﴿ وَاللّٰهُ يَـٰلَمُ مَا فِى قُلُوْبِكُمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا حَلِيْمًا ﴾ [سورة الاحزاب: ٥١].

فمعنى ((تطوَّع الخير)): القيام بالطاعة عن نية صادقة لله تعالى. وهذا المعنى لا يستدعي ان يكون العمل الذي يتطوع به العامل، مندوباً اليه فقط، بل الواجب ايضاً كذلك، فهو من الخير الذي ينبغي الاداء به عن تطوع، اي عن رغبة في الخير واستسلام لله عز وجل...

العمرة سنة سبع من الهجرة، ورفع المشركون اصنامهم من البيت والمسعى، احرم هو واصحابه وطاف بالبيت وسعى، فتخلف بعض اصحابه بسبب تشاغلهم ببعض شؤونهم الخاصة، فلم يتمكنوا من السعي خلال الثلاثة الايام، فأعاد المشركون اصنامهم، ومن ثم تخرج هؤلاء المتخلفون عن اداء السعي، ظناً منهم ان وجود الاصنام يتنافى واداء عبادة السعي لله خالصة.. فنزلت الاية دفعاً لتوهم الحظر ورفعاً لظن المنافاة.. كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام: روى ابو النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي باسناد رفعه الى الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن السعي بين الصفا والمروة، فريضة هو او سنة؟. فقال: فريضة: فليل له: أليس يقول الله تعالى: فلا جناح عليه ان يطوف بهما؟. قال: كان ذلك في عمرة القضاء، وذلك ان رسول الله ﷺ كان شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام، فتشاغل بعض اصحابه حتى اعيدت. فجاءوا الى النبي ﷺ يسألونه الحال.. فنزلت الاية.. (٢٥).

القمر والهلال والتوقيت بهما

في القرآن الكريم

عبد الأمير المؤمن
باهت فلكي - العراق

فحوى البحث

يدور البحث حول حقيقة القمر و مراحل جريانه في
الفلك وصلته بالشمس والارض والتوقيت به لضبط مصالح
الناس وعباداتهم. وفيه تقريب الحقائق العلمية الثابتة عنه
ومقارنتها بما ورد في القرآن الكريم. كما يتطرق الباحث في
سياق بحثه الى احكام ثبوت اوائل الشهور القمرية لاداء
فرائض الصوم والحج، ويجسد عظمة الخالق في تدبيره ودقة
حسابه مستشهداً في كل ذلك بما ورد من آيات قرآنية كريمة
بشأنه، نافياً علاقة نظامه باقوال المنجمين والسحرة.

القمر والهلل والتوقيت بهما البصباح

● تحديد بداية الشهر في التقويم القمري الهجري في حياتنا الدينية والمدنية من الأمور التي دار حولها جدل طويل، ونقاشات كثيرة وبحوث جمة، لم تنته إلى الآن.

فمتى يبدأ أول الشهر القمري في التقويم الهجري أو الإسلامي؟. أيتدى من ولادة الهلال بعد المحاق والاقتران؟. أو من رؤية الهلال المباشرة بالعين المجردة؟.

أو من رؤية الهلال بالعين المسلحة (بالتلسكوب)؟.

أو من إمكان الرؤية على الأفق الغربي، (أي وجوده وإن لم تره العين)؟.

أو بطرق أخرى؟.

وإذا أمكن التساهل في إثبات ذلك في الحياة المدنية والأمور الشخصية، فلا يمكن التساهل في الأمور الدينية، في مجال الواجبات الشرعية كالصوم ووقت العيد وأيام الحج وغير ذلك، لأن التساهل في الأمور الدينية يؤدي إلى الحرام والمحذور الشرعي.

ولا شك في أن البحوث الأساسية

في هذا المجال تستند أولاً وقبل كل شيء إلى القرآن الكريم ثم إلى السنة الشريفة ومصادر التشريع الأخرى.

وفي هذا البحث سيدور الحديث على مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية في القرآن الكريم، وما يتعلق بذلك كالتقويم القمري والأهلة والشهر القمري وما إلى ذلك من أمور التقويم.

فهل أورد القرآن الكريم طريقاً أو طرقاً محدّدة لإثبات دخول الشهر القمري أم لم يورد؟.

١. الشمس والقمر لتنظيم الزمن:

خلق الله سبحانه وتعالى الأجرام السماوية والظواهر الكونية المختلفة والمواد الطبيعية المتنوعة، لتتكامل حياة الإنسان وتصبح ممكنة، فقد سخر الله تعالى الشمس والقمر والنجوم وأموراً كثيرة أخرى للإنسان، لتوفر له احتياجاته أو بعض احتياجاته لتكون حياته ممكنة و سعيدة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحَرَاتٍ بَأْمَرِهِ ۗ لَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [سورة
الجاثية: ١٣].

وهناك آيات مشابهة أخرى.

ومن بين الأجرام والظواهر الكثيرة
المتنوعة التي اختارها سبحانه وتعالى
لخدمة الإنسان وتسخيرها له، الشمس
والقمر، أشهر جرمين سماويين بالنسبة
لأهل الأرض.

فالشمس والقمر جرمان سماويان
كبيران وقريبان من أهل الأرض، وأداتان
أساسيتان فاعلتان أدتا خدمات جليلة
ومهمة للكائن البشري على سطح الكرة
الأرضية.

وقد أدرك الإنسان ذلك منذ قديم
الزمان، فأدرك قيمة الشمس في ضوئها
وحرارتها ودورها في الزرع والضرع وكل
الحياة، ومثل ذلك - وإن بدرجة مختلفة -
قمر الأرض: فقد أدرك ذلك الإنسان قيمة
القمر في نوره الشعاعي في الليل ودوره في
المدّ والجزر وأمور أخرى، وأدرك أيضاً ما
يمكن أن يؤديه من خدمات كبيرة ومهمة
في تنظيم الزمن والوقت على الأرض،

وبالتالي إعمار الأرض بالزرع والعمارة
وشؤون الحياة الأخرى. وهكذا استطاع
الإنسان منذ القدم أن يوظفها لتقسيم
الزمن والوقت وتحديد مقاطعه القصيرة
والطويلة.

فمن خلال الشمس حدّد اليوم
بتقاسيمه وتفصيله أو بعضها، من
شروقها صباحاً إلى غروبها ليلاً، ومن
مجموع الأيام الشمسية دورة الأرض حول
الشمس توافرت للإنسان السنة الشمسية
البالغة نحو ٣٦٥¼ يوماً.

ومن خلال القمر حدد الشهر
وتقسيماته، وسنته البالغة ١٢ شهراً لتكون
أيامها نحو ٣٥٤ يوماً.

وجاء الدين الإسلامي ونزل القرآن
الكريم على صدر الرسول الأكرم ﷺ،
وأقرّ كثيراً مما كان نافعاً ومفيداً قبل نزوله.
وذكرّ الناس أن الشمس والقمر والظواهر
الكونية الأخرى مخلوقات لله سبحانه
وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣].

وأنتها أدوات طبيعية لخدمة الإنسان
في حياته على الأرض: ﴿ وَسَخَّرَ



القمر والهلل والتوقيت بهما البصباح

على الأرض، تصوروا كم سنكون في حيرة وعماء من زمن ممتد لا وضوح لأوله ولا لآخره. (طبعاً هذا افتراض فانعدام الشمس والقمر هو انعدام الحياة بالقطع).

٢. القمر والهلل في القرآن:

من بين المفردات الفلكية والكونية والظواهر السماوية الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وردت مفردة القمر مع بعض تفاصيله، أي ورد القمر نفسه، وورد بعضه عندما تسقط عليه الشمس، أي وردت أجزاء من القمر بكلمة (الأهله) جمع هلال، كما سنذكر لاحقاً.

والقمر في القرآن الكريم جرم سماوي كأى جرم سماوي آخر يدور في فلك محدد له لا يجيد عنه أبداً، يجري بشكل دقيق لا يخرج ولا يضطرب، مطيعاً لربه على وفق ما حدده الله سبحانه وتعالى، وكذلك الأجرام الأخرى، كل له مجراه ومساره الكوني الخاص به، يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي

لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴿﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣].

ومن خدماتها الكثيرة هي الحساب أو الحسبان، قال عز وجل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ ﴿﴾ [سورة الرحمن: ٥].

وقال عز من قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ... ﴿﴾ [سورة يونس: ٥].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴿﴾ [سورة الأنعام: ٩٦].

يقول الطبرسي في تفسير هذه الآية الأخيرة ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴿﴾ (أي وقدر القمر منازل معلومة لتعلموا) به وبمنازله ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴿﴾ وأول الشهر وآخره، وانقضاء كل سنة وكميتها، وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيها أعظم الدلالات على وحدانيته تعالى^(١).

وتصوروا لو لم تكن الشمس والقمر، ولم تكن لها هذه الحركات المتعددة وآثارها (١) مجمع البيان، الطبرسي: ٥: ١٣٨.

الْقَمَرَ وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ ﴿[سورة يس: ٣٨ - ٤٠].

وفضلاً عما ورد من ذكر لتحديد مدار القمر، وأوردت الآية الشريفة وصفاً جميلاً أديباً وعلمياً لمواقع النجوم المعروفة التي ينزل فيها القمر، فهو يجري أثناء مداره حول الكرة الأرضية في منازل (أي مواقع ساوية محددة)^(٢) وأثناء مداره ينتقل بين هلال ونصف كرة (نصف بدر) ثم بدر كامل ثم نصف كرة ثم هلال ثم يذهب نوره ويسمى (المحاق).

وهذا هو تسخير فعلي للقمر لخدمة الإنسان ليعرف من خلال هذه التغيرات الوقت والزمن، فمن خلال أحجام القمر نعرف أيام الشهر، فالهلال الرفيع هو أول الشهر والبدر التام هو منتصف الشهر وهكذا أجزاء القمر الأخرى.

والهلال هو جرم سماوي أو جزء من القمر، وهو عادة خط ضوئي مُنْحَنٍ ضعيف يشاهد في السماء عندما يقع

(٢) الكشاف، الزمخشري ٤ / ١٩، (فيه ذكر منازل القمر الثمانية والعشرين)، وانظر تفصيل المنازل في كتابنا: قاموس دار العلم الفلكي، كل منزل في مادته.

ضوء الشمس على جزء صغير من القمر، ويشاهد في أول الشهر ويسمى (الهلال الجديد) ويشاهد أيضاً في آخر الشهر ويسمى (الهلال القديم).

وفي مصادر اللغة العربية يقول ابو هلال العسكري المتوفى ٣٩٥هـ: ((الهلال ثلاث ثم هو قمر إلى آخر الشهر. ويقال أهلُّ الهلال واستهل على فعل ما لم يُسم فاعله، وأهللنا نحن إذا رأيناه))^(٣).

وعند علماء الطبيعة يقول العالم ابن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ((الهلال في أول ظهوره لا يظهر له ضوء وخاصة إذا كان مع ظهوره قريباً من الشمس، وهو جزء من السطح المضيء من القمر يشرق منه ضوء على كل نقطة تقابله، وعلة ذلك أن كل ضوء فإنما يظهر في المكان المعظم الذي لا ضوء فيه أو في المكان الذي فيه ضوء دون ذلك الضوء في الإشراق))^(٤).

(٣) كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ابو هلال العسكري: ٤٠٥، وانظر أيضاً: لسان

العرب لابن منظور ١١: ٧٢٠، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١٠٧٢ وغيرهم.

(٤) رسالة في الضوء (مجموع الرسائل) ابن الهيثم: ١٦.

احتوى على عموميات وكليات العلوم أو أطراف منها، مستشهدين بعدد من الآيات الكريمة، منها: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨].
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٨٩].

وإذا أكد القرآن الكريم من جانب آخر على عدد من الأجرام السماوية والظواهر الكونية وأكد دورها في خدمة الحياة والإنسان، فهل ورد التقويم في القرآن الكريم؟. وأي تقويم ورد؟.

الذي لا شك فيه أن مصطلح التقويم الدال على تقسيم الزمن وتقطيعه، لم يرد، ولكن في الوقت نفسه وردت تطبيقات التقويم ومفرداته الأساسية من يوم وشهر وسنة.

وردت من خلال مفردات فلكية محددة: الشمس والقمر والأرض، وهي أسس التقاويم جميعاً.

فالشمس للتقويم الشمسي والقمر للتقويم القمري، وقد أخذ القرآن الكريم بالتقويم القمري مُقَرَّراً ومؤكداً ما كان سائداً عند العرب في عصر ما

أما في القرآن الكريم فلم يرد الهلل، لم ترد لفظة الهلل بالمفرد، على الرغم من ورود لفظة (القمر)، ولكن ورد جمع الهلل وهي لفظة (الأهلة) بقوله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوْفِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩].

ذاكراً فيها سبحانه وتعالى ﴿الْأَهْلَةُ﴾ الهلل بعد الهلل لحاجة الناس إلى معرفة مقادير الأوقات خلال الشهر دون حسابات وعناء.

يقول الطبرسي في لغة هذه الآية: (الأهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح، وقولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وإنما قيل هلال لأنه حين يرى يهلّ الناس بذكره، يقال أهلّ الهلل واستهل ولا يقال أهلّ ويقال أهللنا الهلل، وأهللنا شهر كذا أي دخلنا فيه)^(٥).

٣. التقويم والشهر في القرآن الكريم

وإذا ذكر المفسرون والباحثون أن القرآن الكريم احتوى على كل شيء أو (٥) مجمع البيان، الطبرسي ٢: ٥٠٧.

قبل الإسلام، وربط به بعض الواجبات الشرعية كالصوم وغيره.

وأكبر دليل على إقرار هذا التقويم (التقويم القمري) هو تأكيد الشهر القمري كوحدة زمنية أساسية اعتمدها القرآن الكريم في شؤون الدين الإسلامي المختلفة. والشهر^(٦) هو كمية زمنية محددة، وهو أحد أقسام السنة، ويحتوي على عدد معروف من الأيام، وتتفاوت أطوال شهور التقاويم عبر السنة بين ٢٨ و ٣١ يوماً، وفي اللغة ((القمر)) سُمي بذلك لشهرته وظهوره^(٧).

والشهور إما قمرية أو شمسية، والشهور القمرية تتألف من ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٢.٨ ثانية، وهي المدة التي يستغرقها القمر في دورانه حول الأرض.

وأما الشهور الشمسية فتتألف من ٣٠ يوماً و ١٠ ساعات و ٢٩ دقيقة و ٣.

(٦) انظر: حول الشهر، البحث القيم للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب (الشهور العربية) في كتاب (بحوث تراثية) الذي نشره المجمع العلمي العراقي سنة ٢٠٠١.

(٧) لسان العرب، ابن منظور ٤: ٤٣٢.

٨ ثانية، وهي ١ من ١٢ من المدة التي يستغرقها دوران الكرة الأرضية حول الشمس.

وحول الشهر القمري الذي أخذ به العرب والمسلمون يقول الفلقشندي: (ومدة الشهر عندهم (عند العرب) من رؤية الهلال إلى رؤية الهلال، وهي أسهل الطرق وأقربها، وعليها جاء الشرع، وبها نطق التنزيل قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٨).

وقد وردت كلمة: (الشهر) و (الشهرين) و (الشهور) و (الأشهر) في القرآن الكريم للدلالة على الشهر القمري، الذي تبناه القرآن الكريم وأخذ به الدين الإسلامي في أحكامه وشؤونه المختلفة، دون أن يذكر أسماء الأشهر القمرية الاثني عشر للسنة القمرية الهجرية التي اعتمدها القرآن الكريم في التقويم، باستثناء الشهر التاسع شهر رمضان الكريم، وقد ورد مرة واحدة أثناء الحديث عن الصيام، بوصفه شهر الصوم الواجب على كل مسلم مكلف.

(٨) صبح الأعشى، الفلقشندي ٢: ٣٩٤-٣٩٥.



القمر والهلل والتوقيت بهما

البصباح

قال سبحانه وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

وقد أكد القرآن الكريم هذا النوع من الشهور (الشهور القمرية) بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة التوبة: ٣٦].

يقول الطبرسي في تفسير هذه الآية الشريفة: ﴿ إِنَّا عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهراً وإنما تعبد الله المسلمين أن يجعلوا سنينهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب. والشهر مأخوذ من شهرة الأمر. حاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور)^(٩).

وكذلك (الأهلة) الواردة في الآية

(٩) مجمع البيان، الطبرسي ٥: ٤٢.

الشريفة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] لها علاقة مباشرة بالشهر القمري.

فالهلل الذي يتدئ به الشهر القمري هو جزء من القمر والشهر القمري، ولا علاقة له بالشهر الشمسي الذي هو أحد أجزاء السنة الشمسية التي تتكون من دوران الكرة الأرضية حول الشمس.

وكذلك ذكر (المنازل) الواردة في الآية الشريفة ﴿ وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ [سورة يونس: ٥] لها علاقة بالشهر القمري.

٤. وهل حدد القرآن بداية الشهر؟

وإذا عرفنا ذلك، عرفنا أن القرآن الكريم استعمل التقويم القمري، وعرفنا أيضاً أن الشهر الوارد في القرآن هو الشهر القمري، فهل نستطيع في ضوء المذكور أن نلتقط نصاً أو معنى أو إشارة تحدد لنا بداية الشهر، وتقدم لنا طريقة أو وسيلة لتحديد بداية الشهر أو الأشهر القمرية لإثبات دخول الشهر القمري الجديد، دخول شهر رمضان، أو شوال، أو ذي الحجة أو غيرها من الشهور؟

ويمكن هنا الحديث عن آيتين شريفتين تتحدثان عن الأهلة ومسألة الشهر القمري.

١- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

٢- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِّلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]. والذي يدخل في موضوعنا هنا هو الجزء الثاني من الآية الشريفة المذكورة ﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. فماذا يعني هذا الجزء من الآية الشريفة؟.

هل المقصود من (شهد) شاهد في الآية الشريفة؟.

هل المقصود من (الشهر) الهلال في الآية الشريفة؟.

وإذا كان المقصود ذلك، فهل يستدل من ذلك على ثبوت الهلال بالرؤية؟.

الحقيقة أن السياق والقرائن والمعنى

العام للآية الشريفة لا يدل على أن الآية في صدد الاستدلال على ثبوت الهلال، ولذلك يجب التماس ذلك من مصدر آخر، الحديث أو غيره.

فشهد هنا تعني حضر، يقول الجوهري في صحاحه: ((وشهده شهوداً أي حضره، فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور)) (١٠).

والدليل على أن المقصود من شهد حضر هنا، قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾، وكرر ذكر المرض والسفر للتأكيد بأن شهر رمضان يجوز فيه الإفطار في حالات خاصة.

وفي الآية الشريفة المذكورة أكد العلماء والمفسرون أن (شهد) تعني الحضور في البلد (أي حضر في بلده ولم يسافر في شهر رمضان وعليه أن يصوم أيامه).

وسنذكر هنا بعض من ذكر ذلك:

يقول الثعلبي في تفسيره الآية الشريفة: ((معناها فمن شاهده عاقلاً بالغاً مقيماً صحيحاً مطلقاً فليصمه قاله أبو حنيفة وأصحابه، وقال قوم: معناها: إذا (١٠) الصحاح، الجوهري ٢: ٤٩٤.



القمر والهلل والتوقيت بهما البصباح

ويقول الفخر الرازي: (شهد أي حضر والشهود الحضور) (١٥).

(والتقدير: مَنْ شاهد الشهر بعقله ومعرفته فليصمه، وهو كما يقال: شهدت عصر فلان، وأدركت زمان فلان) (١٦).

ويقول القرطبي: (وشهد بمعنى حضر، وفيه إضمار، أي من شهد منكم المصر في الشهر عاقلاً بالغاً صحيحاً مقيماً فليصمه) (١٧).

ومن المفسرين المعاصرين يقول العلامة الطباطبائي: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصِّمُهُ): الشهادة هي الحضور مع تحمل العلم من جهته، وشهادة الشهر إنما هو بلوغه والعلم به ويكون البعض كما يكون بالكل.

وأما كون المراد بشهود الشهر رؤية هلاله وكون الإنسان بالحَضْرَ مقابل السفر فلا دليل عليه إلا من طريق الملازمة في بعض الأوقات بحسب القرائن ولا قرينة في الآية (١٨).

دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر كله... (١١).

وقال قتادة: (إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا أَدْرَكَهُ رَمَضَانٌ وَهُوَ مُقِيمٌ ثُمَّ سَافَرَ فَعَلِيهِ الصَّوْمُ).

ويقول الثعلبي أيضاً: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصِّمُهُ) ما شهد منه وكان حاضراً وإن سافر فله الإفطار إن يشأ) (١٢).

ويقول الزمخشري: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصِّمُهُ) فمن كان شاهداً، أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم ولا يفطر) (١٣).

ويقول الطبرسي: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصِّمُهُ) فيه وجهان:

أحدهما: فمن شهد منكم المصر وحضر ولم يغب في الشهر، والألف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه.

والثاني: من شاهد منكم الشهر مقيماً مطلقاً فليصم الشهر بعينه... (١٤).

(١٥) التفسير الكبير، الفخر الرازي ٢: ٨٨.
(١٦) المرجع السابق ٢: ٨٨.
(١٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢: ٢٩٩.
(١٨) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين =

(١١) الكشف والبيان، الثعلبي ٢: ٧٠.
(١٢) المرجع السابق ٢: ٧١.
(١٣) الكشف، الزمخشري ١: ٢٥٤.
(١٤) مجمع البيان، الطبرسي ٢: ٤٩٨.

وهكذا مفسرون آخرون يؤكدون هذا المعنى (الحضور)، وقد التقط العلماء والفقهاء هذه الآية، واتفقوا على أن كلمة (شهد) في الآية يراد بها الحضور بمعنى عدم السفر وليس الرؤية، وسياق الآية الشريفة كاف في الدلالة إضافة إلى ما يؤيد ذلك من الروايات الصحيحة.

جاء في تذكرة الفقهاء: قال الصادق (عليه السلام)، وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. (ما أئبئها من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصمه)^(١٩).

ومن العلماء يقول العلامة الحلبي ت ٧٢٦: (فإن من شهد الشهر وجب عليه صيامه، لكن المسافر لم يشهده فلا يتناوله الأمر)^(٢٠).

ولا مجال للتطويل فالبحث ليس فقهيًا.

أما الآية الشريفة الأخرى التي يمكن الحديث عنها في موضوعنا فهي

=الطباطبائي ٢: ٢٤.

(١٩) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلبي ٦: ١٥٢.

(٢٠) مختلف الشيعة، العلامة الحلبي ٣: ٤٦١.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.

وعلى الرغم من أن الأهلة علامات لدخول الأشهر ونهاياتها كما هو في الواقع إلا أن الآية لم تشر إلى طرق إثبات أوائل ظهور الأهلة لنعرف دخول الشهر.

وأساس الآية الشريفة هو جواب عن سؤال معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري حيث قالوا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتليء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة؟ فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرمهم وعدد نساءهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك^(٢١).

وفي معنى الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ يقول الطبرسي: (أي أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك، قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج، أي هي مواقيت يحتاج الناس إلى مقاديرها في صومهم وفطرمهم وعدد

(٢١) الكشاف، الزمخشري ١: ٢٦١.



القمر والهلل والقوقق بها القمرب

معلقاً بشأن الشهر القمرية من حيث السبب أو الفائدة فأجيب بيان الفائدة وانها أزمان وأوقات مضروبة للناس في أمور معاشهم ومعادهم، فإن الإنسان لا بد له من حيث الخلقة من أن يقدر أفعاله وأعماله التي جميعها من سنخ الحركة بالزمان، ولازم ذلك أن يتقطع الزمان الممتد الذي ينطبق عليه أمورهم قطعاً صغاراً وكباراً مثل الليل والنهار واليوم والشهر والفصول والسنين بالعناية الإلهية التي تدبر أمور خلقه وتهديمهم إلى صلاح حياتهم، والتقطع الظاهر الذي يستفيد منه العالم والجاهل والبدوي والحضري ويسهل حفظه على الجميع إنما هو تقطيع الأيام بالشهور القمرية التي يدركه كل صحيح الإدراك مستقيم الحواس من الناس دون الشهور الشمسية التي ما تنبه لشأنها ولم ينل دقيق حسابها الإنسان إلا بعد قرون وأحقاب من بدء حياته في الأرض وهو مع ذلك ليس في وسع جميع الناس دائماً^(٢٤).

وعلى هذا فذكر الأهلة في الآية

(٢٤) المرجع السابق ٥٦:٢.

نسائهم ومحل ديونهم وحجهم، فيبين سبحانه أن وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لأن الهلال لو كان مدوراً أبداً مثل الشمس لم يمكن التوقيت به...^(٢٢).

ويوضح السيد الطباطبائي الإتيان (بالأهلة) جمعاً فيقول: (ففي إتيان الأهلة بصيغة الجمع دلالة على أن السؤال إنما كان عن السبب أو الفائدة في ظهور القمر هلالاً بعد هلال ورسمه الشهور القمرية، وعبر عن ذلك بالأهلة لأنها هي المحققة لذلك فأجيب بالفائدة.

ويستفاد ذلك من خصوص الجواب:

﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾، فإن المواقيت وهي الأزمان المضروبة للأفعال، والأعمال هي الشهور دون الأهلة التي ليست بأزمنة، وإنما هي أشكال وصور في القمر^(٢٣).

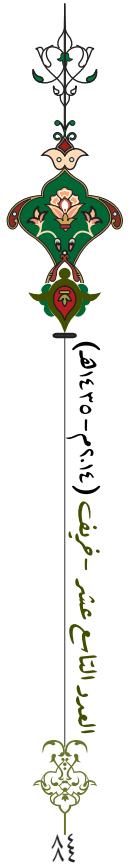
ثم يقول السيد الطباطبائي: (وبالجملة

قد تحصل أن الغرض في السؤال إنما كان

(٢٢) مجمع البيان، الطبرسي ١: ٥٠٨.

(٢٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين

الطباطبائي ٥٦:٢.



الشريفة جاء لتنظيم الزمن وتقطيعه لفائدة الناس في أمور حياتهم المختلفة. فمن خلال النظر إلى الأهلة المتاح لكل فرد، وفر الله تعالى معرفة ميسورة بأوقات الشهر القمري، وهي طريقة لا يمكن استخدامها في الشهر الشمسي الذي لا يدرك إلا بالحساب.

وبذلك فالآية الشريفة لا تتحدث عن طريقة أو طرق لإثبات أوائل الشهور القمرية.

٥. القرآن يُجمل والسنة تحدد:

من خلال ذلك، ومن خلال ما ورد من مواد كونية وفلكية وأجرام سماوية وظواهر كونية في القرآن الكريم، يخرج الباحث والمتتبع بصورة إجمالية لقضية الزمن والتقويم ومفرداتها، اليوم والشهر والسنة، وتقسيمات زمنية أخرى.

صورة إجمالية على طريقة القرآن الكريم، فيه علوم ومعارف وأفكار وقضايا ضمن الهدف العام، الهداية والرحمة، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٧]. وقد يذكر بعض التفاصيل، وقد لا

يذكر، حسب ما يراه مناسباً، فهو دستور الإسلام والمسلمين، وعلينا اتباعه.

وإذا ذكر القرآن الكريم التقويم القمري والشهر القمري (الهجري) والأهلة الدالة على الشهور القمرية، فقد تكفل الحديث الشريف بتحديد أوائل الشهور وإثبات دخولها وبعض تفاصيلها. والحديث المشهور أو الأشهر في هذه المسألة، مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية أو بداياتها هو الحديث الشريف المعروف، قول الرسول الأكرم ﷺ: ((صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته))، والذي اتفقت عليه المذاهب الإسلامية واشتهر شهرة كبيرة.

ومحور الحديث هو (الرؤية) التي كانت واضحة المعنى في زمن الرسول الأعظم ﷺ وما بعده، واختلف في تفسيرها في عصور التطور العلمي بين أن تكون غاية أو وسيلة، كما في النقاشات الجارية في الوقت الحاضر، في قضية رؤية الهلال أو العلم به.

وقد ورد الحديث الشريف المذكور آنفاً بصيغ مختلفة، مع بعض التفاصيل وبدونها، ولكن المحور الأساس هو



القمر والهلل والتوقيت بهما البصباح

الحل) في المصادر الأخرى، ودراسة ذلك من مسؤولية العلماء والفقهاء في الدرجة الأولى.

القمر في القرآن الكريم مادة

إيمانية وعلمية

حفل القرآن الكريم بمختلف الأفكار والمعلومات والتنوعات العلمية والمعرفية، فهناك مادة دينية وتاريخية وعلمية، وفلكية، وطبية، وحيوانية، ونباتية وأخرى غيرها.

ومن بين ما أورد القرآن الكريم، أورد مادة كونية فلكية جمّة ومهمة، حفل بأجرام سماوية متنوعة وظواهر كونية مثيرة ومفردات طبيعية هائلة.

وإذا وردت تلك الأجرام والظواهر والمفردات الطبيعية لمعانٍ علمية محدودة في القراءة الأولى، فإنّ وراء تلك المعاني أهدافاً قرآنية إلهية أكبر وأعمق وأشمل، وأهم تلك الأهداف، الهدف التوحيدي الكبير، فهي (الأجرام والظواهر) أدلّة واضحة وسهلة على وجود الله سبحانه وتعالى وعظمته وقدرته المطلقة، وهيمنتته على الكون كلّ. وهي - بلا شك - دلائل

(الرؤية) كما ذكرنا، ويمكن أن نذكر هنا بعض هذه الصيغ المختلفة:

- ما رواه الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إنّه سُئل عن الأهلة؟ فقال: هي أهلة الشهور، فإذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيت فافطر)) (٢٥).

- ما رواه إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((في كتاب علي عليه السلام صم لرؤيته وافطر لرؤيته، وإياك والشك والظن، فإن خفي عليكم فأتوا الشهر الأول ثلاثين)) (٢٦).

- ما رواه عبد السلام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((إذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيت الهلال فافطر)) (٢٧). وفي روايات المذاهب الأخرى تجد المعنى نفسه.

والمحصلة النهائية: لم يتركنا الشرع الإسلامي في حيرة، وإنّما وفّر لنا مصادر تشريع عديدة، فإذا لم يتوافر الحل في المصدر الأول (القرآن الكريم) فهو (أي

(٢٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، كتاب الصوم ١٠: ٢٥٢.

(٢٦) المرجع السابق ١٠: ٢٥٥.

(٢٧) المرجع السابق ١٠: ٢٥٨.

قرآنية قوية، واضحة يدركها الحسّ دون أيّ عناء لتنتقل إلى ما وراء الحسّ والشهادة إلى الغيب، إلى الإيمان بقوة عظمى مطلقة، وهي أدلة لا يمكن أن يفلت منها أيّ عاقل مهما كانت درجة عقله.

وبغير هذه القوة المطلقة لا يمكن تفسير وجود هذه الأجرام والظواهر الكبيرة، الشمس والقمر والنجوم والسماء وحركاتها في الأفلاك والكون. ليس هناك غير الله الخالق المبدع والقوة المطلقة وإلاّ نقع في الحيرة والابتعاد عن الإيمان.

١. القمر جرم سماوي نموذجي:

وإذا ما قرأت الأجرام السماوية والظواهر الكونية التي تضمنتها الآيات القرآنية الكريمة، وجدت للقمر الأرضي حضوراً كبيراً وواضحاً، ومفصلاً بعض التفصيل، حضوراً كحضور القمر الواضح في سماء الليل القريبة، سماء الكرة الأرضية.

فالقمر أو القمر الأرضي هو الجرم الأقرب إلى سطح الأرض والأكثر معالم وتفصيل ووضوحاً، عند النظر المجرد أو من خلال جهاز التلسكوب أو من خلال

الأجهزة العلمية الأكثر تطوراً. ومن خلال هذا الظهور الواضح والقريب، كان القمر الأرضي أساساً متيناً لمنافع حياتية كثيرة، منها: المتعة بنوره الفضيّ الليلي الهادئ، ودوره في تنظيم الزمن وتقسيمه إلى أشهر وأيام، وتأثيره على الحياة البحرية كحركات المد والجزر، ومنافع وفوائد حياتية أخرى لا مجال لذكرها هنا.

وهذا خلاف عدد من الأجرام السماوية والظواهر الكونية الأخرى التي كثيراً ما يلفها الغموض.

وإذا ما احتاجت معرفة الأجرام السماوية الأخرى جهداً كبيراً وأجهزة عادية أو معقدة لرؤيتها ودراستها، فالقمر الأرضي لا يحتاج إلى جهد كبير وإمكانات كبيرة ومعقدة لدراسته، فهو - كما ذكرنا - أقرب الأجرام السماوية إلى الكرة الأرضية وأوضحها، على الرغم من صغر حجمه النسبي قياساً بالأجرام السماوية الأخرى. ويمكن إدراك تفاصيله أو بعض تفاصيل سطحه الخارجي من خلال النظر العادي المجرد أو بتلسكوب عادي صغير



القمر والهلل والقوقت بها..... البصباح

الوضوح، قبل الوضوح الحديث، فذكر بعضاً من مواصفاته وتفصيله وأهميته، وكونه أحد الأدلة الدامغة على وجود الخالق المبدع المطلق وقدرته الهائلة المطلقة.

٢. القمر في الفلك الحديث:

وقبل أن ندخل في مواصفات وتفصيل القمر في القرآن الكريم، لابد أن نتحدث عن القمر في العصر الحديث، لكي يتكامل موضوعنا ونكون على بينة من حقيقة القمر العلمية كما تحدث عنها علم الفلك الحديث.

والقمر في علم الفلك الحديث مادة علمية كونية درسها العلماء بمنهج علمي رسديّ ملاحظاتيّ ودخلت أحجاره وصخوره في المختبرات الأرضية، وتكونت لدينا صورة علمية ممتازة، وإن لم تكن متكاملة.

فهو تابع طبيعي للكورة الأرضية، وهو التابع الوحيد لها. وإذا ما قارناه بمتبوعه فهو كبير قياساً بالأرض.

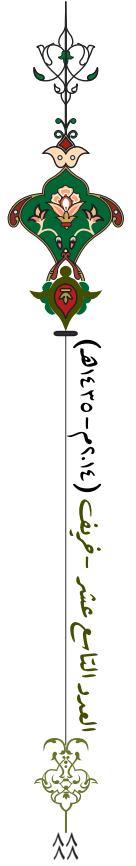
والقمر كورة سماوية صغيرة قياساً بالأجرام السماوية الأخرى، فلا يتجاوز حجمه ١ / ٤٩ من كورة الأرض، يبلغ

محدود لنرى جباله وأوديته (التي تعرف ببحار القمر) أي مساحاته الواسعة. وكان تلسكوب الفلكي الإيطالي غاليليو المتوفى سنة ١٦٤٢م الذي شاهد فيه بعض معالم سطح القمر يكبر نحو ٣٠ مرة، وهي إمكانية محدودة جداً.

وقد ذكر القرآن بعض تفاصيل القمر الصحيحة منذ نحو أربعة عشر قرناً من الزمان، قبل الاكتشافات الحديثة بنحو عشرة قرون. وقد عرف علماء الفلك المسلمون الكثير أو العديد من تفاصيل القمر قبل العصر الحديث.

وفي العصر الحديث عرف كثير من تفاصيل القمر (سطحه وداخله) قبل عصر الفضاء، وكان من أكثر الأجرام السماوية وضوحاً وتفصيلاً، وفي وقتنا الحاضر يكاد يكون القمر (مادة أرضية لا سماوية) حيث استطاع علماء الفلك والفيزياء دراسة معالم القمر وتفصيله وأحجاره وصخوره وأتربته وفوهاتة من على سطح الأرض، وفي مختبرات أرضية (موجودة على الأرض).

وقد أدرك القرآن الكريم هذا



قطره نحو ٣٤٧٦ كيلومتراً، وتبلغ كتلته ٨٠ / ١ من كتلة الأرض.

وتبعاً لضآلة كتلته صارت جاذبيته سدس جاذبية الأرض، والذي يمشي على سطح القمر يمشي فقزاً، وصارت سرعة الافلات من سطحه صغيرة، وتبلغ ٤ . ٢ كيلومترات في الثانية الواحدة.

وهو يدور حول الأرض في مدار اهليلجي بيضوي، ومتوسط مسافته عن الأرض نحو ٣٨٤ . ٤٠٠ كيلومتر، ويتم دورته حولها في ٢٧ . ٣٢ يوماً، وفي الوقت نفسه يتم دورته حول نفسه في ٢٧ . ٣٢ يوماً أيضاً، ولتساوي الدورتين يظهر القمر لسكان الأرض وجهاً واحداً في كل الأوقات.

ولا يملك القمر غلافاً جويّاً، ولذلك يتعرض للقصف المستمر بأنواع الاشعاعات القادمة من السماء. وحين تسقط الشمس على القمر نهاراً تصل درجة حرارته إلى نحو ١١٠ درجات مئوية، لكنها تتبدد تماماً في ليله لتصل درجة حرارته إلى نحو ١٣٠ درجة مئوية تحت الصفر (وذلك لعدم وجود غلاف جويّ يمسكها).

وهو جرم سماوي مظلم كبقية أعضاء النظام الشمسي، يستمد نوره من ضوء الشمس، فيتغيّر الجزء المضيء منه من يوم لآخر في الحجم والشكل، وتُعرف هذه الظاهرة بأطوار القمر أو أوجهه.

وهناك عدة نظريات تفسّر نشوء القمر وتاريخ ولادته، ولعلّ أهمها تلك التي تقول: إن الأرض والقمر نشأ في وقت واحد منذ ما يقارب ٤ . ٦ مليار سنة.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين نزل أول رجل على سطح القمر في ٢٠ تموز في سنة ١٩٦٩، ودرسه دراسة ميدانية مفصلة إلى حدّ ما، ليأتي بعد ذلك إنزال عدد من البعثات لدراسة سطحه وبعض تفاصيله.

٣. في القرآن قمر علمي لا خرافي:

وإذا ما قرأنا القمر في القرآن الكريم - وهو عادة قمر الأرض - فسنعرف أنه قمر علمي لا خرافي ولا خيالي، قمر واضح المعالم، لا يكتنفه الغموض، ولا يسبح في الخيال العلمي المفتوح.

ولقمر الأرض أهمية خاصّة في القرآن الكريم، ومكانة فريدة لم تنلها المواد



القمر والهلل والتوقيت بهما البصائر

منير (وليس مضيئاً كالشمس) يتحرك في مدار أو فلك كما تدور الأجرام السماوية الأخرى. وليس جرمًا معبوداً ولا إلهاً مقدساً ولا موضوعاً من موضوعات التنجيم الخرافي يستخدمه المنجمون الدجالون لتحديد أعمار ومصائر الناس والبلدان والممالك.

انه جرم سماوي عادي يمكن التعامل معه تعاملًا علمياً وحتى تجريبياً، وعلى كثير من الدقة والوضوح كبقية مخلوقات الله الواضحة.

وعلى هذا الأساس جاء القمر في القرآن الكريم مادة سماوية واضحة وقريبة وميسورة لمعرفة القدرة الإلهية المطلقة، وجاء أحد الأدلة المهمة الواضحة والسريعة على وجود خالق مبدع لا نظير له لهذا الكون الشاسع.

٤. مخلوق ومطيع ومسخر:

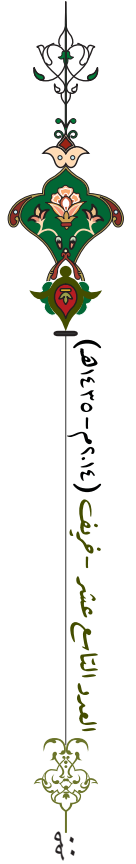
وقمر الأرض مخلوق لله سبحانه وتعالى، فيه كل صفات المخلوقية للباري عز وجل، وهو جرم سماوي كسائر المخلوقات السماوية أو الأرضية خلقه الله تعالى من العدم، بعد أن لم يكن.

السماوية الكونية الأخرى، أو تقترب منها. فقد تناثر ذكر القمر في القرآن الكريم في عدد من آياته الكريم، فوردت كلمة القمر ٢٧ مرة وهو لا يقل كثيراً عن عدد كلمات الشمس الواردة في القرآن والبالغة ٣٣ مرة، على الرغم من أن الشمس تكبر الأرض أكثر من مليون مرة، وأهميتها أكبر من أهمية القمر بكثير.

وقد وردت هذه الكثرة القمرية بمواصفات وخصائص علمية متنوعة، وفي كل ما ورد لا يخالف ما ورد في علم الفلك الحديث والمعاصر، والأصح لا يخالفها علم الفلك الحديث.

ويجب أن نقول إن الذي ورد هو مادة قمرية علمية إجمالية تتحدث عن أسس عامة وكليات أساسية على طريقة القرآن وعلى وفق الأساس القرآني (هدى ورحمة) وكثيراً ما استشهد القرآن الكريم بمواد علمية وتاريخية وإنسانية تصب في عمق هذا الهدف والأساس القرآني.

لقد جاء هذا الجرم السماوي الوديع في القرآن الكريم قمراً علمياً واضحاً قابلاً للدراسة والبحث، فهو جرم سماوي



وللقمر أجل وزمن محدد، وسيبقى في وقت من الأوقات، كما ستنتهي كل المخلوقات في آجالها التي حددها الباري عز وجل.

وقد أورد القرآن الكريم مخلوقته بشكل واضح وصريح، بقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣] فالعبودية لله وحده والسجود له تعالى لا لغيره، ذكر ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

والقمر جرم مطيع لربه يسجد له كما تسجد مخلوقات الله تعالى الأخرى، قال عز من قائل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [سورة الحج: ١٨].

وهو يسبح لله تعالى كما تسبح المخلوقات الأخرى وكل شيء في الكون،

قال عز وجل: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

والقمر في كل الحالات هو جرم سماوي سخره الله عز وجل كما سخر الشمس والنجوم ومخلوقاته الأخرى، سخره لعباده ولأغراض عديدة، ولولا هذا التسخير لحدث خلل في الحياة البشرية قال عز من قائل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

٥. تبعية القمر للشمس:

على الرغم من أهمية قمر الأرض في القرآن الكريم، ووروده جرماً سماوياً مهماً مستقلاً في وجوده وبمواصفات علمية واضحة، على الرغم من ذلك، عرفنا من جانب آخر أن القمر في القرآن



القمر والهلل والقوقف بها البصفا

الأم لكل الكواكب والأقمار.

٦. نور القمر من ضوء الشمس:

القمر جرم سماوي يكتسب نوره من ضوء الشمس، وقد عرف القدماء ذلك من خلال تعدد أطواره الضوئية وتنوعها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاكتساب الضوئي من خلال عدة آيات قرآنية كريمة.

لقد اقترن القمر بالشمس في أغلب الآيات التي أوردت القمر، ويمكن أن يكون ورود الاقتران بسبب تقارب حجم الشمس والقمر الظاهري أو وضوحهما المتميز في السماء.

ويمكن أن يدل هذا الاقتران على قرب المسافة بين الجرمين (الشمس والقمر) ووقوعهما في مساحة سماوية واحدة، وهذا سبب أساسي في اكتساب نور القمر من ضوء الشمس الساطع، فوقع الشمس والقمر والأرض في جهة واحدة هو الذي يعطي القمر نوره وأوجهه المختلفة ولو كان القمر والشمس متباعدين لما استطاع القمر أن يكتسب نوره من الشمس.

ومن الآيات التي ذكرت اقتران

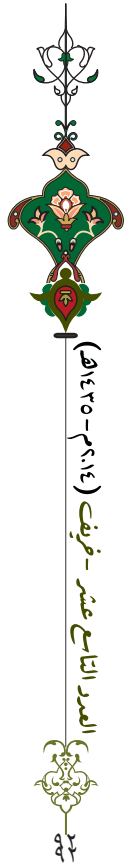
الكريم تابع وليس مستقلاً، بل جرمًا تابعاً للأرض من جانب وجرمًا تابعاً للشمس في الوقت نفسه يستمد نوره منها ويتلوها من جانب آخر.

ويمكن أن نفهم هذه التبعية القمرية للشمس من خلال الآية الشريفة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا﴾ [سورة الشمس: ١ - ٢].

في هذه الآية الكريمة يقسم الباري عز وجل بجرم الشمس وضحاها وهي أقرب النجوم إلى الكرة الأرضية.

ويقسم مرة أخرى بضحي الشمس الذي يلي شروق الشمس إلى ما قبل الظهر. ويقسم ثالثةً بقمر الأرض إذا تبع الشمس في إنارة الأرض بعد غياب الشمس في الليل البهيم، وهذه إشارة واضحة إلى موالاتة القمر للشمس في غروبها وشروقها.

وإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة نور القمر التابع لضوء الشمس، أدركنا قوة الإشارة التي تقول بتبعية القمر إلى الشمس، فالقمر يدور حول الكرة الأرضية، والقمر والأرض يدوران حول الشمس



سهلاً لأهل الأرض يحسبون به أيامهم وشهورهم وسنينهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الحساب والتوظيف العملي بقوله تعالى:

﴿ فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [سورة الأنعام: ٩٦].

فالقمر ومثله الأجرام السماوية الأخرى الشمس والنجوم والأجرام السماوية المتنوعة، يجري في فلك محدد دون أيّ تداخل وتصادم مع الأفلاك الأخرى، أي يدور حول الكرة الأرضية في مدار خاص به، وفي الوقت نفسه يدور مع الأرض في مدار خاص آخر حول الشمس.

وقد أدرك القرآن الكريم حركة القمر وجريانه في فلكه الخاص في الآية الشريفة

التالية: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٣٨) وَالْقَمَرَ

فَدَرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (٣٩)

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا

الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس: ٣٨-٤٠].

ومن حركة أو جريان القمر في السماء

الشمس مع القمر مع الليل والنهار يمكن أن نذكر قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ... ﴾ [سورة النحل: ١٢].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ... ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣].

وقوله سبحانه وتعالى أيضاً:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ... ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

وذكر القرآن الكريم أيضاً أن الشمس ضياءً وسراجٌ وسراجٌ وهاج، وأن القمر نورٌ وليس سراجاً ولا وهاجاً، مفرقاً بين ما تبثه الشمس من ضوء وحرارة وما يبثه القمر من نور.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا

وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [سورة نوح: ١٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿... وَجَعَلَ فِيهَا

سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦١].

٧. القمر أساس التقويم:

ومن تسخيرات القمر الكثيرة، ورد

هذا الجرم الجميل في القرآن مادةً لحساب

الزمن وتنظيم التقويم، ورد واضحاً



القمر والهلل والتوقيت بهما البصباح

أوضح من السنة الشمسية التي تتكون من إكمال حركة الشمس الظاهرية دورة كاملة في دائرة البروج والتي يصعب تتبعها تبعاً حسيّاً رصديّاً.

٨. فناء القمر في القرآن:

وبعد ذلك فالقمر مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى الكثيرة، له بداية وله نهاية، له أجل محدد معلوم سينتهي فيه، وتلك النهاية سيذهب الجمال والكمال، ولا يبقى سوى وجه الله خالق القمر والشمس وكل شيء.

وستقع تلك النهاية القمرية ضمن الانهيارات الكونية الكبرى، انهيار السماء والنجوم والأرض والشمس والقمر، وقد ذكر القرآن الكريم تلك النهاية القمرية في أكثر من آية قرآنية شريفة، قال سبحانه وتعالى: ﴿... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ...﴾ [سورة فاطر: ١٣].

واقترانه بالأرض والشمس يظهر القمر على شكل أهلة، يبدأ بهلال ضعيف نحيل ثم يصبح نصف كرة ثم كرة كاملة (بدرًا تامًا) ثم يعود نصف كرة ثم هلالاً من جديد ليتم (شهرًا قمرياً) واحداً.

ومن جمع اثنتي عشرة دورة للقمر حول الأرض تتكون السنة (السنة القمرية) وهي التي أكد القرآن الكريم عليها من خلال أكثر من آية قرآنية شريفة. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ [سورة البقرة: ١٨٩].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...﴾ [سورة التوبة: ٣٦].

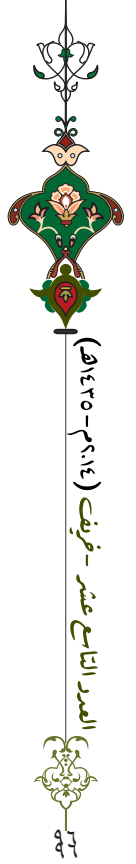
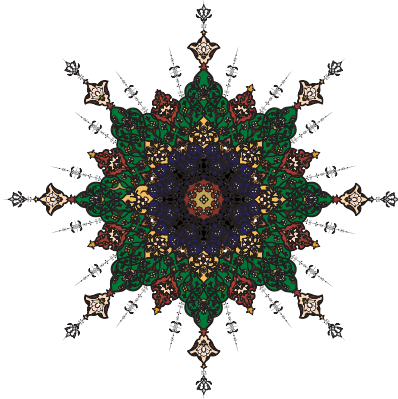
وعلى هذا، فالقرآن الكريم سخر هذا المخلوق السماوي الجميل لحساب الزمن والتقويم، وذلك لسهولة رصده وتبوع ظهوره وتنوعه الدال على الأيام، وتبوع أشهره الدالة على حساب السنة القمرية. وهي سنة واضحة سهلة الحساب،

- ولا نعرف متى سيكون هذا الأجل المسمى (المحدد) الذي قدره الله تعالى للقمر وغيره من الأجرام السماوية الكثيرة. وفي ذلك الوقت (يوم القيامة) سيخسف القمر ويذهب نوره ويجمع الشمس والقمر، ولا مفرّ من ذلك اليوم ولا مهرب منه، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [سورة القيامة: ٧-٩].
- إن هذه البداية والنهاية والمواصفات والخصائص الكثيرة التي ذكرها القرآن الكريم للقمر، لهي دليل واضح على ورود القمر في القرآن مادة علمية يُمكن دراستها دراسة علمية مفصلة، ويمكن تطويرها إذا جدّ الإنسان في ذلك، ولا تمت بأية صلة بالقمر الذي يستخدمه أهل التنجيم والمشعوذون في خداع الناس وأبناء المجتمع.
- أهم مراجع البحث**
- القرآن الكريم
- 1- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الطبرسي، تحقيق: هاشم المحلاتي وآخر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م.
 - 2- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط ٢.
 - 3- الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.
 - 4- موسوعة القرآن العظيم، د. محمد عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
 - 5- موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، د. نادية طيارة، مكتبة الصفاء، أبوظبي، ٢٠٠٧م.
 - 6- السماء والكون في القرآن الكريم ونهج البلاغة، عبد الأمير المؤمن، المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، قم، ١٤٢٨هـ.
 - 7- أسرار الكون في القرآن، د. داود السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
 - 8- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، قم، (أوفست منشورات طليعة النور).



القمر والهلل والتوقت بها المصباح

- ٩- معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية والتقنية، رئيس التحرير، د. محمد دبس، منشورات أكاديميا، بيروت.
- ١٠- التراث الفلكي عند العرب والمسلمين، عبد الأمير المؤمن، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٩٢م.
- ١١- قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٦م.
- ١٢- المنظومة الشمسية، تراث تأسيسي وحاضر مثير، عبد الأمير المؤمن، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٩٧م.
- ١٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد المقرري الفيومي، منشورات دار الهجرة، قم ١٤٠٥ (أوفست).



الصدر التاسع عشر - خريف (١٤١٤م - ١٤٣٥هـ)

٢٠

الحجر والحجارة في القرآن الكريم

أ.ر. محمد عبد مطلب البلاء
كلية الفقه - جامعة الكوفة

فحوى البحث

بحث يعرض فيه الباحث لموارد كلمتي (الحجارة) و (الحجر) في القرآن الكريم ودلالة كل منهما في ضوء المعنى اللغوي الذي جاءت فيه . فكلمة (الحجر) وردت في القرآن الكريم مرتين [سورة البقرة : ٦٠] و [سورة الاعراف : ١٦٠] ولم ترد صيغة الجمع منها (احجار) في القرآن الكريم بل وردت بصيغة (حجارة) اي على السماع الذي وصفه بعض النحاة واللغويين بالقلة مرة، وبالنادر مرة اخرى وقد وردت في عشر آيات من القرآن، مر بها الباحث واشبعها تفسيراً مستنداً الى اوثق المصادر التفسيرية و اللغوية.

تقديم:

الفقه فإنه باطل^(١).

وقال سيبويه في ((هذا باب تكسير الواحد للجمع)): وما كان على ثلاثة أحرف، وكان (فَعَلًا) فإنك إذا كسرتَه لأدنى العدد بَنَيْتَهُ على (أَفْعَال). وذلك قولك: (جَمَلٌ) و(أَجْمَالٌ)، و(جَبَلٌ) و(أَجْبَالٌ) و(أَسَدٌ) و(أَسَادٌ). فإذا جاوزوا به أدنى العدد فإنه يجمع على (فِعَالٍ وَفُعُولٍ). فأما (الفِعَال) فنحو: جِمَالٍ وَجِبَالٍ، وَأَمَّا (الفُعُول) فنحو: أُسُودٍ وَذُكُورٍ. و(الفِعَال) في هذا أكثر.

وقد يُلْحَقُونَ (الفِعَال) الهاء، كما ألحقوا (الفِعَال) التي في (الفَعْل) وذلك قولهم في: (جَمَلٍ) (جِمَالَةٌ)، و(حَجَرٍ) (حِجَارَةٌ)، وذلك قليل. والقياس على ما ذكرنا^(٢).

وقال ابن فارس: ((وقياس جَمْعِهِ في أدنى العدد (أَحْجَار) و (الحِجَارَة) نادر^(٣))).

وبذا نرى أن (أَفْعَال) من أبنية القلة

الحَجَرُ: الصَّخْرَةُ، والجمع في القلة أَحْجَارٌ، وفي الكثرة: حِجَارٌ وَحِجَارَةٌ، وقال الشاعر:

كَأَنهَا مِنْ حِجَارِ الْغَيْلِ، أَلْبَسَهَا

مَضَارِبُ الْمَاءِ لَوْنِ الطُّحْلِبِ التَّرِبِ

ونقل عن الليث: الحَجَرُ جمعه الحِجَارَةُ، وليس بقياس لأن الحَجَرَ وما أشبهه يجمع على (أَحْجَار)، ولكن يجوز الاستحسان في العربية كما أنه يجوز في الفقه وترك القياس له. ومثله: المِهَارَةُ والبِكَارَةُ لجمع المَهْرِ والبِكَرِ.

ويروى عن أبي الهيثم أنه قال: العرب تدخل الهاء في كل جمع على (فِعَال) أو (فُعُول)، وإنما زادوا هذه الهاء فيها لأنه إذا سكت عليه اجتمع فيه عند السكت

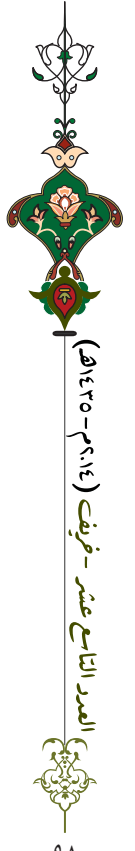
ساكنان: أحدهما الألف التي تَنْحَرُ آخِرَ حَرْفٍ في (فِعَال)، والثاني آخِرُ (فِعَال) المسكوت عليه، فقالوا: عِظَامٌ وَعِظَامَةٌ، وَنِفَارٌ وَنِفَارَةٌ. قال الأزهري: وهذا

هو العلة التي عللها النحويون، فأما الاستحسان الذي شبهه بالاستحسان في

(١) ينظر: اللسان (حجر).

(٢) ينظر: الكتاب ٣/ ٥٧٠، ٥٧١.

(٣) مجمل اللغة ١/ ٤٦٢.



الحَجَر والحِجَارَة:

كما تقدم نرى أن (الحَجَر) يجمع جمع قلة على (أَحْجَار) أما جمع الكثرة فهو (حِجَار). وكلاهما من الأوزان القياسية، وقد تلحقه الهاء، فيقال: (حِجَارَة). أما قول سيبويه: ((وذلك قليل والقياس على ما ذكرنا))^(٧). أو قول ابن فارس: أنه نادر^(٨) فلا يخلو من نظر:

ذلك أن لفظ (الحَجَر) قد جاء مفرداً في القرآن الكريم مرتين في آيتين كريمتين، هما: [سورة البقرة: ٦٠] و [سورة الأعراف: ١٦٠]، أما صيغة الجمع، فلم يرد جمع القلة (أَحْجَار) في سور القرآن الكريم كلها، وما جاء من جمع كثرة فهو على وزن (فَعَالَة) (حِجَارَة)، أي على السماع. وقد ورد ذكرها عشر مرات: [سورة البقرة: ٧٤] [سورة الأنفال: ٣٢] [سورة هود: ٨٢] [سورة الحج: ٧٤] [سورة الإسراء: ٥٠] [سورة الذاريات: ٢٣] [سورة التحريم: ٦] [سورة الفيل: ٤]. أما (حِجَار) جمع الكثرة القياسي فلم

في الأوزان السماعية، وهو يقاس في كل مفردٍ جاء اسماً على (فَعَل) نحو: (قَدَم) (أَقْدَام) و(وَثْن) (أَوْثَان). أما (فَعَال) فهو من أبنية الكثرة، ويقاس في (فَعَل) اسماً وصفة، نحو: (جَمَل) (جِمَال) و(حَسَن) (حِسان)^(٤).

أما (فِعَالَة) فهو سماعي فيها ورد عليه، وقد سمع في (فَعَل) نحو: (حَجَر) (حِجَارَة)^(٥). وقال ابن خالويه: هو جمع غريب^(٦).

ونقل عن الفراء قوله: العرب تقول: الحَجَرُ الأَحْجَرُ على (أَفْعَل)، وأنشد: يَرْمِينِي الضَّعِيفُ بالأَحْجَرِ. ويقال: رُمِيَ فلانٌ بِحَجَرِ الأرض، إذا رُمِيَ بدهية من الرجال، وفي حديث الجَسَّاسَةِ والدَّجَال: تبعه أهل الحَجَرِ وأهل المدَرِ، يريد أهل البوادي الذين يسكنون مواضع الأحجار والرمال، وأهل المدَرِ أهل البادية.

(٤) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٥) ينظر: السابق ص ٣٢٠.

(٦) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم

ص ١٩٤.

(٧) ينظر: الكتاب ٣ / ٥٧١.

(٨) ينظر: مجمل اللغة ١ / ٤٦٢.



يرد في القرآن الكريم قط.

أولاً: الحجر:

١. قال الله تعالى في [سورة البقرة: ٦٠]:

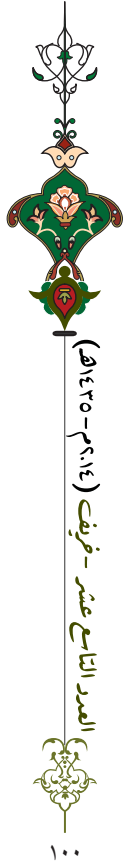
﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾

قال الزجاج: فجر الله لهم من حجرٍ اثنتي عشرة عيناً لاثني عشر فريقاً، لكل فريق عين يشربون منها، تتفجر إذا نزلوا فإذا ارتحلوا غارت العين، وحملوا الحجر غير متفجر منه ماء^(٩). وذلك ان قوم موسى لما عطشوا في التيه، واستسقى موسى لقومه ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ اللام فيه للعهد على ما روي أنه كان حجراً طورياً مكعباً حمله معه، وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في جدول إلى سبط، وكانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً، أو (حجراً) أهبطه آدم من الجنة، ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه إياه مع العصا أو الحجر الذي فرّ بثوبه لما وضعه ليغتسل، وبرأه

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١١٣.

الله به مما رموه به من الأذرة^(١٠). فأشار إليه جبريل عليه السلام بحمله، أو للجنس وهذا أظهر في الحجة، قيل: لم يأمره بأن يضرب حجراً بعينه، ولكن لما قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرضٍ لا حجارة بها؛ حمل حجراً في مخلاته، وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر، ويضربه بها إذا ارتحل فييس، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً، فأوحى الله إليه لا تقرع الحجر، وكلّمه يطعك لعلهم يعتبرون، وقيل: كان الحجر من الرخام، وكان ذراعاً في ذراع، والعصا عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة. ﴿فَإِنْ فَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: فإن ضربت فقد

(١٠) الأذرة (بالضم): نفخة في الخصىة، يقال رجل أذّر بين الأذّر، وقيل: هو الذي يصيبه فتق. ومنه الحديث: إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى أذّر، من أجل أنه كان لا يغتسل إلا وحده. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩]. وعن الليث: الأذرة والأذّر مصدران، والأذرة: اسم تلك المنتفخة، والأذّر نعت. ينظر: اللسان (أدر).



انفجرت، أو فَضْرِب فأنفجرت^(١١).

٢. أما قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ

أَضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ

مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [سورة

الأعراف: ١٦٠].

قال البيضاوي: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ

إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ ﴾ في التيه ﴿ أَنْ

أَضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ ﴾

أي: فضرب فانبجست وحذفه للأياء على

أن موسى ﷺ لم يتوقف في الامتثال، وأن

ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في

ذاته^(١٢).

ف(الفجر) تفجيرك الماء، والمَفَجْرُ:

الموضع الذي ينفجر منه، وانفَجَرَ الماء

والدم ونحوهما من السيال.

أما (البجس)، فهو: انشقاق في قرية أو

حَجْر أو أرض ينبع منه الماء، فإن لم ينبع

فليس بأنبجاسٍ.. وماء بَجِيس: سائل،

(١١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ١ / ٥٨، ٥٩.

وينظر بهامشه (تفسير الجلالين).

(١٢) المصدر السابق / ١ / ٣٧٣. وينظر: معاني

القرآن وإعرابه للزجاج (الآية ٦٠ البقرة)

/ ١ / ١١٢.

والسحاب يَنْبِجُسُ بالمطر، والانبجاس عامٌّ، والنُّبُوع للعين خاصة. وَبَجَسْتُ الماء فانبجس، أي فجرته فأنفجر^(١٣).

إلا أن تعاور المفردات في التعبير القرآني

أمر وارد، إذ تستعمل مفردة في موطن

وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به،

بل في القصة الواحدة قد تستعمل مفردة في

موضع وتستعمل غيرها في موضع آخر مع

أن القصة واحدة والموقف واحد وذلك

نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَنْفَجَرْتُمْ ﴾ [سورة

البقرة: ٦٠] وقوله: ﴿ فَأَنْبَجَسَتْ ﴾

[سورة الأعراف: ١٦٠] والانفجار بالماء

أغزر من الانبجاس، فخالف بين المفردتين

مع أن القصة واحدة والموضع واحد.

وتعليل ذلك كما قال د. فاضل صالح

السامرائي: أن المذكور قد يكون عاماً في

موطن وخاصاً في موطن آخر، وقد تكون

له حالتان فيذكر حالة في موطن، ويذكر

حالة أخرى في موطن آخر. وقد يكون

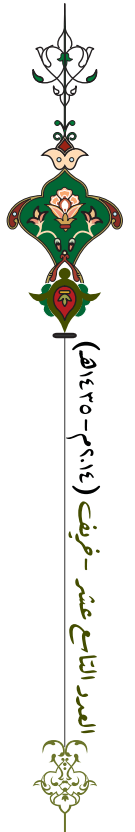
الأمر عاماً فيذكر جزءاً منه في موطن،

ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر. وكل

(١٣) ينظر: العين / ٦ / ٥٨، ١١ واللسان (فجر)

(بجس).





الحجر والحجارة في القرآن الكريم..... البَصِيح

ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام. فإذا كان (الانفجار) أكثر وأغزر من الانبجاس، فلم قال سبحانه ((انفجرت)) مرة، وقال ((انبجست)) مرة أخرى، وما حقيقة الأمر، أهي انفجرت العيون بالماء أم انبجست؟. والجواب: إن كلا الأمرين حصل، فقد انفجرت أولاً بالماء الكثير - كما قيل - ثم قلّ الماء بمعاصيهم فأخذ ينبجس، فذكر حالة الانفجار في (البقرة)، وحالة الانبجاس في (الأعراف). فالأمران واقعان وكلاهما حقيقة، غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق، ولو غير بينها فاستعمل (الانفجار) مكان (الانبجاس) لكان خلاف الأولى، وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام، والسر في ذلك:

١. إن موسى عليه السلام هو الذي استسقى في سورة البقرة، فناسب إجابته بانفجار الماء، في حين ذكر في سورة الأعراف أن قومه هم الذين استسقوا موسى. والحالة الأولى أكمل، فناسب إجابته بانفجار الماء دون الثانية.

٢. قال تعالى في سورة البقرة ﴿فَقُلْنَا أَصْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ﴾. أي أن الله قال ذلك لموسى قولاً في حين ذكر في الأعراف أن الله أوحى إلى موسى بذلك وحيًا. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَى﴾. والحالة الأولى أكمل وأتم، فإن القول الصريح من الله أكمل وأقوى من الوحي فناسب ذلك ذكر الانفجار في (البقرة) والانبجاس في (الأعراف) (١٤).

((إذ)) في الآية الكريمة [سورة البقرة: ٦٠] كسرت الذال لالتقاء الساكنين و((إذ)) غير معربة لأنها بمنزلة (في) إنها اسم لا تتم إلا بما بعدها (١٥). وقال الزجاج: ((إذ)) لا يظهر فيها الإعراب لأنها لا تتم إلا بأن توصل، وجميع ما لا يتم من هذه المهمة إلا بصلة لا يعرب لأنه بعض اسم، ولا يعرب إلا الاسم التام، ومعنى ((استسقى)) استدعى أن يُسقى قومه، وكذلك استنصرت استدعيت النصرة (١٦).

(١٤) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٩٧، ١٠٠، ١٠١.

(١٥) إعراب القرآن ١ / ١٨٠.

(١٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١ / ١١٢.

أما قوله تعالى ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ أي: (فَضْرَبَ فانفجرت)، وزعم ابن عصفور أن الفاء في ((فانفجرت)) هي فاء ((فضرب))، وأن فاء ((فانفجرت)) حذف، ليكون على المحذوف دليل ببقاء بعضه، وليس بشيء، لأن لفظ الفاءين واحد، فكيف يحصل الدليل؟.

وجوز الزمخشري ومن تبعه أن تكون فاء الجواب، أي: فإن ضربت فقد انفجرت، ويردُّه أن ذلك يقتضي تقدم الانفجار على الضرب مثل ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة يوسف: 77]، إلا إن قيل: المراد (فقد حكمنا بترتب الانفجار على ضربك) (١٧).

ثانياً: الحِجَارَةُ:

أشرنا إلى أن جمع القلة في (حَجْرٍ) (أَحْجَارٍ) وجمع الكثرة (حِجَارٍ)، وهذا هو القياس، وذكر سيبويه: أن الهاء قد تلحق (فِعال) فيقال: (فِعالَة) نحو: حِجَارٍ وِحِجَارَة، إلا أن ذلك قليل (١٨). وهو من الأوزان السماعية. قال عنه ابن

خالويه: أنه جمع غريب، وعده ابن فارس نادراً (١٩)، إلا أن اللافت للنظر أن جمع (حَجْرٍ) على (حِجَارٍ) وهو القياس في جمع الكثرة لم يرد في القرآن الكريم، وإنما جاء جمعه على السماع (حِجَارَة). وقد ورد ذكره عشر مرات - كما مر بنا - سنبدأ بتفصيل القول فيها.

١. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤].

إن معنى الآية الكريمة يتضح من خلال سياق الآيات التي قبلها [سورة البقرة: ٢٠ - ٢٢] ذلك: أَنَّ الله سبحانه احتج على العرب بأنه خالقهم، وخالق مَنْ قَبْلَهُمْ لأنهم كانوا مُقِرِّين بذلك، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧]. قيل لهم: إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه، ولا تعبدوا الأصنام (٢٠). ثم قيل لهم: لا تجعلوا لله أمثالاً وأنتم

(١٩) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤، مجمل اللغة ١ / ٢٦٤.
(٢٠) معاني القرآن وإعرابه ١ / ٦٣.

(١٧) المعنى ص ٨٢٠، ٨٢١.

(١٨) ينظر: الكتاب ٣ / ٥٧١.

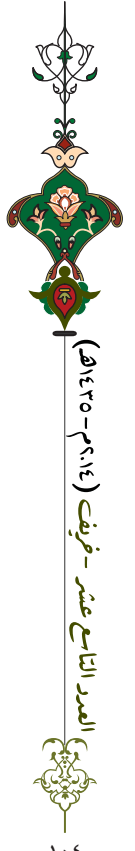


في معارضته وعجزتم جميعاً عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز، والتصديق به واجب فأمنوا به، واتقوا العذاب المعد لمن كذب، فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان به، وغيره إيجازاً، ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريراً للمكنى عنه، وتهويلاً لشأن العناد، وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز، وصدّر الشرطية بـ(أن) التي للشك، والحال يقتضي (إذا) الذي للوجوب، فإن القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكاً في عجزهم، ولذلك نفى إتيانهم معترضاً بين الشرط والجزاء تهكماً بهم، أو خطاباً معهم على حسب ظنهم، فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققاً عندهم، و((تفعلوا)) جزم بـ((لم)) لأنها واجبة الأعمال المختصة بالمضارع متصلة بالمعمول، ولأنها لما صيرته (ماضياً) صارت كالجزء منه، وحرف الشرط كالداخل على المجموع، وكأنه قال: (فإن تركتم الفعل) ولذلك ساغ إجتماعها، و((لن)) كـ(لا) في نفي المستقبل غير أنه أبلغ، وهو حرف مقتضب عند سيبويه، والخليل في إحدى الروايتين عنه، وفي

تعلمون أنهم لا يُخلَقون، والله الخالق. وبعدان احتج سبحانه على العرب في تثبيت توحيد الله عز وجل، احتج عليهم بتثبيت أمر النبي ﷺ [سورة البقرة: ٢٣]. ثم قيل لهم: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ بعد أن ثبت عليهم أمر التوحيد، وأمر النبي ﷺ فوعدوا بالعذاب إن لم يؤمنوا بعد ثبوت الحجة عليهم. وقوله عز وجل: ﴿الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾. عرفوا عذاب الله عز وجل بأشد الأشياء التي يعرفونها لأنه لا شيء في الدنيا أبلغ فيما يؤلم من النار فليل لهم: إن عذاب الله من أشد الأجناس التي يعرفونها، إلا أنه من هذا الشديد الذي يعرفونه، ويقال: إن الحجارة هنا تفسيرها حجارة الكبريت، وقوله ﴿وَفُودَهَا﴾ الوقود هو الحطب، وكل ما أوقد به فهو وقود^(٢١).

إن الله سبحانه بعد أن بين للعرب ما يتعرفون به أمر الرسول ﷺ وما جاء به، وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له، وهو أنكم إذا اجتهدتم

(٢١) ينظر: السابق / ١ - ٦٥ - ٦٧.



الرواية الأخرى أصله (لا إن) وعند الفراء (لا) فأبدلت ألفها نوناً^(٢٢). و(الوقود) بالفتح ما توقد به النار، وبالضم المصدر، وقد جاء المصدر بالفتح، وقال سيبويه: وسمعنا من يقول: [وَقَدَّتِ النَّارُ وَقُودًا عَالِيًا]. والاسم بالضم^(٢٣). ولعله مصدر سمي به، والظاهر: أن المراد به الاسم، وإن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف، أي: وقودها احتراق الناس، و(الحجارة) جمع

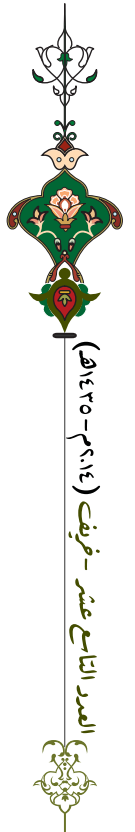
(٢٢) قال ابن هشام: (لن) حرف نصب ونفي واستقبال، وليس أصله، وأصل (لم) (لا) فأبدلت الألف نوناً في (لن) وميماً في (لم) خلافاً للفراء، لأن المعروف إنها هو إبدال النون ألفاً لا العكس، نحو: ﴿لَسْتُمْ﴾ [سورة العلق: ١٥]، و﴿وَلَيَكُونَنَّ﴾ [سورة يوسف: ٣٢]، ولا أصل (لن) (لا أن) فحذفت الهمزة تخفيفاً، والألف للساكنين خلافاً للخليل والكسائي. ينظر: المغني ص ٣٧٣، ٣٧٤.

(٢٣) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٢. وقال سيبويه: و(الوقود) أكثر. و(الوقود) الخطب. وقد سمع (فَعُول) في الفعلين: وَقَدَّ (وقوداً)، وقيل: (قبولاً)، وقد سمعها سيبويه عن العرب بنفسه على هذا البناء. وذكر الأخفش أن (الوقود) بالفتح (الخطب) و(الوقود) بالضم (الإتقاد) وهو المصدر. ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه ص ٢٣٦.

حَجَرَ، والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم، وعبدوها طمعاً في شفاعتها، والانتفاع بها، واستدفاع المضار لمكانتها، وقيل: (حجارة الكبريت) وهو تخصيص بغير دليل، وإبطال للمقصود، إذ الغرض تهويل شأنها، وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها، والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت، فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه فلعله عني به الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران، ولما كانت الآية (مدنية) نزلت بعدما نزل قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (الآية ٦)، وسمعوه صح تعريف النار، ووقوع الجملة صلة، فإنها يجب أن تكون قصة معلومة^(٢٤). وذهب السيوطي إلى أن وقودها ((الناس)) الكفار و((الحجارة)) كأصنامهم منها يعني: أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا ك(نار الدنيا) تتقد بالخطب ونحوه^(٢٥).

(٢٤) ينظر: أنوار التنزيل ١ / ٣٦.
(٢٥) ينظر: تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق).





الحجر والحجارة في القرآن الكريم..... البصائر

الفاء وما بعدها، ولغة تميم وأسد ((فتقوا النار))، وحقى سيبويه: تَقَى - يَتَّقِي (٢٦). ((النَّار)) مفعولة ((التي)) من نعتها ((وقودها)) مبتدأ ((النَّاس)) خبر، ((والحجارة)) عطف عليهم (٢٧).

إن قول الله تعالى في صفة جهنم: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هو تحذير منها بإعلامه أنها تأكل الحجارة. قال أبو ذؤيب الهذلي يصف شدة ما نزل به من المصيبة بما مثله لصبره وتجلده:

حتى كأني للحوادث (مروءة) (٢٨)
بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرَعُ (٢٩)

٢. الآية الثانية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ

(٢٦) قال سيبويه: والدليل على أنهم يفتحون الياءات في (يَفْعَل)، ومثل ذلك قولهم: (تَقَى الله رجل) ثم (يَتَّقِي الله) أجروه على الأصل. ينظر: الكتاب ٤ / ١١٢.

(٢٧) ينظر: إعراب القرآن ١ / ١٤٩، ١٥٠.
(٢٨) المَرُو: حجارة بيض بَرَّاقَة تكون فيها النار، وتقذح منها النار، قال أبو ذؤيب:

الواهب الأدم كالمرو الصلاب، إذا ما حارَدَ الحور، واجتت المجاليح
واحدتها مروءة، وبها سميت المروءة بمكة، شرفها الله تعالى. ينظر اللسان (مرا).

(٢٩) ينظر: الفضليات (١١ / ١٢٦) ص ٤٢٢.

فإن سأل سائل: كيف دخلت ((إن)) على (لم) ولا يدخل عامل على عامل؟

فالجواب: أن ((إن)) هنا غير عاملة في اللفظ فدخلت على ((لم)) كما تدخل على الماضي لأنها لا تعمل في ((لم)) كما لا تعمل في الماضي، فمعنى ((إن لم تفعلوا)) إن تركتم الفعل. قال الأخفش سعيد، إنها جزموا بـ (لم) لأنها نفي فأشبهت ((لا)) في قولك: لا رجل في الدار، فحذفت بها الحركة كما حذف التنوين من الأسماء، وقال غيره: جزمت بها لأنها أشبهت (إن) التي للشرط لأنها تردُّ المستقبل إلى الماضي، كما ترد (إن) فتحتاج إلى جواب فأشبهت الابتداء والابتداء يَلْق [كذا] به مع الأسماء الرفع، وهو أولى بالأسماء، فكذا حذف مع (إن) لأن أولى ما للأفعال السكون.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ نصب بـ(لن) وعلامة نصبه حذف النون، واستوى النصب والجزم في الأفعال لأنها فرعان، وهما بمنزلة النصب والخفض في الأسماء. قال أبو عبيدة: من العرب من يجزم بـ(لن) كما يجزم بـ(لم).

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ جواب الشرط في

مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ﴿[سورة
البقرة: ٧٤].

القساوة: الصلابة في كل شيء، وقسا
يقسو فهو قاسٍ (٣٠). لذا فإن: تأويل
(قست) في اللغة: غلظت ويبست
وصلبت، وتأويل القسو في القلب: ذهاب
اللين والرحمة والخضوع والخشوع منه،
ومعنى ((من بعد ذلك)) أي من بعد إحياء
الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة، وهذه
آية عظيمة كان يجب على من يشاهدها-
فشاهد بمشاهدتها من قدرته عز وجل ما
يزيل كل الشك - أن يلين قلبه ويخضع،
ويحتمل أن يكون ((من بعد ذلك)) من
بعد إحياء الميت، والآيات التي تقدمت
ذلك، نحو: مسخ القردة والخنزير، ونحو
رفع الجبل فوقهم، ونحو إنبجاس الماء
من حجر يحملونه معهم (٣١). فجرى آخر
الكلام على أوله، بالخطاب كله لليهود،
وهو الاختيار، لأن عليه الجماعة، وهو

(٣٠) العين ٥ / ١٨٩، اللسان (قسا).

(٣١) معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٨.

اختيار أبي عبيد (٣٢).

ف((قست)) في قوله تعالى، تقول:
(قسا) فإذا زدت التاء حذفت الألف
لالتقاء الساكنين. ((قلوبكم)) مرفوعة بـ
(قست) (٣٣).

وقوله عز وجل: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾
الكاف: حرف جر متعلقة بمحذوف
تقديره: فهي مستقرة كالحجارة، ويجوز
أن يكون اسماً بمعنى (مثل) في موضع
رفع، ولا تتعلق بشيء (٣٤). وقال النحاس:
(الكاف) في موضع رفع على خبر ((هي)).
(أو أشدُّ) عطفٌ على الكاف. ويجوز
﴿أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ تعطفه على الحجارة.
(قسوة) على البيان (٣٥).

وقال الزجاج: دخول ((أو)) ههنا
لغير معنى الشك، ولكنها ((أو)) التي
تأتي للإباحة. تقول: الذين ينبغي أن يؤخذ
عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين، فلست

(٣٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ /
٢٤٨.

(٣٣) إعراب القرآن ١ / ١٨٨.

(٣٤) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٤٤. وينظر:

الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨٦.

(٣٥) إعراب القرآن ١ / ١٨٨.



الحجر والحجارة في القرآن الكريم..... البصياح

على لفظ الفعل، وهو نعت ففتح، وهو في موضع جر^(٣٨). وقال العكبري: أنه مجرور عطفاً على الحجارة، تقديره: أو كأشد من الحجارة، و((قسوة)) تمييز وهي مصدر^(٣٩).

ويجوز في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ ((فهي)) كالحجارة - باسكان الهاء - لأن الفاء مع (هي) قد جعلت الكلمة بمنزلة (فخذ)، فتحذف الكسرة استثقلاً، وقد روى بعض النحويين أنه يجوز في ((هي)) الاسكان في الياء من ((هي))، قال الزجاج: ولا أعلم أحداً قرأ بها، وهي عندي لا يجوز إسكانها ولا إسكان الواو في ((هو))، لا يجوز ((هو ربكم)) وقد روى الاسكان بعض النحويين وهو رديء لأن كل مضمّر فحركته - إذا انفرد - الفتح، نحو: أنا ربكم، فكما لا تسكن نون ((أنا)) لا تسكن هذه الواو^(٤٠).

أما قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ فد((ما)) في

بشاك، وإنما المعنى ههنا: هذان أهل لأن يؤخذ عنهما العلم، فإن أخذته عن الحسن فأنت مصيب وأن أخذته عن ابن سيرين فأنت مصيب، وأن أخذته عنهما جميعاً فأنت مصيب، فالتأويل: اعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون أو بها هو أشد فأنتم مصيبون، ولا يصلح أن تكون ((أو)) ههنا بمعنى (الواو). وكذلك قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ آلِزِي أَسْتَوْقَدَ نَارًا... أَوْ كَصَيْبٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧-١٩] أي: إن مثلهم بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلهم بالصيب فهو لهم مثل^(٣٦).

وقال العكبري: ((أو)) ههنا ك((أو)) في قوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ و((أشد)) معطوف على الكاف، تقديره: أو هي أشد^(٣٧).

وقرئ بفتح الدال ((أو أشد قسوة)) فهو على خفض في الأصل بمعنى الكاف، ولكن ((أشد)) (أفعل) لا ينصرف لأنه

(٣٦) معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٩. وينظر: ١ / ٥٨ - ٦٠ والجمان في تشبيهات القرآن ص ٩٠.
(٣٧) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٤٤، ٤٥.
(٣٨) معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٩، ١٣٠.
(٣٩) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٤٥.
(٤٠) معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٩، ١٣٠.

موضع نصب لأنها اسم (إِنَّ) و(اللام) للتوكيد منه على لفظ ((ما)). وفي قراءة أبي ((منها)) على المعنى. قال أبو حاتم: يجوز ((لما تتفجر منه الأنهار))، ولا يجوز (لَمَّا تَشَقَّق) لأنه إذا قال: (تفجر) أنه بتأنيث الأنهار، وهذا لا يكون في (تَشَقَّق).

قال أبو جعفر: يجوز ما أنكره يحمل على المعنى لأن المعنى: وان منها الحجارة تشقق، وأما يشقق بالياء فمحمول على لفظ ((ما)). وأما الكسائي فيقول: هو مذكر على تذكير البعض ومثله عنده ﴿تَشَقِّكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [سورة النحل: ٦٦]، أي: مما في بطون بعضه (٤١).

قال العكبري: (يتفجر) لو قرئ بالتاء جاز، ولو كان في غير القرآن لجاز منها على المعنى. ((يَشَقَّق)) أصله (يتشقق)، فقلبت (التاء) (شينا) وأدغمت وفاعله ضمير (ما) ويجوز أن يكون فاعله ضمير الماء، لأن (يشقق) يجوز أن يجعل للماء على المعنى، فيكون معك فعلا، فيعمل الثاني منها في الماء، وفاعل الأول مضمرة على شريطة التفسير، وعند الكوفيين: يعمل

(٤١) إعراب القرآن ١ / ١٨٨، ١٨٩.

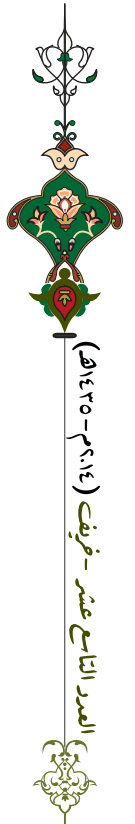
الأول فيكون في الثاني ضميره. ((من خشية الله)). (من) في موضع نصب بـ ((يهبط))، كما تقول: يهبط بخشية الله (٤٢).

بين الله عز وجل في هذه الآية: كيف كانت قلوبهم أنها أشد قسوة، وأصلب من الحجارة، واعلم أن الحجارة تتفجر منها الأنهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء يعني العيون التي تخرج من الحجارة، ولا تكون أنهاراً، ومنها ما يهبط من خشية الله، نحو (الجل) الذي تجلى الله له حين كلم موسى ﷺ، وقال قوم: إنها أثر الصنعة التي تدل على أنها مخلوقة، وهذا خطأ؛ لأن ليس منها شيء ليس أثر صنعة بيناً في جميعها، وإنما الهابط منها مجعول فيه التمييز، كما قال عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الحشر: ٢١]. وكما قال: ﴿الْأَثَرُ

لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الحج: ١٨]. فاعلم أن ذلك تمييز أراد الله منها، ولو كان يراد بذلك الصنعة لم يقل وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، لأن أثر

(٤٢) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٤٥.





الحجر والحجارة في القرآن الكريم

الصنعة شامل للمؤمن وغيره^(٤٣).

لقد شبه عز وجل قلوب اليهود في القسوة بالحجارة، لأن الحجارة هي غاية في المثل.

ثم بيّن جلّ اسمه كيف كانت قلوبهم أشدّ قسوة من الحجارة، فقال: ﴿... وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾. يعني العيون التي لا تكون أنهاراً.

٣. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢].

القراءة على نصب ((الحق)) خبر كان، ودخلت ((هو)) للفصل. وهي لا موضع لها، وأثما بمنزلة ((ما)) المؤكدة، ودخلت ليُعلم أن الحق ليس بصفة لهذا أو أنه خبر، ويجوز: ((هو الحق من عندك)) ولا أعلم

أحداً قرأ بها. ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها، ولكن القراءة سُنة لا يقرأ فيها إلا

(٤٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٣٠، ١٣١.

الْبَصِيحَاتُ

بقراءة مروية^(٤٤).

أما وجه جواز قراءة الرفع في ((الحق)) عند النحاة، فعلى أن ((هو)) مبتدأ، و ((الحق)) خبره، والجملة خبر كان، و ((من عندك)) حال من معنى الحق: أي الثابت من عندك. ((من السماء)) يجوز أن يتعلق بـ ((أمطر))، وأن يكون صفة لحجارة^(٤٥) ف ((هو)) مبتدأ غير فصل، وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقاً بتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير المنزل كأساطير الأولين^(٤٦).

ونقل النحاس قول الأخفش: أن ((هو)) صلة زائدة كزيادة (ما). وقال الكوفيون ((هو)) عماد. قال الأخفش: وبنو تميم يرفعون فيقولون: ((إن كان هذا هو الحق من عندك)). قال أبو جعفر: يكون ((هو)) إبتداء، و ((الحق)) خبره، والجملة خبر كان^(٤٧).

(٤٤) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٥٤، ٤٥٥.

وينظر: إعراب القرآن ١ / ٦٧٤.

(٤٥) إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٦.

(٤٦) أنوار التنزيل ١ / ٣٩٢، ٣٩٣.

(٤٧) إعراب القرآن ١ / ٦٧٤.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾. المعنى: واذكر إذ قالوا هذا القول، وقالوا على وجه الدفع له، وقالوه والنبي ﷺ بين أظهرهم. فَأَعْلَمَ اللهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبَهُمْ وَرَسُولُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ. فقال ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣١]. أي: وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ ومنهم من يؤول أمره إلى الإسلام^(٤٨).

روي أنه لما قال النَّضْرُ بن الحَرِث: ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال: ١٣]. قال له النبي ﷺ: ويلك إنه كلام الله، فقال ذلك^(٤٩).

وقال السيوطي: أن النَّضْرَ بن الحَرِث كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة. ف ((إن)) ما ((هذا)) القرآن ((إلا أساطير)) أكاذيب ((الأولين *)) وإذ قالوا اللهم إن كان هذا)) الذي يقرؤه محمد

(٤٨) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٥٥.

(٤٩) أنوار التنزيل ١ / ٣٩٢.

((هو الحق)) المنزل: ((مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ)) مؤلم على إنكاره قاله النَّضْرُ أو غيره استهزاء وإيهاماً إنه على بصيرة وجزم ببطلانه^(٥٠). والمعنى: إن كان هذا القرآن حقاً منزلاً فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو اثبتنا بعذاب أليم سواه، والمراد منه التهكم، وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً^(٥١). فقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]. لأن العذاب إذا نزل عمّ، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها^(٥٢). ف ((اللام)) لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم تعذيب استئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه^(٥٣).

٤. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا

(٥٠) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق).

(٥١) أنوار التنزيل ١ / ٣٩٢.

(٥٢) ينظر: أنوار التنزيل ١ / ٣٩٣. وبهامشه (تفسير الجلالين).

(٥٣) ينظر: أنوار التنزيل ١ / ٣٩٣. وبهامشه (تفسير الجلالين).



من طين متحجر لقوله -حجارة من طين -وأصله (سك كل) فعرب، وقيل أنه من (أسجله) إذا أرسله، أو أدرّ عطيته^(٥٤).

وقال الخليل: السَّجِيلُ: حجارة كالمدر، وهو حجرّ وطين، ويفسر أنّه معرّب دخيل، ويقال: هذا الشيء مسجل للعامّة، أي: مرسل من شاء أخذه أو أخذ منه^(٥٥). وقيل: هو (سَنُكٌ وكل)، أي: حجارة وطين^(٥٦). قال أبو اسحق: للناس في السَّجِيلِ أقوال، وفي التفسير: أنها من جَلّ وطين، وقيل: من جَلّ وحجارة. وقال أهل اللغة: هذا فارسي معرب، والعرب لا تعرف هذا، وقال الأزهري: والذي عندنا، والله أعلم، أنه إذا كان التفسير صحيحاً فهو فارسي أعرب لأن الله تعالى قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط فقال: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [سورة الذاريات: ٣٣]، فقد بين للعرب ما عني بـ (سجيل). وقال أبو عبيدة: (من

(٥٤) أنوار التنزيل ١/ ٤٧٦، ٤٧٧.

(٥٥) العين ٦/ ٥٤.

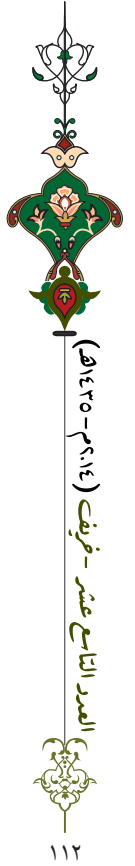
(٥٦) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤، واللسان (سجل).

حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [سورة هود: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [سورة الحجر: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^(٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [سورة الفيل: ٣-٤].

أ. الآية (٨٢) من سورة هود تبين لنا أمر الله (عذابه) في قوم لوط بعد أن جاءه المرسلون، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا أو أمرنا به، ويؤيده الأصل، وجعل التعذيب مسبباً عنه، بقوله ((جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا)) فإنه جواب لـ ((ما)) وكان حقه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون به، فأسند إلى نفسه من حيث أنه المسبب تعظيماً للأمر، فإنه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب، وصياح الديكة ثم قلبها عليهم ((وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ)) على المدن أو شذاها ((حجارة من سجيل))



سجيل) تأويله كثيرة شديدة^(٥٧).

وقال النحاس: ((جعلنا عاليها سافلها)). مفعولان، حكى أبو عبيد عن الفراء: أنه قد يقال لحجارة الأرحاء (سجيل)، وحكى عنه محمد بن الجهم: أن سَجِلاً طين يطبخ حتى يصير بمنزلة الأرحاء، ((منضود)) من نعت سجيل^(٥٨). وقيل: أصله من (سجين) أي من جهنم، فأبدلت نونه لآماً^(٥٩). وقال السيوطي: ((حجارة من سجيل)) طين طبخ بالنار^(٦٠). أما ((منضود)) أي: نضد نضداً معداً لعذابهم، أو نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار، أو نضد بعضه على بعض وألصق به^(٦١).

ب. أما قوله تعالى في الآية (٧٤) من سورة الحجر. فهو وصف عذابه سبحانه قوم لوط، قال تعالى في الآية (٧٣) من السورة نفسها: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ

(٥٧) ينظر: اللسان (سجل).

(٥٨) إعراب القرآن ٢ / ١٠٦.

(٥٩) أنوار التنزيل ١ / ٤٧٧.

(٦٠) ينظر: تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق).

(٦١) ينظر: أنوار التنزيل ١ / ٤٧٧.

الصَّيْحَةَ﴾ يعني صيحة هائلة مهلكة، وقيل: صيحة جبريل عليه السلام ((مُشْرِقِينَ)) داخلين في وقت الشروق ((فجعلنا عاليها)) عالي المدينة أو عالي قراهم ((سافلها)) صارت منقلبة بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل^(٦٢).

فقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾. نصب على الحال. وأشرقوا صادفوا شروق الشمس أي طلوعها. و((عاليها)) مفعول أول، و ((سافلها)) مفعول ثان ((من سجيل)) صفة للحجارة^(٦٣).

ج. أما قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [سورة الفيل: ٣ - ٤].

فقصتها معروفة، ذلك أن الله سبحانه، أرسل على جيش أبرهة حين توجهوا لهدم الكعبة طيراً: خرجت من

(٦٢) ينظر: السابق ١ / ٥٤٥.

(٦٣) ينظر: إعراب القرآن ٢ / ٢٠١، إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٤٤.



الحجر والحجارة في القرآن الكريم..... البصباح

جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: هو اسم للجمع (٦٦).

وقال النحاس: وأصح ما قيل في واحد الأبايل ما قاله محمد ابن يزيد، قال: واحدها (إبيل) ك (سكين) و(سكاكين). ومعروف في كلام العرب (جاءوا أبايل) أي جماعة بعد جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة. مشتق من (أبل) عليه إذا كثر وجمع، ومنه سميت بـ (الإبل) لعظم خلقها (٦٧).

((تَرْمِيهِمْ)) فعل مضارع والهاء والميم مفعول بهما، والأصل (تَرْمِيَهُمْ) فاستثقلوا الضمة على الياء فحزلوها (٦٨). وهي في

(٦٦) ينظر: المصدر السابق، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٨٤٤، وإملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٩٤.

(٦٧) إعراب القرآن ٣ / ٧٧١.

(٦٨) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤. وقال مكّي بن أبي طالب القيسي: إذا وقفت على راء مكسورة وقفت بالترقيق، كما كانت في الوصل إذا رُمّت الحركة، لأنك قد أبقيت من الحركة بقية توجب ترقيق الراء، وهو بعض الكسر الذي كان على الراء، فإن وقفت بالإسكان، وقبلها كسرة، وقفت أيضاً بالترقيق، كما تُرقق الساكنة، إذا كان قبلها كسرة.. وبالتغليظ إن أسكنت لأنها تصير ساكنة قبلها فتحة مثل: (ترميمهم).

البحر خُضراً طوال الأعناق، في منقار كل طائر حَجْرٌ نحو الفولة، وفي كفه حجر وفي الأخرى حجر، فكان الطائر يرمي ويرسل حجره على من قد أرسله إليه فلا يخطئ رأس صاحبه، فيدخل في هامته ويخرج من دُبْرِهِ فيموت. قال ابن عباس: وإذا أرسل الله تعالى على قوم عذاباً لم يفلتهم، فما أفلت منهم إلا سائس الفيل أو قائده. فقيل له: ما وراءك؟ فقال: أتت طيرٌ مثل هذا، وأشار إلى طائر في الهواء، وكان الطائر قد اتبعه بحجر فأرسله عليه فقتله (٦٤).

فقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾. ((أبايل)) نعت للطير أي: جماعات، واحدها (إبُول) مثل (عَجُول) و(عجاجيل) (٦٥). وقيل: واحدها (إبيل) ك(سكين) و(سكاكين). وقيل: واحدها (إبَال) ك(دينار) و(دنانير). وقيل: هو

(٦٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٤، ١٩٥.

وينظر: أنوار التنزيل ٢ / ٥٧٦، وبهامشه (تفسر الجلالين).

(٦٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ١٩٣.

موضع نصب نعت لـ (طير)، وكذلك ((أبابيل)) نعت لطير كأنه قال: جماعات متفرقة^(٦٩).

وقوله تعالى ﴿بِحِجَارَةٍ﴾ جُرَّ بالباء الزائدة. وواحد الحجارَة (حَجْر)، وهو جمع غريب، ((من سجيل)) جُرَّ بـ (من). والسَّجِيل الشَّدِيد، وقيل: حَجْرٌ وَطِينٌ^(٧٠).

٥. قال الله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [سورة الذاريات: ٣٣].

لما علم إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة ﴿قَالَ فَاخْطَبُكُمْ أَنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٣١]. وأنهم لا ينزلون مجتمعين إلا لأمر عظيم سأل عنه.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ الآية (٣٢). يعنون قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ يريد السجيل فإنه طين متحجر^(٧١). وقال السيوطي: مطبوخ بالنار^(٧٢). فقوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾

ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢١٦ / ١.

(٦٩) مشكل إعراب القرآن ٢ / ٨٤٤. وينظر: إملاء مامن به الرحمن ٢ / ٢٩٤.

(٧٠) السابق ص ١٩٤.

(٧١) أنوار التنزيل ١ / ٤٢٢.

(٧٢) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق).

أي: لنمطر عليهم.

﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ (الآية ٣٤) في معناه قولان: أهل التأويل على أن معناه مُعَلِّمَةٌ. قال ابن عباس: يكون الحجر أبيض وفيه نقطة سوداء، ويكون الحجر أسود وفيه نقطة بيضاء. والقول الآخر: أن يكون معنى ((مُسَوَّمَةٌ)) مرسلَةٌ، من سَوَّمَت الإبل (للمسرفين) أي: للمتعددين لأمر الله جلّ وعز^(٧٣).

٦. قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٠].

وذلك إن المشركين بعد أن مثلوا الرسول ﷺ بالشاعر، والساحر، والكاهن، والمجنون ((فَصَلُّوا)) عن الحق في جميع ذلك ((فلا يستطيعون سبيلاً)) إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتهير في أمره لا يدري ما يصنع ((وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا)) حطاماً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً)) على الاستنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي وبيوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعمل في ((إذا)) (ما دل عليه مبعوثون

(٧٣) إعراب القرآن ٣ / ٢٣٩.



الحجر والحجارة في القرآن الكريم..... البصائر

لأنفسه، لأن ما بعد ((أن)) لا يعمل فيما قبلها و((خلقاً)) مصدر أحوال. ((قُلْ)) جواباً لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه

أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر على إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوثة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل، والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (٧٤).

٧. قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم: ٦].

يا أيها الذين آمنوا ((قُوًا أَنفُسُكُمْ)) بترك المعاصي، وفعل الطاعات ((وَأَهْلِيكُمْ)) بالنصح والتأديب (٧٧). ف ((قُوًا)) فعل قد اعتل فاؤه ولامه، فالفاء محذوفة لوقوعها بين ياء وكسرة في قولك: (يقي) على مذهب البصريين. وقال الكوفيون: إنما حذفت للفرق بين الفعل المتعدي وغير المتعدي، فحذفت في (يعد) و(يقي) لأنه متعد، وثبتت في (يوجل) لأنه غير متعد، ويلزمهم أن لا يحذفوا في (يرم) و(يثق) لأنها غير متعديين، ولا بد من الحذف فيهما. و(اللام) محذوفة لسكونها وسكون الواو بعدها، والنون

إن منكري البعث، قالوا: ﴿أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٩] فكان جوابه سبحانه وتعالى، قل لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم (٧٥). وقال النحاس: أي توهموا ما شئتم فلا بد من أن تموتوا وتبعثوا. وكانت هذه الآيات من أعظم الدلائل على نبوة النبي ﷺ. قال الله جل وعز: ﴿فَسَيَقُولُونَ

(٧٦) إعراب القرآن ٢ / ٢٤٤.

(٧٤) أنوار التنزيل ١ / ٥٨٧.

(٧٧) أنوار التنزيل ٢ / ٤٨٧.

(٧٥) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق).

• الصَّبَاغ

أ.د. محمد عبد المطلب البكاء

محدوفة للبناء عند البصريين، وللجزم عند الكوفيين^(٧٨).

وقرى ((وأهلوكم)) عطفاً على واو ((قُوا)) فيكون ((أنفسكم)) أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين ((ناراً وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)) تتقد بها اتقاد غيرها بالحطب^(٧٩). وقال السيوطي: وقودها ((الناس)) الكفار ((والحجارة)) كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب وغيره^(٨٠). و(ناراً) مفعول ثان ((وقودها الناس)) مبتدأ وخبره في موضع نصب نعت للنار ((والحجارة)) عطف على الناس^(٨١).

وختلاصة الأمر:

نرى أن (الحَجَر) الذي جاء ذكره في الآيتين الكريمتين [سورة البقرة: ٦٠] [سورة الأعراف: ١٦٠]. وكان رمزاً

(٧٨) مشكل إعراب القرآن ٢ / ٧٤٣، ٧٤٤. وينظر: إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٦٥، إعراب القرآن ٣ / ٤٦٣. (٧٩) أنوار التنزيل ٢ / ٤٨٧. (٨٠) تفسير الجلالين (هامش المصدر السابق). (٨١) إعراب القرآن ٣ / ٤٦٥.

للخير، لأن (الماء) سرّ كل شيء حي. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].

أما الحجارة في سائر الآيات البيئات الأخرى فقد دلت على معنيين هما:

أ. (القسوة) في القلب، قال الله تعالى مخاطباً اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [سورة البقرة: ٧٤] أراد سبحانه صلابته الحجارة أو أشدّ منها، وذلك بعد نقضهم الميثاق، وتحريفهم الكلم عن مواضعه، قال تعالى ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِنْ مِيثَاقِهِمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة: ١٣].

قال النحاس: ((ف(ما)) زائدة للتوكيد و((نقضهم)) مخفوض بالباء، ويجوز رفعه في غير القرآن، أي فالذي هو نقضهم. ((يحرفون الكلم عن مواضعه)) أي يتأولونه على تأويله و((يحرفون)) في موضع نصب أي: جعلنا قلوبهم قاسية محرفين، قيل: معنى جعلنا قلوبهم قاسية وصفناهم بهذا))^(٨٢).
(٨٢) السابق ١ / ٤٨٦.



الحجر والحجارة في القرآن الكريم..... البصباح

[سورة هود: ٨٢] [سورة الحجر: ٧٤] [سورة الذاريات: ٣٣] [سورة الفيل: ٣ - ٤].

أما مشركو قريش الذين قالوا هذا القول للنبي ﷺ: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ إن كان هذا هو الحق من ربك، فقد قالوه على وجه الدفع له، والتهكم، والجزم على كونه باطلاً، والنبي بين أظهرهم. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

وفي عذاب الآخرة فإن وقود النار التي وعد الله هي (الناس والحجارة) أعدت للكافرين..

المصادر والمراجع:

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه-د. خديجة الحديثي، مكتبة النهضة-بغداد ط١، ١٩٦٥.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم -لابن خالويه، دار ومكتبة الهلال -بيروت ١٩٨٥.
- إعراب القرآن -لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني -بغداد ١٩٨٠.

قال الزجاج: ((لَعَنَّاهُمْ)) أي باعدناهم من الرحمة، وجعلنا قلوبهم قاسية أي يابسة^(٨٣). ثم قال في آية أخرى: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]. قال محمد بن يزيد، يقال: قسا إذا صُلِبَ، وكذلك عتا وعسا مقاربة لها، وقلبٌ قاسٍ، أي صُلِبَ لا يرق ولا يلين^(٨٤).

إن وصف ((الحجارة)) ب((القسوة)) يظل السمة الغالبة، ذلك أن القسوة هي الصلابة في كل شيء^(٨٥). والتي لا ينقضها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]. ذلك أن (من) ههنا تفيد التبعض.

ب. العقاب الإلهي في الدنيا، وفي الآخرة. ففي قصة لوط عليه السلام جعل الله سبحانه عالي القرى سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، وكذلك الحال مع جيش أبرهة. تنظر: الآيات

(٨٣) معاني القرآن ٢ / ١٧٤.

(٨٤) إعراب القرآن ٢ / ٨١٦.

(٨٥) العين ٥ / ١٨٩.

- إملاء مامن به الرحمن - لأبي البقاء العكبري، البابي الحلبي - مصر ط ٢، ١٩٦٩.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي الخير البيضاوي (وبهامشه تفسير الجلالين: السيوطي والمحلى) مطبعة البابي الحلبي - مصر ط ٢، ١٩٦٨.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية - بغداد - ٢٠٠٠.
- الجمان في تشبيهات القرآن - لابن نايقا البغدادي، تحقيق د. مصطفى الصاوي، منشورات مكتبة المعارف - الإسكندرية ١٩٧٤.
- ديوان ذي الرمة - جمع بشير يموت، المكتبة الأهلية - بيروت ١٩٣٤.
- شرح ديوان ابن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٢.
- شرح ديوان الفرزدق، شرح وجمع عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي - مصر ١٩٣٦.
- العين - للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي و د.
- إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٠ - ١٩٨٥.
- كتاب سيويه - تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.
- الكشف عن وجه القراءات السبع - مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤.
- لسان العرب - لابن منظور - دار صادر - بيروت (ب.ت).
- مجمل اللغة - لابن فارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ ١٩٨٤.
- مشكل إعراب القرآن - مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام - بغداد ١٩٧٥.
- معاني القرآن وإعرابه - للزجاج، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شبلي، المكتبة العصرية - بيروت ط ٣، ١٩٧٢.



وَقَدْ جَاءَكَ الْبُرْهَانُ
بِآيَاتٍ مُبِينَاتٍ
وَالْحَقُّ أَكْبَرُ
مِن كُلِّ مَلْأُونَةٍ
مُتَّبِعِينَ
وَالْحَقُّ أَكْبَرُ
مِن كُلِّ مَلْأُونَةٍ
مُتَّبِعِينَ



۶۸۳۱
کتابخانه

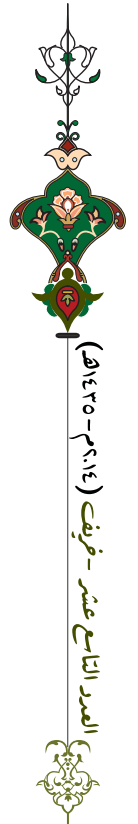
أَلْحُرِّيَّةُ فِي الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

(مواقف قرآنية)

الشيخ عبد الجليل أحمد المراني
الهفوف - المملكة العربية السعودية

فحوى البحث

يدور البحث حول إثبات حرص الإسلام الحنيف على رعاية حرية الانسان، المسلم وغير المسلم، في اختيار منهجه في الحياة مع الدعوة النشطة لحسن الاختيار وإعمال العقل لرسم التوجه العَقْدِي له، ومن ثم الوقوف السليم من الاستبداد والظلم والدفاع عن النفس، وممارسة الجهاد ضد الذين يحاولون الانحراف بالرعية الى نسيان حقهم في الحرية الاجتماعية والسياسية، مستفيداً في كل هذه المباحث من آي الذكر الحكيم التي نجد انها كافية لرسم صورة الموقف باصدق قول.



الحرية في المنظور الاسلامي البصباح

- يعدّ بحث الحرّية من أهمّ البحوث المطروحة في الفكر العالمي والإنساني المعاصر، ولا شك في أنّ هذه المسألة من المسائل الجوهرية التي يعيشها المجتمع الإسلامي على الصعيدين الفكري والنظري كما يعيشها على الصعيدين الواقعي والاجتماعي؛ وذلك لأنّها من الأمور الفطرية التي يتجسّد فيها تكريم الإنسان بالعقل وحرّية الاختيار.
- ولا نبالغ إذا ما قلنا: إنّ المجتمعات الإسلامية في وقتنا الحاضر تعدّ -وبحق- من أكثر المجتمعات الإنسانية العالمية؛ التي جعلت أول مقاصدها محاربة الاستبداد والطاغوت بشتى أشكاله وأنواعه؛ وذلك لأنّ الشريعة الإسلامية هي المحكّمة لسنن الله في الخلق، والمتكفّلة بتطبيق القانون الإلهي الذي لا يساوره أدنى شك ولا تعتريه أية شبهة ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، والملزمة نفسها بمقاومة الظلم ومقارعة الباطل بكافة صورته وألوانه؛ حيث لا يمكن أن يبدع الإنسان ويرقى إلى أعلى مراتب سلّم الكمال، وينعم في أجواء الفكر والحرّية إلاّ بعد أن يخرج بما
- أوتي من عقل وعنفوان على عساكر الجهل والاستبداد المتوقعة في برائن النفس والأنا؛ ليتوصل حينها إلى نهضة علمية معرفية تؤهله لأنّ يعيش الحياة الكريمة التي أرادها الله تعالى له، ويمارس دوره كخليفة في هذه الأرض؛ لأنّ ﴿اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١].
- وعليه فإذا ما أراد هذا الإنسان أن يغيّر مجرى التاريخ لصالح البشرية جمعاء، ويستفيد من القابليات والمؤهلات التي وهبها له سبحانه وتعالى فلا بدّ أن يبدأ بنفسه أولاً وبالذات؛ فيسعى جاهداً إلى تغيير مسارها نحو كلّ ما من شأنه أن يرفع من قدرها ويساهم في كمالها ورقّيتها، وفي الوقت نفسه يسعى لترويضها على تحمّل مسؤولياتها وما أنيط بها من فرائض وواجبات ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق: ٦]، وبالتالي الذوبان في إرساء قواعد المجتمع الصالح ورفع الأسس الإنسانية والروحية فيه.
- لذا حينما يُراد الاطلاع على بعض

المسائل المهمة والحرجة في مجتمعنا المسلم كمسألة الحرّية والاختيار مثلاً، ودراستها دراسة وافية ومستوعبة، ينبغي أن لا يغفل الباحثون والمفكّرون المسلمون بكافة طوائفهم ومذاهبهم النصّ الديني من القرآن والسنة ويعتمدوا في ذلك على المذاهب الفلسفيّة والحقوقية المعاصرة أو القديمة؛ لأنّ هذا يعدّ تشويهاً ممنهجاً في دراسة إشكاليّة مفهوم الحرّية وتحليلها واتخاذ الموقف الصحيح والمناسب منها.

مفهوم الحرّية

في الفكر الإنساني والديني

إنّ الحرّية مفهوم ذو شفافية يتميّز عن الكثير من المفاهيم الأخرى، وهذه الشفافية هي التي تجعل النفوس تخلّق معها وتعموم في فضائها الرحب. وفيما تطلق الحرّية كبقية المفاهيم فإنّها تبدو للوهلة الأولى من المفاهيم الواضحة التي لا تحتاج إلى تعريف خاص، ولكن بالنظرة التأمليّة التحليليّة يمكننا أن نجد لها تعريفاً أو تعاريفَ عدّة يعبر كلُّ واحد منها عن زاوية من زواياها المختلفة، وهذا ما سيظهر لنا من خلال عرض مجموعة من التعاريف

الخاصة بها وبيان بعض جوانبها. لقد ذكر (آيزا برلين) أحد الباحثين والمفكّرين الغربيّين بأنّ هناك أكثر من (٢٠٠) تعريف طرح في الآونة الأخيرة لمفهوم الحرّية، وهو أمر باعث على الاستغراب والتعجب^(١)؛ حيث عرّفها (جون لوك)^(٢) بقوله: ((الحرّية هي القدرة والطاقة اللتان يوظفهما الإنسان لأجل القيام بعمل معيّن أو تركه))^(٣).

فيما عرّفها (جون استوارت ميل)^(٤) بأنّها ((عبارة عن قدرة الإنسان على السعي وراء المصلحة التي يراها بحسب منظوره،

(١) انظر: أربعة مقالات حول الحرية - آيزا برلين - ترجمة محمد علي موحد.

(٢) جون لوك: فيلسوف تجريبي ومفكّر سياسي إنجليزي (١٦٣٢ - ١٧٠٤م)، كان محطّ إعجاب الكثير من الأمريكيّين خصوصاً ما طرحه في كتابه (رسالتان في الحكم)، حيث قال فيه: إنّ الوظيفة العليا للدولة تكمن في حماية الثروة والحرية، ويجب على الشعب تغيير الحكومة أو تبديلها في حال عدم حفظها لحقوق الشعب وحرّيته.

(٣) تحليلي نوين از آزادي - موريس غرنستون - ترجمة جلال الدين أعلم / ١٣.

(٤) جون استوارت: فيلسوف بريطاني في الاقتصاد (١٨٠٦ - ١٨٧٣م)، ومن كبار أهل العلم والمعرفة في القرن الثامن عشر.



الحرية في المنظور الإسلامي

المصباح

أصبح من القضايا الضرورية في تحقيق الحرية المقبولة.

بينما أشار آية الله جوادى الأملى إلى أن: ((الحرية من المنظور الإسلامي عبارة عن التفلت والتحرر من عبودية وإطاعة غير الله تعالى))^(٧). وبعبارة أخرى: إن الحرية وبحسب المنظور الإسلامي هي تلك الحقوق والواجبات التي من خلالها يصبح الفرد مرتبطاً بالآخرين، ومن خلالها أيضاً يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات فلا يكون انفرادياً في تعامله، أنانياً في أفكاره وتطلعاته.

والحرية من هذا المنظور لا تعني ارتكاب الموبقات واستباحة محارم الأمة وإطلاق العنان للنفس بأن تفعل ما تشاء من دون أي رادع أو وازع؛ لأن الحرية التي تجعل الفرد عبداً لمن هو نظير له في الخلق، أو عبداً لشهواته ونزواته ما هي إلا فوضى عارمة تحرق الحرث والنسل وتترك الأرض بلقعا لا شيء فيها يُحمد.

وقبل أن نتناول هذه المسألة في أبعادها

شريطة أن لا تكون مفضية إلى إضرار الآخرين))^(٥).

ويبدو أن هذا التعريف قد لوحظت فيه الجوانب الإيجابية المنتجة والمقبولة عقلائياً؛ بغية الوصول إلى تحصيل السعادة على الصعيد المجتمعي العام أو الصعيد الفردي الخاص التي لا تتراحم مصالح الآخرين ولا تتجاوز على حقوقهم أو تضطهد آراءهم وأفكارهم، وهذا ما يدل عليه قوله: ((شريطة أن لا تكون مفضية إلى إضرار الآخرين)).

وعرفها (كانت) بأنها: ((عبارة عن استقلال الإنسان عن أي شيء إلا عن القانون الأخلاقي))^(٦).

وهذا التعريف هو الآخر قد أخذ السبب نفسه الذي تبناه (جون استوارت ميل)؛ حيث اشترط فيها عدم الاستغناء عن القانون الأخلاقي الذي يشمل طبقات المجتمع بكافة أشكاله؛ لأنه يرى أن مراعاة هذا القانون لا سيما تطبيقه

(٥) رسالة آزادي - جان استوارت ميل - ترجمة جواد شيخ إسلامي.

(٦) تحليلي نوين از آزادي - موريس غرنستون - ترجمة جلال الدين أعلم / ١٣.

(٧) فلسفة حقوق بشر - آية الله جوادى الأملى / ١٨٩.

الحساسة والمهمة لا بد لنا من الإشارة إلى زوايا الموضوع من منظور الفكر الإسلامي وما دلت عليه النصوص القرآنية الشريفة.

الحرية في المجال التشريعي

ونقصد بذلك ما يسميه الأصوليون والفقهاء دائرة المباح أو المباحات الشرعية؛ فالأحكام الإسلامية تدور بين الإباحة والإلزام، وهذا الأخير إما أن يقتضي وجوب شيء معين وثبوته في ذمة المكلف، وإما تحريم شيء ومنعه عليه. وأما المباح فهو ما أجازته الشارع المقدس للمكلف وجعل له حق الاختيار في فعله وعدمه، وهذا ما يُعبر عنه بمعنى الحرية في السلوك العام وتصرفات المكلف. إذاً فالمباح هو نوع من الحرية التشريعية، وهو نقطة امتياز وقوة في الشريعة الإسلامية.

ولكن يبقى هناك تساؤل مطروح ربما انقح في ذهن الكثير من الناس، وهو - من نظر الشارع - هل يمكن أن يكون الفرد في المجتمع الإسلامي حرّاً بحيث يمكنه ارتكاب أي منكر من دون أن يعترض عليه أحد من المشرعة أو يحول بينه وبين المخالفة واحد من الحقوقيين، أو لا؟.

وعليه فإذا لم يكن حرّاً على حسب الفرض الثاني فيا ترى ما هي الحدود التي لا ينبغي للفرد تخطيها وتجاوزها؟. ومن هو المسؤول عن تحديدها ورسمها وبيانها؟.

وبالرجوع إلى الشريعة الإسلامية نجد أنها قد فرضت هذا الأمر على مرحلتين؛ مرحلة ما قبل البلوغ، ومرحلة ما بعده، وبما أن السؤال متوجّه نحو المرحلة الثانية التي يكون فيها الفرد قادراً على ممارسة مثل هذه الأفعال، وفي الوقت نفسه يكون فيها مسؤولاً عن تحركاته وتصرفاته، فإننا سنقتصر على الجواب بما يرتبط بهذه المرحلة، وهي المرحلة التي يكون فيها الفرد بالغاً ورشيداً، فنقول:

إنّ الأمر فيها قد يكون واضحاً وجليّاً؛ لأنّ الإنسان حينما يصل إلى مرحلة البلوغ والرشد فإنّ الشرع المقدس يتكفل بتوجيهه إلى الحرية الحقيقية القائمة على احترام الحقّ الفطري، واستخدام نعمة الإدراك والبيان، ومن ثمّ التطلّع إلى تكوين المجتمع المتكامل؛ حيث يعدّه في هذه المرحلة مسؤولاً إزاء ما ينبغي فعله ولا يجوز تركه، وما لا ينبغي فعله أبداً.



وهتك المقدسات، والتظاهر بالمنكرات، والإقدام على ما يخالف مصلحة النظام... إلخ. والذي يدخل ضمن تحقيق القصاص العادل.

ولكن يبقى هناك شيء آخر في هذا المقام نرى من الضروري الإشارة إليه والتذكير به، خصوصاً بما يرتبط بالعصر الحاضر بعد أن تعالت الأصوات باسم الدفاع عن حقوق الإنسان، حيث يزعم البعض أن القصاص المُشرَّع في الإسلام مخالف لأمرين:

الأمر الأول: مخالفته لحكم العقل الذي يُدعى في هذه الشريعة أنه موافق لحكم الشرع، وأحد الأدلة في استنباط الأحكام الشرعية، فإذا ما تأملنا حكم القصاص فإننا نجده مذموماً عقلاً؛ باعتباره عملية قتلٍ وزهقٍ لروحين من الجنس البشري.

صحيح أن القاتل قد أخطأ بارتكابه جريمة بشعة يابها العقل نفسه ويذمها المجتمع؛ إلا أنه في الوقت نفسه إنسان له مكانته ودوره في الحياة، وعليه فهدر دم لا يستوجب هدر دم آخر بالمثل.

فكما يطالبه الشرع بتحقيق الارتباط بينه وبين الله تعالى عن طريق أداء ما فرضه عليه من أفعال عبادية خاصة في مرحلة الامتثال، فإنه في الوقت نفسه لا يقبل منه أي نوع من أنواع التقصير أمام المسؤولية التي أناطها به وجعلها على عاتقه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦].

وهذا لا يعني إعطاء المجوز الشرعي لممارسة القهر والجبر من قبل الجهات القانونية والحقوقية والشرعية في مجال الواجبات والمحرمات بنحو مطلق؛ لأن الأحكام الشرعية تارة يناط تحقيقها وتطبيقها بالحكومة الإسلامية، وأخرى لا تناط بها. ففي الوقت الذي تكلف فيه هذه الحكومة بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لا يجوز لها ممارسة القتل أو الجرح أو التحكّم بالحريات، نعم يجوز لها ذلك في الحالات التي تستتبعها مفسد اجتماعية؛ كالتعدي على حقوق الآخرين،

الأمر الثاني: مخالفته لقانون حقوق الإنسان الذي تحاول المنظمات الإنسانية الدفاع عنه والحفاظ عليه بواسطة منع أحكام الإعدام والقصاص؛ وذلك من خلال مطالبة منظمة الأمم المتحدة بإصدار قوانين ومذكرات تدين عقوبة القصاص والإعدام بحق المجرم.

والجواب عن كلا الأمرين يتضح من:
أولاً: أن من تدبر أمر القصاص وحكمة تشريعه فإنه سوف لن يحكم بمخالفته لحكم العقل التي جاء بيانها في قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]. إذا فاقضاء الحكمة الإلهية لتشريع القصاص هو عدم انتشار الفساد في الأرض وتفشيهِ بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

وبالتدبر في هاتين الآيتين يتضح لنا الهدف والغاية من تشريع حكم القصاص، وهو المحافظة الجادة على حياة هذا الإنسان

الذي كرمه الله تعالى وجعله خليفته في هذه الأرض.

وهذه المحافظة يمكن بيانها من جهات ثلاث:

أ. إن القاتل إذا ما علم أن نتيجة فعلته هذه ستؤول إلى قتله بالاقتصاص منه فإنه لا يمكن أن يقدم على ارتكاب مثل هذا الخطأ الكبير بحقه وحق المجتمع، وبالتالي سيكون حكم الاقتصاص رادعاً له عن ارتكاب مثل هذه الجريمة.

ب. إن الاقتصاص من القاتل نفسه سوف يؤدي إلى إيقاف نزف الدم بعد ذلك؛ لأن قتله يكون سبباً في إخماد فتيل الغضب والانتقام بين عشيرة المقتول وعشيرة القاتل، وبالتالي لا يطال الآخرين من ذوي القاتل وأقربائه القتل بسببه.

ج. لقد أثبتت الدراسات الخاصة بعلم النفس وسلوك الإنسان أن من يتجرأ على القتل مرة واحدة إن لم يُزجر ويُردع عن فعلته هذه فمن الممكن أن يرتكبها مرة ثانية وثالثة، بل أثبت أن



الحرية في المنظور الاسلامي البصائر

هي أول ما يُقضى فيها بين الناس يوم القيامة))^(٨).

ثمَّ يقول: ((وقد شرع الله سبحانه القصاص وإعدام القاتل انتقاماً منه، وزجراً لغيره، وتطهيراً للمجتمع من الجرائم التي يضطرب فيها النظام العام ويختل معها الأمن، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي

الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]. وهذه

العقوبة مقرّرة في جميع الشرائع الإلهية المتقدمة؛ ففي الشريعة الموسوية جاء بالفصل الحادي والعشرين من سفر الخروج: (أَنَّ مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ فليُقتل قتلاً، وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالاً فمن قدام مذبحي تأخذه ليُقتل، ومن ضرب أباه وأمه يُقتل قتلاً، وإن حصلت أذية فأعطِ نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن، ويدياً بيد، ورجلاً برجل، وجرحاً بجرح، ورضاً برض).

وفي الشريعة المسيحية يرى البعض أن قتل القاتل لم يكن من مبادئها... ويرى

(٨) الشيخ سيد سابق - فقه السنة ٢ / ٥١٠ - ٥١١.

من لم يُعاقب على مثل هكذا جرائم فليس ببعيد أن يرتكب القتل الجماعي كما هو عليه الآن في أغلب المجتمعات المعاصرة؛ إذ نرى أن أفراد العصابات المجرمة يقدمون على قتل أناس أبرياء عزّل بأبشع الصور من دون أيّ ذنب أو جريرة، فهل يا ترى أنّ الاقتصاص من هؤلاء القتلة وتطهير الأرض والمجتمع منهم يُعدّ هدراً لدماء الإنسانية واستخفافاً بحقوق الإنسان، أو هو تحقيق لأمن وسلامة الإنسانية جمعاء؟!.

قال أحد العلماء المعاصرين: ((ومن أبلغ ما يُتصور في التشنيع على القتلة بالإضافة إلى ما سبق أنّ الإسلام اعتبر القاتل لفرد من الأفراد كالقاتل للأفراد جميعاً، وهذا أبلغ ما يتصور من التشنيع على ارتكاب هذه الجريمة النكراء. يقول سبحانه: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ

أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

ولِعَظَمِ أمرِ الدماءِ وشدةِ خطورتها كانت

البعض الآخر أن الشريعة المسيحية عرفت عقوبة الإعدام؛ مستدلاً على ذلك بما قاله عيسى عليه السلام: (ما جئتُ لأنقضَ الناموسَ، وإنما جئتُ لأتمم).^(٩)

وقد تأيد هذا النظر بما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَكَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾^(٩).

قال السيد الأردبيلي حول الآية الثانية والثلاثين من سورة المائدة ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، ((أي بسبب قتل قابيل هابيل قضينا على بني إسرائيل، وبتنا لهم حتى يعلموا ولم يقع منهم مثل ما وقع منه، ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، أي بغير قتل نفس يوجب القصاص، ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، قيل: كالشرك وقطع الطريق، أو إشارة إلى أن أحدهما

كاف لجواز القتل، وأن في التحريم لا بد من نفيها... ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾؛ من حيث إنه هتك حرمة الدماء، وسن القتل، وجرأ الناس عليه، أو من حيث إن قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله تعالى والعذاب العظيم. ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو عن قصاص، ومنع عن القتل، أو استنقاذ عن بعض أسبابه؛ مثل الحرق والغرق، فكأنما فعل ذلك بجميع الناس، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها^(١٠).

ثانياً: إن هناك أهدافاً كثيرة يسعى الدين الإسلامي إلى تحقيقها من خلال إجراء حكم القصاص، من بينها ما يوضحه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]، مضافاً إلى أن هناك فرقاً كبيراً بين القصاص بالحقّ المُشرع من قبل الدين الإسلامي، وبين حكم الإعدام



(١٠) السيد أحمد الأردبيلي، زبدة البيان/ ٦٦٦ .٦٦٧

(٩) الشيخ سيد سابق - فقه السنة ٢ / ٥١١ - ٥١٢ .

الحرية في المنظور الاسلامي

المصباح

الذي تقوم به بعض المحاكم المدنية طبقاً للقوانين الوضعية.

فالشريعة إنما تقوم بتطبيق هذا الحكم حفظاً منها للبشرية، وحرصاً عليها من الضياع والتشتت بسبب التجاوز على حقوق الآخرين، وانتشار الجريمة التي لا يبقى معها مكان للأمن والاستقرار، خصوصاً إذا أمن المجرم العقوبة، وكما يقال: (مَنْ أَمِنَ الْعُقُوبَةَ أَسَاءَ الْأَدَبَ). وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَمْ يُؤْخَذْ لضعيفها من قوتها بحقه غير مُتَعَتِعٍ»^(١١)..

إذاً فعقوبة القصاص في الدين الإسلامي ما شرعت إلا لزرع روح الحياة والأمن والسعادة في نفس الإنسان، لذا ينبغي أن يكون الدواء من جنس الداء؛ وذلك عن طريق إبعاد القاتل عن المجتمع وحرمانه الحياة كما حرم المقتول منها.

ولا يخفى أن التشبيه في قوله تعالى:

﴿أَنَّهُ، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ﴾ يدل

على اهتمام الإسلام بالنفس الإنسانية

(١١) الكافي، الشيخ الكليني / ٥ / ٥٦.

وعظم جريمة القتل؛ وذلك لأنَّ حقَّ الحياة مقدَّس، وهو حقُّ ثابت لكلِّ فرد من أفراد المجتمع على حدِّ سواء، ولأجل هذا عدَّت الآية الشريفة قتلَ نفس واحدة بمثابة قتل الناس جميعاً؛ لأنَّه تعدُّ صارخاً على الإنسانيَّة كلها.

وعليه فمن الضرورة بمكان أن تكون هناك روادع وحواجز تمنع من ارتكاب هذه الجرائم البشعة بحقِّ الإنسان وتحول بينها وبين وقوعها في المجتمع. ومن هذه الروادع هو إقرار حكم القصاص بحقِّ الجاني المعتدي دون غيره من الجناة الذين قد يرتكبون جريمة القتل خطأً أو شبه العمد؛ فهؤلاء لا يؤاخذون بالقصاص، بل هناك أحكام خاصة بكلِّ واحد منهم والتي منها دفع دية المقتول إلى ولي الدم^(١٢). قال العلامة الحلي: «إنَّ تعطيل الحدود يفضي إلى ارتكاب المحارم وانتشار المفساد، وذلك أمر مطلوب الترك في نظر الشارع»^(١٣).

(١٢) انظر: سيد سابق، فقه السنة / ٢ / ٥١٠.

(١٣) مختلف الشيعة، العلامة الحلي / ٤ / ٤٦٣ -

الحرية في المجال الاجتماعي:-

إن مفهوم الاستبداد والظلم والقهر والاضطهاد مخالف للحرية الإنسانية المكفولة لكل فرد من أفراد المجتمع أيّاً كان انتماءه ومذهبه، وهذه الكفالة موافقة حكم العقل والدين الإسلامي الحنيف.

من هذا البعد يمكننا أن نفهم حرية الإنسان في انتخاب الحاكم، وحرية في ممارسة السلوك الاجتماعي والديني المعين، بشرط ألا يكون مخللاً بالأمن العام، ولا مسبباً للتجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم الفردية والاجتماعية المشروعة.

ومن هذا المنطلق أيضاً يمكن طرح مسألة الحرية في التعبير التي كفلها الدين الإسلامي؛ حيث قام بتبيين معالمها وحدودها، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، وكما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل من أنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: أيّ الجهاد أفضل؟ قال: ((كلمة حقّ عند سلطان جائر))^(١٤).

فهناك بعض النفعيين والاستبداديين

(١٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ / ٣١٥.

ممن قوقع أفكاره ورؤاه في بوتقة ضيقة لا يرى فيها إلا نفسه قد استغل جانب الضعف والمسكنة عند الرعية؛ فسعى جاهداً إلى قهرهم واستعبادهم وإذلالهم، ظناً منه أنّه بهذه الطريقة وهذا الأسلوب يستطيع أن يملكهم ويتحكم بهم كيفما شاء.

وهذا الأسلوب - كما هو معلوم - لا يمت للإنسانية والفطرة السليمة بصلّة قبل أن يكون محرماً من قبل الشارع المقدّس.

ولكن ولأجل التخلص من مثل هكذا ممارسات شنيعة بحقّ الإنسان قام الدين الإسلامي بمحاربتها والتصدي لها بعد أن حضّ المسلمين جميعاً ودعاهم للوقوف بوجه كافة الانتهاكات والتجاوزات الصارخة على حقوقهم المشروعة؛ وذلك

من خلال الكلمة الهادفة والحقّة التي يمكنها أن تزلزل عروش الطواغيت والظلمة وتقضّ مضاجعهم أينما حلّوا وأقاموا، وفي الوقت نفسه أشار إلى أنّ من يكتنم هذه الكلمة يأثم قلبه ويتحمل الوزر

وتحلّ عليه اللعنة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ



مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ [سورة البقرة: ١٥٩]، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٧٤].

وإلى هذا أشار أحد الأعلام بقوله: ((من حقّ الإنسان أن يبين عن رأيه ويذلي بحجّته ويجهر بالحقّ ويصدع به، والإسلام يمنع من مصادرّة الرأي ومحاربة الفكر الحرّ إلّا إذا كان ذلك ضاراً بالمجتمع. ولقد كان الرسول ﷺ يبايع أصحابه على أن يجهروا بالحقّ وإن كان مرّاً، وعلى ألا يخافوا في الله لومة لائم، ويخبر الرسول ﷺ أنّ: الساكت عن الحقّ شيطان أخرس)) (١٥).

إذاً فالإسلام حينها ربط بين حرّية التعبير ومبدأ الحقّ فقد كسر حاجز الخوف والموانع النفسية السلبية، ولكن مع ذلك جعل لهذه الحرّية حدوداً وقيوداً عقلانية معيّنة، ولم يطلق للإنسان العنان ليفعل (١٥) الشيخ سيد سابق، فقه السنّة ٢ / ٦١١.

ما يشاء وما يحلو له، وعليه فلا يحقّ لأيّ فرد من أفراد المجتمع، إسلامياً كان هذا المجتمع أو علمانياً، أن يتحدّى مشاعر الآخرين ويتجاوز عليها تحت أية ذريعة أو عنوان أو غطاء من أغطية الحرّيات الزائفة؛ بحيث يتسنى له من خلال ذلك المساس بمقدّسات المجتمع والتجاوز على معتقداته وثوابته.

أمّا إذا كان النقد لجماعة معيّنة أو لكيان قائم في المجتمع ممّا لا بدّ منه فيجب أن يكون هذا النقد (بمقتضى هذه الحرّية) بمستوى النقد الموضوعي والبناء الذي يمكن أن ينتشل هذه الجماعة أو هذا الكيان من مستنقع الأخطاء التي يرتكبونها، لا النقد الهدّام الذي يحطّ من قدرهم ويسقطهم من أنظار الآخرين وبالتالي يجعلهم محطّاً للهوان والسخرية والاستهجان. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وقال أيضاً: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ

يُتَّبَعِ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿[سورة يونس: ٣٥].

إذا فالإسلام لا يسوغ السكوت على الضيم والخنوع للظلم والاستبداد، ولكن في الوقت نفسه لا يسوغ التجاوز على حقوق الآخرين والتعدي على مشاعرهم وجرح كراماتهم. قال الإمام الخميني قده: ((إنَّ حَرِيَّةَ الْقَلَمِ وَحَرِيَّةَ التَّعْبِيرِ لَا تَعْنِي حُرِّيَّتَهُمَا بِنَا فِيهِ خِلَافَ مَصْلَحَةِ الْبَلَدِ، أَوْ مَا فِيهِ خِلَافَ الثَّوْرَةِ الَّتِي قَدَّمَ الشَّعْبُ الدِّمَاءَ أَمَامَهَا، إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْحَرِيَّةِ لَيْسَ صَحِيحاً... إِنَّا نَحْتَرَمُ الصَّحَافَةَ وَالْقَلَمَ اللَّذَيْنِ يَعْرِفَانِ مَعْنَى حَرِيَّةِ التَّعْبِيرِ وَحَرِيَّةِ الْقَلَمِ)).

حَرِيَّةُ الْعَقِيدَةِ وَالْمَارَسَةِ الدِّينِيَّةِ:-

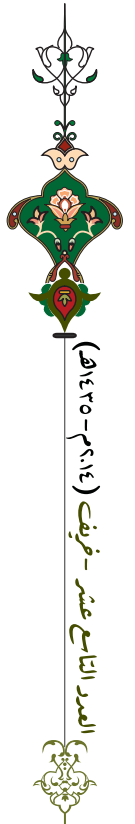
من الحريات الأساسية التي أكد عليها الإسلام ونادى بها وثبت حقها لكل الناس هي حرية العقيدة والممارسة الدينية، فهي - وبحق - تعد من أهم الحريات الإنسانية والبشرية، والمنع منها يعد من الحجر على سلوك الإنسان وتصرفاته وممارساته لأقدس القضايا التي يعتقد بها ويؤمن بقوانينها ومفاهيمها، وبالتالي يعد هذا المنع

محاربة له في مقدساته ومثله العليا، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بشكل صريح: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

والإكراه يفسد اختيار الإنسان ويجعله مسلوب الإرادة، فينتفي بذلك رضاه وتغنى قناعته وطموحه. وإذا ما تأملنا قوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فإننا نجد أن الإسلام قد رفع القسر والإكراه في العقيدة عن الإنسان، وأن أي تهديد أو ترهيب له على اعتناق دين أو مذهب ما، أو حمله على الإيثار بفكرة معينة باطل ومرفوض قطعاً؛ لأن هذا الأسلوب لا يمكن له أن يرسخ عقيدة في القلب ولا يثبتها في الضمير، لذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

وفي الوقت نفسه أقر الإسلام بان الفكر والاعتقاد لا بد أن يتسا بالحرية والاختيار، لذا قال سبحانه وتعالى:





الحرية في المنظور الاسلامي

المصباح

وذلك بتبادل الرؤى والأفكار في المسائل الغامضة التي لم تتضح حقائقها للإنسان إلا من خلال السؤال والاستفسار، وكانت هذه المسائل داخلة تحت ما يقرره العقل والفهم والإدراك، أي ليست من مسائل الغيب؛ وذلك للاطمئنان القلبي بوصول المرء إلى الحقائق التي يبتغيها ويتوخاها.

لقد كان الأنبياء والرسل ﷺ يجاورون أقوامهم ويستمعون إلى آرائهم وأفكارهم، ويتبادلون معهم أطراف النقاش بكل موضوعية وحيادية؛ ليسلموا عن قناعة ورضا وطواعية، وهذا ما أراده الله سبحانه وتعالى وأمر به، لذا خاطب رسوله الكريم ﷺ قائلاً: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وكذلك في خطابه للمسلمين عامة بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية: ٢١-٢٢].

وعلى غرار هاتين الآيتين الأخيرتين فإن هناك الكثير من الآيات التي تنفي صراحة الإكراه في الدين والمعتقد، وتثبت الحق الكامل للإنسان في اختيار ما يؤمن به ويتطلع إليه، من قبيل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [سورة التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٣]، وقوله تعالى على لسان رسوله ﷺ مخاطباً الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: ٦].

فهذه وغيرها من الآيات الكريمة قد كفلت للإنسان الحرية العقدية من غير أن تكون هناك ضغوط معينة تُمارس ضده في هذا المجال وبالتالي تسلب الاختيار منه وتقتل الطموح لديه.

ويترتب على حرية الاعتقاد ما يلي:

١. إذكاء روح الحوار والنقاش الديني،

وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُنَّكُمْ وَحَدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿[سورة العنكبوت: ٤٦].

بل لم يقتصر هذا الحوار على أبناء البشر فيما بينهم خاصة، وإنما تعداه وتخطاه إلى الحوار مع خالق هذا الكون وموجده لا سيما يوم القيامة، وهو ما أكدّه الله تعالى في قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ١١١].

أما في الحياة الدنيا فإننا نجد نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو يجاور ربه في قضية الأحياء والإماتة؛ ليزداد قلبه قناعة ويقيناً كما صرح بذلك القرآن الكريم فيما حكاه من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

وكذلك في حديث جبرائيل عليه السلام الذي سأل رسول الله ﷺ عن الكثير من المسائل الخاصة بالإسلام والإيمان وعلامات الساعة وغيرها، وهو ما رواه عمر بن

الخطاب حيث قال: ((بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

قال: صدقت.

قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان.

قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فأخبرني عن الساعة.



قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل...

قال: ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟.

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) (١٦).

وفي ذلك دليل واضح على تقرير الإسلام لحرية المناقشة الدينية؛ سواء كانت بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين أصحاب الأديان الأخرى؛ لأجل الوصول إلى الحقائق المتبغاة وتصديقها ومن ثم الاعتقاد بها، لا بقصد إثارة الشكوك والخلافات وتأجيج النعرات، أمّا إذا كان الحوار قائماً على أساس المراء والجدل وإثارة الشبهات فهو ممنوع ومرفوض من قبل العقل السليم قبل أن يكون محرماً شرعاً؛ لأنه لا يكشف عن الحقائق التي يصبو إليها الإنسان ليصل بها إلى شاطئ اليقين والاطمئنان.

٢. ممارسة الشعائر الدينية؛ وذلك بأن

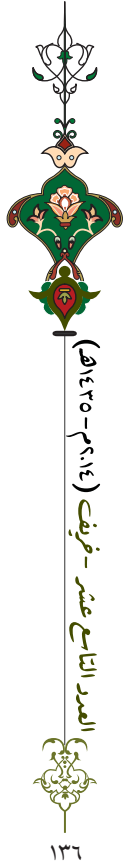
(١٦) صحيح مسلم ١ / ٢٩، صحيح البخاري ٦ / ٢٠-٢١.

يسعى الإنسان لإقامة شعائره الدينية من دون أي انتقاد أو استهزاء أو ترهيب أو تهديد، ولعل موقف الإسلام الذي خلّده التاريخ تجاه أهل الذمة - أصحاب الديانات الأخرى - من دواعي فخره واعتزازه وسماحته؛ فمنذ اليوم الأول من نزول الرسول ﷺ يثرب - المدينة المنورة - بادر لإعطاء اليهود عهد أمان يقتضي فسح المجال لهم لإقامة شعائرهم وممارسة طقوسهم الدينية في أماكن عباداتهم.

وقد سار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا النهج مع أتباع الديانات الأخرى؛ فقد كفّل لهم في حكومته المباركة الحرية الدينية والاجتماعية، بعيداً عن أي شكل من أشكال الاضطهاد الديني والتنازع الاجتماعي.

وبذلك يندفع الإشكال القائم على أساس وجود التناقض والتضاد في آيات الذكر الحكيم في خصوص هذا الموضوع، أعني الحرية في الاعتقاد.

نص الإشكال:



ذكر بعض المشككين أن القرآن الكريم يحتوي بمجموعه على الكثير من الآيات المتناقضة فيما بينها، فهو - على زعمهم - يطرح بعض المواضيع المهمة ويعالجها بأحكام متضادة لا يمكن الجمع بينها، ومنها هذا المورد.

فيقول هذا المستشكل: نحن لا ننكر الآيات الدالة على حرية الرأي الديني والاختيار العقدي التي أشار إليها القرآن وطرحها في أكثر من مناسبة، لكنه في الوقت نفسه ضم بين دفتيه قسماً من الآيات الدالة على منافاة هذا الاختيار، فكيف يتم التوفيق بين هذين الأمرين؟

وقد استدل على كلامه بمجموعة من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [سورة محمد: ٤]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]. ونحوها من الآيات (١٧) التي تأمر المسلمين بقتال الكفار، وهذا قد يكون مخالفاً لمبادئ الدين الإسلامي القائم على أساس الحرية والاختيار كما نصت عليه الآيات القرآنية المتقدمة في هذا البحث.

الجواب عن ذلك:

قبل بيان الجواب نرى من اللازم بيان عدّة مقدمات:

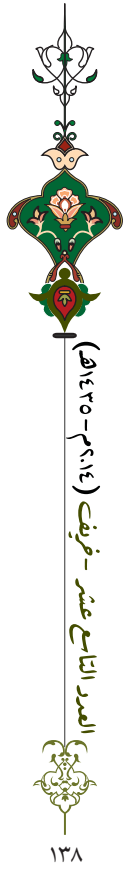
المقدمة الأولى: مدنيّة آيات الجهاد:

إنّ نزول آيات الجهاد لم تكن في أوائل الدعوة الإسلاميّة في مكّة المكرمة، بل كان نزولها في المدينة المنورة، وقد جاء تشريعها بهيئات متنوعة ومختلفة، وأنها مطلقة من حيث الزمان والمكان وبيان حالات الكفار.

المقدمة الثانية: عدم اقتصار هذه الآيات على بيان نوع خاص من الجهاد؛

(١٧) [سورة الأنفال: ٣، ٦٥]، [سورة النساء: ٧٤]، [سورة التوبة: ٣٦].





١٣٨

الحرية في المنظور الاسلامي

• البصباح

رسول الله ﷺ، وفي الوقت نفسه تمنع من الإجهاد عليه والفتك به قبل ذلك.

ثم إن هو آمن بالإسلام واعتقد بمبادئه والتزم بتعاليمه فيها ونعمت، وإن لم يؤمن فلا بد من إيصاله إلى مأمته، كما تصرّح بذلك الآية، وهذا دليل على أن الآية الأولى مطلقة، والآية الثانية قرينة صارفة لإطلاقها، وإلا فلا يبقى معنى لامهال الكافر وإيصاله إلى مأمته؛ وما ذلك إلا لأن الكافر قد نزع عن نفسه صفة الحرب والعداوة واستجار بالمسلمين، وما دامت حالته هذه فلا موجب لحربه وقتاله حتى يسلم.

ويؤكد ذلك ما ورد من الروايات الشريفة في هذا الصدد، من قبيل ما جاء في مستدرك الوسائل عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: ((فإذا آمن أحد من المسلمين أحداً من المشركين لم يجب أن تُخفّر ذمتهم، وتعرض عليهم شرائط الإسلام، فإن قبلوا أن يسلموا أو يكونوا ذمة، وإلا ردوا إلى مأمتهم وقوتلوا...)) (١٩).

(١٩) مستدرك الوسائل - المحدث النوري / ١١

فمنها ما يدل على الجهاد الابتدائي (١٨)، ومنها ما يدل على الجهاد الدفاعي.

وبعد ذكر هاتين المقدمتين نحاول أن نجيب عن الآيات التي ادّعى المستشكل دلالتها على الأمر بوجوب قتال الذين لم يؤمنوا بما أنزل على رسول الله ﷺ، المخالفة بزعمه للحرية الدينية.

فأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٥] فإنه يدل على وجوب الجهاد الابتدائي إذا لم ننفذ إلا عند هذه الآية ولم نكملها بالآية التالية لها والدالة على صرف النظر عن مثل هكذا جهاد، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦].

فالآية الثانية صريحة في إعطاء المشرك مهلة حتى يستمع قول الحق الذي جاء به (١٨) وهو جهاد الكفار في عقر دارهم.

وما ذلك إلا لأن هؤلاء لا يجارون المسلمين عادة، فيكون هذا الخبر وغيره دالاً على عدم جواز قتال من لا يقابل المسلمين بالعداوة والخرابة، وبذلك يثبت عدم جواز الإكراه على الدين.

وأما غير هذه الأصناف من الكفار فلم تكن هذه الروايات ناظرة إليهم؛ لأنهم عادة ما يواجهون المسلمين بالقتال والاعتداء، وعندئذ تكون مقاتلتهم من باب الدفاع لا من باب الإكراه على الإسلام.

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة التوبة: ٧]، صريح وواضح في استثناء الكفار والمشركين المعاهدين، وهذا ينافي الأمر بوجود مقاتلة الكفار بشكل مطلق كما زعم المستشكل، وعليه فلو أننا حملنا تلك الآيات على مجاهدة الكفار المحاربين دون من استجار بالمسلمين أو من له معاهدة معهم، لتلاشت الشبهات

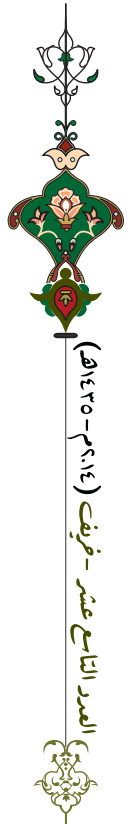
وذوت الإشكالات عند بعض المشككين، ولما قال بوجود تناقض وتضاد في آيات القرآن الكريم.

هذا فضلاً عن وجود آيات أخرى تعضد هذه الآية تأمر بوجود مقاتلة ناكثي العهد دون غيرهم من الكفار غير المحاربين؛ باعتبار أن نكث العهد إعلان منهم بمحاربة المسلمين^(٢٠).

وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا ائْتَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٤]، فهو أن هذه الآية تتحدث عن حالة خاصة وهي حالة الحرب؛ وذلك بقريته قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، وواضح أن الحديث فيها هو بغض النظر عمّن بدأ هذه الحرب؛ سواء بدأها المسلمون لأجل إدخال الكفار في الإسلام، أم أن الكفار هم الذين بدؤوها على المسلمين،

انظر: محمد صادق الروحاني، فقه الصادق عليه السلام ١٣ / ١٦ - ١٥.





الحرية في المنظور الاسلامي

البصباح

خصوصاً إذا ما أخذنا وجود قرينة أخرى في الآية نفسها وهي قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً** ﴾.

وعليه فلو كان المسلمون هم الذين ابتدؤوا الحرب لأجل إدخال الكفار في الإسلام لذكرت الآية الشريفة ذلك الخيار إلى جنب الخيارين المطروحين اللذين هما المن أو الفداء، وبذلك يقوى عندنا أن الهجوم لم يكن من قبل المسلمين أنفسهم، لذا لا يبقى في الآية أية دلالة على وجوب الجهاد الابتدائي.

وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾، فهذه الآية هي الأخرى لم تأمر بالقتل ولم تحرض عليه، وإنما أمرت بالقتال، وفرق بين الأمرين؛ لأن صيغة فعل الأمر في مفردة ﴿ **قَاتِلُوا** ﴾ هي صيغة مفاعلة، أي قاتل يُقاتل مُقاتلة، وهي تدل على وجود طرفين يتشاركان في فعل واحد، بل أكثر من ذلك وهو أن

هذا اللفظ لا يُعبّر به إلا عن مقاومة معتد سبق إلى قصد القتل، لذا فالمقاوم هو الذي يسمى مقاتلاً، أما المهاجم فيسمى قاتلاً.

ومن جميع ذلك يتبين لنا أن الآية الكريمة توضح بأن الكفار هم الذين ابتدؤوا المسلمين بالقتال، فما كان من المسلمين إلا مقاومتهم وردّهم ودفعهم عن بلادهم. وعليه فإن الآية لا تدل على وجوب الجهاد الابتدائي، بل هي دالة على وجوب الجهاد الدفاعي عن بيضة الإسلام، هذا بالإضافة إلى أن المولى تبارك وتعالى جعل الفدية فيها غاية للقتال، وهي تقتضي إكراه الكفار على قبول الإسلام وترك عقيدتهم^(٢١).

وأما قوله تعالى: ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [سورة النساء: ٧٤]، فهو بصدد بيان أصل تشريع الجهاد وسنّ قوانينه، ولا علاقة لهذه الآية بكون هذا الجهاد ابتدائياً أم جهاداً دفاعياً حتى يُستدل بها على أنها

(٢١) انظر: مجلة الحوزة، شهرَي مهر وآبان سنة ١٣٦٨ هـ [باللغة الفارسيّة] / ١٠٤.

مخالفة لأسس ومبادئ الحرية والاختيار.

إذا هي مطلقة من هذه الجهة، وحيث لا يمكن التمسك بها على إثبات دعوى المستشكل (٢٢).

وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٥]، فهذه الآية هي الأخرى في صدد بيان أصل مشروعية قتال المشركين، بغض النظر عن كونه ابتدائياً أو دفاعياً، وعندها لا يمكن التمسك بهذا الإطلاق لإثبات الجهاد الابتدائي.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [سورة التوبة: ٣٦]، فهو ليس بصدد الأمر بوجوب قتال الكفار ابتداءً؛ بقريته ما جاء في ذيل هذه الآية من قوله تعالى: ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾، وعليه فليس فيه دلالة على مطلوب

المستشكل (٢٣).

وهكذا الحال في الآيات الأخرى التي سعى المستشكل جاهداً لأن يتشبث بها على إثبات دعواه في منافاتها لمبدأ الحرية والاختيار الذي هو أصل من أصول الدين الإسلامي.

علاوة على ما ذكر فإن هناك آيات أخرى تنهى عن مقاتلة الكافر المسلم، من قبيل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨]، إذاً فالكافر المسلم ليس عدواً للمسلمين فلا يشمل هذا الإطلاق.

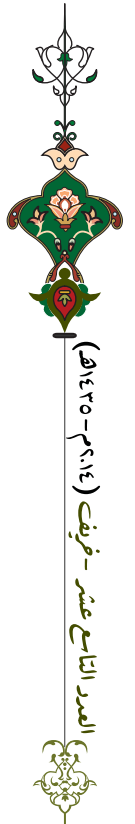
الحرية السياسية

ويُقصد بها حق الإنسان في اختيار سلطة الحكم وانتخابها، ومراقبة أداؤها وعملها، ومحاسبتها ونقدها وتقويمها، وعزلها إذا ما انحرفت عن طريق الله تعالى وشرعه ونهجه، وحوّلت ظهرها عن جادة الحق والصلاح.

(٢٣) انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، السبزواري / ١ / ٨٢.

(٢٢) انظر: جهاد الأمة، الشيخ شمس الدين / ١١٦.





الحرية في المنظور الاسلامي

النصيحة

كما أنه يحق له المشاركة في القيام بأعباء السلطة ووظائفها الكثيرة؛ لأن هذه السلطة حق مشترك بين رعايا الدولة الواحدة، وليست حكراً على أحد أو وقفاً على فئة دون أخرى.

واختيار الإنسان للسلطة قد يتم بنفسه، أو بمن ينوب عنه من أهل الحل والعقد، وهم أهل الشورى الذين ينوبون عن الأمة كلها في كثير من القضايا والأحكام؛ كالقيام بالاجتهاد في ما لا نص فيه؛ إذ الحاكم يرجع في ذلك إلى أهل الخبرة والاختصاص من ذوي العلم والرأي فيأخذ برأيهم لسنّ بعض القوانين وتطبيقها على أفراد المجتمع الذي هم تحت سلطته وحكومته.

كما أنهم يوجهون الحاكم في التصرفات ذات الصفة العامة أو الدولية؛ كإعلان الحرب مثلاً، أو الهدنة، أو إبرام معاهدة، أو قطع علاقات، أو وضع ميزانية، أو تخصيص نفقات لجهة معينة، أو غير ذلك من التصرفات العامة التي لا يقطع

فيها برأي الشخص الواحد. قال تعالى:

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى﴾ [سورة الشورى: ٣٨]،

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

وقال رسول الله ﷺ: ((إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه وأئمة المسلمين والمؤمنين وعامتهم)) (٢٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزَلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ، بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغَرَتْهُ النَّفْسُ وَافْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ)) (٢٥).

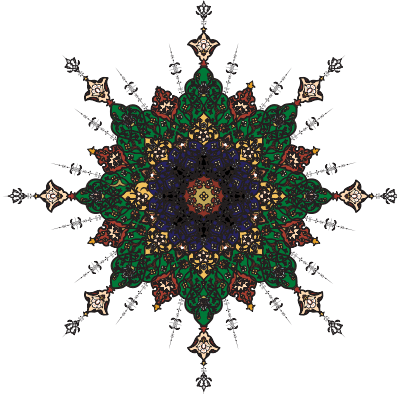
(٢٤) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري / ٤٢٤.

(٢٥) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦.

ديمقراطياً توسّع من رقعة الحرّية السياسيّة والممارسة الدينيّة يوماً بعد يوم؛ وذلك حفظاً منها على وحدتها وتماسكها وشرعيتها، وبقائها وديمومتها، فيما نجد أنّ الدول المتخلفة حضارياً تتصور بأنّ التضييق على الحرّيات وتحجيم الرؤى والأفكار ممّا يحفظ كيانها ويديم بقاءها، وهو وهم واضح وفساد سياسي فادح. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين

ومن خطبة له عليه السلام يقرر فيها فضيلة الرسول الكريم ﷺ: ((بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٍ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَلَاءٍ مِنَ الْجُهْلِ، فَبَالَغَ ﷺ فِي النَّصِيحَةِ وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) (٢٦).
لذا نجد أنّ الدول المتقدّمة والمتحضّرة

(٢٦) نهج البلاغة، الخطبة ٩٥.





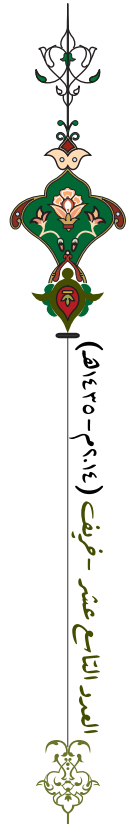
۲۶
شیخ محمد بن عبد الرحمن
۱۴۲۸ھ

الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية
بين المنظور الديني والمفهوم السياسي
(بحث استدلالي)
(القسم الثاني)

الشيخ موسى راضي نصار
النجف الاشرف - العراق

فحوى البحث

كان القسم الأول من هذا البحث قد نشر في العدد الثامن عشر ونوهنا فيه بفحوى البحث الذي يخص الرؤية القرآنية لمسألة الولاية التشريعية وها نحن نكمل البحث في قسمه الثاني، بطرح مسألة هذه الولاية من المنظور الديني والمفهوم السياسي. وكلها ضمن الرؤية القرآنية السديدة الى هذه الولاية



الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... **الْبَصَائِحُ** •

**خصائص الحكم الولائي
في القرآن**

﴿ فَإِن نَّزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
[سورة النساء: ٥٩].

أما ما تقتضيه السياسة الدينية لدولة الرسول، فهي تسيير حياة المجتمع بحسب النهج الولائي، فهناك ثمة حاجة لوجود السلطة الولائية التي من شأنها تربية المسلم بما يلتزم به من ولاء التزاماً ذاتياً قائماً على الأيمان المطلق في طاعة الواجب وهو ما تمثله أرادة المؤمن المخلصة لأداء واجبها بعد ما يكون أيمانها مستمداً من ولاية الرسول التشريعية، وهو ما يجعل الاستجابة للأحكام الدينية وتنفيذها واجب الأتباع، إذا كان الأمر ظاهر الوجوب، أما إذا لم يرد بها أمر دال على الوجوب، فذلك من باب الاقتداء في الأفعال أو الأقوال وهو ما يدل على الاستحسان ورجحان التأسسي^(١) برسول الله لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

تنطلق رؤية الحكم الولائي في مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ - من دون ريب - من المنهج القرآني والسنة النبوية لكونها يعتمدان معطيات تشريعية أفرزتها الحاجة الفعلية للمسلمين لتثبيت الكيان السياسي وحصر مرجعية الدين بالدولة، وإعادة ترتيب الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها من لوثة الوثنية إلى نهج التوحيد من خلال وضع النظم وقواعد الأحكام التي صيرتها فترة نزول الوحي من أهم الفترات الحاسمة لتنظيم مشروع الدولة الإسلامية وخصائص الحكم الولائي فيها، وقد تحدد نظام الدولة من خلال الدين المتكامل وليس هو الدين الذي تنحصر تعاليمه في علاقة الإنسان بربه فحسب وإنما هو نظام سياسي ينبثق من مفاهيم حقيقية للحياة تستهدف تكوين المجتمع وتنظيمه في ظل سلطة أرتبط النظام التأسيسي فيها منذ البدء بقداسة الوحي وتمحور وجودها حول مرجعية رسول الله ﷺ لقوله تعالى:

الْآخِرِ ﴿ [سورة الأحزاب: ٢١].

لم يتوقف القرآن الكريم عند الأحكام التشريعية لتنظيم شؤون الأمة وإنما أراد (١) الطوسي: التبيان ج ٨ ص ٣٢٨.

تعزيدها فأوجد الاستدلال بالطبيعة في آيات الآفاق والأنفس لتوضيح الصورة ذات الأبعاد الوعظية التي تتجلى فيها عظمة الخالق وتثير روح التأمل لتتضح لهم الحقيقة من خلال تلك الآيات التي تضيء دروبهم ليروه هو الحق، لقوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

لم يجعل الله تعالى طريقاً في التكليف إلا إذا جعل الرجوع إلى العقل ضرورة تقتضيها أحكام الشريعة بموجب قاعدة التحسين والتقيح العقليين والملازمة بين حكم العقل والشرع والرجوع إلى النفس لكونه تعالى جعل في نفس الإنسان عيناً مدركة لحقائق الأشياء^(٢) وفهم معنوي للحياة وإحساس خلقي للاتعاظ بما يدور حوله من آيات الآفاق لما فيها من دلائل تعضد أحكام القرآن، وتثبت حقائق الحوادث والمواعيد التي أخبر القرآن أنها ستقع، كإخباره بأن الله سينصر نبيه ﷺ

والمؤمنين ويمكن لهم في الأرض ويظهر دينهم على الدين كله حيث دانت له جزيرة العرب ثم فتح بعده ﷺ المسلمون معظم أرجاء المعمورة فأرى سبحانه المشركين والمنافقين آياته في الآفاق وهي النواحي التي فتحتها للمسلمين ونشر فيها دينهم، وهي آيات أخبر بها القرآن الكريم قبل وقوعها ثم وقعت على ما أخبر بها^(٣) فكان كل ذلك الذي أخبر به القرآن داخلاً في ولاية الله المطلقة وإليه يعود حق المالكية والتدبير ويعطي ملكه من يشاء.

كل ذلك وجده المسلمون في القرآن مسطوراً، وكان النبي ﷺ يؤتي كل ما تحتاج إليه الأمة لهذه المرحلة من الآيات وإثبات حقائق الحوادث والمواعيد التي أخبر القرآن بوقوعها بواسطة الوحي التي لا تدع ريباً في رسالته التي أحكم الله قواعدها، كما أن الوحي كان يراقب عمل النبي ﷺ وتطبيقه للأحكام، ومن ثم فإنه يمكن القول بأن حكومة الرسول في هذه الفترة توجه من قبل

(٢) الفزويني: الاستعداد لتحصل ملكة الاجتهاد ص ١٤٩ تحقيق جودت الفزويني.

(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ١٧ ص ٤٠٤.



الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... البصيرة

الله جميع الأحكام الشرعية، وجمع في طاعة رسول الله جميع الأحكام الولاية التي يصدرها رسوله في إدارة أمور الأمة وإصلاح شؤونهم كقراراته في الغزوات وأحكامه في القضايا المستحدثة وإجراء الحدود وغيرها^(٥) وهي خصائص خاصة برسول الله ﷺ في شؤون الدولة لتثبيت أصول الحكم وإعطاء الحقوق السياسية والاجتماعية متسعاً في التشريع لترتقي في أحكامها ونظمها إلى آفاق من التصور الشمولي لنظرية الحكم ووظيفة الحاكم الذي من خصائص حكمه أن يكون عاملاً عادلاً لأن العدل أساس الحكم بين الناس وهو ما صرح به القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

في هذا النص تصور عام لخصائص الحكم جاء في أمرين:

الأول: أداء الأمانة، وهو تصور شمولي ضمني ينظر إليه من مسؤولية

(٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ٣٣٨.

الوحي^(٤) لتوثيق الصلة بوحدة العقيدة التوحيدية والاستعداد النفسي بالأيان المطلق لتقبل الأحكام والتوجيهات القرآنية في ظروف سياسية واجتماعية حاسمة تقتضيها مرحلة التغيير من الوثنية إلى التوحيد مع ما رافقها من رؤية قرآنية أوجدت عند المسلمين متسعاً متكاملًا للاستبصار في دلائل العقيدة التوحيدية من خلال طاعة الله تعالى في ما أنزل على نبيه، وطاعة رسوله التي وثقتها أدلة النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة التغابن: ١٢].

هذا النص يحدد معالم الحكم بحسب معطاته التشريعية وقيمه الولاية في أمرين: الأول طاعة الله، وهي أصل التوحيد، والثاني طاعة رسوله، وهي أصل النبوة، وهما طاعتان لا يمكن فصلهما، طاعة الرسول مستمدة من طاعة الله، وهي الانقياد لأمره تعالى فجمع في طاعة

(٤) محمد سعيد العشراوي: الإسلام السياسي ص ١٦٠.

ولاية الحكم على أن الأمانة التي حملها الله تعالى للإنسان يوم جعله خليفته في الأرض- المراد منها خاصية الحكم بين الناس - أن يؤدوا الأمانة، ومعنى الأداء أن الحكم بين الناس أمانة، وهو خطاب لولاية الأمور أن يؤدوا الأمانة والحكم بالعدل^(٦).

الثاني: ليس لجميع الناس أن يؤدوا وظيفة الحكم بل ذلك لبعضهم ولما دلت سائر الأدلة على أن لا بد للأمة من الأمام الأعظم^(٧) المعصوم - في نظر الشيعة - المفترض الطاعة هو الذي يقوم بمهمة الحكم وأن الولاية تكون له بموجب النص باعتبارها من أصول الدين، وأصل مرجعها هو الكتاب والسنة، وقد أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة إلى أن يسلم الأمر إلى من بعده^(٨) وهي الأمانة التي ذكرها الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨] ويفسر الآية

قول الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام: الحق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا^(٩) وروي عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: آيتان احدهما لنا والأخرى لكم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ثم قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩] وهذا القول: داخل في القول الأول: لأنه من جملة ما أتمن الله عليه الأئمة الصادقين^(١٠).

تأثير الحكم الولائي في المجتمع:-

السؤال الذي يجب أن يطرح هل يمكن القول، اعتباراً لأهمية الروابط الولائية في حكومة الرسول، أن الحكم الولائي يجب أن يكون دوره مؤثراً في المجتمع أم هو كسائر الحكومات الدنيوية التي حكمت المجتمعات، دورها نسبي في التأثير؟. ويتضح من محاور البحث السابق اعتبار أن الملزم هو نصوص

(٦) الزمخشري: الكشاف ج ١ ص ٥٢٣.

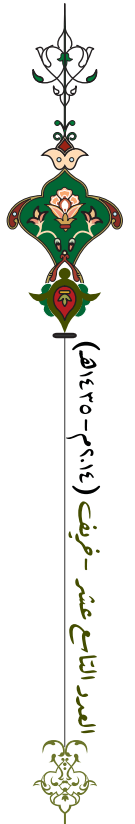
(٧) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج ١٠ ص ١٤٢.

(٨) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٦٣.

(٩) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج ١٠ ص ١٤٢.

(١٠) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٦٣.





الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... (المصباح)

رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام كانا يارسان الحكم ليس لمجرد سلطة فعلية، وإنما حكومة ولائية مطلقة ترتكز على نصوص القرآن والسنة فهي حكومة تحكيم يلجأ إليها الناس مختارين غير مجبرين عند التنازع بخلاف النظرية القائلة بالوجوب الكفائي أو نظرية قوة العصية هي التي تصنع الحكم وتؤسس الدولة^(١١) وهي فكرة نشأت في أحضان الدولة الأموية مؤداها العملي ((اقتران العصية بالدين)) ثم تشعبت بعد ذلك ودخلت في منهج ابن خلدون الاجتماعي وأصبحت نظرية سياسية في تاريخ الاجتماع السياسي ولكنها على غير هدى القرآن.

أما النظام السياسي لمفهوم الدولة الذي سارت عليه الخلافة الإسلامية طيلة القرون المنصرمة ولم تكن تعبر بالضرورة عن إرادة القرآن الكريم كوحى ينطلق من نصوص قرآنية لها قيم تشريعية ثابتة في الحكم وإنما هي ممارسات وتجارب سياسية كل فريق من هؤلاء المتغلبين ذهب إلى وضع رؤية خاصة أنتجت خلفاء وأمراء

(١١) ابن خلدون: المقدمة ص ١٧٢.

القرآن والسنة إذا كان الحاكم العادل، خاص بمن يصطفيه الله تعالى للولاية، ليس بالضرورة أن يكون دوره مؤثراً في عملية التغيير الاجتماعي كما هو في مسيرة المصلحين، فإذا أعرض البعض من المجتمع عن سياسة التغيير الإصلاحية إذا كان منهج التغيير دينياً أو سياسياً أو مجرد تغيير عام كما تنص الآية: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمَعِينُ﴾.

معنى التولي - في الآية - الإعراض، وليس على ولي الأمر الإكراه في الطاعة إن أعرض بعض الناس عن التلقي، وإنما عليه التبليغ فقط، وهي سيرة النبي ﷺ في ولايته للأمة وما حدث له مع المنافقين الذين رفضوا الإصلاح كما هي سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في ولاية حكمه وتربيته للأمة وإصلاح شؤونها حيث أعرض الأمويون ومن تابعهم عن عملية الإصلاح ولكن الأمام عليه السلام لم يتوقف بل واصل التحرك وبلغ ما أمكن تبليغه.

وهي تجربة حضارية رائدة في تاريخ الحكم - بالمقاييس المعاصرة - لكون

جور لا يحكمون بعدل ولا يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة، وإنما يتبعون شهواتهم حيث ما ذهب بهم، فهم منسلخون عن صفات الدين وهم مع ذلك يطلقون على أنفسهم أولوا أمر المسلمين وأحق صفاتهم- كما قال الزمخشري - اللصوص المتغلبة^(١٢).

الولاية التشريعية والتنائية الحزبية

في النص القرآني

يعدُّ النص القرآني المرجع الأساس للعلاقات الاجتماعية والسياسية بين الدين والدولة الإسلامية، ويؤسس إلى تصور شامل لمراحل التحول وتنظيم الدولة ومحاولة تشخيص الحوادث التي حدثت في عصر النزول أو ما قبله بما يرتبط بمفهوم التعددية الحزبية وإعطاء صورة واضحة عن ((الصفوة المختارة)) و ((النخبة المتقاة)) من تلك الأحزاب وجعلها نموذجاً للإقتداء ومادة لعملية الفرز والاستقطاب السياسي فتصبح تلك النصوص ذات قيمة تشريعية وتنظيمية اكتسبت أبعاداً في عمق الأحداث المؤسسة

(١٢) الزمخشري: الكشاف ج ١ ص ٥٢٤.

لهيكلية الدولة، ومن تلك الأبعاد ذات العلاقة بمفهوم التعددية الحزبية، جاء القرآن مخبراً عن واقع إنساني في عمق التاريخ أرتبط بمفهوم حزبي من تجارب الأمم التي سبقت الإسلام، كان غرضه الأخباري تحذير المسلمين من الاقتداء بالأحزاب غير الشرعية. كما أن النصوص القرآنية أشارت بوضوح إلى وجود أحزاب قائمة فعلاً أثناء البعثة النبوية وهي أحزاب تشكلت في الجزيرة العربية مناهضة للدعوة الإسلامية.

وقد يلاحظ من النصوص القرآنية ذات العلاقة بموضوع التعددية الحزبية التي تحدد نمط التعامل مع الولاية التشريعية التي ارتبط وجودها بالتنائية الحزبية - حزب الله وحزب الشيطان - ارتباطاً واقعياً في المجتمع حتى أوجد عملية جدلية متوترة ليس تعبيراً عن العمل المشروع لهذه الثنائية بل التعامل مع ذلك التوتر إلى حد الإقصاء لأن النصوص القرآنية تعطي مشروعية العمل في دولة الرسول إلى حزب واحد وهو ((حزب الله)) ولا تعترف بغيره



الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... المصباح

الشیطان)) وينطوي أفراد الجنس البشري تحت أحد هذين الحزبين تلك حقيقة واقعية لامراء فيها يمكن استخلاصها من النصوص القرآنية^(١٣) المرتبطة بالوعي الديني الذي يؤطر مختلف هذه المعايير الاجتماعية.

وقد تكرر مصطلح ((الأحزاب)) في القرآن إحدى عشرة مرة في سبع سور مكية ومدنية، وجاء بصيغة المفرد والمثنى والجمع، وفي جميع المرات أرتبط مفهوم تلك الأحزاب ((بالسلبية)) التي تحمل معنى الرفض وعدم القبول ولم يرتبط هذا المفهوم أبداً بالاجابية والنصوص القرآنية زاخرة في ذلك^(١٤).

أما مصطلح ((حزب الله)) فقد جاء

(١٣) مجلة المنهاج عدد ٦ السنة الثانية ص ٤٧.

(١٤) قوله تعالى: ﴿الْأَحْزَابِ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة مريم: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ﴾ [سورة هود: ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [سورة الرعد: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [سورة ص: ١١] وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠].

من التعددية الحزبية أو شرعية العمل لها في إطار نظام الدولة والمجتمع، وقف القرآن منها موقفاً سلبياً لا يقر بشرعيتها ولكن يعترف بوجودها كمكون اجتماعي خارج إطار الشرعية الإسلامية بما يقتضيه كفرهم وعنادهم لكونه في ضلال دائم يصعب الخروج منه لما له من دالة شيطانية يجادعون بها أنفسهم حتى نسوا ذكر الله فوصفهم القرآن بالخاسرين ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٩].

إذن من الطبيعي أن الصراع في المجتمعات الإنسانية ينتج الخلاف والخلاف بدوره ينتج التحزب فهي ظاهرة اجتماعية أشار إليها القرآن ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس: ١٩].

ومن الواضح أن النصوص القرآنية ذات العلاقة بموضوع الأحزاب تحدد بشكل قاطع تصريحاً وتلميحاً بأن البشرية تنتظم بالضرورة وبالواقع في حزبين لا ثالث لهما ((حزب الله)) و ((حزب

ثلاث مرات في القرآن الحكيم وأنتظم في سورتين مدنيتين هما سورة المائدة وسورة المجادلة واتصلت نصوصه اتصالاً مباشراً بمفهوم الولاية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٥-٥٦].

وقد أخذ هذا النص القرآني بعدين: **البعد الأول**، مصطلح الولاية وهو القرب الخاص في الأمور المعنوية، كالقيادة السياسية، والمرجعية الدينية، القرآن والسنة، ومصطلح الموالاتة والتولي يعني الولاء للقيادة الشرعية والانتماء لها بالعضوية، والأتباع من الذين عرفوا بولائهم لتلك القيادة وهم النخبة والصفوة المؤمنة.

البعد الثاني: مصطلح ((حزب الله)) على ما ذكره الراغب، جماعة فيها غلظ^(١٥) وفسرها البعض بالطائفة، أو الجماعة التي فيها شدة -إليه تعالى خاصة، فوصفهم القرآن ((بحزب الله)) تعظيماً لهم

(١٥) الراغب: المفردات ص ١١٥.

وتعظيماً بمن لا يغلب^(١٦) ثم وصفهم بالفلاح أيضاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] فتصح أن تكون هذه التسمية تشريفاً لهؤلاء المخلصين في إيمانهم بأنهم حزبه تعالى^(١٧).

وفي القرآن إشارات متعددة تصريحاً وتلميحاً يدين التعددية الحزبية بحسب مفهوم اللغة القرآنية ولا يقر بشرعيتها ولكنه يقر بوجودها^(١٨) على الأرض كمكون سياسي يجسد نزعة الكفر والضلال، بهم يظهر التضاد مقابل العقيدة التوحيدية التي تعكس الرؤية السياسية للولاية، فهي ليست مجرد رؤية، وإنما توضيح الحق الممثل في ((حزب الله)) والباطل الذي يمثله ((حزب الشيطان)) وهما متقابلان تقابل التضاد، مختلفان في الدلالة والمضمون لأن التعبير القرآني لا يرمي إلى مجرد أداء المعنى الذهني،

(١٦) الزمخشري: الكشاف ج ١ ص ٦٤٩ والألوسي: روح المعاني ج ٣ ص ٣٣٨.

(١٧) الطباطبائي: الميزان ج ٩ ص ١٦٧.

(١٨) انظر مجلة المنهاج عدد ٦ السنة الثانية ص ٤٧.





الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... **البصباح**

((حزب الشيطان)) وهي ولاية باطلة غير شرعية تتبع عملية من التمويه لمفهوم الحاكمية وما ينتج منها من وعي زائف وعوامل اغتراب وإحباط وسلوك عدواني تكفيري حدث في صدر الإسلام ويحدث على أشده في المعاصرة.

هذه النصوص القرآنية توضح حالة النزاع الديني السياسي الذي كان عليه مجتمع الجزيرة العربية في فترة الوحي، الأمر الذي دعا إلى تفاقم هذا الصراع، وقد أظهرت النصوص القرآنية العداوة والبغضاء المتأصلة في ((حزب الشيطان))

حافلة بعناوين يختلف بعضها تذكيراً وتحذيراً للمؤمنين عارضة صورة الولاية غير المشروعة في نظر القرآن وهي ولاية ((حزب الشيطان)) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَنَخَّدُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥١] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخَّدُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

وإنما يريد توضيح الصورة التي تمثل أداء الحزبين، في التواصل الديني عقيدة وولاءً وولاية شرعية اقتضتها القيادة لأعضائها وأتباعها وولاية غير شرعية باطلة اقتضتها قيادة ظالمة ليتم الغرض وتوضح الصورة في الآيتين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٦] مقابل الباطل الذي تمثل بحزب الشيطان قوله تعالى: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٩].

محور الصراع في الآيتين ديني يخص ((الولاية التشريعية)) في موقعها السياسي في الآية الأولى: تحدد مقياس الانتماء وطريق الاختيار إلى ((حزب الله)) وهي الولاية الشرعية في نظر القرآن وبموجبها تنتظم عملية التنظير للشرعية الإسلامية وهي الأجدر بأن تكون القانون العام والخاص للمسلمين جميعاً.

أما الآية الثانية: فتحدد توصيف المنافقين الموالين لأعداء الله من الوثنية القرشية وغيرهم من المنافقين بأنهم

محاور الصراع الحزبي في القرآن الكريم

تحدث القرآن الحكيم بوضوح عن وقائع حزبية في تاريخ الأمم التي سبقت الإسلام، أو التي عاصرت الدعوة الإسلامية وكان غرض القرآن استقصاءه للحركات ذات الطابع الحزبي من الذين تحزبوا على الرسل والأنبياء وكذبوهم وجادلوهم بالحق الذي هو من وظيفتهم إثبات وحدانية الله وتوكيدها في نفوس الناس، ولعل القرآن سلك أقرب الطرق لتعريف المسلمين بأخبار الماضين، وهو إخبار تاريخي كان المسلمون يفتقرون لمثله كما جاء في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [سورة هود: ٤٩].

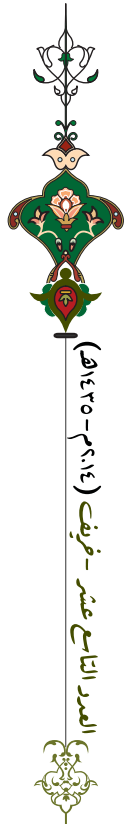
ولما كان غرض القرآن هو الإخبار عن سالف الأمم والوقوف على تاريخها نرى مهمته الأولى تنحصر في الغرض الديني ((التوحيد ونبد الشرك)) عندما يقع المجتمع تحت طائلة الأحزاب أو عوامل التأثير إلى تحرك الأمم ضد الرسل والأنبياء، باعتبار أن دعوتهم إلى التوحيد

مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ [سورة المتحنة: ١].

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكُفْرَانَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمْ الْوَعْدَ فَإِنَّ الْوَعْدَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿ [سورة النساء: ١٣٨-١٣٩].

تكررت هذه العناوين في القرآن وكان محتواها الدلالي ومضمونها المعنوي عدم موالاتة اليهود والنصارى والكفار ومن تابعهم لكونها موالاتة غير مشروعة عرفها القرآن ((بحزب الشيطان)) إذ كانت هذه الموالاتة نصرة أو موالاتة مودة كلها تفضي إلى أتباع الآخر في الاقتداء والتناصر والتعاطف على الباطل كما أشعرت باستعراضها الدائم غير المنقطع بانقطاع الوحي، وإنما تفاعلها آت ومستمر لكل زمان ((حزب الله)) و((حزب الشيطان)) وهما أبديان سرمديان في الحياة الاجتماعية. هذا العرض القرآني للمفهوم الحزبي أكثر انسجاما وملاءمة للحياة السياسية التي يركز مفهومها على ((الولاية)) التشريعية ودور الدين في الحياة الإنسانية.





الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... **البصائر**

بمؤسساتها القبلية أن تستقطب عدداً كبيراً من أتباعها من دون اتخاذ مواقف سياسية واضحة ومحددة من حكومة الرسول الناشئة في المدينة إلا ما ظهر من تحريض رؤسائها لتعرض مصالحهم للخطر وقيمهم الجاهلية للاندثار.

هذا الحراك الحزبي الذي رافق دعوة الرسول تشير بعض الآيات القرآنية إلى مجموعة من الاشارات التاريخية والغيبية صنفت من قبل المفسرين بحسب أدلة نصوصها إلى أربعة محاور^(١٩) كل واحد منها تظهر عليه بصمة طبيعة عمله الحزبي.

المحور الأول: جاء في قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة مريم: ٣٧].

تشير مفردات الآية -بحسب أدلتها- إلى مكون اجتماعي تمثل أدائه في وقائع تاريخية اقترنت ((بالأحزاب)) عرفها بعض اللغويين بالجماعة -سواء صغرت ام كبرت -المستقلة في رأيها عن الآخرين^(٢٠)

(١٩) هارون بن موسى القارئ: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص ١٥٧.
(٢٠) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٥١٤.

حقيقة واحدة لم تتغير بتغير الزمن فمن المرجح ضرورة التوجيه والمعالجة للوضع الوثني القائم آنذاك وإشعار الذين آمنوا أن إثبات وحدانية الله وتوحيده كان ولا يزال داخلاً في إرادة القدرة الالهية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلَاهِدِي لَهُ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٦] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢].

ومعنى ذلك أن المؤثر في الاهتداء هو الله تعالى صاحب القدرة على دحض نزعة الشرك المتمثلة في أولياء الشيطان، وانتصار الإيثار الممثل في أولياء الله وحزبه، فلا ريب في أن يتلقى المسلمون هذه الأخبار الوعظية بالقبول والتسليم لأمره تعالى ليتضح لهم من تلك التجارب الأممية السابقة لعصرهم ليكونوا على علم ودراية بما يحدث حولهم من أحزاب الجزيرة العربية التي تمارس نشاطها الوثني ضد الإسلام.

لذا نجد أن هذه الأحزاب المعاصرة للدعوة والقائمة على الضلال استطاعت

الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ **إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ**
فَحَقَّقْ عِقَابٍ ﴿١﴾ [سورة ص: ١١-١٤].

ليس غرض هذه الآيات الأربع المكية النزول، أن يتمثل فيها استعراض تصوري لتاريخ الأحزاب التي رافقت دعوة الأنبياء السابقين المذكورين في الآية الثانية والثالثة إلى التوحيد، وإن أشعرت الآية الرابعة بعقاب المتحيزين على الضلال يوم الجزاء، إلا أن بقدر ما يتضح من تركيبة السياق في الآية الأولى، وهو وقوع الإشارة الغيبية إلى الأحزاب المكية وما اتلف منها من جيش مهزوم سلفاً في معركة ((بدر الكبرى)) وغرض هذه الأخبار الغيبية كان تثبيتاً لدعوة النبي ﷺ لاسيما كانت في أوائل مراحلها - وتأثيراً في نفوس المسلمين والشدة في عضدهم، وتسلياً لرسول الله ﷺ مما وقع له في مكة من كفار قريش أشارت إليه آيات سابقة (٢٣).

المحور الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ

وكل طائفة يجمعهم الاتجاه إلى غرض واحد و ((الأحزاب)) الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء ﷺ (٢١).

أما مفردة ((الاختلاف)) فهي: أن يعتقد كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون فكان نصيبهم الاختلاف ففرقوا على ثلاثة أحزاب اختلفوا في عيسى عليه السلام فقالت يعقوبية: هو الله، وقالت النسطورية، هو ابن الله، وقالت الاسرائيلية - المكانية - هو ثالث ثلاثة (٢٢).

أما العبرة من ذكر هذا المحور في النص القرآني، فهو أظهر حقيقة الأحزاب الباطلة في معالجة مسألة التوحيد التي كانت ولا تزال محور خلاف بين المسيحيين وتثبيت حقيقة الوحدةانية وتوكيدها في نفوس المسلمين.

المحور الثاني: قوله تعالى: ﴿جُنْدُمًا

هَٰئِكَ مَهْزُومٍ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ - قوم شعيب - أُولَٰئِكَ

(٢١) الجوهري: الصحاح ج ١ ص ٢٥٨ ومعجم الفاظ القرآن ج ١ ص ٢٦٤.
(٢٢) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٥١٤.

(٢٣) الزمخشري: الكشاف ج ٤ ص ٧٤ وكذلك اللؤلؤسي: روح المعاني ج ٦٢ ص ١٦٣.

الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني).....

• البصائر

عند أهل الكتاب من المعارف والأحكام المحرفة^(٢٥) وغرض الآية موقف تلك الأحزاب من مسألة التوحيد وإظهار فكرة التثليث التي يرفضها القرآن ويحاربها الإسلام.

المحور الرابع: قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبِيَائِهِمْ وُلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠-٢٢].

الأحزاب: جمع حزب وهم بنو أمية، وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزى كلهم من قريش، وأتلف معهم من بني النضير من اليهود وبنو وائل^(٢٦) بتحريض

(٢٥) الطباطبائي: الميزان ج ١١ ص ٣٧٢.
(٢٦) قال ابن إسحاق: القوات التي شاركت في غزوة الخندق، خرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخطفان، وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف

أَنْ أَعْبَدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبٍ ﴿سورة الرعد: ٣٦﴾.

إن تاريخ العلاقة بغير المسلمين التي أشارت إليها بعض الآيات القرآنية كانت علاقات متشابكة ومن غير الممكن اختزالها في موقف واحد بل تستوعب مواقف متعددة، وقد تضمنت هذه الآية بعض المواقف الإيجابية من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ يعني بهم مؤمني أهل التوراة ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فالمعنيون بالآية المحقون من النصراري وهم القائلون بكون المسيح بشراً رسولاً كقول ((النجاشي)) وأصحابه الذين هم في عصر النزول، ويرى الطباطبائي أن ذيل الآية يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ قال: فإنه أنسب أن يخاطب به النصراري^(٢٤) وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ﴾

من أحزاب أهل الكتاب من ينكر بعض ما أنزل على الرسول، وهو ما دل منه على التوحيد ونفي التثليث وسائر ما يخالف ما (٢٤) الطباطبائي: الميزان ج ١١ ص ٣٣٢.

من اليهود^(٢٧) على غزو المدينة في شوال
السنة الخامسة للهجرة^(٢٨) وكانت هذه

= في بني مرة، ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه
من قومه من أشجع/ السيرة النبوية ج ٣
ص ٢٢٥.

وذكر الواقدي: عدد القوات المشاركة قال:
وخرجت قريش ومن تبعها من أحباشهم
أربعة الألف، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس
وكان معهم من الظهير ألف وخمسمائة بعير،
وخرجوا يقودهم ابو سفيان بن حرب بن
أمية (المغازي ص ٤٧٧).

(٢٧) يرى أحمد صالح العلي: أن من الصعب
قبول ابن إسحاق والواقدي أن قيام
مشركي مكة بمعركة الخندق كان استجابة
لتحريض بني النضير، ويعلل ذلك بأن
رجال قريش كانوا متمرسين في السياسة،
ويدركون مصالحهم الخاصة، فيهتمون
بها دون غيرها ولم يسبق لهم أن شاركوا
في حرب تخدم مصلحة غيرهم. ويرجح
أن قيام قريش بإعداد الحملة كان لتأمين
مصالحها الخاصة المهددة، وليس لمجرد
استجابة عاطفية لتحريض نفر من اليهود
الدخلاء الأغراب عليهم وقال: إذا
صح اتصال اليهود بهم فإن الغرض من
هذا الاتصال التشجيع والتنسيق وليس
لإعداد قريش لعمل كبير يخدم مصالح
غيرها/ الدولة في عهد الرسول ج ١
ص ٢٣٤-١٣٥.

(٢٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٢
ص ٥٦٤.

الأحزاب تسوقها رغبة ليس لمصلحة
خاصة فقط بل خلق رأي عام وثني مقابل
دعوة التوحيد وغرض هذا الحراك الوثني،
الرفع من شأن قيم جاهلية كانت سائدة في
الجزيرة تعرض الإسلام لسحقها وإيقاف
نشاطها.

هذه الأحزاب أتلفت وكونت حملة
عسكرية ضد حركة التوحيد المتنامية
في الجزيرة في الوقت الذي كانت وقائع
المسلمين العسكرية تدك حصون الشرك
الوثني وتقدم كل صور التعاون من اجل
أقامة عقيدة التوحيد في شبه الجزيرة ولكن
القدرة القرشية في أبعادها القبلية المتعددة
العناوين تملك قوة الإرادة بين صفوف
القبائل وقوة النفوذ والمبادرة للحرب،
وتحويل هذا الجمع المتحزب إلى جيش
يقود معركة شاملة عرفت ((بمعركة
الأحزاب)) وكان بوسعها الانقضاض
على معالم التوحيد الذي انتشر في ربوع
الجزيرة إلا أن العناية الإلهية تدخلت في
الوقت المناسب لحسم المعركة لصالح
المسلمين.

استكملت الآية المشار إليها مواقف



الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... **البصباح** .

الانتصار الساحق ((يحسبون الأحزاب الذين انهزموا)) أنهم لم يذهبوا من شدة فزعهم وتمنوا أن لو جاء الأحزاب وأن يكونوا في البوادي مع الأعراب يسألون عن أخبار المسلمين ولم يجاهدوا معهم (٣٠). والآيتان تحددان بوضوح الصفات التي عليها حال الحزبين وطبيعة الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان، وقد تظهر محاور هذا الصراع من المواقف التي يتخذها كل واحد منهما.

الآية الأولى: تستعرض موقف المنافقين المتمثل ((بحزب الشيطان)) كأنما تصف الرعب والخوف الشديد، وهي الصفة الأكثر قرباً والتصاقاً ((بحزب الشيطان)) والتي تمثل أوضح وأرسخ معاني الجبن في نفوسهم فهم يخجل لهم من خوفهم أن الأحزاب الذين تلاشت قوتهم وتبعثرت في صحراء المدينة كانوا يخافونهم عند عودتهم المفترضة وكانوا يودون لو كانوا في البوادي مع الأعراب يسألون عن أنباء الحرب ولا يكونون بين المقاتلين مع انهم عند حضورهم كأنهم غائبون عن

(٣٠) الطوسي: تفسير البيان ج ٨ ص ٣٢٦.

المنافقين من غزوة الخندق في آيات سابقة عندما اشتد الخطب، قالوا: وهم يخذلون الناس، كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وأن أهدنا لا يقدر على أن يذهب الآن لقضاء حاجته فترجم الله قولهم هذا ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب: ١٢] وقد همَّ المنافقون والذين في قلوبهم مرض بالفرار من معسكر الرسول لإيقاع الخلل والفرع في صفوف المجاهدين ولكنهم استأذنوا رسول الله ﷺ كذباً ونفاقاً يقولون: ﴿ إِنَّا بِيَوْمِنَا غُورَةٌ ﴾ - ولكن الله كذبهم - ﴿ وَمَا هِيَ بِغُورَةٍ ﴾ **إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ﴾ [سورة الأحزاب: ١٤] ولما هزم المسلمون أبا سفيان ومن معه من عرب الجزيرة ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ بعلي بن أبي طالب بعدما قتل قائدهم العسكري عمرو بن ود (٢٩) دب الرعب في قلوبهم ووقع التخاذل في صفوفهم بعث الله عليهم ريحاً عاصفاً في ليل شات ففرق جمعهم وفضلوا راجعين إلى ديارهم مذعورين ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾ ولكن المنافقين لم يتعضوا بهذا

(٢٩) الطبرسي: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٦.

المعركة (٣١) ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

الآية الثانية: تحدد الإيذان المتمثل ((بحزب الله)) الذي هو وصف واستقراء لحالة المؤمنين لما شاهدوا أحزاب الشيطان تنزل وتطوق المدينة بجيوشهم، فكان انطلاقا من عقيدتهم السليمة التي سبب رشدهم وتبصرهم في الإيذان وتصديقهم لله ولرسوله عندما وعدهم أن الأحزاب سيتظاهرون عليهم فلما شاهدوهم تبين لهم أن ذلك هو الذي وعدهم به ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ على خلاف ما ظهر من المنافقين والذين في قلوبهم مرض من الارتياب والقول السيئ (٣٢).

بعد انتصار المسلمين في معركة الأحزاب أستمع الصراع الخفي والمعلن يقوده ((حزب الشيطان)) وهم جماعة من المنافقين الذين أسلموا مكرهين، كشف القرآن عن ما تنطوي عليه أنفسهم المريضة (٣١) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢٠٢. (٣٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ١٦ ص ٢٨٩.

من النفاق، كلما أحرز الإسلام انتصاراً ازداد حقدهم وتآمرهم، فهم يتظاهرون بالإيمان ويتخذون الكافرين أولياء تقرباً وتحبباً ومودة ومساندة ومناصرة من دون المؤمنين فوصف القرآن تلك ((الموالاة)) البغيضة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنُغُونَ عَلَيْهِمُ الْعُرَةَ فَإِنَّ الْعُرَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٣٩].

هذا وصف - يراه صاحب الميزان - أعم مصداقاً من المنافقين الذين لم تؤمن قلوبهم، وإنما يتظاهرون بالإيمان فهم طائفة من المؤمنين لم يستقر الإيذان في قلوبهم وهم لا يزالون مبتلين بموالاة الكافرين والانقطاع عن جماعة المؤمنين والاتصال بهم سراً واتخاذ بطانة منهم وخاصة لهم يعتمدون عليهم حتى في زمن الرسول ﷺ.

فكونهم سالكين مسلك المؤمنين أثبت الله لهم بعض الذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فأثبت لهم شيئاً من ذكر الله تعالى وهو بعيد الانطباق على المنافقين الذين لم يؤمنوا

الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... **البصياح** •

كان العنصر المنافق هو الفاعل في التغيير والمؤثر في الاتجاه السياسي والاجتماعي، ولا يشك المتابع للأحداث التي واكبت عصر الخلافة إنه صراع قائم بين ((حزب الله)) و ((حزب الشيطان)) مصداق قوله تعالى: ﴿ **أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [سورة المجادلة: ١٩].

الرؤية الولاية لمجتمع المدينة

في نظر القرآن

مدخل تعريفي:

قد ينظر إلى الدراسات القرآنية بتعدد موضوعاتها من حيث المبدأ، ولكن كثيراً ما يتم إغفال تصور الرؤية القرآنية للحياة الاجتماعية والسياسية للبواكير الأولى لدولة الرسول في المدينة، لما لها من سلطة تتمتع بشرعية ذاتية ولائية لكونها ولاية مطلقة قطعية الدلالة والسند لأنه ﷺ ﴿ **أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنٰ أَنفُسِهِمْ** ﴾ فتكون السلطات كلها مجتمعة ومتمركزة في شخصه ﷺ هو الولي الشرعي للأمة، وقد أمره الله تعالى ووجه عنايته للأمر التي تنظم حياة المسلمين الاجتماعية

بقلوبهم قط^(٣٣) ولكن بوصفه نصاً دينياً يؤطر مختلف هذه النماذج غير المؤمنة بإطار الدين محاولة حبسهم داخل إطار المعطيات الإسلامية كما فعل النبي ﷺ مع أبي سفيان عند دخول مكة فاتحاً.

إذن فالموالاة من معانيها، التناصر والتناصر والتعاطف والتعاقد والتوادد وهي كلها صفات يراد بها العزة والسؤدد الذي فقده، فهم يطلبونه في غير مظهره فكان الجواب بصيغة الإنكار ﴿ **أَيَبْنَعُونَ** **عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾.

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تسجل مواقف للمنافقين وتكشف نفاقهم وصراهم المستمر مع الإسلام، ولم تكن حياة المسلمين خلال السنوات العشر التي عاشوها في ظل الوحي في المدينة خالية من الأحداث التي ارتبط وجودها بالمنافقين، ولما أنقطع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ ظل الصراع مستمراً والوقائع المثيرة للجدل مشبعة بحقد عميق حتى إذا ما تغير نظام ((دولة الرسول)) من الولاية إلى الشورى

(٣٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ٥ ص ١١٥.

وخصائص النزول بأوسع معاني السياقات الأدبية والأسباب التاريخية، حتى اتسعت لديهم مساحة الناسخ والمنسوخ، وكل أسباب النزول، وأنواع المكى والمدني بحسب تعاقبها في النزول.

كان من فوائد هذه الدراسات معرفة خصائص القرآن الكريم الذي هو حجة الله البالغة على خلقه والذي تتوقف معرفة العلوم الإنسانية على معرفته، ولا يمكن معرفة الدين الإسلامي والأديان السماوية الأخرى، إلا بفهمه فهماً صحيحاً.

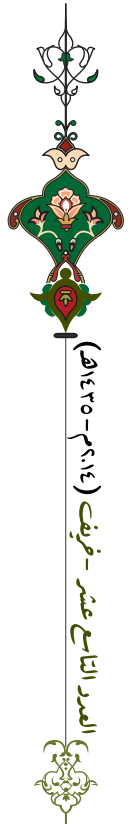
لذا فمن الجدير بنا أن نقيّم هذا الجهد العظيم الذي قام به المخلصون من علماء الأمة، ولو اكتفينا بنتائج ما قاموا به من دراسات لما وسعنا مواكبة التطور العلمي واتساع ساحة الدراسات الحديثة المتخصصة في العلوم القرآنية لبيان وتوضيح أغراضها حيث تعرض الكثير منها للدراسات الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن الأخلاقية التي زخرت بها

والسياسية جزاءً لهم على إيمانهم، لذا، وبواسطة منهج هذه الولاية التي اوجدت ثورة فعلية في المجتمعات فلا بد من بلورة نظرية علمية موضوعية خاصة في علم الاجتماع التاريخي في ضوء القرآن ولم تكن هذه الرؤية حاضرة في الدراسات القرآنية التراثية، وأن تمسك بعض المفسرين بالمنهج التاريخي وتعرضوا إلى حوادث اجتماعية عالج موضوعاتها القرآن ولكن لم تتح لهم معالم الرؤية الاجتماعية التي زخرت بها آيات القرآن. ولما كان عدم الرؤية هذا أوجد حواجزاً وحدوداً أمام الدراسات القرآنية وفق المتغيرات الحياتية للمجتمع، انعكس الأمر سلباً على منهجية البحث القرآني الحديث.

ومن المعلوم أن آفاق الدراسات القرآنية التراثية واسعة ومتسعة لأكثر العلوم الإنسانية وإن علماء التفسير درسوا كل شيء يتعلق بعلوم القرآن، في أوسع مجالات أبنيتها أو قواعدها وعلاقة المعاني بالألفاظ في حيزها اللغوي وإعجازها في الفصاحة والبلاغة^(٣٤) درسوا أحوال (٣٤) راجع في ذلك كتاب الصناعتين لأبي هلال

العسكري، ودلائل الإعجاز للجرجاني وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي والمثل السائر لأبن الأثير.





الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني)..... البصائر

مسالك حياتهم وأطوعهم انقياداً للدين وأكثرهم طاعة له، ولعل هذه الطاعة هي التي استحققت وصف الله تعالى لهم بالإيمان في أكثر آيات القرآن لأنهم تمكنوا من العمل بقواعد الشريعة استجابة لأمره تعالى والتزموا بالأمر والنهي الذي أوجب الله العمل به احتساباً، وخصهم بولاية بعضهم بعضاً دلالة على وحدتهم الإيمانية قال تعالى في وصفهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٧١].

أما الصورة الثانية: لمجتمع المدينة، فقد تمثلت في فئة المنافقين* وهي صورة قائمة (*): المنافقون : مفرداً منافق وهم اسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهره وكان الأصل من نفاق حيث ذكروا أن اليربوع يحفر في جحره طريقاً يكتمها تسمى ((النفقاء)) يظهر طريقاً مخالفاً لها تسمى ((القصعاء)) فإذا أتى من وجهة الطريق الظاهر ضرب النفاق برأسه فأنتفتحت ونجا وقد قيل أن النفاق لفظ حبشي معناه البدعة والضلال وهو في الحبشة من الألفاظ =

النصوص القرآنية والذي يهمننا في هذا الاتجاه ما ذكره القرآن - وهو الأساس المعتمد لسيرة الرسول ﷺ في المدينة - والوقوف عند آياته التي قارب نزولها في المدينة ثلثي القرآن الكريم واستوعبت أكثر الحوادث الاجتماعية، ونظراً لهذه المعطيات القرآنية، فليس من الصعب الوقوف عندها لتتضح معالم النظام الاجتماعي في دولة الرسول حيث تتحدد به ملامح فئتين الكل منهما تناقض صفتها صفة الأخرى ومن خلال هذا التناقض تتحدد معالم النظام الاجتماعي.

مجتمع المدينة في نظر القرآن

ينطلق القرآن الكريم من خلال نصوصه ليرسم صورتين للحياة الاجتماعية السائدة آنذاك في المدينة أريد من خلالها تطبيق أحكام الولاية التي فرضها الله على المسلمين والتي تضم أعضائها الجماعة المؤمنة بعضهم إلى بعض لتقتدي بها المجتمعات الأخرى.

الصورة الأولى: تمثلت في فئة اجتماعية تخص المؤمنين الذين آمنوا برسالة الإسلام إيماناً مطلقاً، كانوا أحسن الناس انتظاماً في

تمثل شريحة اجتماعية غير واضحة السلوك والمعتقد للمجتمع المدني، أظهرت الإيمان وأبنت الكفر فكانت أخطر من الكافرين على الإسلام والمسلمين، اختارت هذه الفئة لنفسها العيش في ظلام الجاهلية مع وجود نور الإسلام، وكان دورها سلبياً استعمل في سياق العلاقات مع من يتربص بالإسلام الدوائر من يهود المدينة والوثنية القرشية، ولما كثر عددهم في المدينة ومن حولها من الأعراب، أصبحوا يشكلون كتلة اجتماعية مناوئة للإسلام.

كانت هذه الفئة المنافقة لا ترى أن القرآن كلام الله منزل من عنده تعالى، وكان أكثرهم لا يرى الصدق في قول رسول الله ﷺ، وعندما تتلى على الناس آيات من القرآن يستهزؤون بها فحكى الله قولهم حين قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤].

ولما كان هذا حالهم، ظل ينتابهم

=العبرانية/ الرافعي: تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٢٢١ مع الهامش.

الشعور بالإثم ويود أحدهم أن يخرج من ظلمة الغفلة هذه إلى نور الإيمان، ولكن نفوسهم المريضة تدفعهم إلى التمرد على مجتمعهم المؤمن، وهم مع ذلك كانوا يخافون ظهور نفاقهم وافتضاح ما خبئوا في سرائرهم الخفية^(٣٥) أن ينزل الله بحقهم سورة تخبر عما في قلوبهم من نفاق وشرك، ولكن في الوقت نفسه تراودهم المخاوف أن يكون النبي ﷺ صادقاً فيخبره الوحي فيفتضح أمرهم^(٣٦) وإذا بالوحي كما ظنوا أنزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٤].

في الآية ((استعارة)) - كما يراها الشريف الرضي - لأن السورة نطقها من جهة البرهان لا من جهة اللسان، فكأنه تعالى أراد للناس أن يعلموا بهذه السورة النازلة في المنافقين في إظهار ما في بواطن نفوسهم حتى يعرفوهم على حقيقتهم

(٣٥) الطباطبائي: الميزان ج ٩ ص ٣٢٨.

(٣٦) الطبرسي: مجمع البيان ج ٥ ص ٤٦.



الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني).....

• البصائر

بما ذكر الله من أوصافهم ومذموم أخلاقهم (٣٧).

أما السورة التي ذكرت في الآية جاءت في وصف المنافقين وكانت ترمز للظواهر الاجتماعية السائدة في مجتمع المدينة وضواحيها فضلاً عن الطريقة التي عالجتها حركة النفاق حيث سجلت آياتها مواقف حاسمة شكلت جانباً مهماً من التحديات لاسيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يرثون جواً من التخاذل والتشكيك وتكذيب ما جاء به الوحي حيث كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وأرادوا بقولهم ((نشهد أنك رسول الله)) حكاية لإظهارهم الإيثار بالشهادة على الرسالة فإن في الشهادة إيثاراً بما جاء به رسول الله ﷺ ويتضمن الإيمان بوحدانيته تعالى وبالمعاد وهو الإيمان الكامل (٣٨) هو ما

استوجب رد القرآن الصارم والحازم على هذا النفاق المبطن ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١)

(٣٧) الشريف الرضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ٦١.

(٣٨) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ١٩ ص ٢٧٩.

أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ بِئِنَّ يُوْفِكُونَ ﴿٤﴾ [سورة المنافقون: ١ - ٤].

هذا الموقف القرآني الصريح والعنيف أيضاً يحمل الكثير من الدلالات كلها تشير لحركة المنافقين التي بلغت مرحلة خطيرة في النفاق تبطن الكفر وتضمحل العداوة للإسلام فكان تحركها في الوسط الاجتماعي اشد ضرراً وأكثر الأذى أثراً على المسلمين وقد أخبرهم رسول الله ﷺ يوماً بما كانوا يفعلون عند رجوعهم من غزوة تبوك فخافوا واعتذروا قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخْوُضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة: ٦٥] حتى نقطع الطريق.

كان هؤلاء جماعة ممن خرج مع النبي ﷺ لهذه الغزوة يخوضون ويلعبون في الباطل من الكلام (٣٩) كما وصفهم

(٣٩) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ١٩ ص ٢٧٩.

القرآن الكريم فتواطؤاً يوماً في ما بينهم على أن يمكروا بالنبي ﷺ وأسروا ذلك بكلمات كفروا بها بعد إسلامهم، ثم هموا أن يفعلوا ما اتفقوا عليه بفتك أو نحوه فأبطل الله كيدهم وفضحهم (٤٠) ولذلك أجاهم رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿ يَا اللَّهُ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

هذه واقعة واحدة أظهرها القرآن من أباطيلهم وتآمرهم على رسول الله ﷺ عندما كان راجعاً من سفره الجهادي من تبوك، وهناك وقائع أخرى حدثت لرسول الله مع هذه الزمرة المنافقة كان أبرزها هذا الموقف الاجتماعي الذي يصوره القرآن نموذجاً واضحاً وصورة شاخصة تتم عن حركة دائية يظهر فيها موقف الموازنة من تلك الطائفتين المتقابلتين تقابل التضاد.

الأولى: كما مر طائفة المؤمنين الذين آمنوا برسالة السماء إيماناً صادقاً أساسه تقوى الله والعمل على مرضاته.

الثانية: طائفة المنافقين الذين أخذ

(٤٠) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ٣٢٦.

نشاطهم يتسع في المدينة ومن حولها مصحوباً بحركة منظمة ضد الإسلام، وكان أحد مظاهر هذا النشاط بناء مسجد إلى جانب مسجد قباء ليضروا به ويفرقوا المؤمنين منه عرف هذا المسجد بعد ذلك ((بمسجد الضرار)).

هكذا رصد القرآن عمل مجتمع المدينة في عصر الرسول، وقد يمتد إلى غيره من العصور حيث رسم مشهداً متكاملًا تبرز فيه حركة الإيمان نموذجاً فاعلاً في الحياة، ثم أجرى مقايسة بين الإيمان القائم على ((تقوى الله)) وعمل النفاق القائم على الضلال وهو ((معصية الله)).

كانت حركة الإرصاء هذه بدأت وكأنها شاخصة حاضرة لتثبيت هذه الحقيقة التي درج عليها المجتمع، وقد لا يخلوا منها مجتمع من المجتمعات وتوكيدها في النفوس لذا ضرب الله تعالى لذلك مثلاً جاء مكملًا لعمل الفتيتين المؤمنة والمنافقة في قوله تعالى:

﴿ أَقْمِنَ أَسَسَ بِئِكَنتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنِ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنِ أَسَسَ بِئِكَنتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَاكِ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ ﴾



الولاية التشريعية في الرؤية القرآنية (القسم الثاني) **البصباح**

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [سورة التوبة: ١٠٩].

إن المثل القرآني هذا يمكن أن تتضح فيه المقارنة في إظهار البنائين اللذين يمثلان الإيمان في أقوى صورته، والنفاق في أضعف صورة لذا عندما أظهر القرآن صورة النفاق الذي مثل له ((بشفا جرف هار)) في قلة الثبات فانهار في جهنم، أي كأن حالة المنافقين التي شبه فيها حالهم، بحال من يبني بنياناً على شفير واد، لا ثقة بثباتها وقوامها فتساقطت بما بني عليه من البنيان فانهار في وادي جهنم^(٤١) بخلاف من أسس بنيانه على قاعدة قوية محكمة البناء وهي الحق والعدل ((تقوى الله))^(٤٢).

إذن لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المتقي ثابت مستقيم مبني على أصل صحيح، وعمل المنافق ليس كذلك يترأى دائماً بالسقوط^(٤٣) ولا يرى -الفخر الرازي- مثلاً أظهر صورة

(٤١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ٣٩١.

(٤٢) الزمخشري: الكشاف ج ٢ ص ٣١٢.

(٤٣) الطبرسي: مجمع البيان ج ٥ ص ٧٣.

النفاق على واقعها بهذا الوصف البليغ، كمثل هذا المثل القرآني^(٤٤) ولا أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل عند الزمخشري^(٤٥).

ليس هذا الوصف اختص بالمنافقين، وإن كان سبب النزول يخصهم وحدهم لما كان من قصة تأسيسهم ((لمسجد الضرار)) الذي بنيت قواعده على غير تقوى الله، حيث قصد من ورائها الإضرار بالإسلام، وإنما جاء الوصف لحالة معنوية تضمنتها الآية وهي ((الاستعارة التخيلية)) أخذ وجه الشبه فيها، في استعارة المحسوس المادي إلى المنقول العقلي، فكأن المحسوس المادي هو البناء والمنقول هو ((التقوى)) وكذلك الحال في الثاني، كان المحسوس المادي البناء والمنقول هو ((الشر)) وهو عقلي أيضاً. وكل هذه الصورة الوصفية في الآية، إنما استعيرت استعارة ((تخيلية)) لإثبات أمر عقلي لإيضاح العمل النافع من العمل الضار وهما يتلازمان تلازم

(٤٤) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج ١٦ ص ١٩٧.

(٤٥) الزمخشري: الكشاف ج ٢ ص ٣١٢.

الضد يمثلان امتداداً - إذا ما أردنا إجراء في أي عمل تعبدي آخر - نجده صفة مميزة له يتفرق فيها الإحساس بين الهدى والضلال^(٤٦).

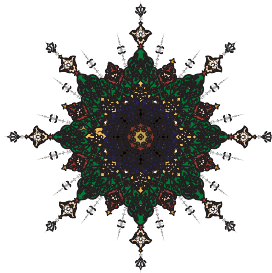
بذلك نستطيع أن نقول: إن غموض وسرية تحرك المنافقين وعملهم السري غير المعروف في الوسط الاجتماعي لا يلغي وجودهم كخطر يهدد وحدة مجتمع^(٤٧) المدينة ولذلك حذر الله منهم في السورة الحاملة لأسمهم ((المنافقون)) والذاكرة لأوصافهم العامة الجامعة وتعريفهم بها ليحذر المؤمنون أستتماماً للقسمة التي أظهرها الله في الآيتين السابقتين وخص كل منها بولاية بعضهم البعض الآخر.

(٤٦) موسى راضي نصار: الجهاد الدفاعي وظاهرة الارهاب المسلح ص ٩٧.

(٤٧) موسى راضي نصار: نظام الحسبة في الإسلام بين التنظير والتطبيق ج ١ ص ١٣٦.

اهتم القرآن بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً ووصفهم بأدق الوصف وأعنفه وذكر مساوئ أخلاقهم وأكاذيبهم وخداعهم ودسائسهم والفتن التي أشعلوا جذوتها على النبي ﷺ وعلى المسلمين، وقد تكرر ذكرهم في السور القرآنية كسورة البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب، والفتح، والحديد، والحشر، والمنافقون، والتحريم. وقد أوعدهم في كل هذه الآيات المذكورة في السور أشد الوعيد ففي الدنيا كان الطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وجعل الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم وإذهاب نور إيمانهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون الحق، وفي الآخرة يجعلهم في الدرك الأسفل من النار^(٤٨).

(٤٨) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ١٩ ص ٢٨٨.





Bismillah

Al-Fatiha
In the name of the Most Gracious, the Most Merciful

the Most Gracious, the Most Merciful
the Most Gracious, the Most Merciful

the Most Gracious, the Most Merciful
the Most Gracious, the Most Merciful

the Most Gracious, the Most Merciful
the Most Gracious, the Most Merciful

the Most Gracious, the Most Merciful
the Most Gracious, the Most Merciful

Al-Fatiha

صِيغَةُ (أَفْعَالٍ) مُضَافَةً إِلَى الضَّمِيرِ (هَا) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

م.د. زهراء خالد سعد الله العبيدي
كلية الآداب - جامعة الموصل

أ.م.د. محمد توفيق الدُغمان
كلية الآداب - جامعة الانبار

فحوى البحث

يقع البحث في هذه الصيغة: في أي المواطن ذكرت؟
وفي أي المواضع استعملت؟ ولماذا اختيرت؟ ماذا جاورها؟
وما دلالتها؟ وماذا لو سقطت؟ وماذا لو اضيفت الصيغة الى
الاسم الظاهر؟ وما أثرها في الدلالة السياقية للنص القرآني؟
وبعد تلمس مواطن الملابس بالضمير (ها)، والفرق بين دلالات
الإضافة والتجريد، في كتب التفسير واللغة والنحو والمعاجم
والمشكّل والغريب، نبّه الباحثان الى عدد من الدلالات القصديّة
السياقية في الصيغة والضمير. وقد جاء البحث في تمهيد عن
دلالة الضمير وأربعة مباحث.

صيغة (أفعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن البصباح •

تمهيد في دلالة الضمير:

تدور معاني (ضمير) حول الخفاء والضآلة، فالضُّمْر بضم الضاد والميم أو بإسكان الميم، هو الهزال، لأن؛ «الضُّمْر بالضم الهزال، ولحاق البطن... والضُّمْر من الرجال الضامر البطن... وتضمير الخيل أن تُشَدَّ على سروجها، وتُجَلَّل بالأجلة، حتى تُعَرَّفَ تحتها فيذهب رهلها، وقضيب ضامر، منضمّر وقد انضمّر اذا ذهب ماؤه... والضمير: العنب الذابل»^(١).

هذه الأصول والمشتقات، تميل بمعانيها إلى (الهزال، وذهاب الرحل، وذهاب الماء، والذبول) وكلها تؤدي معنىً واحداً هو الانكماش، وثمة وجه آخر هو أخفى مما أومأت إليه؛ وهو «السر داخل الخاطر... والشئ الذي تضمّره من العادات ما كان عن تسويق، والمال الضمار هو الغائب»^(٢)، والضمير ما تُضمّره في نفسك ويصعب الوقوف

(١) اللسان: لابن منظور الافريقي المصري: ٤ / ٤٩١، (ضمير).
(٢) اللسان: لابن منظور: ٤ / ٤٩١، (ضمير).

عليه، وبما أن الغرض من استعمال الضمائر الاختصار، فإن ذلك يتماشى مع المعنى اللغوي الذي هو الخفاء والانكماش. هذا في اللغة أما الضمير اصطلاحاً: فهو (فعل) بمعنى اسم المفعول، أي (المضمّر)، وإنما سمي ضميراً، لأنه من؛ أضمّرت الشئ إذا سترته وأخفيتّه، وقيل: سمي بذلك لكثرة استتاره^(٣). والضمير من مصطلحات البصريين، وأما الكوفيون «فيسمونّه كناية ومكناً، لأنه ليس باسم صريح»^(٤). وهو عند النحاة: ما دلَّ على متكلّم ك (أنا)، أو مُحاطَب ك (أنت)، أو غائب ك (هو).

لقد تعرض النحاة للضمير تعريفاً وتوصيفاً، فسيبويه (١٨٠هـ)، اجتزأ قائلاً: «وأما الإضمار فنحو: هو وإياه وأنت»^(٥)، ونبعد قروناً، فإذا بابن يعيش (٦٤٣هـ) يصفه بأنه: «اسم كني به عن اسم»^(٦).

(٣) ينظر معجم الافعال المتعدية بحرف: ٢٥١، و شرح شذور الذهب: ١٣٤ و شرح التصريح، للشيخ خالد الازهري: ١ / ٩٥ ومعاني النحو: ١ / ٤٥.
(٤) شرح التصريح: ١ / ٩٥.
(٥) الكتاب، سيبويه: ٤ / ١٢٧.
(٦) شرح المفصل، لابن يعيش: ٣ / ٨٤.

وعرّفه الرضي (٦٨٦هـ) بقوله: «ما وُضع
لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم ذكره
لفظاً أو معنى، أو حكماً»^(٧). وزاد ابن كمال
باشا (٩٤٠هـ) فقال: هو «الاسم المتضمن
للإشارة الى المتكلم، أو المخاطب، أو
الغائب بعد سبق ذكره لفظاً تحقيقاً، أو
معنى، أو حكماً»^(٨). واعتذر السيوطي
(٩١١هـ) عن التعريف فقال: «ولكونه
الفاظاً محصورة بالعدّ استغنيا عن حدّه كما
هو اللائق بكل معدود كحروف الجر»^(٩).
وليس هذا بالاستقصاء، لكنه بيانٌ مُعَبَّرٌ.

ومع أنّهم ربطوا بين الضمير والاسم
العائد إليه، إلا أنّه اقتضى تقدم المفسر على
الضمير الغائب؛ «لأنّه وضعه الواضع
معرفة لا بنفسه، بل بسبب ما يعود
عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسر بقي
مُبهماً منكرّاً لا يعرف المراد به»^(١٠)، إلا

(٧) شرح الرضي على كتاب الكافية في النحو:
٣ / ٢. وينظر: شرح ابن عقيل على الفية
ابن مالك: ٨٨ / ١.
(٨) أسرار النحو: لأحمد بن سليمان (المعروف
بابن كمال باشا): ١٧٠.
(٩) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام
جلال الدين السيوطي: ١ / ٥٦.
(١٠) شرح الرضي: ٢ / ٥.

لغرض بلاغي يقتضي ذلك، كما في ضمير
الشأن، وفي البيان بعد الإبهام. إذ ليس من
الضرورة أن يكون عائداً الضمير مذكوراً
في الكلام، فقد يُستدل عليه من المعنى أو
من السياق، أو يعود على بعض ما تقدم،
وذلك من الإيجاز الذي يقوم مقام الإكثار
والإظهار. وقوي إضمار هذا لشهرة
الاستعمال فيه، وللضائر وظيفة خاصة
من أجلها وجدت في الاستعمال اللغوي،
وهذه الوظيفة لخطرها استلزمت بقاء
الضائر، ودوام استعمالها بدوام اللغة.

لقد بين القدماء أنّ الغرض من
استعمال المضمرة هو الإيجاز والاختصار
والاحتراس من الإلباس،

« فأما الإيجاز فظاهر؛ لأنك تستغني
بالحرف الواحد عن الاسم بكامله،
فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم،
وأما الإلباس؛ فلأنّ الأسماء الظاهرة
كثيرة الاشتراك، فاذا قلت: زيد فعل،
جاز أن يتوهم في زيد الثاني أنّه غير الأول،
وليس للأسماء الظاهرة أحوال تفرق بها
إذا التبست، وإنّما يزيل الالتباس منها في
كثير من أحوالها الصفات... والمضمرة



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

كضمير (رُبّ) ونحوه، وإذا كانت جائزة التنكير كما في قولك: جاءني رجل فأكرمته، فالضمير معرفة»^(١٣).

هذا موجز عن الضمير ودلالاته عند النحاة، وإذا كان فريق من مفسري القرآن الكريم قد توقف عند توجيهات محددة في بيانه لدلالات اتصال الضمير (ها) بصيغة (أفعال)، فليس هناك ما يمنع من محاولة لإضافة توجيه جديد في أمثلة مستقراة من القرآن الكريم يُظهر فيها التوسع دلالة لم يُشر إليها في السياق، وتُظهر هي قصديّة في الخطاب، وتعييناً ونسبةً. نسأل الله التوفيق والفتح، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول

دلالات نوعية

دلالات الإضافة والصيغة في الكلمتين (أبواب و أقفال).

١. دلالات نوعية في إضافة الضمير

(ها) لكلمة (أبواب):

صيغة (أفعال) من صيغ جموع التكسير الدالة على القلة، «وإذا قرّن جمع القلّة بـ: (أل) التي للاستغراق، أو

(١٣) الكليات لأبي البقاء: ٥٧١.

لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات؛ لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم، والمخاطب، والمشاهدة، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم»^(١١).

أما من جهة التعريف «فأعرّف المضمّرات المتكلم، لأنّه لا يُؤهم غيره ثم المخاطب، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة، وأضعفها تعريفاً كناية الغائب، لأنّه يكون كناية عن معرفة ونكرة، حتى قال بعض النحويين: كناية النكرة نكرة»^(١٢).

كذلك اختلفوا في الضمير العائد إلى النكرة هل هو نكرة أو معرفة؟، ف«قيل إنّه نكرة مطلقاً، وقيل معرفة مطلقاً، وقيل: إنّ النكرة التي يرجع الضمير إليها، إمّا أن تكون واجبة التنكير أو جائزته، والأول

(١١) شرح المفصل: ٨٤٠٣، وينظر ضامرات الغيبة أصولها وتطورها، بحث للدكتور فوزي حسن الشايب، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت المجلد: ٨ العدد: ٤٦ ١٩٨٧: ص ١١.

(١٢) شرح المفصل: ٣ / ٨٤ - ٨٥.

أُضِيفُ إلى ما يدلُّ على الكثرة، يعني: ما تدلُّ الإضافة إليه على الكثرة وهو المعرفة مفردة أو جمعاً، لأنَّ الإضافة إلى المعرفة تعم ما لم توجد قرينة تخصيص^(١٤)، وكذا إن أُضِيفَ إليها الضمير وهو معرفة دلَّت على الكثرة، أما النكرات فهي تدل على العموم فإن أُضِيفَ لها اسم أو ضمير دلَّت على الخصوص، ودلالة عموم الإضافة هي الاختصاص أيضاً، فالإضافة إذن هي اصطفاء القليل من الكثير، وقد يوصل الضمير إلى دلالة الاختصاص مبتعداً بالسياق عن إرادة العموم فينحصر الأمر في فرد واحد من أفراد غير محدودين بعدد.

ففي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]، «إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، وإتيانها (١٤) شرح الألفية، ابن الناظم: ١٢٢.

من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق الصحيح^(١٥). من هنا ذكروا أنه «يحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم، وأنَّ مثَلهم فيه كَمَثَل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره،... - والمراد - أي: وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تُباشَر عليها، ولا تُعكَّسوا^(١٦).

هذا كلام لطيف، لكننا نناقش من طرف خفي، ما لم يَظْهَر لنا، ولا كُشِفَ منه سرٌّ، ولا رُفِعَ عنه ستر، فالدلالة المرجوة تكمن في قوله تعالى: ﴿أَبْوَابِهَا﴾، وما أدراك ما أبوابها؟.

تأمل قليلاً في هذه الكلمة، وتركيبها العجيب، بين دلالة الاتساع والتخصيص، تجد السياق نكراً الأبواب وأضافها إلى ضمير الغائب، ومن المعلوم أنَّ التنكير يفيد العموم، فعمَّ المعلوم وغير المعلوم، الظاهر وغير الظاهر، المعروف والمكني، الحقيقة والمجاز. إذ إنَّ البيوت

(١٥) البحر المحيط لأبي حيان: ٢ / ٢٢١. وينظر التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (١٣٩٣هـ): ٢٥ / ١٦٦.
(١٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل: ١ / ٢٦٢.



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن..... الصِّيغَةُ

معلومة معرّفة بأل، لكنّ الأبواب غير معلومة، ولا معروفة، وللدلالة على الإتيان الصحيح فإن المراد: أبوابها التي يسمح لكم بدخولها وإتيانها، وهذه هي دلالة النصّ؛ لأنّ هناك أبواباً لا يُسمح لكم بدخولها، وهناك أبوابٌ مغلقة لا يمكن الدخول منها، وهو مفهوم النصّ فأفاد الضمير النسبة، والتعيين والتخصيص، ولعلنا ندرك أن للبيت أبواباً منها مداخل للغرباء، و مداخل للضيوف من الأقارب، ومنها مداخل للخدم، وأخرى للغرف، وغيرها للمطبخ، وأخرى للنساء، فهي متعددة وهناك خصوصية في دخول كل منها، والهاء والألف حددتا ما لم يتحدد بأل التعريف؛ لأنّه لو لم يُردّ التعيين لأتى بالاسم الظاهر، المعرّف بأل (الأبواب)، أو المعرّف بالإضافة إلى الاسم الظاهر المعرفة، في نحو (أبواب البيوت)، ف (الأبواب) لا تحديد فيها، و(أبواب البيوت) فيها عموم مطلق لأنّ «الجمع إذا عُرِّفَ بـ(أل) حينئذٍ أفاد العموم والاستغراق، وكذلك إذا أُضيف إلى

المعرفة حينئذٍ نقول: يفيد العموم»^(١٧). في حين تبين من إضافة الضمير إرادة التعريف والتحديد لا التنكير، «وإذا قُرِنَ جمع القلّة بـ: (أل) التي للاستغراق، أو أُضيف إلى ما يدلُّ على الكثرة، يعني: ما تدلُّ الإضافة إليه على الكثرة وهو المعرفة مفردة أو جمعاً، لأنّ الإضافة إلى المعرفة تعم ما لم توجد قرينة تخصيص»^(١٨)، من هنا نجد الضمير أفاد توسعاً وتحديداً في الوقت نفسه، أما دلالاته على التوسع فهو أنه يحتمل أن لكل بيت باب واحد، أي: أبواباً للبيوت، ويحتمل في الوقت نفسه أكثر من باب لكل بيت، أي: أبواباً للبيت الواحد. وفي قوله تعالى: ﴿أَبْوَابُهَا﴾ الصيغة تحتمل أموراً، منها أنّ الهاء دلّت مع دلالة المدين الطبيعيين لصيغة أفعال؛ على الاتساع في تنوع الطرق بتعدد الأبواب، ومع أنّ هذه الطرق متعددة إلّا أنّها محددة بالسياق نفسه، فسارت دلالة التخصيص بالضمير

(١٧) شرح الالفية، ابن الناظم: ١٢٣.

(١٨) نفسه: ١٢٣.

أن تكون الأبواب أكثر من البيوت، فقد يكون للبيت أكثر من باب، وهذا مسوغ آخر للإضافة إلى الضمير (أبوابها).

ومن الاتساع أن (أبواب البيوت) لم تكن مقصودة لذاتها في سياق النص، وإلا لقليل: (اتتوا البيوت من أبواب البيوت)، ولشمل الكلام أبواب البيوت كلها، وزال التخصص، لكنه أتى بـ (أبواب) مضافةً إلى الضمير للدلالة على تخصيص أبواب معينة محددة، سواء أكانت حسية أم معنوية، معهودة وغير معهودة، ويدخل في دلالة التخصص حينها أن إتيان أية مسألة ينبغي أن يكون من طريق صحيحة ليس فيها مخالفة.

ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا

إلى الإفهام لا الإبهام، وإلى التعريف لا التنكير، وإلى التحديد بالألف عوداً إلى المؤنث، فأفاد بـ(أبوابها) الأبواب المعلومة المعهودة للبيوت، والقضايا المعلومة المعهودة بين الناس، وأفاد مشروعية الطرق والوسائل جميعها إن ارتبطت بأبواب مخصوصة؛ إذ المراد أبواباً بعينها، ففي بيان الجزء الدلالة على توسع الأجزاء وتعددتها، وهي إفادة ضمنية؛ لأنّ في استعمال الضمير اقتصاداً في النطق، وهذا يتماشى مع دلالة المجاز والاستعارة المراديين في هذا الأسلوب، فكما أنّ التوسع جاء من الإضافة إلى الضمير (ها)، فإنّ التحديد جاء أيضاً من الإضافة إلى الضمير (ها).

ومن الاتساع أننا نجد في بناء (أبواب) دلالة منتهى العموم والشمول حاضرة في النكرة للدلالة على أفراد غير معدودين، فصيغة (أفعال) كما يقول النحاة: هي جمع تكسير للدلالة على القلة ما لم تُضَفْ؛ فإنها حينئذ تفيد الكثرة، ومن هنا فإذا كان بناء (بيوت) على فُعُول وهو بناء كثرة فكيف تكون الأبواب على جمع القلة، إذ المعقول



صيغة (أفعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧١﴾
[سورة الزمر: ٧١ - ٧٣].

تقدم في سورة البقرة قوله تعالى:
﴿ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾^(١٩)، فقد نكّر الأبواب
وأضاف إليها (ها) لدلالة التخصيص،
أي: اثتوا من أبوابها المخصّصة، وفي هذا
الموضع قال تعالى: ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾،
أي: أبواب جهنم، المخصصة للكافرين،
و(وفُتحت أبوابها)، أي: أبواب الجنة،
المخصصة للمتقين. إنّ تنكير الأبواب
يدل على توافر أبواب كثيرة في الموقّعين
(الجنة و النار)، أبواباً متعددة منها هذه
الأبواب المقصودة المخصوصة التي
يساق إليها الكافر، أو التي يساق إليها
المؤمن المتقي، فهناك أبواب للظالمين،
وأخرى للمنافقين، وللمشركين،
والطّاغين والمُسرفين والمُطففين وغيرهم
كلّ بصفته، وفي جهنم منازل ولكلّ منزلة
أبوابها على عدد الزُّمر، وكذا الجنة جنانٌ
بحسب مراتب أهلها، ولكلّ جنة أبوابها
على عدد الزُّمر، فظهر للمتأمل الفرق
(١٩) تقدم الكلام عليها في الصفحات / ٣-٥.

البصباح

الدلالي بين قوله تعالى: ﴿ أَبْوَابُ ﴾ [سورة
ص: ٥٠]، و﴿ أَبْوَابِهَا ﴾ [سورة البقرة:
١٨٩] و [سورة الزمر: ٧١]، و﴿ أَبْوَابِ
جَهَنَّمَ ﴾ [سورة الزمر: ٧٢]، واتّسع
المعنى في دلالة (أبوابها)، فاستعمل الكفر
وهو عموم مطلق في كل مخالفة وستر
للحقيقة، فلمّا اعترفوا بذنوبهم، وتوزّعوا
تحت مسميات وصفات هي جزئيات
تحت ذلك العموم؛ حقّت كلمة العذاب
عليهم، فأزال التحديد والتخصيص،
واستبدل الضمير بالاسم الظاهر فقال:
(قيل ادخلوا أبواب جهنم) للدلالة على
العموم، أي: ادخلوا أبواب جهنم مُشرعةً
جميعها من أي باب شئتم؛ لأنّ الكلام
ليس على الجنة أو النار أو الأبواب، بل
هو على فتح الأبواب، عندما تنهياً النار
لمن سيدخلها، أي: عندما تحين ساعة
الموافاة. إذ ليس في جهنم أبواب مخصصة
بفئة دون غيرها.

على العكس من ذلك مع أصحاب
الجنة من زُمر المتقين، إذ «يقول الحق
جلّ جلاله: ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ ﴾ مساق إعزاز وتشريف، بلا

أهل النار الخائفين المتهيبين المترددين من الدخول فلذلك تجد الأبواب كلها مشرعة لهم بلا تحديد. من هنا نفهم دلالة الإخبار في الخوف من دخول المجهول مع الكافرين، ودلالة الاختيار في الرغبة بدخول المعلوم مع المؤمنين.

ومن الاتساع تأمل ألفاظ القرآن في أهل النار:

جاؤوها - فتحت أبوابها - وقال لهم خزنتها - قيل ادخلوا أبواب جهنم، تجد التوافق والتشاكل بتكرار الضمير (ها) مع الكلمات خلا (أبواب جهنم) أما ألفاظه في أهل الجنة:

جاؤوها - وفتحت أبوابها - وقال لهم خزنتها - سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها فتجد التوافق والتشاكل اللفظي في السياق القرآني بتكرار استعمال الضمير (ها) في الكلمات كلها مع مزية إضافة الضمير الرابع في (ادخلوها)، الأمر الذي حُرِّمَ منه الكافرون؛ فجاء بضمير التحديد ودلالة التخصيص؛ لأنَّ المتقين مخصوصون بها، فهم تَمَلَّكُوهَا بتقواهم، ومنزلتهم مخصوصة، وأبوابهم معلومة، يدخلون في

إسراع ولا تكليف، إلى دار الكرامة والتعريف. يُساقون راكبين مَبَجَّلِينَ، كما يجيء الوافدون إلى دار الملوك، يساقون زُمراً متفاوتين، بحسب تفاوت مراتبهم في الفضل، وعلو الطبقة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا﴾، أي: ظفرتُم،... ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، وحذف الواو

في وصف أهل النار؛ لأنَّ أبواب جهنم لا تُفتح لهم حتى يصلوا إليها، وفي وقوفهم قبل فتحها مَدَلَّةٌ لهم، كما هي حال السجون، بخلاف أهل الجنة، فإنهم يجدونها مفتوحة، قال تعالى: ﴿مُفْتَحَةً

لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [سورة ص: ٥٠]، كما هي حال منازل الأفراح والسرور^(٢٠)، وأضاف الأبواب إلى الضمير إشارة إلى الاختصاص والنسبة، أي: لتدخل كل فئة من الباب المخصص لها، وأهل الجنة لا يخافون فهم يعلمون أبوابهم ويتباهون بها؛ لأنها جزء من التكريم، بخلاف

(٢٠) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المعروف بتفسير ابن عجيبة، أحمد بن مهدي بن المهدي بن عجيبة (١٢٢٤هـ) (١٨٠٩م): ٣٤٤ / ٥.



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن..... **البَصَائِعُ** •

لا يقتصر الأمر معكم على مجرد دخول الأبواب الفضيحة، ولكن وراءها الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة، والمنزل الذي أعده الله لأوليائه، فَبَشِّرُوا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها. فتأمل قوله سبحانه: ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [سورة ص: ٥٠-٥١]، كيف تجددت تحت معنى بديعاً، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي؛ لأن الله تعالى أراد لهم الطمأنينة فجعلها مفتحة لهم الأبواب، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها؛ لإخافتهم، وإدخال الرعب في قلوبهم؛ لأنك إذا أدخلت أحداً حجراً وأغلقت عليه بابها وسط ظلام دامس يخاف ويضطرب، قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [سورة الهمزة: ٨]، أي: مُطَبَّقَةٌ، ومنه سمي الباب وصيداً، وهي مؤصدة في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ، قد جُعِلَتِ الْعُمَدُ مُمْسِكَةً بِ الْأَبْوَابِ مِنْ خَلْفِهَا كَالْحِجْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَجْعَلُ خَلْفَ الْبَابِ (٢١).

(٢١) ينظر حادى الأرواح: ٨٨-٩٤، والكشف

الجنة مطمئنين بلا تردد عند الأبواب، أما الكافرون وهم عموم تندرج تحته فروع كثيرة، فقد خصصها بهم، وخصص بها أبوابها، وخصص بها خزنتها، ثم عمم عند الدخول بالأبواب كلها من غير تخصيص؛ لأنهم يهابون الدخول، ويترددون بين الأبواب محاولة منهم في الفرار، فجاء الرد؛ قيل ادخلوا أبواب جهنم غير محددين بباب. فتأمل عظمة هذا النص الخالد العظيم.

تأمل من الاتساع أيضاً قولَ خَزَنَةِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا: ادخلوها، وقول خزنة النار لأهلها: ادخلوا أبواب جهنم، مرةً أخرى، تجددت تحتها سرّاً لطيفاً آخر، ومعنى بديعاً، لا يخفى على المتأمل؛ وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفضع شيء، وأشدّه حراً، وأعظمه مما يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشدّ منها، ويدنو من الغمّ والحزني والحزن والكرب بدخول الأبواب؛ قيل ادخلوا أبواب جهنم، فأضاف إلى الاسم صغاراً لهم وإذلالاً وخزياً ولم يُضَفْ إلى الضمير كما فعل مع أهل الجنة، إذ في الإضافة إلى الضمير نوع من المباهاة، ثم قيل لهم

٢. دلالات نوعية في إضافة الضمير (ها) لكلمة (أقفال):

نبحث هنا عن دلالة الضمير (ها) مضافاً إلى كلمة (أقفال)، في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [سورة محمد: ٢٤].

قيل: في دلالة السياق أنها استعارة للذين ذهب منهم الإيثار، وأم منقطعة بمعنى بل، والهزمة للتقرير، ولا يستحيل عليهم بأن قلوبهم مقللة لا يصل إليها ذكر، ولم يحتج إلى تعريف القلوب؛ لأنه معلوم أنها قلوب من ذكر، ولا حاجة إلى تقدير صفة محذوفة، أي أم على قلوب أقفالها قاسية، وأضاف الأفعال إليها، أي الأفعال المختصة، أو هي أفعال الكفر التي استغلقت، فلا تفتح (٢٢).

فإن قلت: لم نُكْرِتْ القلوب وأضيفت

= والبيان لابي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: ٨ / ٢٥٧، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود العمادي: ٦ / ٢٣، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨ / ٤٨١، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي: ٣٠ / ٢٩٦.. (٢٢) ينظر تفسير البحر المحيط ١٠ / ٨٦.

الأقفال إليها. قلت: أما التنكير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك، وهذا لتحويل حالها، وتفضيع شأنها، بإيهام أمرها في الفساد والجهالة، كأنه قيل: قلوب مُنكرة لا يُعرف حالها، ولا يُقدر قدرها في القسوة. أو يراد على بعض القلوب: وهي قلوب المنافقين (٢٣)، وإضافة الأفعال إليها للدلالة على اختصاصها بها، ومناسبتها لها، غير مجانسة لسائر الأفعال المعهودة (٢٤) «لقد أقفل الحق على قلوب الكفار، فلا يدخلها زواجر التنبيه، ولا تنبسط عليها شعاع العلم، ولا يحصل فيهم الخطاب، والباب إذا كان مُقفلًا، فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج ما فيه، كذلك هي قلوب الكفار مقللة؛ فلا الكفر الذي فيها يخرج، ولا الإيثار الذي يُدعون إليه يدخل في قلوبهم.

وفي الحديث: (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح (٢٣) ينظر الكشاف للزخشري: ٦ / ٣٣٢. (٢٤) أسرار التنزيل وأنوار التأويل، الرازي: ٥ / ٢٠٠. وينظر مثله في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: ٦ / ١٥٩. وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألويسي: ٩ / ١٥٩.



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

له قُفِّل قلبه، وجعل فيه اليقين)»^(٢٥)، وكل هذا من الاتساع في المعنى.

وقيل: إن «تنكير (قلوب) للتنويع

(٢٥) ينظر البحر المديد، لابن عجيبة: ٦٧ / ٦.

وفي كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال:

٩٦ / ١١. عن أبي ذر رضي الله عنه: «إذا أراد الله

بعبد خيراً فتح له قُفِّل قلبه، وجعل فيه

اليقين والصدق، وجعل قلبه واعياً لما

سلك فيه، وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً

وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه سميعة

وعينه بصيرة). وفي جامع الأحاديث،

للسيوطي: ٢ / ٢٦٧: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ

خَيْرًا فَتَحَ لَهُ قُفِّلَ قَلْبِهِ وَجَعَلَ فِيهِ الْيَقِينَ

وَالصَّدْقَ وَجَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا لِمَا سَلَكَ فِيهِ

وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقًا وَخَلِيقَتَهُ

مُسْتَقِيمَةً وَجَعَلَ أُذُنَهُ سَمِيعَةً وَعَيْنَهُ بَصِيرَةً

(أبو الشيخ عن أبي ذر) وذكر: أخرجه

الدلمي (١ / ١ / ٩٤) من طريق أبي

الشيخ كما في المداوي (١ / ٢٨٣)، رقم

(٣٨٧) والسلسلة الضعيفة (٥ / ٢٥٣)،

رقم (٢٢٢٧)، والحديث موضوع كما في

المداوي والسلسلة الضعيفة. ومن غريب

الحديث: «فتح له قُفِّل قلبه»: أزال عن قلبه

الحجب التي تمنع دخول الإيمان ورسوخ

اليقين. «واعياً»: حافظاً. «وخليقته»:

سجيته وطبيعته مستقيمة معتدلة متوسطة.

«وجعل أذنه سميعة»: أي مستمعة لما ينفعه

في الآخرة مقبلة على ما يسمعه من ذكر الله.

قال المناوي في الفيض (١ / ٢٦٠): وفيه

سعيد بن إبراهيم، وقال الذهبي: مجهول.

التعجب

أو التبعض، والمعنى: بل بعض القلوب

عليها أفعال. وهذا من التعريض بأن

قلوبهم من هذا النوع؛ لأن إثبات هذا

النوع من القلوب في أثناء التعجب مع

عدم تدبر هؤلاء القرآن، يدل بدلالة

الالتزام أن قلوب هؤلاء من هذا النوع من

القلوب ذوات الأفعال، فكون قلوبهم من

هذا النوع مستفاداً من الإضراب الانتقالي

في حكاية أحوالهم،... وإضافة (أفعال)

إلى ضمير (قلوب) نظمٌ بديع أشار إلى

اختصاص الأفعال بتلك القلوب، أي

ملازمتها لها فدل على أنها قاسية»^(٢٦).

وهذا أيضاً من الاتساع في المعنى دل عليه

إضافة الضمير.

ثم «تأمل تنكير القلب وتعريف

الأفعال فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة

قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة،

وهذا من الاتساع في الدلالة، ولو قال:

(أم على القلوب أفعالها)، لم تدخل قلوب

غيرهم في الجملة، وفي قوله: (أفعالها)

بالتعريف نوع تأكيد، فإنه لو قال (أفعال)؛

لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم،

(٢٦) التحرير والتنوير: ٢٦ / ٩٦.

فلما أضافها إلى القلوب عَلِمَ أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها»^(٢٧) ويدل على هذا التخصيص أن القرآن الكريم عالِجُ أمراض قلوب الكافرين بأقفالٍ مُعَدَّةٍ لها، فكان العلاج أفعالاً لقلوبهم كلٌّ بحسب نوعه عقوبة لهم، ذكر منها:

١. الزَّيْغُ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة الصف: ٥].

٢. صَرَفَ القلوبِ ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٧].

٣. مَرَضَ القلوبِ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠].

٤. قَسَوَ القلوبِ ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ

(٢٧) ينظر شفاء العليل: ٩٥.

مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

٥. جعل الأكنة على القلوب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الكهف: ٥٧].

٦. الختم على القلوب ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٧].

٧. قَفَلَ القلوبِ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: ٢٤].

٨. الرِّينَ على القلوبِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤].

٩. الطَّبَعَ على القلوب، في أربعة مواضع: أ- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦].

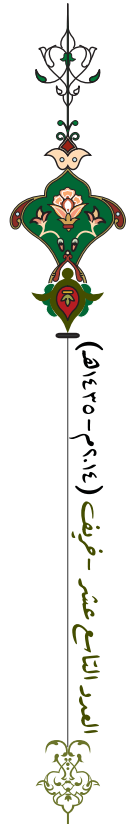
ب- ﴿وَنَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهْمٌ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٠].

ت- ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٩٣].

ث- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة النحل: ١٠٨].

لتأمل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ





صيغة (أفعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن المصباح

من دلالة التخصيص بالضمير بعد إضافة النكرة، ذلك أن القلوب لكل منها قفل بحسب حالته ونوعه وذنبه ومعصيته، ولقد دلّ السياق القرآني على نوع واحدٍ بالقصد، ودلّ على الأنواع الأخرى بالتّرك، والقصد هنا يتحقق بأفعال عدم تدبر القرآن من الملعونين الذين أصمّهم الله وأعمى أبصارهم من أهل النفاق. بدليل ذكره تعالى أنواعاً أُخر من الأفعال، وقد تقدمت.

يتحقق أيضاً في هذا النص ما أشير إليه في الآيتين السابقتين وهو أن القلوب جمع كثرة على (فعلول) والأفعال جمع قلة على (أفعال)، لكن إضافة الأفعال إلى القلوب دلت على الكثرة؛ لأن المحتمل أن تكون الأفعال أكثر من القلوب، فقد يكون لكل قلب أكثر من قفل، وذلك بحسب تنوع الآثام والذنوب.

المبحث الثاني

دلالات عددية وكمية

أولاً: دلالات عددية في الكلمات (أمثال و ألوان و أكمام).
١. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أمثال).

أَقْرَبَاتٍ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ [سورة محمد: ٢٤] فقد نكّر القلوب والاقفال وأضاف الأفعال إلى الضمير توسعاً في الدلالة، ثم عرّفها بما يخصها، ففي قولنا: (أم على قلوبهم الأفعال؟) الكلام على الأفعال المعلومة فقط، وفي قولنا: (أم على قلوبهم أفعال القلوب) الكلام على القلوب، وفي قولنا: (أم على قلوب أفعال القلوب) أو (أفعال تلك القلوب)، الكلام على القلوب كلّها بدلالة التنكير في قلوب الأولى، والتنكير يفيد التنوع، فالقلوب متنوعة، منها هذه القلوب التي عليها الأفعال، ومنها قلوب غيرها، أمّا في قوله تعالى: (أقفاها) فالكلام على الأفعال، وهذا يعني أقفلاً مختصّة بها ليست كأفعال الذنوب أو الكبائر أو غيرها مما تقدم، إذ لكل فئة أفعال تختص بها بحسب ما تقتضيه حكمة الله تعالى، وقد تحدت أفعال هذا النوع بإضافة الضمير؛ لأنّه كناية عن شيء معهود بالنسبة، وليس بالاستغراق الذي يناسبه مجيء الأسم، وفيه أيضاً الكلام على عملية القفل، أي القلوب التي أقفلت، وهذا التوسع مُتأتّ

قيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾
فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [سورة
 الأنعام: ١٦٠]. أي: «لَهْ عَشْرَ حَسَنَاتٍ
 أَمْثَالِ حَسَنَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا»^(٢٨)، أو «لَهْ
 عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا؛ فَحُذِفَتْ الْحَسَنَاتُ
 وَأُقِيمَتِ الْأَمْثَالُ الَّتِي هِيَ صِفَتُهَا مَقَامِهَا؛
 جَمَعَ مِثْلٌ»^(٢٩)، وهذا كلام في غاية الدقة
 والروعة، تقديره: عشر حسنات أمثالها
 في الحسن، «كمن أهدى إلى سلطان
 عنقوداً فإنه يُعْطِيهِ مَا يَلِيقُ بِسُلْطَنَتِهِ، لَا
 قِيَمَةَ الْعَنْقُودِ»^(٣٠)، ونحن حين نتلمس
 شيئاً من أسرار البيان القرآني، ومكنون
 أسرار اللغة، ما تُسَرُّ بِهِ خَوَاطِرُنَا، وَتُسَعِّدُ
 بِهِ قُلُوبُنَا، نتلمس التوسع الذي لا شيء
 قبله ولا بعده، توسعاً في العطاء لكريم
 لا يُدَانِيهِ فِي الْكِرْمِ أَحَدٌ. إذ لم يرد السياق
 (بعشرٍ مثلها) ولا (عشرٌ أمثالها) بل (عشرٌ
 أمثالها)، وهذا هو التوسع العددي غير
 (٢٨) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري:
 ٢٧٥ / ١٢.
 (٢٩) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٧/
 ١٥٠.
 (٣٠) مختصر تفسير البغوي: ٣ / ٧٨.

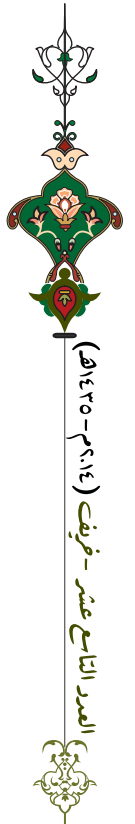
المتناهي بعينه. عشر مراتٍ من أمثالها،
 أمثال غير محدودة ولا معدود. فإذا كانت
 الأمثال ألف مثل كان له عشرة آلاف مثل،
 وبها أن الأمثال غير محددة فالعدد الكلي لا
 حدود له أيضاً، وسيكون له عشر مرات
 مليارات وبلايين الأمثال، وبها أن الأمثال
 غير محددة فهذا يعني أن مضاعف العشرة
 رقم لا ينتهي أمام حسنةٍ واحدة، فسبحان
 رب العرش عما يصفون.

إن إصاق الضمير (ها) بصيغة أفعال
 يظهر حسناً آخر في هذا السياق القرآني،
 فهو يحثُّ على العناية بالحسنة كما ونوعاً؛
 لأن فخامة المكافأة مرتبطة بفخامة الحسنة،
 وهذا من التوسع في الدلالة في قوله
 (أمثالها) فإن زاد العبد، زاد الرب، وإن عاد
 العبد، عاد الرب، وليس لأحدٍ بعد هذا أن
 يقول: إن صيغة أفعال اختصت بجمع
 القلة، ويطلق الكلام إطلاقاً للكلام من
 غير قيود، بعد أن تبين أثر هذه الإضافات
 والملحقات ومقام الحال في دلالة الألفاظ
 والسياق.

٢. إضافة الضمير (ها) لكلمة (ألوان).

«الألوان: جمع لون. وهو كيفية





صيغة (أفعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن

الْبَصْبِاجِ •

فإتقان الفعل وإحكامه شواهد الصنع وإعلامه. وكذلك أيضاً الناس والدواب والأنعام، بل جميع المخلوقات، متجانس الأعيان، مختلف الصفات، وهو دليل ثبوت مُنشئها بنعت الجلال» (٣٢).

وقيل: «يحتمل معنيين، أحدهما: أنَّ البياضَ والحمرَةَ يتفاوتان بالشدة والضعفِ فربَّ أبيضَ أشدَّ من أبيضَ، وأحمرَ أشدَّ من أحمرَ، فنفسُ البياضِ مختلفٌ، وكذلك الحمرَةُ، فلذلك جَمَعَ ألوانها، فيكونُ من باب المُشكَّل. الثاني: أن الجُدَدَ كلَّها على لونين: بياضٍ وحمرَةٍ، فالبياضُ والحمرَةُ وإن كانا لونينِ إلاَّ أنَّهما جُمعا باعتبارِ محالِّهما» (٣٣)، وهذا من الاتساع في الدلالة.

ومن الاتساع أنَّ السياق القرآني يحتمل ألوان الثمرات المختلفة، وربما ألوان مختلفة من الثمرات. وبما أن الكلام على الألوان فقد أخفى الثمرات وكَتَى بالضمير، صحيح أن الثمرات متنوعة وهذا رائع،

(٣٢) التحرير والتنوير: ١٣ / ٩٤.

(٣٣) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ١ / ٤٢٤٦.

لسطوح الأجسام مدركة بالبصر تنشأ من امتزاج بعض العناصر بالسطح بأصل الخَلِقة أو بصبغها بعنصر ذي لون معروف، وتنشأ من اختلاط عنصرين فأكثر ألوان غير متناهية... ونيط الاستدلال باختلاف الألوان بوصف التذكر؛ لأنه استدلال يحصل بمجرد تذكر الألوان المختلفة إذ هي مشهورة» (٣١). هكذا قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانُ أَنْ لَقَدْ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٣٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٧ - ٢٨].

«والظاهر أن الألوان أريد بها ما يتبادر إليه الذهن من الحمره والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك، والألوان بهذا المعنى أوسع وأكثر من الألوان بمعنى الأصباغ...، إنَّ تخصيص الفعل بهيئته وألوانه من أدلة قصد الفاعل وبرهانه.

(٣١) البحر المديد: ٥ / ١٧٩. وينظر التحرير والتنوير: ١٣ / ٩٤.

لكن الأروع إنما هو في اختلاف الألوان، والقوة في تنوعها، وتعددتها، ووجود الضمير زاد السياق القراني قوة لفظية، وقوة معنوية في إشارة إلى تفرد الألوان وغلبتها، من هنا تتسع دلالة الألوان متعددة في كل صنف من أصناف الثمرات، إذ لا تتشابه ألوان الصنف الواحد، ولا النوع الواحد، وإن كان في شجرة واحدة. وكذا الأمر مع الجبال مختلف ألوان الأبيض، مختلف ألوان الأحمر، والناس والدواب والأنعام، مختلف ألوان كل صنف، بل كل فرد، جينات وخلايا متنوعة متلوثة مختلفة لا تتشابه وإن اقترب الشبه إلا أن التدقيق والتمحيص يُظهر فرقاً، ويُظهر تنوعاً، ويُظهر اختلافاً. إنه توسعٌ عددي في الدلالة لا حدود له، تأتي من دلالة الضمير على جزئيات الأجزاء، فسبحان رب العرش عما يصفون.

٣. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أكمام).

في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَاذَنْكَ مَا مِنَّا مِنْ

شَهِيدٍ ﴿[سورة فصلت: ٤٧].

ضمير (أكمامها) راجع إلى الثمرات، والأكمام: جمع كَمِّ، بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو وعاء الثمر، وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتويًا على طلع الثمر (٣٤). فالأكمام: هي وعاء الزهر وطلعه الذي تتولد عنه الثمرات، ودلالة السياق القراني على الاستغراق والعموم بادية في أكثر من أداة (ما الموصولة الدالة على الشمول، ومن المستغرقة للجنس، ودلالة السياق على الاتساع والشمول والاستغراق بدلالة نفي الضد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾، يضاف إليها دلالة الضمير (ها) للمبالغة في الاستقصاء، والاتساع العددي، كل ذلك يوحي بالشمول والكثرة التي لا يُحصيها إلا خالقها، ولو أن السياق تغير فكان (وما تخرج من ثمراتٍ من أكمام الثمرات) لكان تعريف الثمرات محددًا عددياً، ويكون خصَّ الأكمام بالثمرات المعلومة عند



(٣٤) تفسير ابن عاشور: ٢٤ / ٢٣٧، وينظر لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن الشيعي أبو الحسن: ٩١ / ٤.



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

والشمرات في أكمامها سر غير منظور، والحمل في الأرحام غيبٌ كذلك مستور، وكلها في علم الله، وعلم الله بها محيط. يتتبع الشمرات في أكمامها، والأجنة في أرحامها. في جنبات الأرض كلها يرقب الأكمام التي لا تحصى، ويتصور الأجنة التي لا يحصرها خيال! وترتسم في الضمير صورة لعلم الله بقدر ما يطيق الضمير البشري أن يتصور من الحقيقة التي ليس لها حدود. هذا التوسع العظيم في الدلالة تأتي من دلالة التخصيص الحاصلة من إضافة الضمير (ها) إلى اللفظ في السياق القرآني.

ثانياً: دلالات كمية في الكلمات (أشعار و أوبار و أصواف و أقوات).

١. إضافة الضمير (ها) للكلمات: (أشعار و أوبار و أصواف).

لم نجد من المفسرين من توقف عند أالفاظ (أصوافها، وأوبارها، وأشعارها)، ناظراً إلى الصيغة (أفعال) أو إضافة الضمير (ها) إليها، في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا

الإضافة إليها، فلما كانت الثمرات نكرة فإنها شملت كل أنواع الأكمام لكل أنواع الثمرات، وشملت مليارات وبليارات حبات الطلع الموجودة في وعاء الزهر، ف (من) مع النكرة تأتي لإستغراق الجنس أي ما يخرج من جنس ثمرات كائن ما يكون من أكمام الثمرات كلها، كيفما تكون، وأينما تكون، وهنا توافق بين الخارج وبين ما يخرج منه فهما متساويان متعادلان.

إذن الكل مع الكل فهو استغراق للأصناف في النباتات كلها. كل صنف بصنفه، كل نوع بنوعه، وهو تعالى يعلمه وقت خروجه لا متقدماً ولا متأخراً، وللضمير هنا مزية أخرى، فقوله: أكمامها يشمل الكل: الثمرات، والأكمام، وخروجها من أكمامها، والكيف، والكم، والشكل، على مر الزمان، وتباين المكان، إذ في دلالة استعمال الضمير توسع، بخلاف قولنا: (ما تخرج من ثمرات من الأكمام)، فالكلام حينها على الأكمام، وقولنا: (ما تخرج من ثمرات من أكمام الثمرات) فالكلام على الثمرات. فتأمل كيف أن الساعة غيب غائر في ضمير المجهول،

وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنًا وَمَتْنًا إِلَى حِينٍ ﴿

[سورة النحل: ٨٠].

فما دلالة الصيغة؟ وما دلالة الإضافة في هذه الآية المباركة؟ وما الفرق لوقال: (أصواف الأنعام، وأوبار الإبل، وأشعار الماعز)، أو قال: (الأصواف، والأوبار، والأشعار)؟. عندها نتوقف لإدراك المراد، وهو بيان طبيعة الانتفاع من الأنعام، (من جلودها وأصوافها، وأوبارها، وأشعارها) لقد توسع في السياق القراني ليشمل الأنعام، ويشمل ما يُنتفع به منها، ويشمل الانتفاع، ويشمل الأنواع، فصار المراد من هذا السياق الاتساع في هذه الأمور جمعاء، فأصوافها وأوبارها وأشعارها، ليست نوعاً واحداً، ولا لوناً واحداً، ولا جنساً واحداً، ولا تتوافق رقة، ولا غلظة، ولا خشونة، ولا نعومة، ولا تسرحاً ولا تجعيداً، ولا قصرأ، ولا طولاً، ولا قوة، ولا ضعفاً، ولا دفتاً، ولا حماية، ولا ثباتاً، ولا تساقطاً، ولا صنعة، ولا خفة، ولا ثقلاً، ولا زهاء، ولا جمالاً، ولا بهاء، ولا قبحاً، ولا صحة، ولا إمراضاً، ولا توافقاً مع بيئةٍ خلاف غيرها،

ولا لأنثى مثلما للذكر، ولا لصغيرة مثلما للكبيرة، ولا للسمينة مثلما للهزيلة، ولا لبنت الجبل مثلما لبنت السهل والوادي. هكذا تتنوع إلى أنواع لا يحدها حد، ولا يضبطها ضابط.

هذا من جهة التوسع في الدلالة. أضف إلى هذا أن إضافة هذه الألفاظ الى الضمير دلت على أنواع مخصوصة مناسبة لأجناس بني البشر كل على حسب ذوقه وعادته ومراده وبيئته، فتأمل ملياً في هذا الكلام، فإن تحته أسراراً عجيبة لمن فتح الله له.

٢. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أقوات).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ

أنداداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا

رُؤُوسَ مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا

أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴿﴾ [سورة

فصلت: ٩-١٠] قدر ذلك على قدر

مسائلهم، أي يعلم أنه لا يكون من

مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل

أن يكون، وقدر فيها أقواتها سواء

لسائلها على ما بهم إليه الحاجة، وعلى



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

• البصباح

- ما يصلحهم^(٣٥). وفيها أقوال:
- أ. أرزاق ساكنيها ومعاشيهم، وأضافها إلى الأرض من حيث هي فيها وعنها برزت.
- ب. أقواتها من الجبال والأنهار والأشجار والصخور والمعادن، والأشياء التي بها قوام الأرض ومصالحها.
- ج. أقواتها من المطر والمياه.
- د. خصائصها التي قسّمها في البلاد مما خص به كل إقليم، فيحتاج بعضها إلى بعض في التقوّت من الملابس والمطاعم والنبات^(٣٦).
- من هنا نعلم أنه تعالى خلق في الأرض القوى التي تنشأ منها الأقوات، وخلق أصول أجناس الأقوات وأنواعها من الحب للحبوب، والكلأ والكمأة، والنوى للشمار، والحرارة التي يتأثر بها تولد الحيوان من الدواب والطيور، وما يتولد منه الحيتان ودواب البحار والأنهار. ومن التقدير: تقدير كل نوع بما يصلح له من الأوقات
- (٣٥) ينظر معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦ هـ): ٧ / ١٦٥.
- (٣٦) ينظر البحر المحيط: ٩ / ٢٨٣.
- من حر أو برد أو اعتدال.
- إنّ جمع الأقوات مضافاً إلى ضمير الأرض يفيد العموم، أي: جميع أقواتها وعمومه، باعتبار تعدد المقتاتين، فللدواب أقوات، وللطيور أقوات، وللوحوش أقوات، وللزواحف أقوات، وللحشرات أقوات، وجعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها كما أفاده قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: ٢٩] ^(٣٧)، ومما تولّد منها أيضاً، إذ يتولّد من الحشائش والنبات أصناف كثيرة ويتولّد من الحشرات ودواب الأرض أصناف كثيرة، ومن قوت الإنسان ما يقتات على القوت الموجود، فصارت أقوات من أقوات، إذ النبات يقتات والدواب تقتات والإنسان يقتات من كلّ ما يقتات، فهي أقوات غير محدودة وغير معدودة وغير منظورة.
- وعلى هذا فالأقوات للأرض ولِما فيها، والمعنى أنّ الله عزّ وجلّ قدر لكل أرض حظّها من المطر. وقيل: المراد من إضافة القوت إلى الأرض كونها متولدة
- (٣٧) ينظر التحرير والتنوير: ٢ / ٥٦.

القوت المعلوم وغير المعلوم، المودع فيها لها ولغيرها، أضف الى ذلك أن فيه إشارة الى أقوات المخلوقات والناس جميعاً، فهذه السعة في الدلالة مؤداها من الضمير، وفي خلاف ما ورد تتلشى هذه الدلالة في السياق القرآني والله اعلم باليقين.

المبحث الثالث

دلالات مكانية

دلالات مكانية في الكلمات (أطراف) و (أقطار) و (أرجاء).

١. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أطراف).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة الرعد: ٤١].

للمفسرين في أطرافها أربعة تأويلات هي:

أ. الفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله ابن عباس والحسن البصري وقتادة.

ب. خراب الأرض بعد العمارة، قاله مجاهد.

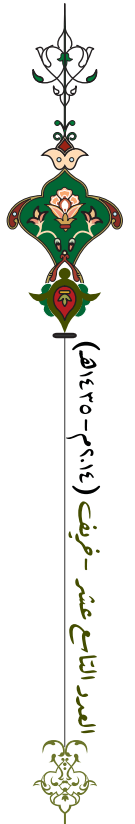
ج. نقصان بركتها وتحقيق ثمرتها، قاله

في تلك الأرض وحادثة فيها؛ لأنّ النحاة قالوا: في حُسن الإضافة أدنى سبب، فالشيء قد يضاف إلى فاعله تارة، وإلى محله أخرى، فقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، أي: قدّر الأقوات التي يختص حدوثها بها؛ وذلك لأنّه تعالى جعل كل بلدة معدناً لنوع آخر من الأشياء المطلوبة بمعنى أنّ أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في ذلك البلد وبالعكس فصار هذا المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال^(٣٨).

من هنا يبدو أنّ الكلام على أقوات الأرض، كلّ الأرض بما فيها، وليس أقوات الإنسان فقط؛ لأنّ للأرض أقواتاً متعددة؛ منها ما يصلح أن يكون قوتاً لنا، ومنها لا يصلح، ففي قولنا: (أقوات الأرض) دلالة على أنّ المنفعة للأرض، أي: هي المستفيد منها، وفي قولنا: (الأقوات) يشمل الأقوات المعلومة فقط، لكن (أقواتها) فيه توسع في الدلالة ليشمل الجميع؛

(٣٨) ينظر: النكت والعيون، للماوردي: وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٦/ ٥٠، تفسير اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين النعماني: ٢٧ / ١٤.





صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن..... **النَّبِيَّاتِ** •

الكلبي والشعبي.

د. موت فقهاؤها وخيارها، قاله ابن عباس^(٣٩).

وعقّب ابن عاشور على الآية فقال: «أي: أعجبوا من عدم اهتدائهم إلى نقصان أرضهم من أطرافها، وأن ذلك من صنع الله تعالى بتوجيه عناية خاصة، لكونه غير جارٍ على مقتضى الغالب المعتاد، فمن تأمل علّم أنه من عجيب صنع الله تعالى. وإن كان المراد أرضاً من الدنيا، أي مصيرها بيد عباد الله الصالحين كانت هذه الآية مسوقة لوعده المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى، وهي أرض مكة وما حولها، فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا بعد بشارتهم بحسن ما لهم في الآخرة»^(٤٠).

إن سياق الجملة الفعلية يوحى بإمكانية الإكتفاء بالمفعول به من غير ذكر الجار والمجرور - أطرافها - لكن النص القرآني أكد ذكر الأطراف، وفي ذلك إشارة إلى أنّ النقص يصيب أطراف الأرض، فالكلام

(٣٩) النكت والعيون: ٢ / ٣١٩، والتحرير والتنوير: ١٧ / ٥٥، والدر المنثور في التأويل بالمأثور، السيوطي: ٦ / ٢٧..
(٤٠) التحرير والتنوير: ١٧ / ٥٥.

على أطراف الأرض لا على الأرض، في عملية نقص الحواشي والجهات، أي: نُقص الأطراف لا نُقص الأرض، أو نقص الأرض نبدأ من أطرافها، أو نقص أطراف الأرض اليابسة، أو نقص أطراف الكرة الأرضية بما فيها اليابس والماء، فهي تتناقص وتضمحل، فالكلام يحتمل كل الأرض، ويحتمل جزءاً من الأرض، وذلك هو مدلول الضمير. فلولا الضمير لاحتل معنى واحداً فقط، وهو كل أطراف الأرض، والأرض ليس فيها طرف؛ لأنها كروية، لكن الأطراف فيها أطراف اليابس مع الماء، وربما يشير ذلك إلى أنّ البحار ستلتهم اليابسة، أو أنّ الكرة الأرضية تتطاير أطرافها وتتناثر وتصغر حتى تنتهي وتفنئ، من هنا صار النقص في الكل وفي الجزء دليل التوسع في الأحداث وليس الحدث الواحد وبانت قصدية السياق القرآني ظاهرة، في تعدد الأطراف من جهة، وفي الاختصاص بأطرافٍ دون غيرها من جهةٍ أخرى، والله أعلم.

٢. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أقطار).

في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ قَالَتَ طَائِفَةٌ

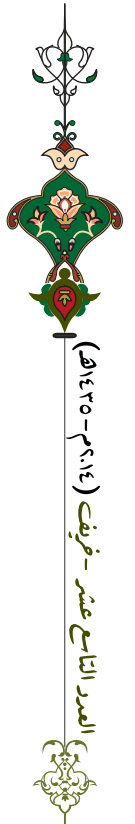
مِنْهُمْ يَتَأَهَّلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعِزُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا
عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ
دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَأَنتَوَّهَّا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ [سورة
الأحزاب: ١٣-١٤]

«الأقطار: جمع قُطر - بضم القاف وسكون الطاء - وهو الناحية من المكان. وإضافة (أقطار) وهو جمع يفيد العموم، أي: من جوانب المدينة جميعها، وذلك أشد هجوم العدو على المدينة كقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠]. وأسند فعل {دُخِلَتْ} إلى المجهول؛ لظهور أنّ فاعل الدخول قوم غزاة... والضمير المستتر في {دُخِلَتْ} عائد على المدينة؛ لأنّ إضافة الأقطار يناسب المدن والمواطن ولا يناسب البيوت... فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية دخلها كل من أراد الخبث والفساد»^(٤١)، ويظهر من السياق للناظر أنّ إضافة أقطار إلى المدينة يخصصها بالمدينة،

(٤١) ينظر تفسير روح البيان، لإسماعيل مصطفى الإستانبولي: ٧ / ١١٥.

أي: ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطار المدينة، وتعريفها بأل ظاهره أنّ المراد التخصيص بالأقطار، أي: لو دُخِلَتْ عليهم من الأقطار، أما تعريفها بالضمير (أقطارها) ففيه العموم، وفيه الخصوص، وتبدو فيه دلالة الاتساع ظاهرة؛ لأنه يشمل أقطار الأرض، وأقطار المدينة، وأقطار بيوتهم، وأقطار قلوبهم، فالسياق القرآني يشمل كل واحد من هذه الأمور بدليل قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْطَغْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [سورة الرحمن: ٣٣]، فحدد، ولم يذكر الضمير بل ذكر الاسم الظاهر الذي يدل على استغراق الإضافة للمنسوب إليه، فصيغة (أفعال) هي التي أفادت توسعاً إضافياً في الدلالة، وجاء هذا التوسع في لفظة (أقطار) التي شملت ما تقدم من المعاني كلّها، وهذا النوع من التوسع يسمى التوسع في (اللفظ)، أمّا الإضافة للضمير فتفيد توسعاً إضافياً في الدلالة، وتفيد التخصيص في تحديد تلك الدلالة؛ لأنّ المراد بالأقطار دواخل المدن ومراكزها





صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

ومحاورها الرئيسة، ودواخل البيوت
ومستقر الطمأنينة فيها، ودواخل نفوسهم
وقلوبهم ومواطن الارتجاف فيها، فصارت
هذه المواطن كلها موطن الخلل ومدعاة
للفرع، وتعددت عوامل الغزو بين غزو
مادي بالجيش، وغزو معنوي يصيب
النفوس، فصار الضمير دليل التوسع في
الحدث ودليل التوسع في المكان، وبأن
الفضل في استعماله دلالة، والله تعالى أعلم.
٣. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أرجاء).

قوله تعالى ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ
وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ
رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة:
١٦-١٧].

«أي: على حافاتها حين تنشق،
والظاهر أن الضمير في حافاتها عائد
على السماء، وقيل: على حافات الأرض،
ينزلون إليها يحفظون أطرافها، وإن لم
يجر لها ذكر قريب. ورؤي أن الله تعالى
يأمر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفاً
على حافات الأرض، ثم ملائكة الثانية
فَيَصْفُونَ حولهم، ثم ملائكة كل سماء،
فكلمنا نَدَّ أحد من الجن والإنس وجن

الضمير

الأرض أحيط بها» (٤٢).
وقيل «المَلَكُ هنا اسم جنس،
والأرجاء الجوانب واحدها (رجى)
مقصور، والضمير يعود على السماء،
والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة
على جوانب السماء؛ لأنها إذا وَهَيْتْ وقفوا
على أطرافها، وقيل: يعود على الأرض؛
لأن المعنى يقتضيه، وإن لم يتقدم ذكرها،
ورؤي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف
صفوفاً على جوانب الأرض» (٤٣).

وقيل: الملائكة على شقها، أي: على
حافاتها، على ما لم يَه منها، ينظرون إلى أهل
الأرض، وما أتاهم من الفرع» (٤٤).

تبيين في قوله تعالى: ﴿أَرْجَائِهَا﴾
دلالة التوسع باستعمال الضمير فقد
نَكَرَ الأرجاء وأضافها إلى الغائب، إذ
في قولنا: على أرجاء السماء أو الأرض،
دلالة الكلام على السماء أو الأرض،
(٤٢) البحر المحيط: ٣/ ٣١٨، ١٠/ ٣٣٩. ولم
أجده في متون الحديث ولا شروحه.
(٤٣) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي:
١/ ٢٤٥٨.
(٤٤) ينظر النكت والعيون: ٤/ ٣١٧. والدر
المنثور في التأويل بالمشهور، للامام السيوطي:
١٠/ ٩٢.

فترجَّح أنه أراد التعبير عن حالة مخصوصة من مشاهد يوم القيامة لأنَّه لم يُكنَّها ولا كيفها، فهذه الأرجاء المخصوصة تضاف إلى الأرجاء السابقة. فتأمل روعة هذا التعبير بين التوسع والتخصيص.

المبحث الرابع

دلالات مجازية

هي دلالات متعددة مستوحاة من تفاعل دلالة الضمير ودلالة السياق، وفيه؛ أولاً: دلالة الكناية في إضافة الضمير (ها) للكلمات (أدبار و أثقال و أخبار)، ثانياً: دلالة كناية الغيبة والخفاء بإضافة الضمير (ها) لكلمة (أشراط) (المجاز المستعار للتمثيل)، ثالثاً: دلالة المجاز في إضافة الضمير (ها) لكلمتي (أنباء وأبصار).

أولاً: دلالة الكناية في إضافة الضمير (ها) للكلمات (أدبار و أثقال و أخبار).

١. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أدبار). السياق القرآني نَكَرَّ جمع التكسير (أدبار)، للدلالة على الإبهام والعموم، ثم أضاف الجمع إلى ضمير الغائب المؤنث (ها) للدلالة على النسبة

وفي تعريف (الأرجاء) بآل؛ الدلالة على الأرجاء المعروفة، أمّا في قوله تعالى: (أرجائها)، فدلالة الكلام على الكيفية، يشمل حالة المَلَك في ذاك الوقت، بدليل تشقق السماء يومئذ والمَلَك يقفون على أرجائها الباقية بعد التشقق. ومما يدل على عدم حصر الإرادة بـ (أرجاء السماء أو الأرض)؛ أنه من المروي أن الملائكة يحفون السماء والأرض، ولا يوجد مقدار أربعة أصابع إلا ومَلَك ساجد أو راکع، ولذلك كان يقول عليه الصلاة والسلام: (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله)، وفي رواية (أظت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو مَلَك ساجد أو مَلَك راکع) (٤٥)،

(٤٥) ينظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: ٣١٣ / ١، و التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي للزحيلي: ٢٩ / ٢٣٩، و الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٢٨٤. ولم أعر عليه في متون الحديث ولا شروحه.



صيغة (أفعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن

• البصياح

- والتخصيص، فلما تداعى العموم والخصوص بانّ التوسع في دلالة السياق، فدلّت (أدبارها) على الأدبار حقيقةً، وعلى أدبار الوجوه كنايةً، وأدبار الذين أوتوا الكتاب مجازاً على الكناية، في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيْ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [سورة النساء: ٤٧].
- لقد قيل في (نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) أقوال، أشهرها:
- أ. أن نطمس وجوهاً، أي: نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم، فنردها على أدبارها، فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها (٤٦).
- ب. نجعل عيونها في أقفاؤها حتى تمشي القهقري (٤٧).
- ج. نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها، أي: في ضلالها ذمّاً لها بأنها لا
- (٤٦) تفسير البحر المحيط: ٤ / ١٦٧.
- (٤٧) ينظر: النكت والعيون: ١ / ٣٠٣.
- د. يطلق الطمس مجازاً على إبطال خصائص الشيء المألوفة منه. ومنه طمس القلوب، أي: إبطال آثار التمييز والمعرفة منها (٤٩).
- هـ. تنكيس الرؤوس إلى الوراء، وإن كان الطمس هنا مجازاً وهو الظاهر، فهو وعيد بزوال وجاهة اليهود في بلاد العرب، ورميهم بالمذلة بعد أن كانوا هناك أعزّة ذوي مال وعدّة، فقد كان منهم السموأل قبل البعثة، ومنهم أبو رافع تاجر أهل الحجاز، ومنهم كعب بن الأشرف، سيد جهته في عصر الهجرة (٥٠).
- و. يحتمل أن يكون مجازاً بمعنى القهقري، أي: إصارتهم إلى بئس المصير؛ ويحتمل أن يكون حقيقةً، وهو ردّهم من حيث أتوا، أو إجلاؤهم من بلاد
- (٤٨) ينظر: النكت والعيون: ١ / ٣٠٣.
- (٤٩) تفسير البحر المحيط: ٤ / ١٦٧.
- (٥٠) ينظر: النكت والعيون: ١ / ٣٠٣، وتفسير الخازن: ٢ / ١٠٩، وتفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعي: ١ / ٤٣٤، وروح المعاني، الألوسي: ٤ / ٧٨.

العرب إلى الشام^(٥١).

ثم تأمل كيف نسب السياق القرآني (الأدبار) إلى (الوجوه)؛ لأننا لو نسبنا الوجوه إلى الأدبار؛ فالوجوه لا أدبار لها ظاهراً، وكذا الأدبار لا وجوه لها، لذا خصص النص الأدبار بالضمير؛ ليحتمل أدبار الأجسام التي تحمل الوجوه، أي: ترتد الوجوه فتتنظر إلى الأدبار فيكون الرأس بالمعكوس، فيسير الإنسان مُدبراً يحسب أنه يسير مقبلاً، وهذا من سوء الفأل، وهو أن يسير المرء على عكس ما يخطط. وفيه إشارة إلى أن الإنسان يمكن أن يُعاكس في سيره الطريق الصواب، ويخالفه فيسير عكس الاتجاه نحو الهاوية. ومن الممكن أن يكون كناية عن إلغاء الحواس فهم صُمُّ بكم عمي، وقد وُصِفوا بهذا الوصف في سورة البقرة ﴿صُمُّ بكم﴾ بهذا الوصف في سورة البقرة ﴿صُمُّ بكم﴾، ﴿صُمُّ بكم﴾ [سورة البقرة: ١٨]، فلما جاء بالضمير وافق الأمر المتكلم عليه الذي فيه خفاء واحتمال وجوه حتى يذهبوا فيه كل مذهب تتوسع فيه الدلالة،

فتوسع في الاحتمال، وخصص في الكناية ليخصص كل صنف مايناسبه والله تعالى أعلم.
٢. إضافة الضمير (ها) للكلمتين (أثقال، وأخبار).

في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ [سورة الزلزلة: ١ - ٤].

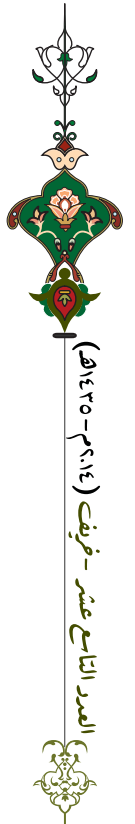
قيل إنها تزلزل عند النفخة الأولى فتخرج كنوزها وتزلزل عند الثانية فتخرج موتاها، وهو ما أشار إليه الألوسي^(٥٢). وإن دلالة الضمير في قوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾، توحى بالعظمة، أي: زلزالها العنيف الذي لا يشبه الزلازل المعهودة.

وذهب ابن عاشور مذهباً نتلمس فيه دلالة القصدية والنسبة دالاً على التوسع، إذ قال: «وأضيف {زِلْزَالَهَا} إلى ضمير الأرض؛ لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها... وإخراج الأرض أثقالها ناشئ عن انشقاق

(٥١) الكشاف: ١ / ٤١٧، والتحرير والتنوير: ١٥٠ / ٤.

(٥٢) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ٢٣ / ٨٣.





صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

وإحيائها في النفخة الثانية، وتكون على وجه الأرض بين النفختين.

إنّ دلالة (أثقالها) تعني الأثقال غير المتصوّرة عند البشر، أي: غير المنظورة وغير المدركة. شيء فاق حدود المتوقع. ثم إنّ تخصيصها بالضمير يدل على النسبة والاستغراق. إذ المراد الأثقال التي تخصها من أصول الجبال التي تُسبّت الأرض مغروسةً فيها كالأوتاد، فإذا خرجت من أوكارها تفجّرت الأرض فثارت البراكين وسارت ينابيع الحَمَم، أما الأثقال الأخرى من دَفائن وأموال فتحتمل القصد وربما لا تكون مقصودة، فاستبان التوسع في النص من إضافة الضمير، والأصل: (أخرجت الأرض أثقال الأرض)، وهذه الفخامة ستتممها الآية اللاحقة.

يقول النحاة: انتقل إلى الضمير لتجاوز التكرار، والحقيقة أنه لا يوجد تكرار هنا، فالأرض الأولى فاعل، والثانية مضاف، والمخصص بالإضافة وهو المفعول معرفة أو يقوم مقام المعرفة بالتهام، فيصبح المعنى (أخرجت الأرض الأثقال) أي: كل الأثقال لا تُبقي شيئاً، وهذا هو

سطحها فتتذف ما فيها من معادن ومياه وصخر. وذلك من تكرر الانفجارات الناشئة عن اضطراب داخل طبقاتها وانقلاب أعاليها أسافل والعكس^(٥٣). وقيل: «لأنّ إخراج الأثقال حال بعض أجزائها»^(٥٤).

أما «أخرجت الأرض أثقالها، أي: ما في جوفها من الأموات والدفائن، جمع: ثقل، وإظهار الأرض في موضع الإضمار لزيادة التقرير، أو: للإيحاء إلى تبدل الأرض غير الأرض»^(٥٥). «وقيل: موتاها تُخرجهم في النفخة الثانية، ومنه قيل للجن والإنس: الثقلان»^(٥٦)، وقيل «الأثقال: كنوز الأرض، وموتها، والدُّنوب، والأحمال الثقيلة»^(٥٧)، ويحتمل أن يكون إخراج الموتى كالكنوز عند النفخة الأولى

(٥٣) التحرير والتنوير: ٤٣٣ / ٣٠.

(٥٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للماوردي: ٤٦ / ٧.

(٥٥) البحر المحيط: ٢٠ / ١١.

(٥٦) النكت والعيون، للماوردي: ٤ / ٤٤٤، وينظر وتفسير اللباب في علوم الكتاب: ٤١٩ / ١٦.

(٥٧) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ١٠٤٥ (ثقل).

التغيير المذكور، وحقيقة إضافته إلى ضمير تعني أثقالاً منسوبة لها لا كل الأثقال، وهو معلوم من قول أبي عبيدة: أن الثقل في بطنها ينسب لها، وعلى ظهرها أي: عليها، فإذا أخرجت نصف الأثقال سواء كانت في بطنها أو فوقها فإنه يصدق عليها أثقالها، وكذا إن كان أقل أو أكثر. لكن لا يعني أن المراد منه الشمول والاستغراق، وهذه هي فائدة الكناية، إذ كُنِيَ بها عن النسبة من غير استغراق، بعكس الاسم.

أما في الآية الرابعة من السورة نفسها، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة: ٤]، ففيها أوجه، منها: تُحَدِّثُ أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة. ومنها: تُحَدِّثُ بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها، قال ابن مسعود: فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى، وأن أمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن^(٥٨). وقال الألوسي: «(أَخْبَارَهَا) باعتبار تعدد دلالتها

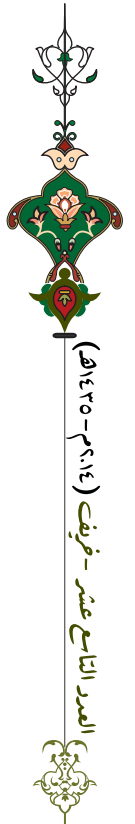
(٥٨) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعمادي: ٤٦ / ٧.

على عدد القائلين»^(٥٩).

إن افتتاح الكلام بظرف الزمان، وإطالة الجملة التي أضيف إليها الظرف؛ فيه تشويق إلى متعلق الظرف، إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزاء، وفي ذلك تنزيل ووقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه الذي لا يهم الناس إلا معرفة وقته وأشراطه، فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقوع الموقت. وما يحدث فيه من الأهوال، فهو مجاز، وحديث بلسان الحال، وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة، فيعم قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي تخبر الأرض الأخبار، فالأرض هي التي تحكي وتسرد وتحدث وتقص الأخبار، والأخبار مفعول، فالتقدير: تحدث الأرض أخبار الأرض، فصارت الاخبار مخرجة وحلت محل الفاعل في الإخبار، فكأنه صار فاعلان: الأول (تحدث الأرض) والثاني

(٥٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ٨٣ / ٢٣.





صيغة (أفعال) مضافة الى الضمير (ها) في القرآن

الضمير

والإنسان قد شهدَ الزلازل والبراكين من قبلُ وكان يُصاب منها بالهلع والدُعر والهلاك والدمار ولكنه حين يرى زلزال يوم القيامة لا يجدُ شَبهاً بينه وبين ما كان يقع من الزلازل والبراكين في الحياة الدنيا. فهذا أمرٌ جديد لا عهد للإنسان به، أمر لا يعرف له سرّاً ولا يذكر له نظيراً، أمر هائل يقع للمرة الأولى. (يومئذ) يوم يقع هذا الزلزال ويُشدهُ أمامه الإنسان؛ (تُحدِّثُ) أخبارها، بأن ربك أوحى لها)، يومئذ تُحدث هذه الأرض أخبارها وتصف حالها وما جرى لها. لقد كان ما كان لها بأن ربك أوحى لها وأمرها أن تمور موراً، وأن تنزل زلزالها، وأن تُخرج أثقالها؛ فأطاعت أمر ربها وأذنت لربها وحُقَّت. تُحدِّثُ أخبارها، فهذا الحال حديث واضح عما وراءه من أمر الله ووحيه إليها، لذا جاء ضمير الكناية دليل إضافة نسبة العمل لا الأخبار المنسوبة، أي: الأخبار التي أخبرتها. وهنا لا توحى صيغة (أفعال) بالدلالة على القلة أبداً، وكيف تصحب القلة أحرف الإطلاق والمد والاستطالة؟!.

ثانياً: دلالة كناية الغيبة والخفاء

(تحدث أخبار الأرض)، وتكون الجملة الثانية في محل مفعول للجملة الأولى، فهذا توسع في الدلالة يصير الى فاعلين أحدهما مفعول به حقيقةً.

إن وجود الضمير هنا يحل هذا المشكل فيزول الحرج، فبدل أن تكون الدلالة (تحدث الأرض أخبارها) والمتحدِّثُ عنه الأخبار، يتحول المفعول فاعلاً؛ لأن حقيقة الأخبار مُخبرة، ويحافظ على دلالة الأصل فيكون (تُحدِّثُ الأرضُ الأخبارَ)، أي: تُعدُّد الأخبارَ وتُخبرها، ويبقى الفعل تُحدِّثُ، متعدياً لا لازماً، والتقدير: تحدث الأرضُ أخباراً هي أخبرت بها لا الأخبار التي أخبرت بها - وهذه الأخبار أخبار مخصوصة معهودة بهذا الأمر، أي: ما يخص الإنسان وسؤاله، وهو سؤال المشدوه المبهوت المفجوع، الذي يرى ما لم يعهد، ويواجه ما لا يدرك، ويشهد ما لا يملك، الصبرُ أمامه والسكوت، (مالها) ما الذي يزلزها هكذا، ويرجُّها رجاً، (مالها)؟. وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها؛ ويجاول أن يمسك بأي شيء يسندُه ويثبته وكل ما حوله يمور موراً شديداً،

الأشراط بدلالة صيغة (أفعال)، ودلالة الاتساع في المساحة الزمانية المتأتية من التوسع الصوتي للمد الطبيعي في ألف الضمير.

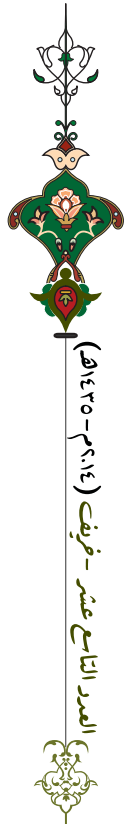
وفي قوله: (قد جاء أشراطها) كذلك، تحقق وقوع الشرط بوجود مظهره، وهذا من المجاز المستعار للتمثيل، ويؤكد هذا لفظة (المجيء) التي تعني تحقق الوقوع؛ لأن اللفظ متأخر عن الدلالة، فحين نقول: مجيء و جيئة، فهو دلالة على العودة الى الخلف لا التقدم الى الأمام، وهذا يعني أن أشراطها قد وقعت، وتؤكد ذلك صيغة الماضي المقرونة بحرف التحقيق (قد جاء)، أي: وقعت أشراطها. وهذا خلاف (الذهاب) الذي هو المغادرة الى الأمام، والذي هو الإتيان الذي لا ينصرف إلى الماضي، قال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وفي إضافة

النكرة إلى الضمير دليل شمول الأشرط بلا استثناء. وإذا أضفنا الأشرط إلى الساعة (أشراط الساعة) تكون العلامات والأمارات جميعها قد ظهرت وعُلمت؛ لأنها جاءت؛ ولأنه ذَكَرَ (قد) وهي مع

بإضافة الضمير (ها) لكلمة (أشراط) (المجاز المستعار للتمثيل) العلامة والأمارة هما الأثر الذي تركه الأداة التي يُعَلِّمُ بها، والعلامات التي تظهر بوجود مؤثر هي الأشرط، ووجود المؤثر دليل وجود المتأثر، وعلى هذا يكون المراد في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٨]، أي: كلُّ رأى علاماتها، إذ لا بد من ظهورها أولاً، ولا بد من وجود سبب لظهورها، ففي قوله: «(فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها، لا لمطلق إتيانها، على معنى: أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكير أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشراطها، فلم يرفعوا لها رأساً، ولم يعدوها من مبادئ إتيانها، فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة» (٦٠).

أما استغراق النسبة بالضمير (ها) فهو دليل عموم الحال المتأتي من خصوص الإضافة، فدلَّ على تخصُّص الأشرط بالساعة، ودلَّ بالتوسُّع على شمول عموم (٦٠) البحر المديد: ٦/ ٦١.





صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

اتبعوا أهواءهم وأضاعوا الصواب
والهدى.

أليس في كناية الغيبة والخفاء دلالة
مطابقة بين الحال والخطاب؟. إذ جعل
الخفاء في المكني خفاءً في الدلالة على
الحال، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: دلالة المجاز في إضافة الضمير
(ها) لكلمتي (أنباء وأبصار).

١. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أنباء).

في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾
[سورة الأعراف: ١٠١].

من أنبائها، أي «بعض أخبارها، ولها
أنباء غيرها لا نقصها عليك»^(٦١). قال
الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى الإخبار
عن القرى بنقص عليك من أنبائها؟.
قلت: معناه: أن تلك القرى المذكورة
نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها
لم نقصها عليك»^(٦٢)، «وتصدير الكلام

(٦١) البحر المديد: ٢ / ٢٧٢.

(٦٢) الكشف: ٢ / ٢٦٤.

الماضي تفيد التحقيق.

ومن الاتساع كذلك الضمير يحتمل
العودة إلى الساعة والبغته معاً، أو إحداهما،
أي: جاءت أشراف الساعة أو أشراف
البغته. فضمير الكناية عائم يَسَعُ الأمرين
معاً، وفي خفاء الدلالة على أحدهما سر
عجيب، إذ جعلهم في حيرة من أمرهم،
فهم لا يدركون ما تحقق أشرافه، أهو
الساعة؟. فلا يعلمون متى تَقَعُ، وإن
تحققوا من وقوع علاماتها وقُرْبها، ولا
هم يعلمون وقت المباغته وأماراتها؟!.

وهذا هو حالهم، فقد وصف الله تعالى عدم
إدراكهم بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَنَقًا إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مَاذَا قَالَ أَنفَأُ أَؤْتِيكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦]، نعم

هم خرجوا من عنده وكانوا يسمعون،
لكنهم لا يعلمون، إذ هم ليسوا من الذين
أوتوا العلم، لذا فهم يسألون الذين أوتوا
العلم. أولئك طبع الله على قلوبهم، فهم
يرون علامات الساعة ولا يأبهون لها ولا
يتعلمون من أخطائهم، ويرون علامات
المباغته ولا يعتبرون بها ولا يأبهون لها،

بذكر القرى وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصود أنباء أهلها، والمقصود بيان أحوالهم حسبما يُعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿٦٣﴾ لما أن حكاية هلاكهم بالمرّة على وجه الاستئصال بحيث يشمل أماكنهم أيضاً بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة أهول وأفزع^(٦٣)، وهو مجاز علاقته المكانية. مثل قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية.

قال ابن عاشور: «(من) تبعيضية؛ لأنّها أنباء غير ما ذكر هنا مما ذكر بعضه في آيات أخرى، وطوي ذكر بعضه لعدم الحاجة إليه في التبليغ؛ لأنّه إنّما قصّ إليهم ما فيه عظة وزجر. والمراد بالقرى وضمير أنبائها: أهلها. كما دل عليه الضمير في قوله: (رُسُلُهُمْ)»^(٦٤).

ويبدو التوسع، وتبدو قصدية السياق من إضافة أنباء إلى الضمير (ها)، وهذا واضح من السياق القرآني، فلو قال أنباء

(٦٣) تفسير ابي السعود: ٢٣ / ٣، و ينظر روح المعاني: ٦ / ٢٨٣.

(٦٤) التحرير والتنوير: ٨ / ٢١٨.

القرى، لاختصاص الأمر بالقرى، لكن مع الضمير يحتمل أنباء أهلها، وأنباء تكذيبهم، وأنباء رُسُلِها، وأنباء القرى، وأنباء أنهارها، وجبالها، وسهولها وغير ذلك، وإنما أضاف الأنباء إلى الضمير للإشارة إلى ما آل إليه حالهم وحال قراهم من خراب ودمار وخسف وإغراق وريح، بسبب التكذيب ففي الضمير توسع في الدلالة يوحي بتوسع الأحداث، وتعددتها، وتنوعها، وبالضمن يدلّ على التخصص بأنباء دون غيرها، دلّت عليها الإضافة إلى موجود معلوم؛ لخباء مجهول غير موجود، أكّدت وجوده (من) التبعية، والله تعالى أعلم.

٢. إضافة الضمير (ها) لكلمة (أبصار). في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾

﴿٨﴾ **أَبْصَرَهَا خَشِيعَةً** [سورة النازعات:

٨، ٩]، «كناية عن الذل والخوف، وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوب أصحابها»^(٦٥)، «أي: أبصار أصحاب القلوب. والخشوع حقيقة: الخضوع والتذلل، وهو هيئة

(٦٥) التسهيل لعلوم التنزيل: ١ / ٢٥٤٥



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن

اللغوية الدلالية للضمير (ها).

نتائج البحث

بعد التبحر في مواطن العلم في كتاب الله الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، توصلنا إلى نتائج عدة أهمها:

١. ان إضافة ضمير الكناية (ها) إلى صيغة (أفعال) يحتمل الدلالة على العموم والخصوص فهو من أساليب التوسع في البيان العربي والقراني.
٢. النسبة في ضمير الكناية إلى هذه الصيغة هي نسبة فاعلية وأحياناً نسبة مفعولية وقد تكون نسبة تخصيص وهو الأقل في الدلالة القرانية.
٣. وجدنا ترابطاً واتساقاً بين دلالة الضمير ودلالة المجاز في السياق القراني.
٤. وجدنا دلالات توسعية نوعية عديدة وكمية، مكانية ومجازية مضافة إلى دلالة الصيغة في السياق القراني.
٥. الدلالة حقيقية لصيغة أفعال على الكثرة وليست القلة، ووجود ضمير الكناية (ها) لها مزية في قصدية التعيين

للإنسان، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة»^(٦٦).

لقد توسع الضمير في دلالته ليشمل (أبصار أصحاب القلوب)، ويدل بالكناية على (أبصار القلوب)؛ لأن تنكير الأبصار وإضافتها إلى الضمير غرضه التوسع والعموم، وإضافة الضمير إليه يدل على القصدية في إرادة التوسع، بسبب الدلالة على التخصص، فتأمل كيف مزج بين الأبصار والقلوب، فجعل القلوب تنظر وجعل الأبصار تخشع، وبدل الوظائف فأودع في القلوب وظيفتين فصارت القلوب واجفة محدقة خاشعة ذليلة، تتحكم بالبصر فإذا انكسرت القلوب انكسر البصر، وهذا يُصدِّقه قول الشاعر:

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ

إِذَا لَمْ يَكُنْ طَرْفُ الْفُؤَادِ بِمُطْرِقِ

ذاك هو القصد في هذا التصوير الفني

المجازي، في لوحة فنية معبرة وسيلتها

(٦٦) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٦٠.

السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (٩٨٢هـ). دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٩م.

٣. أسرار النحو، لشمس الدين أحمد بن سلمان المعروف بابن سلام باشا (ت ٩٤٠هـ)، منشورات دار الفكر.

٤. أسرار التنزيل وأنوار التأويل، للإمام فخر الدين الرازي (٦٠٤هـ)، تحه محمود أحمد محمد وآخرين، دار واسط - بغداد، ١٩٩٠م.

٥. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي، (٧٤٥هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.

٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الصوفي (١٢٢٤هـ) (١٨٠٩م)، تحه: أحمد عبد الله القرشي رتيبان، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. المكتبة الشاملة.

٧. التحرير والتنوير المعروف بتفسير

والتحديد والنسبة وتوسع الدلالة في السياق القرآني.

٦. إضافة الضمير (ها) لم يرد إلا في المجردات والجمادات مما جمع على صيغة (أفعال) وهي: الأبواب، الأقفال، الأمثال، الألوان، الأكماء، الأشعار، الأوبار، الأصواف، الأقوات، الأطراف، الأقطار، الأرجاء، الأدبار، الأثقال، الأخبار، الأشراف، الأبناء، الأبصار.

٧. لم تُصَفَ الجموع المتعلقة بالإنسان والحيوان مثل: أقوام و أنعام، ولا صفاتها إلى الضمير (ها) في السياق القرآني.

ثبت المصادر والمراجع:

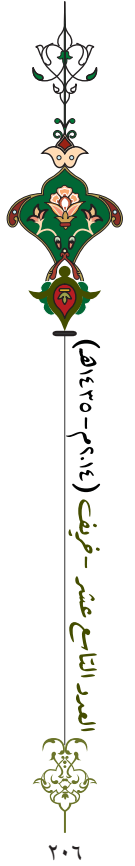
١. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحه: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة، ١٣٩٨.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي



صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن **المصباح**

- ابن عاشور، لمحمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
٨. التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، عناية: أبو بكر بن عبد الله سعداوي، المتدى الإسلامي - حكومة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م.
٩. تفسير روح البيان، لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي (١١٢٧هـ - ١٧١٥م)، دار إحياء التراث العربي.
١٠. تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩هـ) تح. ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر دار الوطن - الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
١١. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق ط / ١٤١٨، ٢هـ.
١٣. جامع الأحاديث، لجلال الدين السيوطي، جمع وترتيب عباس أحمد صقر و أحمد عبد الجواد دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.
١٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية - بيروت.

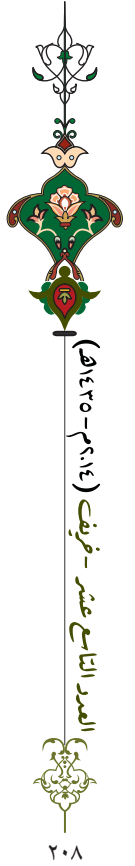


١٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف السمين الحلبي (٧٥٦هـ) تح أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨.
١٨. الدر المنثور في التأويل بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ). تح. مركز هجر للبحوث، دار هجر - مصر، سنة النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، (١٢٧٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، (ت: ٩٧٧هـ) / دار الكتب العلمية - بيروت.
٢١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل
٢٢. شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى، (ت: ٩٠٠هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
٢٣. شرح الرضي على كتاب الكافية في النحو، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي، (٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٦م.
٢٤. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، (د،ت).
٢٥. شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم. ت. د/ عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، ط/ دار الجيل - بيروت، بدون.
٢٦. شرح المفصل، لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الموصلية

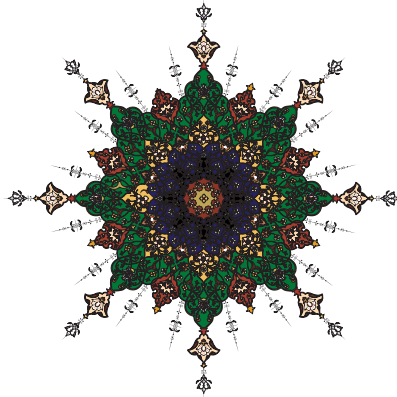


صيغة (أفعال) مضافة إلى الضمير (ها) في القرآن..... **التصنيف** •

٢٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تـح: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨-١٩٧٨.
٢٧. ضمائر الغيبة، ضمائر الغيبة أصولها وتطورها، بحث للدكتور فوزي حسن الشايب، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت المجلد: ٨ العدد: ٤٦ / ١٩٨٧.
٢٨. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، (د. ت).
٢٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تـح: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨-١٩٧٨.
٣٠. الكتاب، لسبيويه أبي عمرو بن عثمان بن قنبر، تـح: عبد السلام هارون، دار عالم الكتب ٢٠٠١، ط / ٢.
٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (٥٣٨هـ). دار التراث العربي، بيروت.
٣٢. الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تـح: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: ١، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٣٣. الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تـح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
٣٤. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: ٧٧٥هـ). تـح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
٣٥. لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى (تفسير الخازن)، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم



٣٩. معاني النحو، د. فاضل السامرائي، ط / ٢، دارالفكر، ٢٠٠٣.
٤٠. معجم الأفعال المتعدية بحرف، لموسى بن محمد بن الملياني الأحدي نويوات، دار العلم للملايين، ١٩٧٩.
٤١. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٤٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية، للامام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) د / المعرفة بيروت، ط / ٢، ٢٠٠٢ م.
- البغدادي الشهير بالخازن (٧٤١هـ)، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.
٣٦. لسان العرب، لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، (٧١١هـ)، دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦ م.
٣٧. مختصر تفسير البغوي، لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد، ط ١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٦هـ.
٣٨. معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط / ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.



اللهم اغفر لي ذنوبي
وكن لي شفيعاً يوم
الدين



اللهم اغفر لي ذنوبي
وكن لي شفيعاً يوم
الدين

المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم

عمرّة موسى إمام

الشيخ الدكتور هاشم أبو خمسين

جامعة المصطفى - قم - إيران الإسلامية

جامعة المصطفى - قم - إيران الإسلامية

فحوى البحث

يعرض البحث لمنهجين من مناهج التفسير حديثي العهد بهذا العلم الشريف الذي كرس له المسلمون الأوائل من العلماء جهدهم فبلغوا ما بلغوا. يهدف البحث الى معرفة معالم وحدود كل من المنهجين مع فهم ما يمتاز به عن الآخر عن طريق المقارنة بينهما ومعرفة كيفية استعمالهما في فهم كتاب الله العزيز - على حد تعبير السيدين الباحثين. وقد جاء البحث ضمن خمسة مباحث، اذ بدأ بالتعريف بكل من التفسيرين وناقش كل تعريف. وفي المبحث الثاني جاءت تقسيمات التفسيرين، ثم وجوه الاشتراك والافتراق بينهما، ثم عرض لنقد كل منهما. والملاحظ ان الباحثين اعتمدا آراء السيد الشهيد محمدباقر الصدر في اهم المواقف التي اتخذها في البحث.

المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم **المنهج الترتيبي**

مقدمة

والسؤال الاساس المطروح للبحث

هو: كيف نستطيع التمييز بين منهجي التفسير الترتيبي والتفسير الموضوعي لكتاب الله تعالى؟ ما هي أهم الخصوصيات والمواصفات التي يمتاز بها كل من أسلوب التفسير الترتيبي والتفسير الموضوعي؟ هذا هو السؤال الذي سيحاول البحث الإجابة عنه بحول الله وقوته.

ويمتاز هذا البحث بكونه دراسة مقارنة بين هذين الأسلوبين. نسأل الله التوفيق والسداد، فإنه خير ناصر ومعين.

المبحث الأول:

التعريف بالتفسير الترتيبي و الموضوعي

أولاً: التفسير الترتيبي:

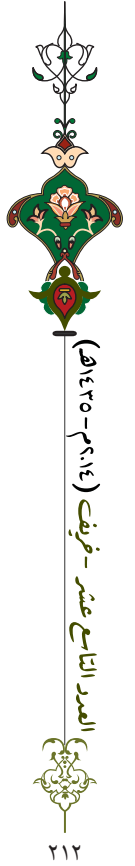
لقد عرف العلماء التفسير الترتيبي بتعريفات مختلفة، كما سموه بأسماء متنوعة؛ مثل الترتيبي والتجزئي والموضوعي.

وأما تعريفه: فإن السيد الشهيد الصدر يقول فيه: (هو المنهج الذي يتناول المفسر فيه، ضمن إطار القرآن الكريم، آية فأية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف)^(١).

(١) الصدر، السيد محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص ٩.

إن القرآن الكريم هو الكتاب المنزل من عند الله تعالى على نبيه المصطفى المختار ﷺ لهداية البشرية جمعاء، وهذا الكتاب فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان من أمور آخرته و دنياه، ويستطيع الكل بعد معرفة بعض المقدمات أن يفهم و يدرك بعض مراميه و مقاصده في ذلك، و لكن فهم دقائقه و مطالبه العميقة يجب أن يكون له العلماء المتخصصون لكي يبينوه و يخرجه لنا و يرشدونا إليه، فقد كان للعلماء منهجان وطريقتان لاستخراج هذه المطالب والمعلومات العميقة و الدقيقة، و هما المنهج الذي يتتبع الآيات القرآنية حسب الترتيب الموجود في المصحف الشريف، و الآخر يتعلق بجمع كل الآيات التي تدور حول موضوع واحد ليعالجها، فيخرج بنتيجة نهائية منه.

والهدف من البحث: هو معرفة معالم وحدود كل من المنهجين مع فهم ما يميز به الواحد عن الآخر عن طريق المقارنة بينهما، وكذلك معرفة كيفية استعمالهما في فهم كتاب الله العزيز.



وقال آية الله مكارم الشيرازي:- في التفسير الترتيبي -تجري عملية بحث آيات القرآن الكريم بالترتيب و يتم توضيح مضمونها وماهيتها...^(٢).

وقال الدكتور الرضائي فيه: (يعتمد المفسر في طريقة التفسير الترتيبي على تفسير آيات القرآن بطريقة ترتيبية حسب وجودها في المصحف أو حسب نزولها)^(٣).

مناقشة التعريفات:

تشارك هذه التعريفات في أن هذا النوع من الأسلوب التفسيري يختص بكونه حسب الترتيب القرآني، إلا أن الترتيب القرآني على نحوين: الترتيب النزولي والترتيب الكتابي، فالسيد الشهيد أشار في تعريفه إلى الترتيب الموجود في المصحف، وما لم يكن كذلك فهو خارج عن تعريفه، مثل تفسير الآيات بحسب النزول، وأما الدكتور الرضائي فقد جعل في تعريفه كلا الترتيبين النزولي والكتابي موجودين،

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم (معاصر)، نفحات القرآن، ج١، ص٥.

(٣) الرضائي، محمد علي (معاصر)، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٣١٢.

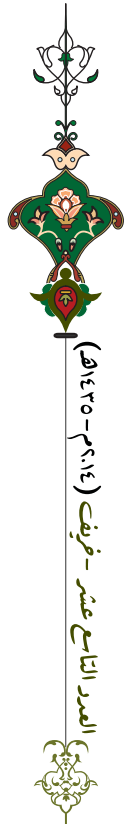
بينما الشيخ مكارم ذكر الترتيب مطلقاً ولم يقيده بما هو موجود اليوم في المصحف أو غيره من الترتيبي النزولي. و التفسير على هذا الأسلوب قد يكون آية آية، وقد يكون بحسب مقاطع من الآيات، كما يمكن فهمه من هذه التعريفات الثلاثة وإن لم يذكره صريحاً نظراً إلى كونه من البديهيات التفسيرية لهذا الأسلوب.

ثانياً: التفسير الموضوعي:

وللتفسير الموضوعي تعريفات عدة، كما سموه بأسماء أخرى؛ مثل التوحيدي والتقضيي.

وأما التعريف فقد أورد الشيخ مصطفى مسلم تعريفات مختلفة حوله، ثم اختار قول بعضهم بأنه: (علم يتناول القضايا بحسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر) لخلوه من التكرار و الإشارة إلى نوعين منه كما قسمه على التفسير الموضوعي الذي يجمع المفسر كل الآيات التي تتعلق بموضوع واحد، فيعالجه، و الموضوعي الذي يرتبط بتفسير سورة واحدة لاهتمامه بالغرض الذي تعرضت له تلك السورة^(٤).
(٤) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٦ مصطفى مسلم.





المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم **المصباح** •

يكون باختيار موضوع من موضوعات الحياة خارج القرآن، ثم يأتي المفسر إلى النص القرآني ليرينا ما هو رأيه في هذا الموضوع المطروح.

و أما ما اختاره الشيخ مصطفى في تعريفه من جعل تفسير السورة الواحدة من سور القرآن تفسيراً موضوعياً لاهتمام المفسر بغرض ما في تلك السورة فإن علماءنا الأعلام لم يعتبروا هذا من أقسام التفسير الموضوعي؛ بل عدوه كجزء من الترتيبي.

المقصود بالموضوعي:

و أما لفظ الموضوعي في الإصطلاح فقد أوردها السيد الشهيد على ثلاثة معان: **الأول:** الموضوعي بمعنى اختيار قضية من الواقع الخارجي ثم الرجوع إلى القرآن الكريم بقصد التوحيد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم لا بمعنى حمل تلك التجربة عليه بل بمعنى توحيدهما في سياق واحد والخروج بالنتيجة الواحدة.

الثاني: الموضوعي بمعنى البحث عن الآيات المتفرقة في القرآن التي تشترك في موضوع واحد فيجمعها المفسر ويرتبطها

وقال فيه آية الله المحقق السبحاني: هو تفسير القرآن الكريم حسب الموضوعات الواردة فيه بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة حول موضوع واحد، ثم تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة واحدة^(٥).

وقال فيه السيد الشهيد: بأنه (الدراسة الموضوعية التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، و تتجه إلى درسه و تقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)^(٦).

مناقشة التعريفات:

فهذه التعريفات الثلاثة لهذا النوع من التفسير تشير إلى أن له قسمين: فقد أشار التعريف الأول و الثاني إلى القسم الأول منه و هو الذي يأخذ المفسر موضوعه من داخل القرآن، ثم يجمع الآيات من سور مختلفة، فيخرج بنتيجة نهائية، و أشار التعريف الأخير إلى القسم الثاني الذي

(٥) السبحاني، جعفر (معاصر)، مفاهيم القرآن، ج ١، ص ٨.

(٦) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص ١٧.

ترتيا عضويا للوصول إلى النتيجة التي ترمي إليها الآيات.

الثالث: الموضوعي في مقابل التحيز؛ وهو بمعنى الأمانة والاستقامة على جادة الحق والعدالة في البحث من دون ميل و تطرف إلى رأي مذهبي أو اعتقادي مسبق؛ بل بقصد البحث عن الحق والحقيقة، أينما وجدها الباحث أخذ بها^(٧).

المبحث الثاني:

تقسيمات التفسير الترتيبي و الموضوعي

إن لكل من الأسلوبين تقسيمات تختص به، وهو كالتالي:

الأول: التفسير الترتيبي:

إن التفسير الترتيبي له أقسام مختلفة- كما كان للموضوعي أيضا قسما على أرض الواقع حاليا - والترتيبي قد يكون بحسب النزول القرآني كما نقل في كيفية جمع القرآن للإمام علي^(عليه السلام)^(٨)، وقد يكون من بداية الفاتحة إلى نهاية سورة الناس،

(٧) انظر: الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن، ص ٣٤٥- ٣٤٦، و المدرسة القرآنية، ص ٢٨- ٢٩.

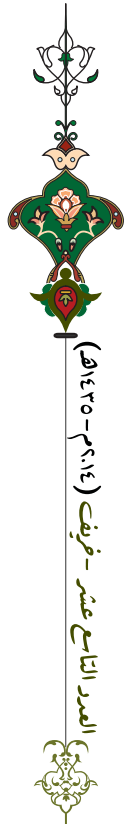
(٨) انظر: معرفة، محمد هادي (١٤٢٨هـ)، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٢.

و هو النوع الغالب أو المعروف في هذا الأسلوب. مثل تفسير التبيان للطوسي (ت ٤٦٠هـ) و مجمع البيان للطبرسي (ت ٥٤٨هـ). كما قد يكون بالعكس من ذلك يعني ان المفسر يبدأ تفسيره من سورة الناس وينتهي إلى الفاتحة. وتارة يخص تفسيره بالسورة الواحدة من سور القرآن أو أكثر من ذلك. مثل تفسير بوارق القهر في تفسير سورة الدهر و تفسير ست سور للملا حبيب الله الكاشاني (القرن الثالث عشر)، و تفسير العسس في تفسير سورة عبس للسيد مصطفى الشريعت الإصفهاني، و تارة أخرى يؤلف في بعض الآيات المرتبة، كتفسير آية الكرسي و غيرها.

الثاني: التفسير الموضوعي:

وأما الأسلوب الثاني فهو التفسير الموضوعي وقد قسموه على منهجين. الأول هو الذي يختار فيه المفسر الموضوع قبل الرجوع و النظر إلى الآيات ثم يأتي إلى القرآن و يرى ما رأيه و نظره فيه؟. و الثاني ان يأتي إلى النصوص القرآنية مباشرة من دون أي فكر و نظر خارج القرآن الكريم،





المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم المنهج الترتيبي

في المرحلة الثانية و بصورة مستقلة^(٩).
فقد ذهب السيد الشهيد إلى أفضلية
القسم الأول، و بنى أسس هذا النوع من
التفسير عليه، كما اختار الشيرازي القسم
الثاني و اعتقد بأفضليته، بناء على بعده من
التفسير بالرأي و حمل الأفكار المسبقة على
كتاب الله تعالى. و عليه فكل من القسمين
جاز استعماله حسب ما يميل إليه المفسر ما
لم يخالف الأصول والضوابط التفسيرية
المقررة و المتفق عليها.

المبحث الثالث:

وجوه الإشتراك و الإفتراق بين المنهجين

إن تفسير كتاب الله الحكيم بحسب
الإستقراء يكون على أحد الأسلوبين -
التفسير الترتيبي و التفسير الموضوعي -
ولا ثالث لهما إلى اليوم، و من الطبيعي أن
نجد وجوه الإشتراك بينهما؛ لأن كلا منهما
الهدف منه هو بيان مراد و مقصود الله تبارك
و تعالى من هذا الكتاب الذي لا يمسه إلا
المطهرون، هذا من جهة، و من جهة أخرى
فمن اللازم وجود ما يمتاز به كل منهما
عن الآخر. فهذا المبحث سيحاول دراسة
(٩) انظر: نفحات القرآن، ج ١، ص ١٦.

فيجمع ما يرتبط بموضوع واحد، ثم
يعالجه فيخرج بالنتيجة من دون النظر إلى
شيء غير تلك الآيات.

يقول الشيخ مكارم الشيرازي في
القسم الأول: (وهو إنهم يتناولون
الموضوعات المختلفة كالموضوعات
العقائدية - التوحيد و المعاد و...
والموضوعات الأخلاقية - التقوى حسن
الخلق و... و بعد ذكر بحوث فلسفية و
كلامية أو أخلاقية يذكرون بعض الآيات
القرآنية المرتبطة بعنوان الشاهد على ذلك).

و قال في الثاني: (و هو الذي يتم فيه
قبل كل شيء جمع الآيات الواردة حول
الموضوع من جميع أجزاء القرآن، و قبل
أي حكم أو إبداء نظر يتم جمع الآيات و
تفسيرها مجتمعة، و بجمعها و ملاحظة
العلاقة فيما بينها نحصل منها على الصورة
الكاملة.

و هنا لا يملك المفسر شيئاً من عنده
مطلقاً، و يسير كالظل خلف آيات القرآن،
فيفهم كل شيء من القرآن، و يكون كل همه
كشف محتوى الآيات، و إذا أراد الإستعانة
بآراء الآخرين بل حتى الأحاديث فذلك

هذين الأمرين بالترتيب فيما يأتي.

الأول: وجوه الإشتراك:

إن كلا من المنهجين (الترتيبي والموضوعي) يشتركان في:

١. استعمال الأدوات الكاشفة عن النص ومدلولاته التي ترمي عملية التفسير الى الحصول عليها؛ مثل اللغة و الظهور و القرائن المتصلة والمنفصلة والنصوص المنقولة عن المعصومين عليهم السلام وأنواع العلوم القرآنية وغير ذلك مثل منهج تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان التفسير الموضوعي عند السيد الشهيد يمتاز عن غيره من التفسير باستعمال التجربة البشرية و نظرية المفاهيم الإسلامية كأداة لفهم القرآن الكريم^(١٠).

٢. الأسلوب الموضوعي دائما يحتاج إلى تحديد المدلولات التجزيئية من الآيات والتي تكون وظيفة للتفسير الترتيبي. وعليه؛ فالأسلوب الترتيبي يولّد ويهيئ المواد الأساسية فيأخذها

الأسلوب الموضوعي ويرتبها، فيخرج بنتيجته التي يرى الوصول إليها.

٣. إن الأسلوب الترتيبي قد يحصل على النتائج التي تشكل حقيقة قرآنية دالة على حقيقة من حقائق الحياة، فيكون في ذلك كالأسلوب الموضوعي.

نعم؛ إننا نفهم من وجه الإشتراك الأولى والثانية أن الموضوعي يدخل في مصاديق الترتيبي كما يدخل الترتيبي في مصاديق الموضوعي. وفي ذلك يقول السيد الشهيد: (ينبغي أن يكون واضحا أن الفصل بين الاتجاهين المذكورين ليس حديا على مستوى الواقع العملي و الممارسة التاريخية لعملية التفسير لأن الاتجاه الموضوعي بحاجة طبعاً الى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يريد التعامل معها ضمن اطار الموضوع الذي يتبناه. كما أن الاتجاه التجزيئي قد يعثر في اثناء الطريق بحقيقة قرآنية من حقائق الحياة الاخرى)^(١١).

الثاني: وجوه الإفتراق:

(١١) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص ١٣.

(١٠) انظر: الأزرقى: منهج فهم القرآن عند الشهيد الصدر، ص ٣٤٥.



المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم المنهج الموضوعي

وتطبيقاته موجودة ومتبعثرة في بعض المصنفات، لكن السيد امتاز بالبحث المستقل ووضع المعالم والضوابط الخاصة به.

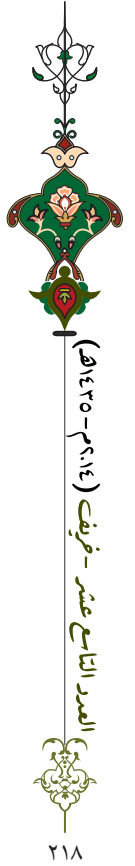
٣. إن المفسر بالأسلوب الترتيبي يتماشى دائماً مع ترتيب المصحف أو ما يختاره من سورة واحدة و غير ذلك من الآيات، و يفسر آية آية أو قطعة قطعة منها تدريجياً، ربما يُوفَّق في إكماله -إن كان قصده انتاج تفسير كامل من بداية القرآن إلى نهايته -وقد لا يُوفَّق إلا لتفسير بعض السور. ولكن المفسر بالتفسير الموضوعي، يجمع كل الآيات التي يتمحور حولها الموضوع الواحد، فيبذل جهده فيها حتى ينتهي إلى نتيجة متوخاة من ذلك.

٤. إن المفسر بالأسلوب الترتيبي يستفيد من الآية أو الآيات الأخرى أو الروايات و الأحاديث بعد استعمال اللغة و الأدب و التاريخ لفهم الآية أو المقطع الذي يريد تفسيره؛ بينما المفسر في القسم الثاني أغلب ما يعتمد عليه هو الآيات التي يجمعها، حيث إنه

لهذين الأسلوبين من التفسير حقائق ومواصفات خاصة، توضح لنا وجوه التمايز والافتراق بينهما. ومن أهمها:

١. إن الفرق بين هذين الأسلوبين للتفسير (الترتيبي و الموضوعي) واضح من خلال تعريفيهما، حيث إن الترتيبي أو التجزيئي يتعلق بترتيب سور القرآن أو سورة أو بعض آيات منه؛ بينما الموضوعي يرتبط بجمع كل الآيات التي تدور حول موضوع واحد لمعالجة قضية من القضايا داخل القرآن الكريم أو خارجه.

٢. إن الأسلوب الترتيبي هو أول أسلوب متبع في عملية التفسير وكتابته منذ القرن الأول، فقد كانت الأسس و الضوابط المقررة في هذا العلم إنما جُمعت و كُتبت من أجل هذا الأسلوب أولاً، و أما الأسلوب الثاني؛ يعني التفسير الموضوعي، فلم يلتفت أحد إلى الكلام حوله إلا في أواخر القرن الرابع عشر الهجري على يد السيد الشهيد محمد باقر الصدر رضي الله عنه، وإن كانت بعض مباحثه



يتَّبَع فيه منهج تفسير القرآن بالقرآن،
فيقوم بترتيبها وتركيبها تركيباً عضوياً
للحصول على النتيجة النهائية، و أما
غير الآيات فإنه يستعملها لكن ليست
كركن أساسي في عمله هذا^(١٢).

٥. ومن ناحية الهدف لكل من الأسلوبين
يقول السيد الشهيد: (فالهدف في كل
خطوة من هذا التفسير (الترتبي) فهم
مدلول الآية التي يواجهها المفسر بكل
الوسائل الممكنة؛ أي أن الهدف هدف
تجزئي، لأنه يقف دائماً عند حدود
فهم هذا الجزء أو ذلك من النص
القرآني، ولا يتجاوز ذلك غالباً)، و
لكن في الموضوعي يقول: (ويستهدف
التفسير التوحيدي الموضوعي من
القيام بهذه الدراسات تحديد موقف
نظري للقرآن الكريم و بالتالي
لرسالة الاسلامية من ذلك الموضوع
من موضوعات الحياة او الكون)^(١٣).

٦. إن المفسر بالأسلوب الترتبي غالباً

(١٢) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير
الموضوعي، ص ٣٩.

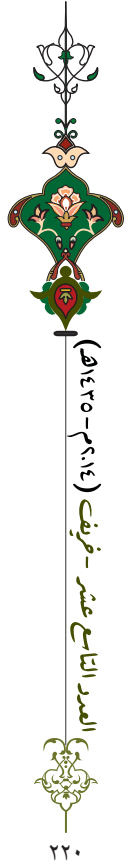
(١٣) انظر: الصدر محمد باقر، المدرسة القرآنية،
ص ١١ و ١٣.

ما يبدأ من القرآن الكريم و ينتهي
إليه؛ يعني إنه يتناول آية أو قطعة
من الآيات من دون أي افتراضات
مسبقة، ثم يحاول فهم هذه القطعة
على حدة بواسطة اللفظ و القرائن
الموجودة فيها، وليس للمفسر إلا
الإصغاء و التفهم لما في الآية أو
الآيات مورد بحثه؛ بينما في قسيمي
الأسلوب الموضوعي قد يبدأ المفسر
من خارج النص، بحيث تكون له
فرضياته المسبقة من بين الموضوعات
المتداولة في واقع الحياة، و بعد ما حدد
معالم موضوعه من الواقع الخارجي
للحياة يرجع إلى النص فيحاوره عن
طريق السؤال و الجواب، فما أجابه به
القرآن يأخذ به كنتيجة حصل عليها.
و هدفه من ذلك هو: (ان يكتشف
موقف القرآن الكريم من الموضوع
المطروح و النظرية التي بإمكانه أن
يستلهمها من النص، من خلال
مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث
عن الموضوع من أفكار و اتجاهات).
فدور المفسر في الأول دور سلبي،



المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم..... **المنهج الترتيبي**

٧. إن الأسلوب الترتيبي ساعد كثيرا في وجود التناقضات و التضارب المؤلم في التفسير، حيث أدى إلى أن تجد كل فرقة ما يتلائم مع أفكارها و اعتقاداتها؛ سواء كانت على حق أم على باطل، فغالبا ما ينجرُّ هذا إلى تأسيس مذهب أو عقيدة شاذة فيدعو صاحبها الناس إليها. وأما الموضوعي فمن أهم وظائفه حلُّ التناقضات المتوهمة بين الآيات، و كشف الإرتباط والتناسب بينها. (و قد أدت حالة التناثر و نزعة الاتجاه التجزيئي الى ظهور التناقضات المذهبية العديدة في الحياة الاسلامية، إذ كان يكفي أن يجد هذا المفسر او ذاك آية تبرر مذهبه لكي يعلن عنه و يجمع حوله الانصار و الاشباع كما وقع في كثير من المسائل الكلامية كمسألة الجبر و التفويض و الاختيار مثلا)^(١٥).
٨. قلة التطور و تعويق الفهم الدقيق و العميق للقرآن الكريم، حيث تظل معاني الآيات متناثرة و متفرقة من دون ترتيبها ترتيبا عضويا، وإخراجها من ساحة الزمان و المكان، حتى نفهم الرسالة العميقة التي يريد الإسلام إيصالها إلى المجاميع الإنسانية؛ و لكن الموضوعي بعكس ذلك تماما. و يمثل السيد هذا الفرق بقوله: (ان الاتجاه التوحيدي و الموضوعي في الفقه بامتداده و انتشاره ساعد بدرجة كبيرة على تطوير الفكر الفقهي و إثراء الدراسات العلمية في هذا المجال بقدر ما ساعد انتشار الاتجاه التجزيئي في التفسير على اعاققة الفكر الاسلامي القرآني عن النمو المكتمل و ساعد على اكتسابه حالة تشبه الحالات التكرارية حتى نكاد نقول ان قرونا من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري والرازي والشيخ الطوسي، لم يحقق فيها الفكر الاسلامي مكاسب حقيقية جديدة، و ظل التفسير ثابتا لا يتغير إلا قليلا خلال تلك القرون على



(١٤) الصدر، محمد باقر، مصدر سابق، ص ١٩-٢٠.
(١٥) م. ن، ص ١٢.

الرغم من ألوان التغير التي حفلت بها الحياة في مختلف الميادين^(١٦).
 ٩. إن التفسير التجزيئي أقصى ما يستطيع الوصول إليه في الأعم الأغلب هو الحصول على معلومات متناثرة و معارف متقاطعة في آيات مختلفة، فهذه المعارف تبقى على حالها؛ و لكن التفسير الموضوعي يأتي إلى هذه المعلومات، فيجمعها، ويركبها تركيباً عضويًا بوضع كل معلومة في مكانها المناسب، فيخرج المفسر بالنتيجة المطلوبة في رأي القرآن الكريم حول ذلك الموضوع. قال السيد الشهيد: (إن التفسير الموضوعي يتجاوز التفسير التجزيئي خطوة لأن التفسير التجزيئي يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، بينما التفسير الموضوعي، يطمح إلى أكثر من ذلك يتطلع إلى ما هو أوسع من ذلك، يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية، يحاول أن يصل إلى مركّب

نظري قرآني، و هذا المركّب النظري القرآني يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية، موقعه المناسب، و هذا ما نسميه بلغة اليوم بالنظرية؛ يصل إلى نظرية قرآنية عن النبوة، نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادي نظرية قرآنية عن سنن التاريخ و هكذا عن السموات و الأرض)^(١٧).
 ١٠. النتيجة التي يحصل عليها المفسر في استعمال الأسلوب الأول هو الحصول على مجموعة كثيرة من المعلومات و المعارف المتناثرة والمتراكمة من دون الكشف عن وجوه الإرتباط بينها؛ بل تبقى هكذا غالباً. (وحصيلة تفسير تجزيئي للقرآن الكريم كله تساوي على أفضل تقدير مجموعة مدلولات القرآن الكريم ملحوظة بنظرة تجزيئية أيضاً، أي أنه سوف نحصل على عدد كبير من المعارف و المدلولات القرآنية، و لكن في حالة تناثر و تراكم عددي دون أن نكتشف



المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم..... المنهج الموضوعي

العسكري أو التغذية والسلامة وغير ذلك، فيأتي إلى الآيات القرآنية لبحث عن هذه القضية، فيسأل القرآن عن رأيه في هذه القضايا، هو المعنى الأول للموضوع.

والثاني أن المفسر بالأسلوب الموضوعي يبذل كل جهده لجمع الآيات التي ترتبط بالموضوع الذي يبحث حوله، فيرتبها بحسب النزول وبعد استعمال قواعد التفسير الموضوعي - كما ستأتي في محله - يخرج بالنتيجة النهائية منها، بينما المفسر بالترتبي لا يأتي بآية أو آيات أخرى لتفسير آية أو مقطع ما إلا لتوضيح نفس الآية أو المقطع الذي يحاول تفسيره وتبينه، ولا علاقة له بالنتيجة النهائية لجميع الآيات المتعلقة بموضوع الآية أو ذلك المقطع. هذا هو معنى الإفتراق بين الأسلوبين.

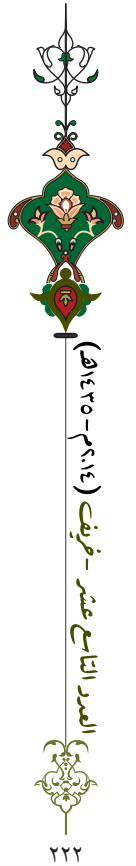
وأما اشتراكهما في الثالث فيعني أن كلا من الأسلوبين لا يجوز أن يفرض المفسر فيه على القرآن الكريم، وهذا حرام على الإطلاق في كليهما، ولا بد أن يكون قصد المفسر هو تبين الحقائق الإلهية حسب علمه وفهمه لكتاب الله العزيز، لا

أوجه الارتباط، من دون أن نكتشف التركيب العضوي لهذه المجاميع من الافكار، من دون أن نحدد في نهاية المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة). بينما الثاني ينتهي إلى النتيجة والخروج بحصيلة نعالج بها مشكلة أو مشاكل كثيرة من التي لا يمكن حلها عن الطريق الأول^(١٨). هذه من أهم الفروق التي يمكن أن تلاحظ بين هذين الأسلوبين من التفسير.

١١. وكذلك افرق هذان الأسلوبان في الموضوعي بالمعنى الأول و الثاني، و اشتركا في المعنى الثالث كما نفهم ذلك في توضيحات السيد الشهيد.

يعني أن المفسر بالأسلوب الترتيبي يركز كل اهتمامه على الآية أو المقطع الذي يحاول توضيحه وتبينه ولا علاقة له بشيء من خارج الآية أو الآيات، لكن الأسلوب الموضوعي واحد من قسميه هو أن تأتي المفسر بقضية ما؛ مثل التعددية الإجتماعية أو التخطيط الإستراتيجي

(١٨) م. ن، ص ١١.



انتصار مذهبه وفرقته مهما أمكن. وهذا من مصاديق افتراء الكذب على الله ورسوله، فقد جاء في رواية متفق عليها بين المسلمين بأن الرسول الأكرم قال ما في معناه "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".

المبحث الرابع:

نواقص الأسلوبين في التفسير

الأول: التفسير الترتيبي:

من خلال ما تقدم في البحث يمكن اكتشاف بعض السلبيات لكلا الأسلوبين. ففي الأسلوب التجزيئي نرى حصول المفسر على مجموعات كبيرة من المعارف و المدلولات القرآنية متناثرة و متراكمة من دون اكتشافه لوجوه الإتصال و الإرتباط بينها بحيث تبقى على تلك الحالة، حتى قد تؤدي إلى التحريف الفكري والعقائدي من هذا السبب.

إن هذا الأسلوب طريق طويل، ويحتاج إلى الزمن و الوقت الكثير، بحيث قد لا يبقى المفسر على قيد الحياة حتى يستطيع إكمال نفسه. فلذلك: (إن شوط التفسير التجزيئي شوط طويل جداً، وهذا الشوط الطويل يحتاج إلى فترة زمنية طويلة

أيضاً، و لهذا لم يحظ من علماء الإسلام الأعلام إلا عددٌ محدودٌ جداً بهذا الشرف، شرف مرافقة الكتاب الكريم من بدايته إلى نهايته)^(١٩).

وهناك ظهور التناقضات التي لها اليد الطولى في تأسيس المذاهب و الفرق الكثيرة المتضادة فيما بينها، بحيث يعتمد البعض آيات مستقلة من دون الرجوع إلى آيات أخرى في نفس الموضوع، و الآخر يستند بأخرى على خلاف ذلك؛ مع أنهم لو جمعوا تلك النصوص جنبا إلى جنب لا يقع هذا الإختلاف في كثير من المسائل.

الثاني: التفسير الموضوعي:

وفي الموضوعي أيضا فقد لاحظ العلماء فصل الآيات عن القرائن الموجودة فيما قبلها و ما بعدها، و غفلة المفسر عن السياق الدائر بين الآيات بعضها مع البعض الآخر.

وملاحظة أخرى هي: إن القيام بعملية التفسير الموضوعي بمجرد جمع الآيات المتشابهة لفظيا أو معنويا، ثم الخروج

(١٩) الأزرقى، منهج فهم القرآن عند الشهيد الصدر، ص ٣٥٠.



المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم المنهج الترتيبي

التحمل حتى يصل إلى ما هو المطلوب من الحقائق في عمله هذا^(٢١). هذه السليبات من أهم ما لاحظها العلماء الأعلام و المحققون في هذين الأسلوبين.

المبحث الخامس:

منهج الكتابة في الأسلوب الموضوعي

لقد أورد مصطفى مسلم كيفية جمع الآيات والبحث حولها وكيفية التقسيم والترتيب مع استخراج النتائج المطلوبة من التفسير الموضوعي، وهو ان الباحث إذا أراد أن يتطرق إلى موضوع من موضوعات القرآن الكريم، يجب أن يكون له تصور لأبعاد الموضوع، ثم يتدرج في جمع معلومات المادة من الآيات حوله حسب الخطوات والمنهج العلمي في هذه العملية، فيكون تدرُّجُه من البداية إلى النهاية تدرجا منطقيا. ونأتي بما ذكره مع تصرف قليل بالتلخيص والإضافة، وهو كما يلي:

١. اختيار العنوان للموضوع القرآني في مجال البحث، بعد تحديد معالمه و

بالنتيجة النهائية من دون توافر الشروط اللازمة و الضرورية عند المفسر بأن هذا لابد وأن يؤدي به الى التفسير بالرأي، فيكون خلافا لما هو مقرر في عملية التفسير.

ويرى بعضهم أن اختيار الموضوع من خارج النص القرآني بحيث يأتي المفسر برأيه قبل الورود في مجال التفسير و يحمل هذا الرأي على القرآن الكريم من أهم مصاديق التفسير بالرأي و من أكبر السليبات التي قد تُرتكَب في هذا الأسلوب^(٢٠).

ومنها أيضا اكتفاء المفسر بالآيات التي جاءت بالألفاظ الواحدة و المتقاربة من دون الالتفات إلى الآيات الأخرى التي تدخل في الموضوع نفسه و إن لم تأت بهذه الألفاظ في الظاهر؛ كما قد يحاول أخذ النتيجة من هذه الآيات من دون دقة و إعمال النظر العميق، فيقع في الخطأ، حيث يكتفي بما ليس بصحيح في عمله الذي يرمي الى الوصول إلى النتيجة المقبولة، فلذلك إن المفسر يحتاج إلى الصبر و

(٢١) انظر: الشيرازي، نفحات القرآن، ج ١، ص ١٧- ١٨.

(٢٠) الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج التفسيرية للقرآن، ص ٣١٦.

معرفة أبعاده في الآيات القرآنية؛ يعني مطالعة الآيات ذات العلاقة بالموضوع مباشرة أو غير مباشرة وتحديدتها. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ١٠٦].

٢. جمع الآيات القرآنية التي تبحث في هذا الموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه. قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا نَزْلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩].

٣. ترتيب هذه الآيات حسب ترتيب النزول؛ لأن ما أنزل بمكة كان في الأعم الأغلب يتعلق بأسس عامة غير محددة الجوانب كالأمر بالإنفاق أو الزكاة أو الإحسان بينما حددت معالم هذه التشريعات في المرحلة المدنية. قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

٤. دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي و التعرف على أسباب نزولها إن وجدت، و إلى دلالات الألفاظ و استعمالاتها، و الروابط بين الألفاظ

في الجملة و بين الجمل في الآية و بين الآيات في المجموعة التي تتحدث عن الموضوع. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر: ١٨] ويستعمل فكره وعقله في ذلك قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ / ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٥. ثم بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع، و للباحث أن يقدم بعض العناصر الرئيسية على غيرها، إن وجد أن طبيعة البحث تقتضي ذلك أو أن تسلسل الأفكار المنطقي يلزم هذا التقديم أو التأخير. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: ٢٤].

٦. ثم يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه، و يحاول أن لا يقتصر على دلالة الألفاظ اللغوية بل يستشف الهدايات



المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم

متواترة حيث نقل لك من الشيعة والسنة عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وهما الخليفان من بعدي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" (٢٢). فقد جعلها الرسول ﷺ شيئين متلازمين؛ بل كل واحد منهما مكمل للآخر، ولا يمكن فهم القرآن بدون الرجوع إلى العترة، كما لا يمكن معرفتهم بدون الرجوع إليه.

فعلية يجب تقديم المأثور عن الأئمة الإثني عشر على جميع أقوال ما عدا السنة النبوية فهم المفسرون الحقيقيون لها، وقولهم حجة على الناس أجمعين، ولا دليل لأحد في مخالفتهم، كما هو واضح في النصوص الدينية.

٧. يجب عليه الالتزام بالمنهج البحث العلمي عند ما يضع مخطط البحث للموضوع، و قد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها. فإن كان الموضوع

القرآنية من خلال هذه النصوص، و قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٩].

كما ويحاول أن يفسر ويشرح الآيات بالأحاديث النبوية الشريفة و يدعم كل ذلك بفهم الصحابة رضي الله عنهم لنصوص آي الذكر الحكيم. و يوجّه و يعلّل و يشرح و يناقش في ضوء التوجيهات القرآنية، و إن وجد ما يوهم التناقض بين بعض الآيات التي تناولت الموضوع فلا بد من إزالة هذا الوهم، و إبراز الحكمة الإلهية في وجود مثل هذه النصوص. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

وفي مذهب أهل البيت ﷺ لا بد من الرجوع إلى العترة الطاهرة والتي هي عدل القرآن، حيث أوجب الله علينا اتباعهم بحكمته اللامتناهية. قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣] وهم المصدق الحقيقي لهذه الآية، وكذلك جاء في رواية

(٢٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ. ق)، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج ٢، ص ٧٢.

نتيجة البحث

مما تقدم من البحث نستطيع الخروج بهذه النتيجة؛ وهي وجود الفرق الواضح بين أسلوب التفسير الترتيبي و أسلوب التفسير الموضوعي من جميع النواحي إلا الأدوات التي يلزم بها كلا من الأسلوبين والشروط التي يجب على المفسر أن يتسلح بها في كليهما، بحيث يعتبر عدمها خروجاً عن الجادة السوية في التعامل مع النصوص الإلهية المقدسة، فيكون صاحبها من مصاديق المفسرين بالرأي المنهي عنه والقول على الله بغير علم كما جاء في الكتاب الكريم والروايات عن الرسول الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكل من الأسلوبين بعض الآفات التي يتخلص المفسر منها عبر استعمال المنهج الصحيح المعترف في العملية التفسيرية. والله الموفق للصواب وهو خير ناصر ومعين.

مصادر البحث

- الأزرق، أحمد زبون، معاصر، منهج فهم القرآن عند الشهيد الصدر، مراجعة أحمد سالم العتايي و أسعد

متشعب المباحث و المجالات، لا بد عندئذ من وضع تمهيد يبين المباحث فيه منهجه في تناول الموضوع.

٨. و يجب أن يكون الهدف الأساسي في خوضه لهذا العمل الجبار هو:

أ. إبراز حقائق القرآن الكريم، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع و جماله و وفائه بحاجات البشر و ملاءمته للفطرة السليمة و إطلاقه للطاقت الإيجابية في الإنسان.

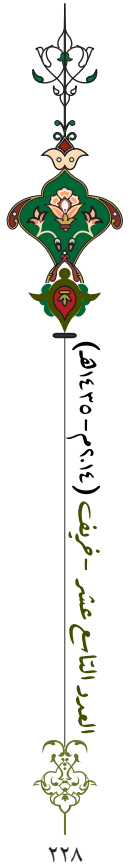
ب. عرض تلك الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها البعض مليئة لاستشراق نفس القارئ، محيية عن استفساراته المتوقعة، و ذلك باتباع الأسلوب البياني الصحيح الذي يفهمه أهل عصره، متجنباً الألفاظ الغريبة المهجورة و أساليب السجع المتكلفة (٢٣).

(٢٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٣٧-٣٩ مع تصرف فيه.



المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم المنهج الترتيبي والمنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم

- التميمي، منشورات المحيين، طبعة الثانية، السنة ١٤٣٢هـ مطبعة الكوثر، مركز الهدف للدراسات، قم المقدسة، إيران.
٢. الحكيم، السيد محمد باقر (ت ١٤٢٤هـ)، علوم القرآن، الطبعة الثالثة، السنة ١٤١٧هـ، مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.
٣. الرضائي الإصفهاني، محمد علي، معاصر، المناهج و الإتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب: قاسم البيضاني، الطبعة الأولى، السنة ١٤٢٦هـ، طبعة صدف، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم المقدسة، إيران.
٤. السبحاني، الشيخ جعفر، معاصر، مفاهيم القرآن.
٥. الشريعت الموسوي، السيد مصطفى، العسس في تفسير سورة عبس، الطبعة الأولى، السنة ١٤١٧هـ، مطبعة إسماعيليان، منشورات دار التفسير (إسماعيليان)، قم المقدسة، إيران.
٦. الشيرازي، ناصر مكارم، معاصر، نفحات القرآن، الطبعة الثانية، السنة ١٤٢١هـ، مطبعة سليمان زاده، منشورات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة، إيران.
٧. الصدر، السيد محمد باقر (ت ١٤٠٠هـ)، المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعي و التفسير التجزيئي في القرآن الكريم، دار المعارف، بيروت لبنان.
٨. الكاشاني، شريف حبيب الله (القرن الثالث عشر)، تفسير ست سور، تحقيق مؤسسة شمس الضحى الثقافية، الطبعة الأولى، السنة ١٣٨٣ش، منشورات شمس الضحى، طهران، إيران.
٩. الكاشاني، شريف حبيب الله (القرن الثالث عشر)، بوارق القهر في تفسير سورة الدهر، تحقيق مؤسسة شمس الضحى الثقافية، الطبعة الأولى، السنة ١٣٨٣ش، منشورات شمس الضحى، طهران، إيران.



نظرة القرآن الكريم إلى الآثار الإنسانية

أ.ر. علي أبو الخير
بأمت في وزارة التعليم المصرية
القاهرة - جمهورية مصر العربية

فحوى البحث

انطلاقاً من فكرة أن (الآثار ذاكرة الشعوب)، وإثباتاً لصدق القرآن الكريم في إيراد كثير من المواقع الأثرية التي باد أهلها، والذي يمثل إعجازاً تاريخياً للقرآن الكريم، يمتد البحث على بساط ما أشار إليه القرآن من آثار الأمم الغابرة مثل إرم و سبأ والاحقاف وبابل وحضارة مصر القديمة على عهد فرعون موسى... الخ.

وقد بحثت الدراسة عن نظرة القرآن الكريم إلى الآثار الإنسانية يوم طلب إلى المؤمنين الوقوف عليها و الاتعاظ بما آلت إليه تلك الأمم. والمهم في البحث إثبات السيد الباحث خطأ من ذهب إلى أن فرعون موسى هو رمسيس الثاني بأدلة لا يشوبها الشك مستنداً إلى مصادر رصينة في ذلك.

تمهيد الدراسة

قيمة الآثار الإنسانية عند الشعوب

كل شعوب الأرض تبحث عن آثار تثبت وجودها التاريخي، لتفتخر به أمام باقي الشعوب، وهذا السعي الدءوب للبحث عن آثار تثبت الوجود القديم، خلق ما يُعرف اليوم بعلم الآثار، وصار للآثار كليات وأساتذة وطلاب ومناهج بحث.

الآثار انعكاس لتاريخ الشعوب، ونمط حياة أجيال متعاقبة، تبلغ آلاف السنين، والآثار فيها رسالة سياسية، فضلاً عن الرسالة الدينية والعقائدية، فالثقافة تشكل بمفهومها الشامل أهم ركن من أركان التفكير عند الإنسان، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان، فالجغرافيا كما يقولون تصنع التاريخ، والتاريخ هو ابن شرعي للجغرافيا، ولا يمكن الفصل بينهما، وكما أن الحضارات سلسلة متصلة من الأحداث والتواصل بين البشر، فإن ما يدل على وجود الحضارات هو الآثار، الآثار التي تدل على وجود الإنسان في

مكان ما من الأرض.

ولولا تلك الآثار ما تمكن العلماء من الوصول إلى الشواهد التاريخية، فحضارة مصر القديمة ظلت غامضة تشوبها الأساطير، حتى استطاع العالم الفرنسي شمبليون^(١) أن يفك طلاسم اللغة الهيروغليفية، وأن يقدمها لعلماء التاريخ، فصار التاريخ المصري معروفاً بنسبة كبيرة بعيداً عن الأساطير والفلكلور والخرافات.

وبالقياس على ذلك نجد أن الحضارات العراقية القديمة عُرفت بعد فك رموز الحروف المسارية، وباقي الحضارات تملك من الآثار ما يدل على حقيقتها، أما الحضارات التي لم يتبق منها أي أثر، فقد ضاعت ملامحها.

فالآثار تحفظ أو تدل على الخصائص الجوهرية لأية أمة، وهي خصائص ثقافية تتميز بها عن الآخرين، والآثار هو العلم الذي يعنى بدراسة المخلفات المادية

(١) جون فرانسوا شامبليون ٢٣ ديسمبر ١٧٩٠ - ٤ مارس ١٨٣٢، العالم الفرنسي الذي فك رموز اللغة المصرية القديمة.

للإنسان القديم بجميع أنواعها مهما صغرت أو كبرت سواء كانت ثابتة أم منقولة طبيعية أم غير طبيعية، ومن هنا فقد لعبت الآثار دورا كبيرا في الكشف عن حضارات الأمم السابقة.

وهناك اهتمام متزايد بعلم الآثار لأنه الوحيد الذي يثبت الحقائق التاريخية، كما أن ارتباط المكان بالثقافة يعطي الدلائل القوية على قدرة الإنسان على الحفاظ على منجزاته الموروثة الحضارية والثقافية.

لذا نرى أن كل الشعوب الآن تعمل على الحفر في أراضيها، إما لإثبات تاريخها أو أحقيتها في المكان الذي تعيش فيه، أو للتباهي أمام العالم بأنها ليست دون الآخرين حضارة أو تأثيرا في التاريخ الإنساني.

وعلى الدرب نفسه تحيي الشعوب رموزها الفكرية والدينية وأبطالها القوميين وتحوّل دورهم إلى متاحف للزيارة.

وفي السياق نفسه تحاول بعض القوى تدمير آثار غيرها أو العمل على طمس نتائج الحفريات لخدمة أغراضها السياسية أو الدينية، بحيث لا يصير هناك ارتباط

بين المكان والثقافة أو بين المكان والدين. وما يحدث على أرض فلسطين يؤكد ذلك، فالصهيونية منذ احتلال الأرض المقدسة وهي تقلب مدينة القدس الشريف رأسا على عقب للبحث عن أثر للهيكل، لإثبات وجود تاريخي لها، كما تسعى لطمس أي أثر يدل على الوجود الإسلامي والعربي في الأرض المحتلة، كما قامت بعض القوى المنتسبة للإسلام بتدمير الآثار الإسلامية في الحجاز المقدس، ليتناسى المسلمون الوجود التاريخي للإسلام في عصره النبوي الرسالي^(٢).

ولقد اهتم القرآن الكريم بالآثار الإنسانية بوجه عام، حيث أكدت الآيات القرآنية على زيارة آثار الأقباط السابقين، إما من أجل العظة والتدبر فيما حدث لهم، وإما من أجل التدبر في كيفية خلق الله الأرض، ومن ثم نجد القرآن يبقي على الآثار الإنسانية، لخدمة البشرية، ولكشف

(٢) رأينا عدم الكتابة في هدم الفئة الوهابية للتراث الإسلامي في الحجاز، أولا لأن البحث يتعلق بالتواصل القرآني مع الآثار الإنسانية، وثانيا، لأن الهدم الوهابي للبقيع وغيره يحتاج لدراسات مستقلة.



نظرة القرآن الكريم الى الآثار الانسانية

المصباح

قدرة الله، وتأكيد إعجاز القرآن الكريم في آن واحد..

ونؤكد على أن القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جمعاء، وهدى ونور للشعوب، وإعجازه لا ينتهي، وعندما نتحدث عن ما فيه من توافق تاريخي علمي، فهو من اجتهادنا، وخطؤنا لأنفسنا، وصوابنا من الله، ولا يمكن إخضاع القرآن للنظريات العلمية، ولكن توجد فيه إشارات يمكن الاهتداء من خلالها، الى علم كعلم الآثار، والقرآن بطبيعته لا تنتهي عجائبه ولا إعجازاته..

في هذه الدراسة نبحت عن رؤية القرآن الكريم للآثار الإنسانية، فقد ذكر القرآن الأمم القديمة، كما ذكر آثارتهم، وطلب من المؤمنين زيارتها للتدبر، كما جاء إعجاز قرآني حول بعض الطغاة، وذكرهم بالوصف أو بالاسم، كما سنرى في هذه الدراسة، التي تتكون من ثلاثة محاور وخاتمة...

المحور الأول

الأثر لغة واصطلاحاً وقرآناً

الأثر هو بقية الشيء، والجمع آثار

وأثور، وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده^(٣). ويقال: آثر كذا وكذا بكذا وكذا أي أتبعه إياه.

والأثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء^(٤)، والرسم يقابل البقايا أو الأطلال، أو ما بقي ذكره، وأيضا ما يدل على وجود حضارة قديمة أو أقوام سابقين. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء، ترك فيه أثراً. والأثر: الخبر، والجمع آثار. وفي حديث الإمام عليّ (كرم الله وجهه): «ولست بمأثور في ديني»^(٥) أي لست ممن يؤثر عني شرّ وتهمة في ديني، فيكون قد وضع المأثور موضع المأثور عنه.

الأثر في المصطلح القرآني

يأتي مصطلح الأثر بمعنى الطريق المعنوي، أو الدين في آيات كثيرة منها في قصة موسى عليه السلام حين جاء للقاء ربه وترك قومه لا يعلم بما فعله بهم السامري، فقال لربه: ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَنْزَى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ

(٣) لسان العرب - مادة: أثر.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

رَبِّ لِرَضَى ﴿ [سورة طه: ٨٤]، أي هم على طريقي وديني وأثري، هذا بينما قال السامري: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [سورة طه: ٩٦]، أي نبذ أثر الرسول أي دين الرسول، وهو موسى فدعا لعبادة العجل، فهنا أثر موسى أي دين موسى والذي نبذه السامري.

وهذا الأثر جاءت به كل الرسالات السماوية وكل الرسل والأنبياء، فهم يقولون نفس العقيدة في أنه لا اله إلا الله، أي إن دينهم واحد وطريقهم واحد وأثرهم واحد، أو آثارهم واحدة، هذا ما يؤكد به رب العزة في آيتين كريمتين: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مَصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۖ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٤٦].

وأيضاً ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا التُّبُوءَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦١﴾

ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا يُعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ﴿ [سورة الحديد: ٢٦-٢٧].

ولكن مشركي قريش رفضوا الدعوة، مما أحزن خاتم النبيين فعاتبه ربه قائلاً: ﴿ فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [سورة الكهف: ٦]، أي كان شديد الأسف بسبب آثارهم أي دينهم الذي كانوا يؤمنون به في مكة وقتها وهم أحياء، فكلمة آثار هنا جاءت في سياق قوم يعيشون ويمارسون ديناً أرضياً ومن أجله يرفضون القرآن أو حديث رب العزة في القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

وهذا الرفض القرشي هو تجديد ما وجدوا عليه آباءهم، وتمسكوا بدين وآثار وأثر الآباء والسلف: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾، أي بدينهم مهتدون وعلى دينهم قائمون، فالآثار هنا بمعنى الدين، ولقد جعلها الله قاعدة عامة تسرى في كل



نظرة القرآن الكريم الى الآثار الانسانية

• البصائر

زمان ومكان، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣].

مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُكْرَمُونَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ٤].

وكذلك ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس: ١٢]. أي نكتب ما قدموا من سعي وعمل، بمعنى نكتب آثارهم، أي طريقهم الذي ساروا عليه في حياتهم، بمعنى أن نحصيه في إمام مبين. والروعة في كلمة آثارهم في الآية الكريمة، فهي الكلمة والمصطلح والموضع الوحيد الذي يجمع كل معاني الطريق والدين. كما يأتي الأثر في القرآن الكريم بمعانٍ منها:

٣. الآثار الجسدية في وجوه الأحياء: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

٤. الآثار موضوع الدراسة، وهي الآثار المادية من معابد وكهوف وتماثيل ومسلات تركتها الأمم السابقة التي أسست في الأرض من حضارات لا تزال آثارها باقية، والله يأمر بالسير إليها والاعتاظ بها: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَحَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [سورة غافر: ٢١].

١. قدرة الله على الإحياء والبعث: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الروم: ٥٠].

المنهج القرآني في الاعتاظ بالآثار:
إن القرآن الكريم كتاب الله الخالد

٢. الأثر العلمي المكتوب: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا

والعبرة من سرد أخبارهم في القرآن الكريم، وهذه الأوامر الإلهية لنا بالسير في الأرض، هو أمر بالبحث علمياً عن آثار الأمم السابقة، والتقدم العلمي الراهن يجعل من السهل الكشف عما تخفيه الرمال والتراب من آثار في الجزيرة العربية.

وانفرد القرآن الكريم بالحديث عنها وحكاية تاريخها، مثل عاد وثمود ومدین، وتلك أمم بادت وانتهت، ولولا ذكر القرآن الكريم لما سمع عنها أحد، ولقد ذكر القرآن الكريم الازدهار الحضاري الذي عاش فيه قوما عاد وثمود، وكيف كانت مناطقهم في الجزيرة العربية الصحراوية جنات من البساتين والعيون المائية ومساكن وقصور ومصانع، كل ذلك اندثر تحت الرمال، وكل ذلك يمكن كشفه بالأقمار الصناعية، وبالاستشعار عن بعد.

لقد دلت هذه الآية على وجوب السفر للسياحة ورؤية آثار الأقوام السابقة، لما في هذه الرؤية من الاعتبار والاستبصار والخوف من أن يحل بنا ما حل بهم إن نحن سرنا على منوالهم ونهجنا نهجهم، وهذه الآية كقوله تعالى في مطلع سورة الأنعام

الذي نزل على رسول الله محمد ﷺ، فيه أخبار السابقين ودلائل مصارع الكافرين بالأنبياء والمرسلين، وأكد القرآن الكريم على حقيقة الوجود التاريخي لهؤلاء الأقسام، كما طلب من الإنسان السير في الأرض لمعرفة عاقبة المكذبين بالأنبياء، وهذه المعرفة من خلال الآثار الباقية الدالة عليهم، قال تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ١١]، في هذه الآية تحقيق للوعيد الذي توعد الله به المشركين من العرب المكذبين برسالة محمد، وذلك من خلال الاستدلال بمصارع الأقسام السابقين وبما حل بهم من الدمار والهلاك، حيث يدعوهم القرآن الى السير في الأرض والتحقق من هذا الكلام، كمصارع ثمود في شمال جزيرة العرب ومصارع عاد في جنوب جزيرة العرب، وكلا الموقعين كانا على طريق قريش في تجارتها إلى الشام واليمن.

كما أن الله تعالى يأمر بالسير في الأرض والتنقيب عن آثار الأمم السابقة التي أهلكها بسبب عصيانها، ولتتحقق العظة



﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾
[سورة الأنعام: ٦].

وفي هذه الآية وغيرها من الآيات التي تأمر بالسير والنظر في مصارع الأمم السابقة منهج جديد في التعامل مع التاريخ لم يكن يعرفه العرب حين نزلت الرسالة، فقد كانوا يسافرون من أجل التجارة والمعاش، وكانوا يمرون بمصارع الأمم السابقة وآثارهم مرورا عابرا.

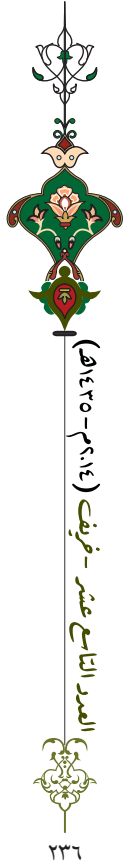
ولكن القرآن جاء بمنهج جديد يوجب السفر للنظر في آثار الأمم السابقة تماما كما يوجب السفر للتجارة والسياحة، وقد جاء في القرآن الكريم أكثر من مائة موضع أثري، سواء كانت هذه الآثار متعلقة بالمؤمنين أم كانت متعلقة بالكافرين المكذبين الذين أهلكهم الله بذنوبهم، والنظر في الآثار يؤدي وظيفة إيمانية وهي الاعتبار بما كان في الأمم السابقة، وفيه دلالة على إعجاز القرآن وأنه كلام الله لأنه يُخبر عن غيب لم يحصل في زمن نزول القرآن وإنما قبله بالآلاف السنين.

أما الآية التي تنص على السير في

الأرض لمعرفة الخلق، قال تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠]، فالسير في الأرض لطلب العلم، ومعرفة كيفية بدء الخلق، ولا يمكن ذلك إلا بدراسة آثار الأمم السابقة، وإلى أي مدى علمي وصلوا، خاصة وأن كثيرا من آثار الحضارات السابقة أثبتت أن كثيرا من الشعوب وصلوا الى مراحل متقدمة في العلم والبناء، مثل آثار بلاد الأنهار في مصر والعراق وفارس والهند والصين وفي أمريكا الجنوبية، فكيفية بدء الخلق تبدأ من المنهج القرآني الذي يأمر بالسير في الأرض، ثم دراسة أفكار الأقدمين.

ولا يتوقف الأمر على دراسة الآثار، بل يتخطاه الى دراسة كتب هؤلاء الأقوام، ولعل الإشارة إلى ما حدث مع نبي الله سليمان عليه السلام يؤكد ذلك، فقد ذكر القرآن الكريم ما كان يصنع الجن له، فقال تعالى:

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدِرٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾



[سورة سبأ: ١٣]، وما يشاء سليمان هو بناء محراب للصلاة، وما يحتاج له في حياته الدنيوية أيضا.. فالمحاريب جمع محراب وهو مكان إقامة الصلاة والعبادة، والتماثيل جمع تماثيل وهي الصورة المجسمة من الشيء والجفان جمع جفنة وهي صحيفة الطعام، والجوابي جمع جابية الحوض الذي يجبي أي يجمع فيه الماء، والقدور جمع قدر وهو ما يطبخ فيه الطعام، والراسيات الثابتات و المراد بكون القدور راسيات كونها ثابتات في أمكتتها لا يزلن عنها لعظمتها^(٦).

وعند دراسة آثار الأنبياء ومنهم النبي سليمان، ثبت الوجود التاريخي لهم، وهو يؤكد النبرة الإيمانية ضد من يشككون في الوجود التاريخي للإنساني هؤلاء الأنبياء المصلحين.

لقد تضمن القرآن الكريم قصص الأنبياء وأشار إلى أخبار الأمم السابقة، وتلك الأحداث والوقائع التاريخية عن الماضين من الأمم لتثبت أن للكون إلهاماً

(٦) السيد محمد حسين الطباطبائي -الميزان في تفسير القرآن (تفسير الآية).

واحدا أرسل رسله بالهدى ودين الحق. وبدراسة بعض ما جاء في القرآن الكريم عن آثار السابقين نجد الكم الكبير من تلك الآثار التي مازالت باقية حتى اليوم، والتي تؤكد أن الآثار شاهد تاريخي على صدق الوحي، وصدق الدعوة النبوية الكريمة، ونذكر بعض تلك الآثار التي جاءت في القرآن، الآثار عن الأقوام المكذبين بالأنبياء، وآثار الأنبياء أنفسهم.

المحور الثاني

القرآن الكريم وآثار الأنبياء

والأقوام السابقة

آثار الأنبياء:

أورد القرآن الكريم آثار الأقوام التي كذبت بالأنبياء، وأيضا أورد ما يدل على الوجود التاريخي للأنبياء. ونورد هنا بعض تلك الآثار المنسوبة لبعض الأنبياء كما أوردها القرآن الكريم.

بيت المقدس:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا أَبْابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة



البقرة: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١]، وسُمِّي بيت المقدس بالقرية لأنها تقرت أي: اجتمعت، ومنه قرية الماء في الحوض أي: جمعت، وبيت المقدس الذي أسري برسول الله ﷺ اليه هو مركز الأرض المقدسة التي أمر الله بني إسرائيل بدخولها مع نبي الله موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٢١]، وهذا دليل أثري على وجود المدينة المقدسة في القرآن الكريم، كما أن المسجد الأقصى الذي ذكره القرآن في قصة الإسراء مازال موجودا يؤكد الوجود الإسلامي في الأرض الفلسطينية، وهو ما تحاول الصهيونية هدمه لمحو الذاكرة الإسلامية وتأسيس ما لا وجود له لأسباب سياسية.

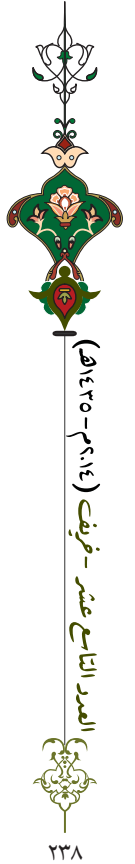
البيت والمقام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ

لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة البقرة: ١٢٥]. فالبيت هو بيت الله الحرام في مكة، وهذا كله يدل على أنّ المراد بالمقام، إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم يقوم عليه لبناء الكعبة، وذلك لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، وكلما كَمَل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى، يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها، وهكذا حتى تم بناء جدران الكعبة، وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفا ومازال في مكانه يراه المسلمون جميعا أثناء تأدية فريضة الحج أو العمرة.

آثار مكة المكرمة:

مدينة مكة المكرمة هي عاصمة الإسلام، لأنها مهبط الوحي ومكان البعثة المحمدية، ولذا فإنها حافلة بالآثار التي تدل على قداستها يعود بعضها للخليل إبراهيم والآخر للنبي والمسلمين، كما تدل على الوجود التاريخي للرسول المصطفى ولأهل بيته وصحابته،



ولقد تم تدمير أكثر تلك الآثار التي تعود لعهد الرسول والصحابة بحجة أنها تؤدي للشرك، وذلك من غرائب الأمور، فالآثار تدل على عظمة الدعوة والداعي محمد بن عبد الله الرسول الكريم وأهل بيته وصحابته.

الأقوام السابقة

مملكة سبأ:

إن القرآن يشير إلى مملكة سبأ في سورة سبأ حيث يقول تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ: ١٥].

يتبين لنا أن سبأ أرض باليمن، ويقال إنها كانت قبيلة سميت باسم جدها من العرب، ويقال إنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، ومهما يكن من شيء فإن أقدم الحضارات بالجزيرة العربية قد وجدت باليمن حيث قامت الدولة المعينية وحاضرتها معين (١٣٠٠-٦٥ ق. م) ثم ورثتها الدولة السبئية

(٩٥٠-١١١٥ ق. م) وعاصمتها مأرب^(٧).

وكان للسبئيين أعمال عمرانية منها السدود كسد مأرب الذي بنى من الحجارة، وهو أعظم سد في الجزيرة العربية، وكان أشبه بخزان عظيم لمياه السيول التي تتكون من الأمطار الساقطة من الجبال، وثمة «قناطر وسدود وأحواض تدل على نبوغ أهل اليمن في فن العمارة وهندسة المباني ومعرفتهم بأنظمة الري»^(٨).

فلا غرو إذا أشار القرآن الكريم إلى الجنتين، ويعني بذلك البساتين التي كانت تحف بجاني الطريق أو عن يمين واديهم وشماله، وهما رمز الخصوبة والنماء، فقد وُجِدَت في آثار سبأ لوحات وتمائيل من المرمر والرخام وسنابل القمح والبقر والخيل، فضلاً عن نقاء هواء سبأ الذي بينه القرآن في قوله تعالى: ﴿بَلَدٌ طَيِّبَةٌ﴾، ولم يكن

(٧) شبكة المعلومات الدولية - الانترنت - موقع سبأ.

(٨) المصدر السابق.



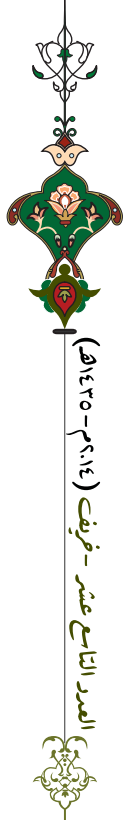
اقتصاد سبأ زراعيا فحسب، بل كانت منفتحة على العالم الخارجي ومزدهرة تجاريا إذ كان من أهم أعمال السبئيين الملاحة في المحيط الهندي والبحر العربي حيث كانوا يسرون، وعلى الرغم من كل هذه النعم التي تمثلت في أوجه التطور المتعددة والرخاء وهناءة العيش، إلا أن مدن سبأ وقراها كفرت بأنعم الله ولم تستجب لدعوة أنبيائه الذين بعث بهم إليها، دُعُوا أَهْلُ سَبَأٍ لَتُوحِدَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ، ولكنهم أعرضوا عن الإتيان وإجابة الرسل، ولم يشكروا الله أنعمه، وآية ذلك أنهم كانوا يصرون على عبادة آلهتهم المتعددة قال تعالى على لسان هدهد سليمان **﴿لِيُعَلِّمَهُمُ الْكَلِمَةَ السَّامِيَّةَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُضِلُّهُمْ وَالَّذِي يَهْتَدُونَ﴾** [سورة النمل: ٢٤]..

ومما يفسر إشارات الله تعالى هنا ما اكتشفه علماء الآثار عن هذه المعابد الكثيرة التي مازالت آثارها باقية تدل عليها بمأرب وغيرها، وسد مأرب شاهد

عيان يرمز لوجود سبأ تاريخيا.

قوم ثمود:

وفيما ورد من أخبار ثمود أنهم ورثوا أرض عاد التي أهلكتها الله بذنوبها فعمروا الأرض، وفجروا العيون، وغرسوا الحدائق والبساتين، وشادوا القصور في السهول (للصيف)، ونحتوا من الجبال بيوتا للشتاء، وتمتعوا بسعة العيش، بيد أنهم لم يحمداوا الله فضله عليهم، إذ أشركوا به، وعبدوا الأوثان، وقد أرسل الله تعالى نبيه صالحا إلى ثمود ليوحداوا الله ولا يشركوا به شيئا. قال تعالى: **﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثُفِكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [سورة الأعراف: ٧٣]، غير أن أصحاب الحجر قد كذبوا رسولهم صالحا، وأعرضوا عن آيات الله وهي الناقة وغيرها، بل عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم، فما هي إلا أن أهلكتهم الله بذنوبهم، قال تعالى: **﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾**



فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَّتِينَ ﴿ [سورة الأعراف: ٧٨].

ويهمنا الآن أن آثار ثمود المتمثلة في بيوتهم المنحوتة في الجبال مازالت باقية إلى يومنا هذا ماثلة للعيان وهي تتفق مع ما ورد في كتاب الله الكريم حيث يقول تعالى: ﴿ **وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا** **ءَامِنِينَ** ﴾ [سورة الحجر: ٨٢]، ويطلق على هذه الآثار اليوم "مدائن صالح"، بيد أن قصورهم التي شادوها في السهول ظلت مطمورة تحت أطباق الثرى بعد أن مرت عليها الدهور الطويلة حتى تم اكتشافها لتؤكد الحقيقة التاريخية كما أوردتها القرآن.

مدينة ارم ذات العماد:

تم اكتشاف مدينة ارم ذات العماد في منطقة الشحر في صحراء ظفار ويبعد مكان الاكتشاف ما يقارب مئة وخمسين كيلومترا شمال مدينة صلالة وثمانين كيلو متراً من مدينة ثمريت.

وقد ذكرت مدينة ارم وسكانها قوم عاد في القرآن الكريم في أكثر من آية كما في قوله تعالى: ﴿ **إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ (٧) **الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ**

مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴾ [سورة الفجر: ٧-٨].

وجاء ذكر قوم عاد ومدنتهم ارم في سورتين من سور القرآن الكريم سميت إحداهما باسم نبيهم هود عليه السلام وسميت الأخرى باسم موطنهم الأحقاف، وفي عشرات الآيات القرآنية الأخرى التي تضمها ثماني عشرة سورة من سور القرآن الكريم.

وذكر قوم عاد في القرآن الكريم يعتبر أكثر إنبائه بأخبار الأمة البائدة إعجازاً، وذلك لأن هذه الأمة قد أيدت إبادة كاملة بعاصفة رملية غير عادية. طمرتهم وردمت آثارهم حتى أخفت كل أثر لهم من على وجه الأرض، وبسبب ذلك أنكرت الغالبية العظمى من الأثريين والمؤرخين وجود قوم عاد، واعتبروا ذكرهم في القرآن الكريم من قبيل القصص الرمزي لاستخلاص العبر والدروس، ثم جاءت الكشوف الأثرية في القرن العشرين بالكشف عن مدينة إرم في صحراء الربع الخالي في ظفار وإثبات صدق القرآن الكريم في كل ما جاء به عن قوم عاد. وانطلاقاً من ذلك يؤكد الحديث



عن هذا الكشف الأثري المثير ما سجلته سورة الفجر، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حقيقة أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسوله، وحفظه لنا بنفس لغة وحيه التي أوحى بها فظل محتفظا بصياغته الربانية وإشراقاته النورانية، وبصدق كل حرف وكلمة وإشارة فيه.

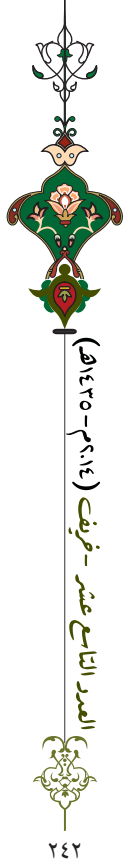
قوم لوط:

ومن القصص القرآني قصة قوم لوط عليه السلام - أهل سدوم - القرية التي كانت تعمل الخبائث وعلى رأسها ممارسة اللواط، ذلك الشذوذ الجنسي الذي لم يسبقهم أحد على مدار التاريخ الماضي إلى ممارسته، ولم تكن أفعالهم الخبيثة مقصورة على تلك الفاحشة فحسب، بل كانوا يفعلون المنكر علانية في ناديتهم فلا يستترون.

فلا غرو فقد تفشت فيهم الموبقات، وما هي إلا أن أوحى الله إلى لوط عليه السلام أن يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن ارتكاب الكبائر حتى صموا آذانهم،

واستكبروا، وتحذوه أن يأتيهم بالعذاب من الله إن كان صادقا، بل توعدوه بالنفي من بلدهم، فما كان من لوط إلا أن سأل ربه أن يوقع بهم العذاب الأليم على كفرهم وفجورهم، فسلط الله على مدتهم زلزالا جعل عاليها سافلها، وأتبع ذلك بوابل من الحجارة دمرتها تدميرا، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢) **فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾** [سورة الحجر: ٧٢-٧٥].

ويعتقد البعض أن البحر الميت، المعروف الآن ببحيرة لوط لم يكن موجودا قبل الزلزال الذي دمر سدوم وغيرها حتى صارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر، وقد جاءت الأخبار في السنين الماضية بأن المهتمين بالحفريات قد اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت، وليس ذلك بمستغرب فالله سبحانه وتعالى قد بين في كتابه العزيز أن تلك المدن تقع في طريق دائم يمر



عليها الناس، حيث يقول: ﴿ وَإِنَّمَا لِسَبِيلِ مُقِيمٍ ﴾ [سورة الحجر: ٧٦].
أهل الكهف:

وما هدى إليه البحث الأثري ما وافق القرآن الكريم في سورة الكهف، وقصة أهل الكهف معروفة، فأولئك الفتية الذين آمنوا بربهم ووحده، نأوا بأنفسهم عن قومهم المشركين الذين عبدوا آلهة متفرقة، وآووا إلى ذلك الكهف، قال تعالى:
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَنُؤُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿

[سورة الكهف: ٩ - ١٠].

وفي هذه السورة يقول تعالى:
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٢].

وقد ثبتت صحة هذا الرأي إذ

كُشف في حفريات أهل الكهف في مدينة أفسوس القديمة حيث عثر في كهف قديم على ثمانية هياكل بشرية ومعها هيكل كلب، وهو كلبهم قظمير.

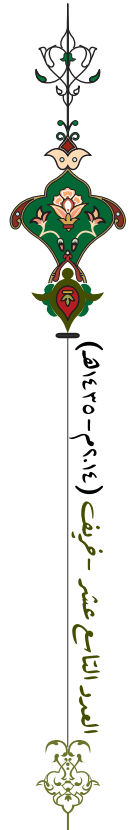
بابل:

قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرُوا سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَنُوتَ وَمُرُوتَ ۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۖ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۖ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٢].

وما زالت مدينة بابل الأثرية موجودة بالعراق تؤكد أنها عرفت السحر منذ قديم الزمان، وأن حداثتها المعلقة مازالت أسسها متواجدة تحكي





نظرة القرآن الكريم الى الآثار الانسانية

البصيرة

للأجيال المتلاحقة قصة هاروت وماروت.

المحور الثالث

القرآن الكريم والحضارة الفرعونية

فرعون موسى أنموذجا

رأينا أن نكتب عن الحضارة المصرية القديمة في محور مستقل، لما فيها من كشوفات هائلة تتعلق أو تقترب مما جاء في القرآن، وهي مرحلة وجود بني إسرائيل في مصر، وخروجهم منها مع نبي الله موسى ﷺ...

فالكشف التاريخي الحديث أثبت من هو فرعون موسى، حيث ارتبط التاريخ اليهودي في تلك الفترة بالتاريخ المصري، وهو ما نكتب عنه في هذه الدراسة..

أول ما يصل إلينا هو حديث التاريخ المصري عن وزير فرعون موسى واسمه في القرآن هامان، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

[سورة القصص: ٣٨].

إن هامان شخصية ورد ذكرها في القرآن الكريم وهو واحد من معاوني فرعون، وكانت مهنته في مجال البناء وتشديد الصروح كما تدل الآية الكريمة^(٩).

قال الدكتور موريس بوكاي^(١٠) وهو طبيب فرنسي: يذكر القرآن الكريم شخصاً باسم هامان هو من حاشية فرعون، وقد طلب إليه هذا الأخير أن يبني صرحاً عالياً يسمح له، كما يقول ساخرًا من موسى، أن يبلغ رب عقيدته. وأردت أن أعرف إن كان هذا الاسم يتصل باسم هيروغليفي من المحتمل

(٩) موريس بوكاي - التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، وموريس بوكاي طبيب فرنسي نشأ مسيحياً كاثوليكيًا، وله دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، وألف كتاب التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث الذي ترجم لسبع عشرة لغة تقريباً منها العربية، واعتمدنا على كتابه باللغة العربية من نسخة كمبيوترية، وقد اعتمدنا على الكتاب بتصرف من عدة صفحات، أي أخذنا خلاصة رأيه حول فرعون الخروج، وقد رأى أنه رمسيس الثاني، ثم يثبت هذا الرأي...

(١٠) المصدر نفسه.

Dictionary of Personal names
of the New kingdom
فيه إن كان هذا الاسم الذي يمثل عندي
الهيروغليفية موجوداً فيه حقاً^(١٣).

لقد كان يُفترض ذلك، وعند البحث
وجدته مسطوراً في هذا المعجم تماماً كما
توقعته، ويا للمفاجأة^(١٤) ها أنا فضلاً عن
ذلك أجد أن مهنته كما عُبر عنها باللغة
الألمانية (رئيس عمال المقالع) ولكن دون
إشارة إلى تاريخ الكتابة إلا أنها تعود إلى
الإمبراطورية التي يقع فيه زمن موسى^(١٥).
وما يؤكد كلام الدكتور بوكاي، فهي
مخطوطة فرعونية قديمة أشارت إلى هامان
معاون الفرعون ومهنته كرئيس أو مراقب
لعمال مقالع، وهذا يدل على كون هامان
كان مجال عمله الطين أو الحجر^(١٦).

كما أن اسم هامان ومهنته كرئيس أو
مراقب لعمال مقالع الحجر وجد أيضاً
منقوشاً وبحروف هيروغليفية واضحة

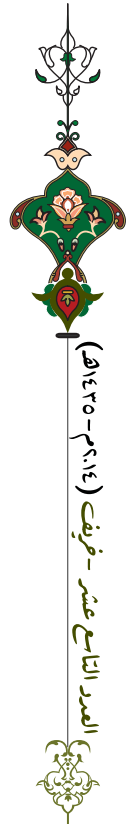
أنه محفوظ في وثيقة من وثائق العصر
الفرعوني، ولم أكن لأرضى بإجابة عن
ذلك، إلا إذا كان مصدرها رجلاً حجة فيما
يخص اللغة الهيروغليفية وهو يعرف اللغة
العربية الفصحى بشكل جيد، فطرح
السؤال على عالم المصريات وهو فرنسي
يتوافر فيه الشرطان المذكوران تماماً^(١١).

لقد كتبت أمامه اسم العلم العربي
(أي هامان) ولكنني أحجمت عن إخبار
مخاطبي بحقيقة النص المعني واكتفيت
بإخباره أن هذا النص يعود تاريخه بشكل
لا يقبل النقض إلى القرن السابع الميلادي.
كان جوابه الأول أن هذا الأصل
مستحيل، لأنه لا يمكن وجود نص يحتوي
على اسم علم من اللغة الهيروغليفية وله
جرس هيروغليفي ويعود إلى القرن
السابع الميلادي وهو غير معروف لحد
الآن والسبب أن اللغة الهيروغليفية نسيبت
منذ زمن بعيد جداً^(١٢).

بيد أنه نصحتني بمراجعة معجم أسماء
الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة
(١١) المصدر نفسه.
(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه.
(١٤) المصدر نفسه.
(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) المصدر نفسه.





نظرة القرآن الكريم الى الآثار الانسانية ..

البصباح

على أحد عواميد مقبرة فرعونية^(١٧).

ويرى الدكتور موسى بوكاي أن رمسيس الثاني هو فرعون موسى، ودلل على ذلك بأن اسمه ورد في العهد القديم، وأن بدن رمسيس مازال موجوداً محنطاً في المتحف المصري، ولكنه أخطأ في بحثه، لأن القرآن الكريم حدد صفات الفرعون، رغم أن كتاب موريس بوكاي التوراة والأنجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث ملئ بمعجزات قرآنية اثبت التاريخ حقيقة وجودها..

فرعون موسى:

ذكر الدكتور سعيد ثابت^(١٨) أنه قام

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) الدكتور سعيد ثابت عمل كأستاذ الولادة وأمراض النساء بكلية الطب بجامعة القاهرة، وهو مهتم بالتاريخ المصري القديم، أمضى ثماني سنوات للبحث عن فرعون موسى، وله نظرية حول هذا الفرعون تستحق التأمل، حيث قام بدراسة دينية تاريخية أثرية مقارنة اعتمد فيها بالمقام الأول على ما جاء في القرآن الكريم و على الآثار الفرعونية الباقية، واستقينا المعلومات من كتابه (فرعون موسى من يكون وأين ومتى؟)، طبع دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٧، وقد

بدراسة استطلاعية واسعة تناولت الآتي:-
أولاً: قصة بني إسرائيل في مصر مُدأتى يوسف عليه السلام، الذي حقد عليه إخوته وتآمروا عليه وألقوه في الجب والتقطته إحدى القوافل وباعته إلى «فوطيفارح» الذي قيل أنه كان قائماً على خزائن مصر، وهو ما كان يطلق عليه «عزيز مصر» إلى أن تولى تدبير أمر المجاعة حتى مرت على خير.. ثم مجئ إخوته وأبيه.. حيث طابت لهم الإقامة في مصر..

ثانياً: التأكيد على أن الأثرين لم يعثروا على أي أثر من قصة بني إسرائيل بمصر.
ثالثاً: التقويم العبري.. فحادثة الخروج من مصر يعتبرها بنو إسرائيل من الأحداث الدينية الكبيرة في بعثهم وانطلاقهم^(١٩).

وإذا كان قد ورد ما يثبت أهمية ذلك الحادث في نص التكليف الإلهي لهم باعتباره بداية عامهم العبري.. فإنه من الطبيعي، بل المنطقي افتراض أن

=أخذنا من الكتاب بتصرف، حيث أوردنا خلاصة رأيه، وأنه أوزوريس، وخرج بنتائج تستحق التأمل والدراسة، وتعتبر ضمن الدراسات القرآنية..
(١٩) المصدر السابق.

وهذه الأدلة من المعتقدات المصرية القديمة التي تعود إلى تلك الحقبة.. وهذه المعتقدات تتشابه في أشكالها ورموزها مع ما جاء في قصة موسى وفرعون..

ويعدد الدكتور سعيد ثابت الأشكال والرموز في المعتقدات الفرعونية والتي تتشابه مع الأشكال والرموز في قصة موسى وفرعون.. لإثبات صحة افتراضه وتأكيد فيقول: إن عصا موسى والثعبان والكف، هذه الرموز قد انتقلت إلى المعتقدات المصرية بصورة أو بأخرى (٢٣).

أوصاف فرعون موسى في القرآن:

قبل تحديد من هو فرعون موسى، نلجأ للقرآن الكريم، لأنه حدد صفاته بدقة متناهية، صفاته هي (٢٤): -

- إن النص القرآني يقول إن فرعون وزوجته قد تبنيا موسى، وأنه أخذ من اليم، وعاش في القصر الفرعوني، وأمنها تبنيا من جاء إليهم في تابوت،

قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا

(٢٣) المصدر السابق.

(٢٤) المصدر السابق.

يكون بداية التقويم العبري وهو تاريخ حادثة الخروج من مصر، أو عيد الفصح المشهور (٢٠).

وإذا كان التقويم العبري يشير إلى أننا الآن في سنة ٥٧٥٦.. (٢١) فمعنى ذلك أن حادثة الخروج قد مضى عليها ٥٧٥٦ سنة.. أي أن حادثة الخروج كانت في حقبة ما قبل الأسرات.. ما قبل الأسرة الأولى.. أي ما قبل الدولة القديمة (٢٢).

إن افتراض أن يكون التقويم العبري هو تاريخ حادثة الخروج من مصر هو الصحيح.. وبذلك يتحدد زمان فرعون موسى.. افتراضاً.. بحقبة ما قبل الأسرة الأولى..

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) المصدر السابق... ويلاحظ أن الحساب من تاريخ نشر كتاب الدكتور سعيد ثابت عام ١٩٨٧، مع العلم أن اليوم الأول من التقويم اليهودي، في يوم الاثنين، ٧ أكتوبر ٣٧٦١ قبل الميلاد. مع أن هذا الموعد يعتمد على التراث اليهودي بشأن موعد بداية الزمان بعد الخلق، فلا يوجد إجماع لدى اليهود بشأن هذا التراث إلا من أجل محاسبة التقويم، ولذلك اعتبر الدكتور سعيد ثابت أن تاريخ الخروج أو بداية يوم الفصح هو بداية التقويم اليهودي.

(٢٢) المصدر السابق.



نظرة القرآن الكريم الى الآثار الانسانية البصياح •

- أن جثمانه ظل حتى يوم أن تم تحنيطه ثم تحلل الجسد بمرور السنين، قال تعالى ﴿ **ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ ... فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدْنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً** ﴾^(٢٥)، فتم نجاة بدنه أمام بني إسرائيل والمصريين الذين لم يغرقوا، ونجيك ببدنك فيها تورية لغوية، لأن النجاة مع البدن لا تكون إلا بالروح، وهذا لم يحدث، فقد مات فرعون غريقاً وتحنط جسده فترة ثم أصابه التحلل، ولا يمكن أن يكون فرعون موسى أحدى الموميאות المصرية المحفوظة في المتحف المصري..

وخلاصة القول: جاءت النتيجة تقول إن الملك الأكثر احتمالاً بين كل الملوك.. هو الملك الذي كان يعرف إلهها أكثر منه ملكاً وكانت قصته أسطورة.

بعد تحديد صفات فرعون موسى من القرآن الكريم، نجد أن الأقرب للصواب هو أوزوريس، وعندما نقارن بين صفات أوزوريس وبين الصفات القرآنية، نجد تشابهاً عجبياً كما سنرى.

(٢٥) سعيد ثابت - مصدر سابق.

أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿

[سورة القصص: ٩] وهذا يوضح أن فرعون وامرأته كانا عقيمين وليست الزوجة فقط بدليل قولها قرعة عين «لي» و«لك»، وكل فراعين مصر المعروفين كان لهم أبناء، ورمسيس الثاني الذي يرى البعض أنه فرعون موسى، أنجب ثلاثة وستين ابناً، ومن كان له هذا العدد من الأبناء لا يتبنى طفلاً لينفعه وزوجه عند الكبر.

- وأن فرعون ادعى الإلهية المطلقة لنفسه، فقد قال كما ذكر الله تعالى ﴿ **أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى** ﴾ [سورة النازعات: ٢٤].

- انتشار السحر في عصره.
- اتصافه بذي الأوتاد.
- أنه مات غريقاً.

- أن النص القرآني يقول ﴿ **وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾ [سورة

الأعراف: ١٣٧] أي لم يبق لهذا الفرعون من آثار لأنها دمرت، فلا يوجد له تماثيل أو معابد تدل على وجوده..

وقبل كل شيء، يجب التأكيد على أن أسطورة أوزوريس.. مبنية على قصة حقيقية.. وإن كان قد أدخل عليها تعريف، فقصة أوزوريس.. هي في الأساس صراع بين الخير والشر.. وانتصار الخير في النهاية.. وكذلك قصة موسى وفرعون.. هي قصة الصراع بين الخير والشر.. وانتصار الخير في النهاية.

إن قصة أوزوريس التي يقال عنها عادة إنها أسطورة.. ليست خيالاً محضاً كما يفهم الناس من كلمة أسطورة..

لأن الأسطورة عند علماء الأساطير أمثال تايلور وشتراوس وفريزير تنبع أساساً من الحياة الواقعة للإنسان وتصور مثلاً الطبيعة حوله وتفسرهما، أو تحاول تعليل وقائع تاريخية خارقة للعادة.. وهي بهذا ليست مجرد خيال عابث لا أساس له من الواقع.. إلا أنهما في نفس الوقت تنسج حول هذا الواقع نسيجاً من الخيال تؤثر فيه عوامل مختلفة مثل تضارب المصالح الخاصة بالفئات التي لها دور واضح في عملية صياغة الأسطورة.. وهذا الخيال هو المسئول عن الاختلافات التي تبدو بين

الأصل التاريخي والقصة الأسطورية. إن المؤرخ «بلوتارخ» يذكر أن قصة أوزوريس وإن كانت قدمت على أنها أسطورة، إلا أنه يعتقد أن أوزوريس كان ملكاً حقيقياً، وكان حاكماً لمصر في زمن من أزمان ما قبل الأسرات.

أيضاً العالم الهولندي «بايكر» فهو يؤيد أن أوزوريس كان ملكاً حكم مصر في وقت من الأوقات^(٢٦).

أما العالم الفرنسي «الكسندر موريه» فهو يرى أن الصورة التي صُوِّر بها أوزوريس والتي تظهره على شكل رجل على رأسه ريشتان ويحمل في يده عصا معقوفة، وفي اليد الأخرى سوطاً هي صورة قديمة جداً مميزة لرئيس القبيلة^(٢٧).. ويذكر العالم الفرنسي أن أول ما عرف عن أوزوريس كان في بلدة «جدو» عاصمة الأقليم التاسع من أقاليم مصر السفلى وهي بلدة «أبو صير» الحالية التي تقع في منطقة الدلتا إلى الجنوب من مدينة سمنود على الضفة الغربية لفرع

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) المصدر السابق.



نظرة القرآن الكريم الى الآثار الانسانية **المصباح**

- إن كلا منهما نجا ببدنه بعد الغرق
فصار أسطورة زمانه وزمان من تبعه
من أجيال.

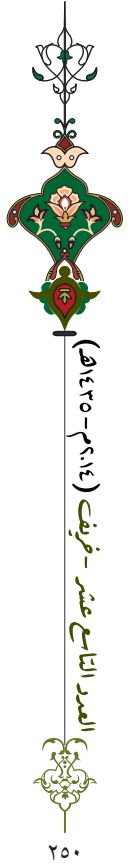
أما كيفية نجاة الفرعون ببدنه، فقد
ذكر القرآن أن الله نجاه ببدنه، وطبعا
بدون روحه، ليكون لمن خلفه معجزة،
وَمَنْ خلفه هم قوم موسى عندما رأوا
جثته طافية، فتأكدوا من موته، واطمئن
بالهم، وكذلك من بقى من جيش
الفرعون من المصريين، وقاموا بتحنيط
موميائه، ولكنها درست وتحللت بفعل
عوامل الزمن، ومن ثم لم يصبح لفرعون
موسى أي أثر يدل عليه، كما ذكر القرآن
الكريم، فدمرنا ما كان يصنع الفرعون
وما كان يشيد ويعرش، حتى بدنه أصابه
البلى (٢٩).

وهو ما حدث لأوزوريس، فقد
تم إنقاذ بدنه، بعد الغرق، وإن حولته
(٢٩) كتب كثيرون أن بدن الفرعون محنط في
المتحف المصري، وأنه هو رمسيس الثاني،
ونرى غير ذلك، لأن فرعون الخروج لم
يثبت له أثر من حجر أو مومياء... للمزيد
نصح بقراءة كتاب (الفرعون الذي يطارده
اليهود - تأليف سعيد أو العينين - إصدار
كتاب اليوم - القاهرة - ١٩٩٧).

دمياط (٢٨) ...
وإن تلك المنطقة التي أشار إليها العالم
الفرنسي الكسندر موريه كانت في رأي
كثير من العلماء مسرحاً للأحداث الكبيرة
لبني إسرائيل في مصر.. وهو ما يؤكد في
بحثه أيضا.
ولو عدنا لصفات أوزوريس لوجدناها
تتفق مع صفة فرعون موسى في القرآن
الكريم...

صفات أوزوريس التاريخية

كما كتب عن أوزوريس الشخصية
الحقيقية لا من خلال الأسطورة، نجده
يتصف بما يلي من صفات:
- أوزوريس وايزيس تبنيا طفلا هو
حورس، وأنها التقطاه من اليم، أو
النيل.
- ادعى الألوهية المطلقة لنفسه.
- إنه كان من الملوك ذوي المقام العالي
والثراء الواسع وشدة البأس.
- كان له الصفة المعروفة بذوي الأوتاد.
- انتشار السحر في زمان كل منهما.
- إن كلا منهما مات غرقاً.
(٢٨) المصدر السابق.



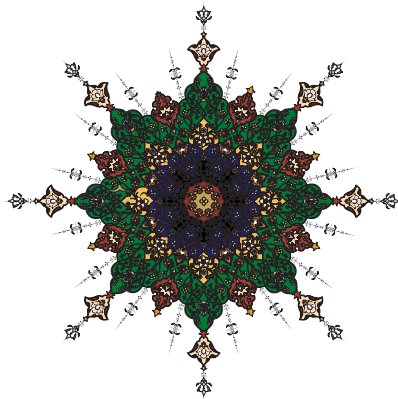
الأسطورة فيما بعد لإله العالم الآخر، ومعه
إيزيس وحورس..

هذا والله تعالى أعلى وأعلم...

خاتمة

نختم هذه الدراسة بالقول إن القرآن
الكريم ليس كتاب نظريات علمية، ولا
يرسخ أسس ومفاهيم العلوم المختلفة
بتفاصيلها، مثل علم الآثار الذي كتبنا عنه.
ولكن القرآن يُعدّ منهجاً للحياة كلّها،
وسبيلاً لتحريض العقل ليعمل وينطلق،
تقيماً للمجتمع دون أن يدخل في جزئيات

وتفاصيل علمية بحثية؛ حيث يكفي
القرآن بالإشارة إلى القضايا الكونية، لأن
تعريف الناس بمباحث العلوم الكونية
ليس من مقاصد الشريعة، بل إن غايتها
أن تجعلهم يتوصلون إلى هذه المعارف
بعقولهم واجتهاداتهم، فإذا اهتموا إليها
وقد علموا أن القرآن سبقهم في الإشارة
إليها، والحضّ عليها، استدلّوا على أن
القرآن الكريم ليس من كلام البشر،
وبذلك يفتح أمامهم باب الهداية والإيمان
بالله تعالى وبهذا الدّين الخالد...





حكاية القرآن أقوال الآخرين (بحث دلالي)

محمد عدنان الربيعي

جامعة المصطفى العالمية - قم - إيران الإسلامية

فحوى البحث

بحث دلالي - استقرائي - تحليلي، يعرض لمسألة حكاية القرآن الكريم اقوال المتحدثين وما اذا كانت هذه الحكاية بنصها ومعناها ام بمعناها وحسب، فيثبت السيد الباحث ان بعض الايات القرآنية جاءت تعبيراً عن قول الله - تعالى - كما في سورة التوحيد. وبعضها جاء حكاية لفعل او قول بعض الانبياء او الصالحين او الاشرار او حتى بعض الحيوانات والجمادات. وقد خلص الى ان الحجة ثابتة للكلام الالهي بنفسه بوصفه كلام الله - سبحانه -، وهي ليست كذلك بالنسبة للكلام الالهي الحاكي عن غيره - سبحانه -.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين واصحابه الأخيار المنتجبين ومن تبعهم باحسان إلى قيام يوم الدين.

المقدمة:

لا شك في أن القرآن الكريم نزل كله من عند الله تعالى على نبيه المصطفى بألفاظه ومعانيه، ولا شك أيضاً في أن النبي ﷺ بلغ القرآن كما أنزل عليه، وهو مازال محفوظاً بالحفظ الإلهي كما أَرادَه اللهُ تعالى^(١).

هذا ومعلوم أن بعض الآيات القرآنية جاءت تعبيراً عن قول الله تعالى كما في سورة التوحيد، وبعضها جاء حكاية لفعل أو قول بعض الأنبياء أو بعض الصالحين^(٢)، أو حتى حكاية كلام بعض

(١) لبحث التحريف ذيل طويل وأنواع كثيرة يمكن مراجعة تفاصيله في الكتب المؤلفة في ذلك، ككتاب صيانة القرآن من التحريف للشيخ محمد هادي معرفة تبتش.

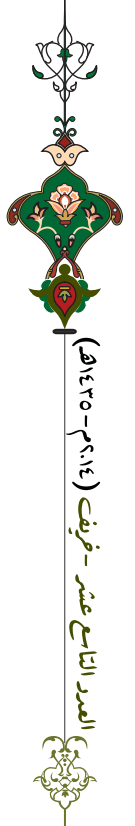
(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجُلَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، [سورة آل عمران: ١٤٦-١٤٧].

الطالحين والكفار^(٣)، لا بل حتى حكاية قول إبليس^(٤)، وهذا من الوضوح الذي لا يقبل أي ريب، وسيأتي الكلام عن أقسام الآيات القرآنية والحصر العقلي فيها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ولا يمكن تلقي هذا الأمر بشكل ساذج وسطحي؛ ذلك لأنه من الصحيح أن بعض الآيات واضحة الظاهر بأنها من الله تعالى كسورة الإخلاص مثلاً، وبعضها من غيره كقول فرعون لموسى ﷺ، أو إبليس، ولكن هناك مجموعة كبيرة من الآيات القرآنية ليست واضحة بهذا الشكل وتحتاج إلى الكثير من الجهد والعناء والبحث التاريخي والتفسيري لكشف من هو قائلها الأصلي، كما في ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل:

(٣) كما في قوله تعالى حكاية لقول فرعون عندما ادعى الربوبية: ﴿...أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، [سورة النازعات: ٢٤].

(٤) كما في قوله تعالى حكاية عن قول ذلك الرجيم لما امتنع عن السجود لآدم ﷺ: ﴿... قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، [سورة الأعراف: ١٢].



[٣٤]، فمن هو القائل الأصلي لهذا المقطع من الآية ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، هل هو الله تعالى أم هي بلقيس؟. كذلك في قوله تعالى حكاية عن قول زليخا في سورة يوسف: ﴿... قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْغَرِيزِ... وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٣]، فهل إن ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ هو من قول يوسف عليه السلام أو من قول زليخا؟، وكثير من الآيات الأخرى.

وما أريد أن أصل إليه هنا هو: هل يمكن لنا أن نستفيد من آيات القرآن جميعها -على الإطلاق- حكماً عقدياً وفقهياً -مثلاً- وحتى من تلك الآيات المنقولة عن الآخرين؟. أو أن الآيات القرآنية تختلف في الحجية، فيمكن أن نستفيد من بعضها ولا يمكن أن نستفيد من البعض الآخر إلا بشروط؟.

فمثلاً في الآية التي تحكي قول (بلقيس) عن الإفساد الذي يستتبع دخول الملوك القرى، هل يمكن لنا أن نعتقد بذلك ونصدق به أو لا؟. قال تعالى حكاية عن ذلك الموقف: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا

دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذِلَّةً...﴾ [سورة النمل: ٣٤]، فهل يمكن لنا أن نعتقد بصدق ومطابقة ذلك الحكم البلقيسي للواقع أو لا؟. أم أنه كلام امرأة متأثرة بذلك الحال الذي تمرّ به ليس إلا ولا قيمة علمية أو عملية لكلامها أصلاً؟. وتحاول هذه الدراسة النظر في أنواع هذه الآيات وحدودها ومدياتها وكيفية تفسيرها والاستفادة منها في مختلف ميادين العلوم؛ إذ نعتقد أن هذه الآيات لها خصوصية مغفول عنها في الأبحاث التفسيرية وبالتالي فُسرت بنفس الأسلوب المتبع في تفسير الآيات التي قالها الله تعالى مباشرة كسورة التوحيد مثلاً، وربما أفضى ذلك إلى مجموعة من الثغرات التفسيرية والعقدية وغيرها.

وقد حكى الله تعالى أقوال الآخرين بما كانوا يعتقدون ويشعرون.

كذلك فقد أردف الله سبحانه الكثير من تلك الحكايات الحكم القاطع حولها فإما أن يكون قد أمضاها أو ردّها.

هذا وبالرغم من أن تلك الحكايات نقلٌ لكلام الآخرين وحكاية قوله إلا أن



جداً في كثير من مجالات العلم والمعرفة إلا أنني عندما بدأت أبحث عن كل شاردة وواردة- مما يمكن أن يساعدني في تقصي المفردات العلمية والفنية في هذا الموضوع- لم أجد -حسب اطلاعي- أي كتاب أو بحث أو مقال يمتّ إلى موضوع البحث بصلة مباشرة، ولكنني وجدتُ بعض الإشارات الغامضة والمتفرقة المبعثرة بين كتب الفقه والأصول والتفسير، ولعل إغفال هذه المسألة المهمة والالتفات إليها من أهم أسباب الوقوع في كثير من المشاكل المعرفية التي سنقف عليها في طيات البحث.

ولذا فيمكن أن يُعدّ هذا البحث جديداً في بابهِ وموضوعه ومحتواه؛ مما يستدعي النظر إليه من هذه الزاوية المهمة التي ستفتح الباب لكثير من الباحثين للدخول إلى مضمار هكذا بحوث، فتثمر هذه الشُجيرة ويُغنى البحث بالمناقشات العلمية الأطروحات التخصصية.

أنواع الحكايات في القرآن

بعد التأكيد على أن القرآن الكريم كلّهُ-بألفاظه ومعانيه- نازل من الله تعالى

كثيراً منها جملات خبرية يصح منها أن تطابق الواقع أو لا تطابقه، وهذا يعتمد معرفة القائل الأصلي.

لذا فحجّية تلك الأقوال وذلك الكلام منوطة بمعرفة المتكلّم الأصلي، كذلك منوطة بمعرفة القرائن الحافّة بتلك الآية.

فالنكتة المهمة والمسألة الأساسية والأصلية في هذا البحث هي:

ما المراد من الحكايات القرآنية، ومدى حدودها وحجّيتها وآثارها؟.

ويشتمل هذا السؤال على مجموعة من المسائل الأخرى ذات العلاقة والصلة الوثيقة، ولا يمكن لنا أن نجيب عن السؤال الأصلي إلا بعد الإجابة عن تلك الأسئلة الفرعية، والتي هي:

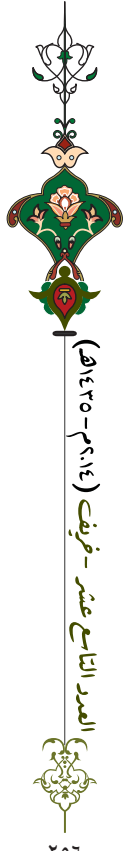
١. ما هي حدود أقوال الآخرين في القرآن؟.

٢. ما هي حدود حجّية تلك الأقوال؟.

٣. ما هي آثار تلك الأقوال على العقيدة والشريعة والأخلاق والعلم؟.

السابقة التاريخية:-

برغم أن لهذا الموضوع فائدة كبيرة



على قلب الخاتم ﷺ يمكن لنا أن نقسم الآيات القرآنية على عدة أنواع تحت ضابطة وملاك القائل أو المحكي كلامه بالألفاظ الإلهية القرآنية، ويمكن أن نحصر تلك الأنواع حصراً منطقياً بهذا الشكل:

تلك الأقوال إما أن تكون لعاقل أو لغيره، فإن كانت لعاقل فيما أن يكون معصوماً أو لا، فإن كان معصوماً فيما أن يكون نبياً أو وصياً أو ولياً أو ملكاً، وإن كان الثاني - أي غير معصوم - فيما أن يكون فرداً عادياً - كزليخا وبلقيس - أو غير عادي كأعداء الرسالات، والكفار، أو شيطانياً، وإن كان غير عاقل فيما أن يكون نباتاً أو حيواناً أو جماداً.

ويمكن لنا الادعاء هنا أنه لا يخرج أي نوع من أنواع الآيات القرآنية من حيلة هذا الحصر.

وبعد استقراء القرآن الكريم نجد أن نماذج تلك الأنواع هي:

١. كلام الله تعالى حكاية عن نفسه، كما في سورة التوحيد وآية الكرسي.

٢. كلام الله تعالى حكاية عن الأنبياء ﷺ، كما في قوله تعالى حكاية عن قول

موسى ﷺ: ﴿... قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْنُصُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ٥٤].

٣. كلام الله تعالى حكاية عن الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿... قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ... ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

٤. كلام الله تعالى حكاية عن الصالحين، كما في قوله تعالى: ﴿... قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٣].

٥. كلام الله تعالى حكاية عن الناس العاديين، كما في قوله تعالى: ﴿... فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِئًا وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة يوسف: ٣١].



حكاية القرآن اقوال الآخرين البصائر

٦. كلام الله تعالى حكاية عن الظالمين، كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤].
٧. كلام الله تعالى حكاية عن قول إبليس اللعين، كما في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [سورة طه: ١٢٠].
٨. كلام الله تعالى حكاية عن بعض الحيوانات، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل: ١٨].
٩. كلام الله تعالى حكاية عن الجلود يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِبُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٢١].
١٠. كلام الله تعالى حكاية عن السماوات والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ
- أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: ١١].
- وبعد تتبع الآيات والبحث فيها لا أظن أن هناك نقلاً لكلام النباتات في القرآن الكريم.
- حجّية^(٥) أنواع الحكايات القرآنية: -
- بعد أن تعرّفنا على أنواع الآيات القرآنية، وأن ليست جميع الآيات على مساق واحد من كونها قول الله تعالى بالأصالة - على المعنى الذي تقدّم - وأن بعضها حكاية لأقوال الأنبياء، أو الأولياء، أو الملائكة، أو حتى الناس العاديين، والكفار، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، فهل أن الحجّية ثابتة لكل تلك الأنواع من الآيات القرآنية بشكل مطلق ومتساوٍ أم لا؟ وبعبارة أخرى: هل يمكن

(٥) المقصود من الحجّية هنا كونها تضم خصوصية الاعتماد والاستناد، والذي يُفتي - في مجال الفقه - بعلم فإنه يصحّ منه إسناد فتواه إلى الشارع المقدّس، كما هو ثابت في علم أصول الفقه، ويصحّ للأخريين من غير أهل الاختصاص الرجوع إليه وأخذ الحكم عنه، مجلة دراسات قرآنية، العدد الثالث، ص ١٥.

لنا في مقام الاستدلال العقدي والفقهية والتفسيري أن نستدل بكل تلك الأنواع؛ فتكون دليلاً حجّة على مدّعاتنا، ويمكن لنا أن نستخرج منها ونستنبط الأحكام المختلفة، أو ليس كذلك فليس لها الحجّة لتعيننا على استدلالنا؟.

تقسيم الآيات القرآنية بلحاظ

الإمضاء وعدمه

يمكن لنا تقسيم الحكايات القرآنية على قسمة أخرى نستطيع من خلالها معرفة الحجّية التي تدعّم تلك الآيات، وفائدة تقسيم الآيات على هذه القسمة هي لكي تكون تلك الأنواع محصورة بالشكل الذي لا يستدعي تكرار الكلام أو تداخلاً في المضمون فضلاً عن اشتراك بعض تلك الأنواع بنفس المستوى من الحجّية ناسب ذلك أن نضبط أنواع الكلام تحت ضابطة أخرى، وبهذا الخصوص نقول: إن الآيات القرآنية يمكن أن تنقسم بهذا اللحاظ على أربعة أقسام هي:

الأول: الآيات القرآنية التي تحكي

كلام الله تعالى نفسه، كما مرّ في النوع الأول من الأنواع المتقدّمة، وهذه الآيات

حجّيتها معها ولا تحتاج إلى دليل آخر يدلّ عليها، ومن أمثله قوله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤].

وهذه الآيات واضحة جداً لا تحتاج إلى أي إيضاح في أنها كلام الله تعالى نفسه عن نفسه؛ ولذلك فهي لا تحتاج إلى أية حجّية أخرى أو إمضاء يدعمها؛ لأنها كلام الحقّ سبحانه وتعالى بخلاف ما سيأتي من أنواع.

الثاني: الحكايات الممضأة، وهي الحكايات القرآنية التي يفهم منها الإمضاء الإلهي لمحتواها ومضمونها بأن تكون هناك إشارة وقرينة متّصلة أو منفصلة تشير إلى ذلك، وهذا النوع من الآيات له نفس الحكم المتقدّم، ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى حكاية عن ملكة سبأ:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٣٤]، هذا لو اعتقدنا بأن جملة ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو قول الله



القسم من الآيات لا حجّية لمضمونها الحاكي كلام أو حال قائله، فلا يمكن لنا العمل بمحتواها أو الأخذ به، فلا يمكن لنا التمسك بهذه الآية لإثبات أن المخلوق من النار أفضل من المخلوق من الطين بشكل كلي، وهذا واضح لا يحتاج إلى كثير بيان.

الرابع: الحكايات التي لا يُفهم منها الإمضاء أو عدمه، وهي الحكايات التي لا يُفهم منها إمضاء ومقبولية محتواها الذي نقله الله تعالى حكاية لكلام قائله، كذلك لا يُفهم منها عدم الإمضاء، فهي جملة من حيث هذا النوع من الإمضاء.

ونقول ابتداءً: إن في مثل هذه الآيات يجب علينا البحث عن مقبوليتها أو عدمها من خلال البحث التفسيري، أو العقدي، أو الفقهي، أو غير ذلك من البحوث المعتمدة عقلاً وشرعاً، وإلا فعلياً - حسب الأصل الأولي - التوقف في الاستدلال بها؛ لأنها ستكون حينئذٍ من المتشابهات أو

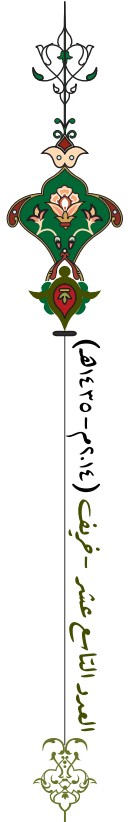
أئمتنا عليهم السلام في ذلك العصر، نقلاً عن تعليقة العلامة حسن زاده آملي على كتاب «أغاز وانجام»، أي: «المبدأ والمعاد» للخواجه الطوسي، ص ٧٩.

تعالى وهو إمضاء لقول ملكة سبأ في نظرها حول إفساد الملوك القرى التي يدخلون.

الثالث: الحكايات غير الممضأة، وهي الحكايات القرآنية التي يفهم من خلال القرائن ذات الصلة أنها غير ممضأة بل مرفوضة من قبل الله تعالى، من أمثلة ذلك قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿...أَنَا خَيْرٌ

مِنَهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٢]، فبالرغم من أن النار أكثر تجرداً من الطين وبالتالي يجب أن يكون المخلوق منه أفضل من المخلوق من الطين إلا أن الحكم الإلهي صدر بأن قياس إبليس لم يكن سليماً وهذا يُفهم من سياق الآيات القبلية والبعديّة لقول اللعين^(٦)، وهذا

(٦) يقول العلامة الشعрани «رحمة الله تعالى عليه» في تعليقه على «الوافي» في شرح هذا الحديث الشريف «إن إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فلو قاس الجوهر الذي خلق الله من آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار»، الكافي، باب البدع والرأي والمقائيس، ح ١٨: «ويُعلم من أن شئية الشيء بصورته لا بآدته، وغلط إبليس وتوهم أن الشرف بآدة البدن، ولم يعلم أن الإنسان إنسان بعقله، والعقل أفضل من الوهم، وهذا الحديث من دقائق العلوم التي لم يعهد صدور مثلها عن غير



بيانه قوله تعالى حكاية لقصة ذي القرنين:
**﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي
 عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِنِينَ
 إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾** [سورة
 الكهف: ٨٦]، فقد أشارت الآية إلى
 انه وجدها، فهل أنها -الشمس- كانت
 حقيقةً وواقعاً كذلك، أي تغرب في عين
 حمئة، أم أن ذلك كان مجرد رؤياه ووجدانه
 هو فقط؟.

وعليه فيمكن لنا إن دققنا النظر
 بمحتوى القرآن الكريم وكيفية فهم
 الآيات القرآنية بأنواعها وأقسامها
 المختلفة أن نستفيد الكثير من النكات التي
 ربّما كانت خافية على من تقدّم علينا من
 المفسّرين؛ حيث أخذوا جميع القرآن بسلةٍ
 واحدة وفهموه بدرجة واحدة من الفهم،
 برغم الاختلاف الذي عرفته مما تقدّم.

الأصل عند الشك في الإمضاء:

بعد أن بيّنا أنواع الحكايات وكيفية
 إثبات الحجّية لها، يمكن لنا أن نستخرج
 هنا الأصل الذي يمكن أن يكون المرجع
 في حال الشك في الإمضاء وعدمه،
 وهذا الأمر مهم في فهم الآيات القرآنية

المجملات أو كلام من لا حجّية له - وإن
 جاءت في القرآن الكريم نفسه -؛ إذ إنها لا
 حجّية لها في نفسها، وكذلك ليس لها من
 مستند يثبت لها الحجّية، وعليه سوف تكون
 من الظن غير المعتمد والأصل فيه عدم
 الحجّية كما ثبت في مبحث حجّية الأدلة
 من علم الأصول، قال الشيخ الأنصاري:
 «التعبّد بالظن الذي لم يدلّ على التعبّد به
 دليل، محرّم بالأدلة الأربعة»^(٧)، وقال
 الآخوند في الكفاية: «إن الأصل في ما لا
 يعلم اعتباره بالخصوص شرعاً ولا يجوز
 التعبّد به واقعاً، عدم حجّيته جزماً، بمعنى
 عدم ترتّب الآثار المرغوبة من الحجّية عليه
 قطعاً»^(٨).

ومن أمثلة ذلك فيما نحن في صدد

(٧) الأنصاري، مرتضى، فرائد الأصول
 (الرسائل)، ج ١، ص ١٢٥، كذلك انظر:
 الشهيد الصدر، محمد باقر، دروس في علم
 الأصول، مؤسسة النشر الإسلامي، ج ١،
 ص ١٩٤، وج ٢، ص ٤٧، وقد فصل السيد
 الحيدري الكلام في بيان هذا الموضوع في
 شرحه على الحلقة الثالثة، فراجع: شرح
 الحلقة الثالثة من الدليل الشرعي، ج ٢،
 ص ١٧٧- ٢١٧.

(٨) الآخوند الخراساني، محمد كاظم، كفاية
 الأصول، ص ٢٧٩.



والاستدلال بها، فنقول:

لما كان للقرآن الكريم أساليبه الخاصة في بيان الحقائق الخارجية والمواعظ الأخلاقية والمعارف الإلهية، فإن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون مثل الكتب العلمية المحضة حتى يتصدى لبيان المسائل العلمية ومعرفة العالم فحسب، ولا أن يكون كالكتب الأخلاقية التي تكتفي بالموعظة فقط، وبنحو عام فإن القرآن لا يمكن أن يتبع الأساليب المتداولة والمعتادة في الكتب البشرية، فالقرآن الكريم - ولأجل تحقيق أهدافه المتطابقة والمتحدة مع أهداف رسالة النبي ﷺ العالمية - قد اختار أساليب خاصة؛ وعليه فقد ذهب بعض الأعلام إلى أن القرآن لا يتكلم عن واقعة ولا ينقل رأياً أو قولاً إلا ويأتي بالحكم القاطع معه، فهو إما أن يؤيد ذلك القول أو يطعن فيه، فالقرآن الكريم بالنسبة إلى الأقوال والآراء التي ينقلها عن الآخرين لا ينقلها محض نقل فقط بل ينقلها مع الحكم القاطع عليها، من دون أن يترك ذلك النقل عارياً عن الإمضاء أو عدمه.

ومن هنا فقد ذهب آية الله الشيخ جوادي آملي (حفظه الله) إلى أن الآيات القرآنية تكون محفوفة بالحكم الإلهي بنحو صريح غالباً، وأمّا في حالة عدم التصريح بالحكم الإلهي على الأقوال المنقولة في القرآن فإن ذلك بمثابة الإمضاء لها، ولذا فقد قال في بيان ذلك: «... ولذلك فإنه - أي القرآن - إذا نقل قولاً أو رأياً ما ولم يتحدث عن رده أو إبطاله، فإن عدم الردّ علامة على الإمضاء والقبول؛ كما ينقل عن الولد الصالح لآدم عليه السلام قوله إنّ الميزان في قبول العمل عند الله هو التقوى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧]، ولا يردّ هذا القول؛ ولذلك جاء في بعض الروايات بأنّ هذه الجملة سميت «قول الله»^(٩)، كما وذكرت أيضاً في الكتب الفقهية بعنوان أنّها قول الله، وبناءً على هذه الخصوصية سُمي القرآن بأنّه «قول فصل»، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ﴾ [سورة الطارق: ١٣-١٤]، ولكن بعد نقله لقول المنافقين،

(٩) الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٦١٥.

فإنه يبطل هذا القول: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٨].

فقد كان قول المنافقين يتضمّن أنّهم يحسبون أنفسهم أعزّة وأنّ المؤمنين أذلاء، فتصدّى القرآن لقولهم بعد نقله وأبطله كما ردّ من قبل كلامهم الباطل حول المحاصرة الاقتصادية للمؤمنين وعدم الإنفاق على من عند رسول الله؛ كي ينفصوا ويتفرّقوا عن النبيّ الأكرم ﷺ، فنقل كلامهم هذا وانتقده وأبطله (١٠)» (١١).

ويمكن لنا أن نجد لهذا الرأي جذوراً في كلمات السابقين، فهذا الشاطبي يقول في بيانه لهذا الأمر: «كل حكاية وقعت في القرآن، فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها- وهو الأكثر - ردّها أو لا، فإن وقع ردّها فلا إشكال في بطلان ذلك المحكيّ وكذبه،

(١٠) ناظر لقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

(١١) جوادى أملي، عبد الله، تفسير تسنيم، ج ١، ص ٧٥.

وإن لم يقع معها ردّ، فذلك دليل على صحّة المحكيّ وصدقه» (١٢).

ومن أمثال ما وقع لها الردّ:

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٩١]، فأعقب بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا..﴾، فوقع التنكيث على افتراء ما زعموا بقوله: ﴿يَزْعِمُهُمْ﴾، وبقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦].

الأسلوب الإلهي في نقل القول:

يرى كل من يطالع القرآن أن هناك الكثير من نقل الأقوال، أو نقل مراد الآخرين، أو حتى حكاية رغباتهم وخفايا ضمائرهم، وكل هذا واضح جلي لا يحتاج لبيان زائد، ولكن السؤال المهم الذي يجب أن يُطرح في المقام هو: ما هو الأسلوب الإلهي في نقل تلك الأقوال وتلك المرادات، هل هو على سبيل الترجمة، أو

(١٢) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ج ١، ص ٦٩.



النقل بالمعنى، أو إن الأمر أدق من هذا وذاك؟.

ونحن في هذا البحث نحاول أن نجيب عن هذا السؤال.

ربما يتصور البعض - ولأول وهلة - أن النقل الإلهي لكلام الآخرين وحكاية ذلك الكلام والقول هو من باب النقل بالمعنى بما يتناسب مع ذوق القرآن ورفعته. ويرى أحد المعاصرين أن النقل الإلهي لأقوال الآخرين وحكايته إياها هو من باب الترجمة لتلك الأقوال والألفاظ إلى اللغة العربية، ولما كان الله تعالى صادقاً فعلينا الإذعان لذلك النقل والتصديق به^(١٣).

ولكننا نعتقد أن المسألة أدق وأعمق من ذلك، وليبأنها نقول:

لما كان الله تعالى مطلعاً على الواقع بشكل كامل ومحيطاً بخفايا الأمور وأسرارها ومهيماً على جميع اللغات والألفاظ وحقائق معانيها ومراداتها؛ فهو

(١٣) هذا الرأي للشيخ الدكتور محمد فاكر ميدي أشار إليه أثناء سؤالنا لساحته عن خصوص طبيعة الحكاية ونوع النقل الإلهي في القرآن الكريم.

قادر على أن يصوغ كل معنى بأي لفظ أراد ومن أية لغة كانت؛ وذلك لأنه المهيمن على كل جزئيات ما يريد صياغته وصبه في قالب الألفاظ، وهنا مجموعة مقدمات يجب التنبيه لها وهي:

المقدمة الأولى: إحاطة علمه تعالى بكل شيء دق أو جل، وهي مقدمة بديهية بالنسبة لكل مسلم، وقد دلت عليها الكثير من الأدلة العقلية^(١٤) والنقلية، قال تعالى:

﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [سورة

هود: ٥]، ويتفرع على ذلك علمه تعالى بخفايا ونوايا ومرادات كل مخلوق من مخلوقاته، أعم من الإنسان والحيوان وغيرهما؛ وعليه فلربما غفل إنسان - مثلاً - عن حقيقة مراده وما يتمناه لأي سبب كان، ولكن ذلك غير خافٍ ولا يخفى عن الله تعالى أبداً؛ لأنه عليم بذات القلوب،

(١٤) انظر: الحيدري، كمال، التوحيد بحوث في مراتبه ومعانيه، ج ١، ص ٢٦٥. والطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، الفصل الخامس من المرحلة الثانية عشرة، ص ٢٠٣.

ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
المقدمة الثانية: عموم قدرته تعالى، فهو القاهر فوق عباده وصاحب السلطة المطلقة عليهم جميعاً وله أن يفعل ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، وهذه المقدمة بديهيّة أيضاً لكل مسلم، وقد دلّت عليها الكثير من الأدلة^(١٥).

المقدمة الثالثة: يتفرّع على ذينك المقدمتين مقدّمة أخرى مفادها أنه تعالى له العلم الشامل والهيمنة المطلقة على كل اللغات؛ لعلمه بكل شيء وهيمنته عليه، ومن ذلك اللغة - أي لغة كانت - التي علّمها الإنسان بعد خلقه، كما جاء ذلك في القرآن الكريم^(١٦)، ومن ذلك يكون من اليسير عليه تعالى أن يُعبّر عن كل معنى بأي لغة كانت وأي لفظ أراد، فهو ليس كالمترجم العادي الذي يحاول نقل ظاهر

(١٥) انظر: الحيدري، كمال، التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، ج ١، ص ٣٨٥. والطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، الفصل السادس من المرحلة الثانية عشرة، ص ٢٠٨.

(١٦) في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾، [سورة الرحمن: ١ - ٤].

ما يترأى له من الكلمات والألفاظ من لغة المبدأ إلى لغة المنتهى، وليس له أي اطلاع على حقيقة مرادات الماتن وما كان يقصده عند النطق أو الكتابة، فمثل هكذا مترجم لا علم له ولا اطلاع على كل خفايا وخبايا مراد المتكلم والماتن وصاحب النص - مثلاً -^(١٧)، فضلاً عن عدم اطلاعه على كل الألفاظ في كل لغة، وخصوصيات كل مفردة وكل تركيب وكل جملة بالنحو الذي تكون له الإحاطة التامة المطلقة، وأما بالنسبة لله تعالى فالأمر مختلف تماماً؛ ذلك لأن له تعالى العلم المطلق بسرائر وجود كل موجود وقدرته اللامتناهية على كل شيء، كذلك إحاطته وعلمه المطلق بكل لفظ ومفردة وخصوصياتها.

ولمّا كان القرآن بألفاظه ومعانيه نازلاً من عند الله تعالى، فقد انتخب في مقام التعبير عن الحقائق والمعارف والحكم

(١٧) ولذا ترى أن الترجمة لا يمكن لها أن تنقل مراد المتكلم والقائل الأصلي بدقّة تامة مهما بلغ المترجم من براعة ومهارة في الترجمة، وللتفصيل انظر: رضائي أصفهاني، محمد علي، منطق ترجمة القرآن، ص ١٢٣، كذلك: الرصافي، أنور، دراسة تطبيقية لمبدأ التكافؤ في الترجمة، ص ٩٥.



تعالى وعندها سوف لا يخرج عن حيطه تلك الألفاظ أي شاردة وواردة أرادها المتكلم.

تجلي حقيقة القرآن بجلوة الألفاظ:

لما كانت الألفاظ موضوعة لروح المعاني وحقيقتها لا لمصاديقها الخارجية المادّية المنظورة فقط^(١٩)، فصحح ذلك أن يكون كل لفظ وبأي لغة كانت سواء كانت من نوع الألفاظ المعروفة في اللغات الإنسانية أم لم يكن كذلك كلغة الحيوانات مثلاً، حيث يذهب بعض العلماء إلى أن لها طريقة خاصّة في المحاوره والكلام^(٢٠)،

(١٩) وهو مذهب جمع غفير من العلماء والمفسرين، انظر: السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن، ج ٤، ص ١٩٩، والخميني، روح الله، مصباح الهداية، ص ٢، و ص ٣٩، كذلك: آداب الصلاة، ص ٣٥٩، وانظر: جوادي آملي، عبد الله، تسنيم، ج ٣، ص ٢٥٥، وغيرهم كثير.

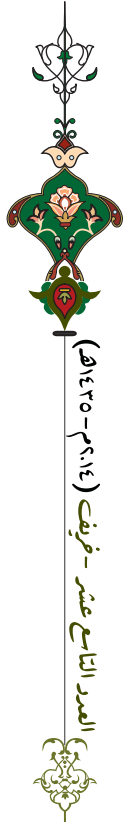
(٢٠) يقول الطنطاوي: «ويعتقد بعض العلماء اليوم أنّ تبادل الخواطر هو مستوى القوّة التي تُمكن الشخص من نقل آرائه إلى شخص آخر بدون أيّة واسطة مادّية أو ظاهرية، فهل هذا الرأي ممكن أو محتمل الوقوع؟. وإجابةً على ذلك يقول العالم الإنجليزي «برسي»: إنّ نقل الأفكار قد يحدث في أوقات شادّة وحالات خاصّة،=

أحسن كلمة وأدق لفظ وأحقّه وأبينه وأخصّه دلالة على تلك المعاني المطلوبة، فإنّ الكلمات قوالب ومرائي للمعاني، وأيّ خصوصيّة كانت في المعاني لا بدّ أن تدلّ عليها الألفاظ وتستكشف من إراءة الكلمات.

وهذه الأمور والخصوصيّات لا يمكن لأحد أن يراعيها حقّ الرعاية؛ فإنّه يحتاج إلى حضور جميع هذه الخصوصيّات والامتيازات اللفظيّة والمعنويّة في ذهن المتكلم بحيث يراها في آن واحد يتكلم فيه بكلمة، وهذا غير ممكن للبشر، وهذا حقيقة قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١٨).

إذن فهو تعالى محيط باللفظ والمعنى ويصوغ الألفاظ على وفق تلك المعاني، فسواء كان التعبير عن تلك المعاني بلغة السريان أو اليونان فهو تعالى يصوغ المعنى-نفس المعنى- المراد بأي لغة أراد

(١٨) انظر: مصطفوي، كاظم، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٩، ص ٢٢٤.



كيف كان فإن لكل موجود من الموجودات طريقة خاصّة في الكلام وإبراز المشاعر والمعاني، فمثلاً في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: ١١]، وقوله تعالى ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٤]، كيف كان ذلك القول من السماء والأرض، وكيف هو التسبيح من كل شيء؟^(٢١).

لما كان كذلك - أي أن الألفاظ موضوعة لحقائق المعاني - جاز أن تكون

= وذلك ما لا يعارض فيه أحد من الباحثين، ولكنه لا ينطبق على الحالات العامّة، وذلك التبادل قد يُرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات إذا اقتربت حشرة من أخرى. قال: وبذلك نعرف أنّ الحيوانات تكلم بعضها بعضاً بنقل الخواطر، والنمل من هذا القبيل، وأنّ الإنسان مستعدّ لذلك لأنّه من جملة مواهبه، ولكن هذه الموهبة تجيء تارةً بطريق الوحي الخارق للعادة وتارةً بالتمارين، تفسير الجواهر، ج ١٣، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢١) وللمفسرين مباحث مفصّلة في ذلك إلا أن هذا الموضوع خارج عن محل كلامنا.

تلك الآيات القرآنية الحاكية لتلك الأقوال عبارة عن حكاية ذلك المعنى الحقيقي الذي حكته تلك الألفاظ، وبالتالي ستكون - تلك الألفاظ القرآنية - حكاية وتعبيراً عن تلك الحقيقة العينية الموجودة عند الله تعالى، بقطع النظر عن لغة القائل بها والمبرز لها وبأي لغة كانت، كاللغة السريانية مثلاً أو العبرية أو أي لغة أو طريقة كانت؛ لأن الحقائق الإلهية والخزائن الربّانية لا لغة لها، وحقيقتها مختلفة تماماً عن نوع الألفاظ المعروفة، ولكنها لما تنزّلت صارت كما نرى من الألفاظ، وهو تعالى قادر على إظهارها لنا بأي لغة كانت؛ لعلمه المطلق وقدرته غير المتناهية كما تقدّم، وبالتالي فأى خطأ أو اشتباه لا يمكن أن يتطرّق للقرآن الكريم وبأي صورة كانت.

إذن، لما تكلم آدم ﷺ أو نوح مثلاً - وبلغتیهما^(٢٢) - كان لذلك الكلام حقيقة

(٢٢) ورد في بعض الأحاديث أن اللغة التي كان يتكلم فيها آدم ونوح ﷺ هي السريانية، أي البابلية القديمة، والتي لها إلى اليوم أثر في العراق وسوريا، ففي الكافي عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي الحسن موسى ﷺ في السنة التي قبض فيها أبو عبد الله ﷺ فقلت: جعلت فداك مالك ذبحت كبشاً ونحر =



والمعنى، وهذه الحقيقة والمعنى حاضرة بتمامها وكماها عند الله تعالى، فحكي الله تعالى وأبرز تلك الحقيقة المنظورة لآدم عليه السلام - وبكل ما قصده وأراده آدم من خصوصيات - بتلك الكلمات والألفاظ التي تكلم بها، وتلك الحقيقة والمعاني موجودة عند الله تعالى بتمام جزئياتها وخصائصها، ولما أراد الله تعالى أن ينزل القرآن - الذي له حقيقة عينية عنده سبحانه - أنزل تلك الألفاظ من كلام آدم من تلك الحقيقة الإلهية باللغة العربية، وبالتالي فيمكن لنا أن نقول: إن العلاقة بين اللفظ الذي نطق به آدم عليه السلام والألفاظ القرآنية العربية علاقة غير مباشرة، بل قد مرّت بوساطة واحدة هي حقيقة القرآن

والمعنى التي عند الله تعالى، ومن هنا تعرف أن لو أراد الله تعالى أن ينزل القرآن بغير اللغة العربية لما كان هناك من مانع يمنع ذلك، إلا خصوصيات تلك اللغة ومديات سعتها وقدرتها على محاكاة المعاني الإلهية.

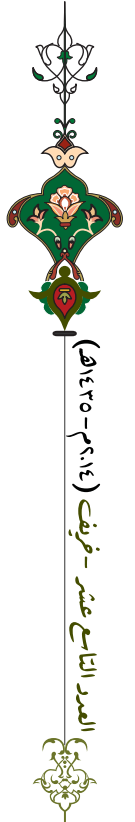
أنواع الأسلوب الإلهي في نقل الأقوال:

يمكن لمن تتبّع الآيات القرآنية وأنواعها وكيفية صياغتها وأنواع الجمل المستخدمة فيها أن يلاحظ أن تلك الآيات على أساليب - ومقصودنا هنا هو ما عدا الآيات القرآنية التي قالها الله تعالى بالأصالة من قبيل سورة التوحيد وآية الكرسي وغيرهما - وهذه الأنواع هي:

أولاً: يمكن أن يفهم من بعض تلك الآيات كونها حكاية المضمون لا نقل نفس الألفاظ وعينها، ويمكن أن يشهد لذلك:

1. بعض أسباب النزول، وكمثال على ذلك ما ورد عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إن عبد الله بن عجلان قال في مرضه الذي مات فيه إنه لا يموت، فمات؟ فقال: «لا غفر الله شيئاً من ذنوبه، أين ذهب؟ إن موسى اختار سبعين

=فلان بدنة [أي ناقة]؟. فقال: يا أبا محمد إن نوحاً عليه السلام كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء وخلي سبيلها نوح عليه السلام، فأوحى الله عز وجل إلى الجبال أني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن، فتناولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل، قال: فقال نوح عليه السلام عند ذلك: «يا ماري أتقن»، وهو بالسريانية ربّ أصلح»، الكافي، ج ٢، ص ١٢٤.



رجلاً من قومه، فلما أخذتهم الرجفة قال: رب أصحابي أصحابي، قال: إني أبدلك بهم من هو خير لكم منهم. فقال: إني عرفتهم ووجدت ريجهم، قال: فبعثهم الله له أنبياء».

ولعل كلام الإمام عليه السلام إشارة لقوله

تعالى: ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتْلُو أُمَّةً لِّمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ إِنَّا إِذْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن شَاءَ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥]، فيمكن أن يُفهم من هذه الرواية وأمثالها أن بعض الآيات القرآنية حكاية مضمون القول ومعناه لا اللفظ المقول نفسه.

ويمكن أن يُشكل على هذا الطريق بأنه

ربما كانت نفس روايات أسباب النزول نقل بالمعنى وحكاية الآية لا العكس، وعليه فيجب التدقيق وبذل الوسع في معرفة ذلك.

٢. نفس التعابير القرآنية المستخدمة في صدر بعض الآيات، مثل

«يسألونك»، كما في قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ... ﴾

[سورة البقرة: ١٨٩]، وقوله:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ... ﴾ (٢٣)،

وغيرها، أو «يستفتونك»، كقوله

تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ... ﴾ (٢٤)،

و«يزعمون»، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ قَبْلِكَ... ﴾

[سورة النساء: ٦٠]، وغيرها من

أمثال هذه التعابير أو الآيات التي

يمكن أن يُفهم منها النقل بالمعنى، ولا

يوجد فيها ما ينصّ على النقل بالنص

أو الترجمة مثلاً، خصوصاً بعد اليقين

بأن لغة بعض الأنبياء والمتكلمين في

(٢٣) [سورة البقرة: ٢٥١]، كذلك انظر:

[سورة البقرة: ٢١٧]، و[سورة المائدة:

٤]، و[سورة الأعراف: ١٨٧]، و[سورة

الأنفال: ١]، و[سورة الإسراء: ٨٥]،

و[سورة الكهف: ٨٣]، وغيرها.

(٢٤) [سورة النساء: ١٢٧]، كذلك [سورة

النساء: ١٧٦].



القرآن الكريم لم تكن اللغة العربية كما تقدم.

هذا وربما كانت هناك بعض التعابير التي يمكن أن يستشف منها ومن خلال البحث التفسيري أنها لم تكن قولاً باللسنة، أو كلاماً اصطلاحياً لشخص أو قوم مثلاً، وبالتالي سيخرج اللفظ المعني هنا - وفي هذه الحالة - من الحقيقة إلى المجاز أو التوسّع في الإطلاق.

يقول الشيخ مكارم شيرازي في تفسيره لقوله تعالى نقلاً عن بني إسرائيل ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا عَلَى..﴾ [سورة البقرة: ٩٣]: «ليس حكاية عما قالوه بألسنتهم، بل - حسب الظاهر - هي تعبير عن واقع عملي لهؤلاء القوم، وكناية رائعة عن انحرافهم»^(٢٥).

وقد استظهر الشيخ محمد جواد مغنية من تشابه بعض الآيات بالمضمون واختلافها بالألفاظ استظهر أن الله تعالى كان قد حكى بعض أقوال الأنبياء ﷺ بالمعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ

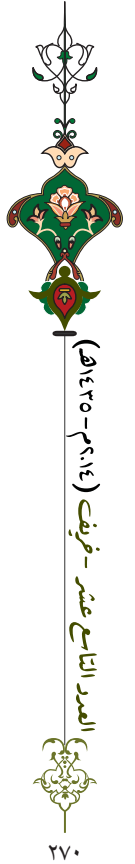
(٢٥) الشيرازي، ناصر مكارم، التفسير الأمثل، ج ١، ص ٢٠٠.

قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَجَاهِلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٤ - ٥٦]،

فقد قال الشيخ مغنية رحمه الله في ذلك: «ونظير هذه الآيات في سورة الأعراف الآية «٨٠ - ٨٣»، ولا فرق إلا في بعض التعابير، ففي سورة الأعراف حكى الله سبحانه عن لوط أنه قال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، وحكى عنه هنا أنه قال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُرُونَ﴾ وكلاهما ذم وتوبيخ، وقال هناك: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وقال هنا: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَجَاهِلُونَ﴾، وكل من الإسراف والجهالة تجاوز الحد... ومثله كثير في كتاب الله، فهو يحكي كلام الأنبياء وغيرهم بلفظ آخر في آية ثانية، وبثالث في آية ثالثة»^(٢٦).

ويمكن أن يردّ على كلام الشيخ

(٢٦) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج ٦، ص ٢٨.



مغنية **تُتَرْتِئُ** أنه ربما كانت تلك الآيات نقلاً لقول نبي الله لوط **عليه السلام** في عِدَّة مواطن ومقامات لا في مقام وواقعة واحدة، وهذا يحتاج لبحث تفسيري وتاريخي دقيق للوقوف على حقيقة هذا الأمر وتعدّد أو وحدة المقام والمقال.

ثانياً: إن بعض تلك الآيات القرآنية جاء بالنقل نصّاً، ومما لاشك فيه أن هذا مشروط بمجموعة أمور يجب توافرها في تلك الألفاظ المراد نقلها بالنص، ويمكن أن يكون من تلك الشروط:

١. بلاغة نفس اللفظ الأصلي، وفصاحته.
٢. تناسبه مع أسلوب القرآن الكريم وإعجازه.

ويمكن الاستدلال على ذلك ببعض الأحاديث، وروايات أسباب النزول أيضاً **(٢٧)**، وعدم وجود اقتضاء التغيير،

(٢٧) فعن أبي بصير، عن أبي جعفر **عليه السلام**، قال: «لما ناجى موسى **عليه السلام** ربه أوحى إليه: أن يا موسى، قد فتنت قومك. قال: وبماذا يا رب؟ قال: بالسامري، صاغ لهم من حليهم عجلاً. قال: يا رب، إن حليهم لتحتمل أن يصاغ منها غزال أو تمثال أو عجل، فكيف فتنتهم؟ قال: صاغ لهم عجلاً فخار. فقال:

وعدم وجود المانع من النقل بالنص. وكمثال على ذلك ما نُقل من أحاديث تذكر أن بعض الصحابة والكفار قالوا كلاماً بعينه فنزل القرآن بنفس النظم الذي صدر عنهم، ومنها:

حديث روي عن عمر أنه قال لثناء النبي حينما تأمرن على النبي بسائق الغيرة: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن» **(٢٨)**.

وسورة التحريم في قوله: **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ...** [سورة التحريم: ٥]، قد احتوت هذا النص.

ومنها ما روي عن زيد بن أرقم أنه

= يارب، ومن أخاره؟ قال: أنا. قال عندها موسى: **إِنْ هِيَ إِلَّا فُتِنْتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ**، البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٥٩٢، وربما كانت نفس هذه الآية هي ما نطق بها موسى **عليه السلام**.

(٢٨) مسند أحمد، ح ١٥٢، وهنا يجب التدقيق في سند الحديث وفقه متنه لبيان واقع هذا الحديث وحقيقته، ويطلق على أمثال هذا الحديث بـ(موافقات عمر) وقد أسهب السيوطي في الكلام عنها وبيانها وجمعها، فراجع الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣٧.



حكاية القرآن اقوال الآخرين

البصائر

النازلة من الله تعالى بهذه الألفاظ (٣٠)، غاية الأمر تناسبت مع سبب كان قد وقع فصار بحسب الظاهر علة وسبباً لنزول الآية، ومعلوم أن المورد لا يخصص الوارد، وقد مرّ الكلام عن هذا.

آثار وفوائد البحث في الحكايات:

قلنا سابقاً إنه يمكن تقسيم آيات القرآن الكريم على عدة أنواع تحت ملاك القائل أو المحكي كلامه بالألفاظ الإلهية القرآنية.

وأن الآيات التي قالها من لا يُعتقد بحجّية كلامه لا يمكن أن يُستند إليها في الاستدلال بها على شيء أبداً إلا إذا استنتجنا الإمضاء الإلهي لمضمونها من

(٣٠) قال العلامة الطباطبائي: «قوله تعالى:

﴿حَمِّمْ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾ وَإِنَّمَا

فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾، فإنه

ظاهر في أن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه

جعلته مقروءاً عربياً، وإنما ألبس لباس

القراءة والعربية ليعقله الناس وإلا فإنه -

وهو في أم الكتاب - عند الله، علي لا تصعد

إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل

وفصل. وفي الآية تعريف للكتاب المبين

وأنه أصل القرآن العربي المبين، الميزان،

ج ٢، ص ١٨.

سمع عبد الله بن سلول يقول: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا من حوله»، ويقول: ﴿لِيَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ..﴾ [سورة المنافقون: ٧-٨].

وآيات سورة المنافقون: ﴿هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِيَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾»، قد احتوت هذه النصوص كما هو معلوم.

ثالثاً: وهذا هو المشكلة، وهو حكاية أقوال غير العرب أو الحيوانات، والجمادات.

ولعل الأقرب إلى الصواب هو الحكاية بالمعنى، أو ما اخترناه فيما تقدّم من أن الألفاظ موضوعة لروح المعاني وحقائقها وليست للوجودات الذهنية أو الخارجية، وبالتالي فتلك الآيات ما هي إلا تجلّ وظهور لتلك الحقيقة الإلهية (٢٩) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٨١.

خلال البحوث المعتمدة شرعاً، وقلنا أيضاً أن بعض العلماء ذهب إلى أن كل آية - من هذا القبيل - إذا لم يسبقها أو يعقبها ما يردّها فهي مضمّاة يمكن الاستشهاد بها.

وإن في القرآن الكريم الكثير الكثير من الآيات الكريمة الحاكية عن حال ومقال الآخرين، والتي يمكن لنا - إن كشفنا الحكم الحكيم في مفادها ومدى مقبولية مدلولها الذي أراده القائل والذي حكاها الله تعالى عنه - أن نفهم ونتنفع منها في كثير من مجالات المعرفة العقائدية، والشرعية، والأخلاقية، والعلوم البشرية. ويمكن لنا أن نخترل كل ما يمكن أن يقال هنا بعدة نقاط فنقول:

أولاً: إن من مجموع القرآن لا يوجد كثير من الآيات المحكية - ونستثني من ذلك ما نُقل عن الأنبياء - لها علاقة بالشأن العقائدي، اللهم إلا بعض الآيات التي ترتبط بمسائل عقّدية جزئية، وأما في الأصول العقّدية الكلية فلا يوجد إلا نزر يسير منقول عن الأنبياء عليهم السلام وبعض الصالحين مشفوع - في كل مرة - بالإمضاء الإلهي، فضلاً عن تأييد العقل المسبق.

ثانياً: تقسيم الآيات القرآنية على أقسام عدّة أعلاها دلالة وكاشفية عن الواقع هي تلك التي قالها الله تعالى، واللافت ان أغلب الآيات التي وردت في خصوص الولاية، والخلافة، وصفات المُستخلف، وكذلك الذات الإلهية وصفاتها وأسمائها جاءت محكية من الله تعالى، وهذا يكشف عن مدى أهميّة وخطر وعِظم تلك الأمور.

ثالثاً: إن لآيات الأحكام حظوة كبيرة في كتب الفقه وفقه القرآن، ولكنها تعرّضت لكثير من التشكيك والجدال والسجال في كثير من جهات البحث، فمن مشكّك بها لأن أكثرها إمّا مرتبط بالأهم السابقة، أو منقول حكاية عن قول أحد أفراد تلك الأمم، أو أنها جاءت في سياق قصصي المقصود منه العبرة والعظة ليس أكثر؛ فلا يمكن الركون إليها في استنباط الحكم الشرعي ^(٣١).

رابعاً: إن الاستفادة من أقول ^(٣١) وللتفصيل في ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب «فقه پژوهي قرآن» (دراسة في فقه القرآن)، للسيد محمد علي ايازي فقد فصّأ كل هذه الإشكالات ومناقشتها.



الله تعالى والتي لا يمكن وبأي حال من الأحوال أن تتعارض مع معطيات العلم القطعية.

المصادر

١. أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط ٣ - ٢٠٠٧م.
٢. جعفري، محمد، العقل والدين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١ - ٢٠١٠م.
٣. جوادى آملي، عبد الله، تسنيم في تفسير القرآن، تعريب: عبد المطلب رضا، دار الإسراء للنشر، إيران - قم، ط ١ - ١٤٣١هـ. ق.
٤. الحجازي، إبراهيم، آيات العقائد، تحقيق وتصحيح: رامين الكلمكاني، انتشارات قدس رضوي، مشهد - إيران، ط ١ - ١٤٢٤هـ.
٥. الحسن، طلال، المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري، دار فراقده، قم - إيران، ط ١ - ٢٠١٠م.
٦. الحيدري، كمال، التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، تقرير: جواد علي

الآخرين، أو الآيات القرآنية الحاكية لأقوال الآخرين كثير جداً في المجال الأخلاقي، ولعلّه فاق جميع الأبواب من العقديّة والفقهية والعلمية، والأمر هنا سهل؛ لإمكان الاستعانة بالعقل لفهم الإمضاء الإلهي من عدمه؛ فإن الأخلاق ونصوصها لا تخرج عن حيطّة العقل في أغلب مواردّها، وبالتالي لا يلزم كثيراً الرجوع إلى النصّ الديني في ذلك إلا لبيان بعض اللوازم والأجر والثواب المتعلق بغيب هذا العالم أو العالم الآخر والذي لا يمكن للعقل التدخل فيه إطلاقاً.

خامساً: يمكن استنتاج قاعدة مهمّة في طريقة حل التعارض الظاهري بين العلم والنصّ الديني؛ وذلك من خلال نسبة المعطى العلمي الظاهر من الآية التي نُقلت وحكت كلام غير الله تعالى إلى وجهة نظر ذلك المتحدّث لا إلى الله تعالى، بمعنى أن هذا النوع من الآيات يحبي وجهة نظر ذلك المتحدّث المنقول كلامه بالآية لا أنها كاشفة عن علم الله تعالى، إلا إذا علمنا على وجه القطع واليقين بأن الله تعالى أمضاها مطلقاً، وهذا بخلاف الآيات التي نطق بها

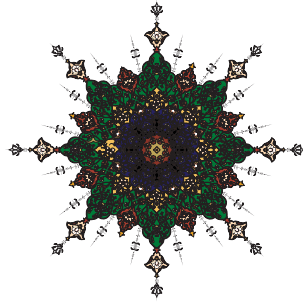
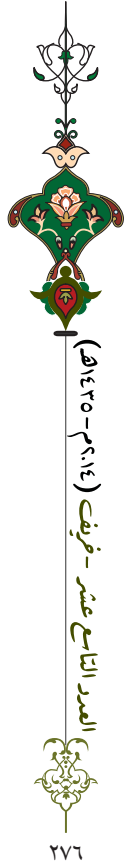


- كسار، دار فراقده، قم - إيران، ط ٥ - ١٣٨٣ ش.
١٣. رضائي أصفهاني، محمد علي، منطق
ترجمة قرآن، انتشارات مركز جهاني
علوم إسلامي، قم - إيران، ط ١ -
١٣٨٦ ش.
١٤. رضائي أصفهاني، محمد علي، منطق
تفسير قرآن، انتشارات جامعة
المصطفى العالمية، قم - إيران، ط
بدون - ١٣٨٧ ش.
١٥. ساجدي، أبو الفضل، زبان دين
وقرآن، مركز انتشارات مؤسسة
آموزشي وبژوهشي إمام خميني، قم -
إيران، ط ٢، ١٣٨٥ هـ. ش.
١٦. سعدي روشن، محمد باقر، تحليل
زبان قرآن وروش شناسي فهم
آن، ساؤمان انتشارات پژوهشگاه
فرهنگ واندیشه اسلامي، قم -
إيران، ط ٣ - ١٣٨٧ ش.
١٧. الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق
في القرآن، دار الأميرة، قم - إيران،
ط ٣ - ١٤٢٨ هـ.
١٨. الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير
الأمثل، دار الأميرة، بيروت - لبنان،
٢٠٠٦ م.
٧. الحيدري، كمال، منطق فهم القرآن،
بقلم: الدكتور طلال الحسن، دار
فراقده، قم - إيران، ط ١ - ٢٠١٢ م.
٨. الخميني، روح الله، آداب الصلاة،
مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام
الخميني، طهران - إيران، ط ٥ -
٢٠٠٣ م.
٩. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير
القرآن، مؤسسة إحياء تراث الإمام
الخوئي، قم - إيران، ط بدون رقم -
بدون تاريخ.
١٠. الراغب الأصفهاني، حسين بن
محمد، المفردات في غريب القرآن،
مطبعة الميمنية، القاهرة - مصر،
ط ٢ - ١٣٢٤ هـ. ق.
١١. الربيعي، محمد، دعوى بشرية القرآن،
مؤسسة الهدف، قم - إيران، ط ١ -
٢٠١١ م.
١٢. رضائي أصفهاني، محمد علي، در
أمدي بر تفسير علمي قرآن كريم،
انتشارات اسوة، قم - إيران، ط ٢ -



حكاية القرآن اقوال الآخرين المصباح

- ط ٢- ٢٠٠٩م. الثقافة الإسلامية، قم - إيران، ط ٢-
١٩٠٨هـ. ق.
١٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في
تفسير القرآن، الاعلمي، بيروت -
لبنان، ط ١- ١٩٩٧م.
٢٠. الطباطبائي، محمد حسين، بداية
الحكمة، تصحيح: عباس علي
الزارعي السبزواري، مؤسسة النشر
الإسلامي، قم - إيران، ط ٢٣-
١٤٢٧هـ.
٢١. الطبرسي، أبو علي الفضل بن حسن،
مجمع البيان، حققه وعلق عليه:
لجنة من العلماء والمحققين، قدم له:
السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة
الاعلمي، بيروت - لبنان، ط ١-
١٩٩٥م.
٢٢. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين،
تحقيق: احمد الحسيني، مكتب نشر
- الثقافة الإسلامية، قم - إيران، ط ٢-
١٤٠٨هـ. ق.
٢٣. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول
الكافي، مؤسسة الاعلمي، بيروت -
لبنان، ط ٣- ٢٠٠٥م.
٢٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،
دار الأميرة، بيروت - لبنان، ط ١-
٢٠٠٧م.
٢٥. مصباح اليزدي، محمد تقي، مفاهيم
القرآن، دار الولاية، بيروت - لبنان،
ط ١- ٢٠٠٧م.
٢٦. مصطفىوي، كاظم، التحقيق في كلمات
القرآن الكريم، دار الكتب العلمية،
بيروت - لبنان، ط ٣- ٢٠٠٩م.
٢٧. مجلة دراسات قرآنية، العدد الثالث،
السنة الأولى، مؤسسة العهد
الصادق/ فرع قم، ٢٠٠٩م.



تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت فيها

د. نوري كاظم الساعدي
جامعة بغداد - كلية التربية (ابن رشد)

فحوى البحث

(سورة الانسان)، او (سورة الدهر)، او (سورة هل اتى) المباركة خصت اهل بيت الرسول الاعظم ﷺ بصفات اكتسبها بما قدموا لانفسهم من عمل يصب في شدة تقواهم وامتانة التزامهم بما امر الله -تعالى -.

فهم في السورة: الابرار الذين اعد الله لهم الجزاء الاوفى في الاخرة.

والبحث فيه تأملات دقيقة في هذه السورة الكريمة وفي ما احتوت من اوصاف للجنة التي وعد الله - سبحانه - بها الابرار، الذين يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، وختم البحث بالنتائج التي توصل اليها الباحث وقائمة بمصادر البحث.

تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت البصباح

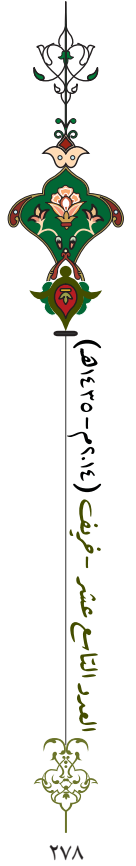
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

لقد ذكر الحق - سبحانه - كثيراً من الآيات التي تشير إلى منزلة أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، بيد أننا سنعرض لمنزلتهم عليهم السلام في سورة الإنسان، عن طريق الجنة التي أعدت لهم، وهي جنة مخصوصة بعينها، يمكن لنا تسميتها: جنة أهل البيت عليهم السلام في سورة الإنسان، وسيظهر في أثناء البحث، أنها ليست الجنة الوحيدة المعدة لهم سلفاً، بل هي جنة من ضمن عدد من الجنان، نالوا استحقاقاتها لمنجز قاموا به، فاستحقوا المنزلة السامقة في الدارين، وسيلنا في البحث، يعتمد ثوابت لها علاقة بمعطيات النص القرآني، وأسباب نزوله، أو مناسبه المتفق عليها عند المسلمين جميعاً، على وفق منهج، يأخذ بالبنية اللغوية التي يتشكل منها النص (الجنة) والفضاءات الأخرى للنصوص القرآنية، اعتماداً على الثابت والمتغير في الدلالات ضمن التشكيل، أي فضاءات الجنة منفردة ومجمعة.

- سبب النزول أو مناسبه:

ثمة إجماع عند عدد من علماء التفسير على أن ثمان عشرة آية من آيات سورة الإنسان، أو الدهر أو الأبرار، أو الأمشاج، أو المسماة بمفتحتها، بدءاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ [سورة الإنسان: ٥]. إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢]. نزلت في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم، تسمى فضة. فقد جاء في تفسير الكشاف عن خبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه: ((إن الحسن والحسين مريضاً، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على وُلدك، فنذر علي وفاطمة، وفضة - جارية لهما - إن برئاً مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفوا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم، ليفطروا فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين.



أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه وبتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا، ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا، أخذ عليٌّ عليه السلام بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم!. وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها، قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فسأه ذلك، فنزل جبريل، وقال: خذها يا محمد!. هنالك الله في أهل بيتك، فأقرأه (السورة) ^(١).

إنَّ سبب نزول الآيات المباركة في حق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشير إلى مقدار الإيثار الذي، يتصفون به، وهذا سبيل ارتضوه في الحياة الدنيا، وهو سبيل العارفين بالله، ومع أن مفسراً كالقرطبي (ت ٦٧١هـ)، يذكر أسباب نزول أخرى من بينها سبب النزول أنف الذكر، بيد أنه يقلل من شأن نزوله في أهل البيت عليهم السلام، فيقدم سببا واهنا، حين يقول: ((أفحسب عاقل أن علياً... أجهد صبيانا صغاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن؟! حتى تصوّروا من الجوع، وغارت العيون منهم؛ لخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ما بهم من الجهد)) ^(٢).

والحق أن القرطبي لم يكن موفقاً في

(١) الكشاف: ٤ / ٥١٥ - ٥١٦، وينظر: تفسير القرآن الكريم: ٣٤٥، وأسباب النزول (الواحدي): ٣٣١، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥ / ٤٠٨: وجاء فيه: ((وأثما نزلت في صنيع علي بن أبي طالب في إطعامه عشاءه وعشاء أهله وولده لمسكين ليلة، ثم لتييم ليلة، ثم لأسير ليلة متواليات)). ومجمع البيان: ١٠ / ١١٤، وزاد المسير: ٨ / ٤٣٢، والتفسير الكبير: ٣٠ / ٢٢٨، وتفسير البيضاوي: ٤ / ٣٥٨، وتفسير النسفي: ٤ / ٣١٨، وتفسير البحر المحيط: ٨ /

٣٩٥: جاء فيه: ((وهذه الآية قيل: نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه))، ونظم الدرر: ٢١ / ١٤٠، وروح المعاني: ٢٩ / ١٥٧، والميزان: ٢٠ / ١٤٣ - ١٤٤، والتفسير المبين: ٧٨٢، وأسباب النزول (الرفيعي): ٢٥٥ - ٢٥٦. (٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ١٣٢.

تأملات في سورة الإنسان وخصوصية اهل البيت

البصيرة

الله، ومن أهوال يوم القيامة، وإطعامهم الطعام للمسكين، واليتيم، والأسير قربة الى الله، والصبر، والإيثار الذي كان دأبهم في الحياة الدنيا، وقد قال الحق فيهم: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩]. وقد ورد في سبب نزول آية الإيثار هذه، أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت لعلي عليه السلام إذهب إلى أبي فابغنا منه شيئاً.

فقال: نعم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه ديناراً، وقال: يا علي اذهب فابتع لأهلك طعاماً.

فخرج من عنده، فلقيه المقداد بن الأسود رضي الله عنه فأعطاه الدينار، بعد أن ذكر له حاجته، وانطلق إلى المسجد، ولقي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا علي، ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، خرجت من عندك فلقيني المقداد بن الأسود، فذكر لي ما شاء الله أن يذكر فأعطيته الدينار.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما أنّ جبرائيل عليه السلام قد أنبأني بذلك، وقد أنزل الله فيك كتاباً^(٥)

(٥) ينظر: أسباب النزول: ٢٠٦ - ٢٠٧.

نفي نزول الآيات الكريمة في حق أهل البيت عليهم السلام أو التقليل من نزولها فيهم، فهو لم يلبث طويلاً حتى يأخذ بالأقوال التي تنقض ما يقول في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَزَيْنَهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ [سورة الإنسان: ١٢]. عندما يذكر أنّ الله جزاهم عن صبرهم ((على الفقر... على الصوم... على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر))^(٣). ومن أجل هذا، فهو يأخذ بسبب نزول الآيات فيحقق أهل البيت، ويسلم بنزولها فيهم من دون أن يدري ((والذي يجب أن يُتنبه له أن سياق هذه الآيات سياق الاقتصاص [القصة] تذكر قوماً من المؤمنين تسميهم الأبرار، وتكشف عن بعض أعمالهم))^(٤) بحسب ما جاء في تفسير الميزان، يزداد على ذلك، فإنّ المتتبع لسيرتهم عندما ينظر الى الآيات في السور الأخرى التي نزلت بحقهم لا يجد غضاضة في نزول تلك الآيات فيهم، فلا ريب أنهم الأبرار، وأنهم عبادُ الله وكانوا يوفون بالنذرِ لله، ويخافون من

(٣) المصدر نفسه: ١٩ / ١٣٤.

(٤) الميزان: ٢٠ / ١٣٩.

﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩] (٦).

يزاد على ذلك كله، فإنَّ الحقَّ - سبحانه وتعالى - يقدم رسالة كونية، عندما تُستهلُّ سورة الإنسان بقوله تعالى ﴿هَذَا أَنَّىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ١]. فتشير إلى مآله، وتقدِّم - أيضاً - أنموذجاً إنسانياً، لبيوتات الأنبياء ﷺ تتبغى في مجملها، الإشارة إلى أنَّ نهج أهل بيت محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، منار للراغبين إلى ربِّهم، يهتدون به أنَّى شأوا، وبيتهم ليس ككلِّ بيت، فلا عجب أن آثروا المسكين، واليتيم، والأسير على أنفسهم، وأطعموهم طعامهم، وأوفوا بالنذر، وصبروا، وخشيتهم لله - سبحانه وتعالى - وهذا بدا

في آيات سورة الإنسان، التي اتجهت إلى رَسْم اتجاهين: اتجاه المؤمنين وهم الرسول الكريم وأهل بيته ﷺ ومن اتبعهم، وذكر

(٦) ويذكر الطبرسي رواية أخرى يسندها إلى أبي هريرة، مفادها أنَّ الآية نزلت في أهل البيت ﷺ، ينظر: مجمع البيان: ٩/ ٢٣١-٢٣٢.

عطائهم، وهو الغالب على مجمل الآيات المباركة، واتجاه المعاندين الكافرين، فقال الحقُّ في الاتجاهين في مستهل السورة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٣]. وكان أهل البيت ﷺ من الشاكرين وشكَّر الحقُّ عملهم في الحياة الدنيا، فقال في شأنهم: ﴿وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢] وعلى هذا كانوا من الداخلين في فيوضات الله ورحمته، ويكون ختام السورة المباركة بقوله تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الإنسان: ٣١]. متسقاً مع التفاصيل التي اتجهت السورة إليها، وعلى نحو خاص بعمل أهل البيت ﷺ والنعيم والملك الكبير الذي أسبغه الخالق العظيم - سبحانه وتعالى - عليهم.

- الجَنَّةُ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ:

القرآن الكريم معجزة بكر، لم يكن للبشرية نصيب من معرفة كتاب على شاكلته، توافرت في آياته المعجزات كلُّ أدوات الصياغة، والنظم، والإقناع، وتوقف عنده أولو الأبواب ملياً، ساعين سعياً حثيثاً إلى الوقوف عند كنهه، وجعل



تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت

البصباح

من المبطلين مَنْ يسلّم بما جاء فيه كلّ التسليم؛ عندما أنصتوا لآياته المعجزات، فهو منظومة معرفية متكاملة، تختلف عن كلّ الأقاويل التي يوظفها البشر، برزت فيه قوانين السماء في لغتين: لغة الإبلاغ- هدف الرسالة - وهي لغة تسعى نحو إقرار النظام واتساقه، ولغة أخرى، جمالية، تسعى للتأثير في المتلقي بأدوات فنية^(٧).

وسورة الإنسان المباركة، تستحق التأمل في آياتها، شأنها في ذلك شأن سور القرآن الكريم الأخرى، وعلى وفق قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((هذا القرآن إنما هو خطّ مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان. وإنما ينطق عنه الرجال))^(٨). وموضع إمعان النظر في الآيات التي، تشتمل على عمل المؤمنين في الحياة الدنيا وما أسفر عنه من إسباغ الله- سبحانه وتعالى - في اليوم الآخر عليهم من آلائه التي، ظهرت في الجنة ونعيمها، بدءاً من قول الحق - تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

﴿كَافُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٥]. إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢]. فثمة ثمان عشرة آية كريمة، ترتبط بأمشاج ونسق مع بعضها الآخر، وهي تقدم منظومة معرفية، تشير إلى أنّ نهج الحياة الدنيا، يفضي إلى نهج الحياة الآخرة، فكانت الجنة التي أتمت بهيئة مخصوصة بعينها، لا تماثلها أية جنة أخرى أتى إلى ذكرها القرآن الكريم.

وكان الحقّ - سبحانه وتعالى - قد خاطب الناس في كتابه العزيز بما يفقهون، بيد أنّ كلّ ما يختص باليوم الآخر، يختلف عن ما موجود في الحياة الدنيا، فد(كلّ ما في الجنة ليس منه في الدنيا إلاّ الاسم)^(٩).

أما جزاؤهم في الآخرة، فإنّه على مقدار عملهم المحاط برحمة الله أولاً، ومن ثمّ عملهم ثانياً، المخصوص بنهج معين، وعلى هذا كانت الجنة في سورة الإنسان التي، تسمى: سورة الدهر، أو من يسميها بمفتحتها (هل أتى) أو سورة الأبرار،

(٧) ينظر: مفهوم الشعر عند السجلماسي: ٣٦.

(٨) نهج البلاغة: ١٨٢.

(٩) التفسير المبين: ٧٨١.

الذين ورد ذكرهم في الآية رقم (٥).

- خصائص أهل البيت عليهم السلام في السورة:

اتساقاً مع التوسع في ذكر خصائص تلك الجنة، والسفر في فضائها، لا بد لنا من الالتفات إلى سَمَتِ أهل البيت عليهم السلام على وفق ما يراه الحق - سبحانه وتعالى - وظهر في سورة الإنسان في الآيات رقم: ((٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢)) في قول الحق:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَنصُرُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوجِبَ اللَّهُ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُنْكَرُكُمْ ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الإنسان: ٥ - ١٠]

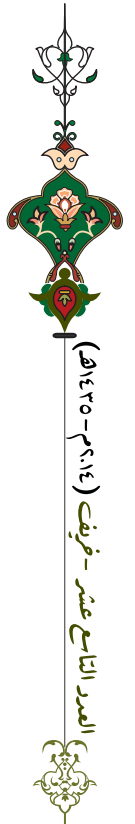
﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ١٢]. فكان سَمَتُهُم:

أثم الأبرار + عبادُ الله + الوفاء بالندَرِ + الخوف من الله ومن أهوال يوم القيامة + إطعام الطعام قربة الى الله للمسكين واليتيم والأسير + الإيثار + الصبر = الجنة: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ١٢].

ذلك قول الحق فيهم، ولا ريب في أن مَنْ اتسم بتلك الصفات، فإنَّ عطاءَهُ عندالله غير منقوص، من أجل هذا وغيره، فإنَّ النظر إليهم بمعيار الله يُسوِّغُ المكانة التي، يتقدمون بها على سواهم، ووجدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في أهل بيت النبي: ((وَهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَالسَّنَةُ الصُّدُقِ!). فأنزلوهم بأحسنِ منازلِ القرآن، ورُدُّوهم وُرُودَ الهيمِ العِطاشِ))^(١٠). وتلك منازل القرآن الكريم التي لا مرءَ فيها التي، أسنغ بها الحق آلاءه عليهم ظاهرةً وباطنة. وهو أولى بعبادِهِ الأبرار المؤمنين، الذين وسمهم -بداةً- بـ(الأبرار). وذكر أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي(ت ٥٤٨ هـ) أن معنى الأبرار ((جَمْعُ البرِّ المطيعِ لله المحسنِ في أفعاله، وقيل: هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة، وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام وموافقوهم، وكثير من مخالفيهم، أنَّ المراد بذلك: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والآية وما بعدها متعينة فيهم وأيضاً فقد انعقد

(١٠) نهج البلاغة: ١٢٠. ومعنى الهيم: الإبل.





تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت

الإجماع على أنهم كانوا أبراراً، وفي غيرهم خلاف))^(١١).

وعلى هذا، فإن أهل البيت عليهم السلام استحقوا من لدن الحق تلك المنزلة الرفيعة، منزلة الأبرار، لـ((أن تمام الطاعة لا يحصل إلا إذا كانت النيّة مقرونة بالعمل، فلما حكى عنهم العمل، وهو قوله: ﴿يُؤْفُونَ﴾ حكى عنهم النيّة، وهو قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ وتحقيقه قوله عليه السلام: ((إنما الأعمال بالنيات))، وبمجموع هذين الأمرين

سأهم الله تعالى بالأبرار))^(١٢). فأمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، وكان إيمانهم إيماناً متكاملًا، إيمان رُشدٍ وبصيرة، عرفوا الحق - سبحانه - وقدره حق قدره، فقدموا إرادته على إرادتهم، إذ لم يعملوا إلا ما ارتضاه، وصبروا على مخالفة أنفسهم فيما تحبّه وترضاه، فكان عملهم خالصاً لوجه الله تعالى، لا يبتغون من الناس جزاءً ولا شكوراً، وهم عباد الله، ودلّ هذا اللفظ على أنه مختص بأهل التوحيد والإيمان الذين أوفوا بعهدهم

(١١) مجمع البيان: ١٠ / ١١٧.

(١٢) التفسير الكبير: ٣٠ / ٢٢٦.

البصِيحَة

مع الله^(١٣). وخافوا مقام ربّهم، وآثروا المسكين، واليتيم، والأسير على أنفسهم، فأحسن الحقّ إليهم، وجزاهم على صبرهم جنّة ذات ملامح محددة.

وقد أشار الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه: عجائب القرآن إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام عند الله - سبحانه وتعالى - عندما جعلهم الحقّ مساوين للنبي صلى الله عليه وآله في عدد من الأمور، منها:

الأول: في المحبّة في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]. وقال تعالى في حقّ أهل بيت النبي: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [سورة الشورى: ٢٣]. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزلت هذه الآية ((قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟. قال علي وفاطمة وولداهما))^(١٤).

والثاني: في تحريم الصدقة عندما قال

(١٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠ / ٢٢٥، والميزان:

٢٠ / ١٣٦.

(١٤) شواهد التنزيل: ٢ / ١٣٠ - ١٣١.

الرسول الكريم ﷺ: ((حُرِّمَتِ الصَّدَقَةُ عَلَيَّ وَعَلَى آلِ بَيْتِي)).

والثالث: في الطُّهْرِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

والرابع: في السلام في الصلاة، يقال: ((السلام عليك أيها النبي)) وقال في أهل بيته: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِلَى يَاسِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٣٠]. وقد ((قال ابن عباس: آل ياسين آل مُحَمَّدٍ ﷺ، وياسين من أسمائِهِ))^(١٥).

والخامس: في الصلاة على الرسول وآله، كما في التشهد^(١٦)، وهذا الأمر لم يشارك الرسول الكريم فيه أحد إلا أهل بيته.

يُزَادُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الْمَعْجِزَةَ الْكُبْرَى لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْمَعْجِزَةَ دَلِيلَ تَصَدِيقِهِ فِي مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَكَانَ هَذَا السَّبِيلَ شَأْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ فِي (١٥) مجمع البيان: ٨ / ١٧٧، وينظر: شواهد التنزيل: ٢ / ١١٠، والتفسير المبين: ٥٩٤.

(١٦) ينظر: عجائب القرآن: ١٠٥ - ١٠٦.

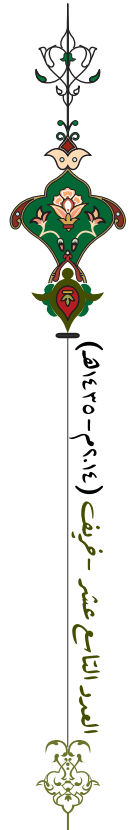
آية المباهلة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦١].

فاشتركوا مع كتاب الله في هذا الأمر من دون الناس، عندما جعلهم الله - عزَّ و جلَّ - دليل تصديق الرسول في ما يدعوا إليه، من أجل ذلك، لا ريب في تجلي عطاء الخالق عليهم في سورة الإنسان في أكثر من سبيل.

وبعد هذا كله، كيف بمن يخس حق أهل البيت ﷺ فيستكثر أن تنزل تلك الآيات فيهم؟! متناسياً قول الحق - عزَّ و جلَّ - : ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

وهم الذين يقول فيهم أمير المؤمنين عليه السلام ((لا يقاس بأل محمد ﷺ أحد من هذه الأمة، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا: هم أساس الدين، وعماد اليقين))^(١٧). ولا ريب أن نرى الآيات (١٧) نهج البلاغة: ٤٧.





تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت

البصباح

المباركة تنزل فيهم، ويُسبغ الحق عليهم آلاءه ظاهرة، وباطنة، فإنهم عدل القرآن، وأهله، وترجمانه.

- البناء اللغوي للجنة:

إن الآيات المباركة - موضوع البحث - لم تذكر بدءاً صنيع أهل البيت ﷺ الذي كان سبباً لنيل تلك الجنة والآنها، وإنما تم الالتفات إلى تلك الآلاء في الآيتين رقم: (٥، ٦) في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَتْ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ وهذا من عطاء
الله - تبارك وتعالى - لهم في الجنة، وبعد
ذلك تم الالتفات إلى صنيعهم في الحياة
الدنيا في الآيات رقم: (٧، ٨، ٩، ١٠) في
قول الحق: ﴿ يُوَفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَيَّ حَبِيبٍ مَسْكِينًا
وَبَيْتًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ
جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا
قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾. ثم تتجه الآيات رقم: (١١)،
١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩،
٢٠، ٢١، ٢٢)، في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَّعْنَاهُمْ
اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

وَجَزَنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّنُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا نَذْلِيلًا ﴿١٤﴾
وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْرَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا
﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدْرُوهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسْمَى
سَسْبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا
رَأَوْهُمْ حَسِبْتُمْ أَنْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتُمْ ثُمَّ رَأَيْتُمْ
فَعَيْنًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ
وَإِسْتَبْرَقٌ وَطَلُوعٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُحَمَاءُ
شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ
سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [سورة الإنسان: ١١ -
٢٢]. لتشير إلى آلاء الرحمن المعدة لهم
سلفاً في الجنة، وهكذا نهج، يبين أمرين:
الأول: أن عملهم محاط بالجنة، أو
أنه يقع من ضمن دائرة الجنة منذ الوهلة
الأولى، فتم ذكر عطائهم في الجنة في
الآيتين: (٥، ٦) وبعده، ذكر عملهم في
الحياة الدنيا الذي، استحقوا من أجله
العطاء في الآيات: (٧، ٨، ٩، ١٠)
وبعده، أحيط عملهم في الآيات: (١١)،
١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩،
٢٠، ٢١، ٢٢) بتفاصيل واسعة لنعيم

الجنة الذي ((لايزول ولايفنى))^(١٨) بحسب ما نقل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَأَكُنِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٠].

والآخر: أنّ هذا النسق من البناء، يشير إلى تداخل عمل الدارين: (الأولى، والآخر). فظهر الإتساق في الأفعال التي تشير إلى آلاء الجنة - بداءة - (يشربون، ويشرب، ويفجرونها)، وتستمر الأفعال المضارعة، لتبين عملهم في الدنيا: (يوفون، ويخافون، ويطعمون، ونطعمكم ولا نريد، ونخاف). ثم تنتقل دلالة الأفعال إلى الماضي، فيكون الأمر عوداً على بدء، أي عند الرجوع إلى التفصيل في ذكر عطاءات الجنة، وهنا تكمن دلالة التغير في الأزمنة، في أنّ ثمة بنيتين، حددتا الزمان النحوي للملامح الجنة، وهما (المضارع، والماضي)، وعلى النحو الآتي^(١٩):

• المضارع: وجاء يدلّ على زمنين، هما: المستقبل والماضي، وكان في الآيتين:

(١٨) مجمع البيان: ١٠ / ١٢١.

(١٩) ينظر: مغني اللبيب: ١ / ١٢٧.

(٥، ٦) وهاتان الآيتان المباركتان تشيران إلى نمط من أنماط الشراب في الجنة.

ويُزاد على ذلك الأفعال: ((يَشْرَبُونَ))، و ((يَشْرَبُ))، و ((يُسْقُونَ))، و ((سَقَاهُمْ)). وهي

تشير إلى حقل دلالي واحد، وهو الشراب، ويُظهِر أن عطاءهم استهْل بِـ ﴿يَشْرَبُونَ﴾ [الآية: ٥]. وهو فعل مضارع، وهذا الاستهلال ألا يدعو للتأمل بوصفه نوعاً من أنواع إغاثة الملهوف (الصائم) فكان في قول الحق:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ

مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ

اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [سورة الإنسان:

٥-٦]. في مستهل عطائهم قبل أن يتم

ذكر عملهم الذي استحقوا به تلك

الجنة، وختم بـ ((سَقَاهُمْ)) في قول الحق:

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الآية:

٢١]. وهو فعل ماضٍ، وتلك الصيغة

لها أكثر من حضور فاعل في الآيات

الكريمة، فتبدو في تواتر الأفعال الماضية:

((فَوَقَاهُمْ اللَّهُ))، و ((لَقَاهُمْ))،

و ((جَزَاهُمْ))، و ((صَبَرُوا))،



تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت البصباح

و ((ذُلَّتْ))، و ((قَدَّرُوهَا))، و ((كانت))، و ((كان))، و ((رَأَيْتَهُمْ)) و ((حَسِبْتَهُمْ)) و ((رَأَيْتَ)) و ((حُلُّوا))، و ((سَقَاهُمْ))^(٢٠). وتلك الأفعال بمجملها تشير إلى أنّ عطاءهم، كان مُعدّاً سلفاً في الماضي، وهم في الحياة الدنيا، وجاء في حقائق التأويل، للشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ): ((فإن قال قائل: كيف رَغَبَ تعالى المكلفين في ذكر جنّة ما خلقها، ولا أوجد جملتها. قيل: إنّ ذلك جائز سائغ، لأنّ خلق الجنّة مقدور له تعالى، وهو متمكن منه، وقادر عليه، فمتى شاء أوجدها غير متعذر عليه إيجادها، ولا صعب قيادها، كما رَغِبَهم تعالى في ثواب لم يوجده بعد؛ وحسّن ذلك، لأنّ وعده مُصادق وأمره واقع))^(٢١).

وتظهر آثار البنية اللغوية بين لفظتي: ((شكورا))، و ((مشكورا))، أنّهم قالوا عند إطعامهم الطعام للمسكين،

و اليّتم، والأسير على وفق ما جاء في قول الحقّ: ﴿ إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [سورة الإنسان: ٩]. فهم مستغنون بالله عن شكر الناس وعطائهم، فكان عطاء الحقّ لهم واسعاً في الجنّة، وقول الحقّ: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ٢٢]. جزاءً لعملهم، فمع أنّ لفظتي: ((شكورا)) و ((مشكورا)). ترجعان إلى مادة لغوية واحدة، هي: (شكر)، والشكر ((الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمُنعم))^(٢٢)، فإنّ لفظة ((مشكورا)). يبدو فيها العطاء على نحو أكبر، فزيادة المبنى في العربية يفضي إلى زيادة المعنى، وهذا النهج بدا في السياق الذي يكون على قسمين: سياق المعنى، وسياق اللفظ، وعند اتساقهما، تظهر وحدة السياق^(٢٣). والحقّ - سبحانه وتعالى - في النصّ القرآني، زاد من آلائه عليهم بصور متعددة، ومنها البنية اللغوية بوصفها الأداة الحاملة للمعنى وتلك الأداة تتضمن في جوهرها العطاء،

(٢٠) القرآن وعلم القراءة - مقدمة المترجم -:

١٩.

(٢١) حقائق التأويل: ٥ / ٢٤٨.

(٢٢) الفروق في اللغة: ٣٩.

(٢٣) مَنَّةُ المَنَّانِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ القُرْآنِ: ٢٨.

أنه يومئذ إلى الرؤية البصرية التي تحتاج إلى مفعول به واحد^(٢٤)، وظهر في لفظة (نعيماً) فكان مُشاهدة نعيم الجنة، ومُلكها عياناً.

- الشراب في الجنة:

وعندما نتجه تلقاء أمر آخره علاقة بتلك الجنة، وما أترفوا فيها من نعيمها، ويظهر على الشراب، الذي يختلف عن المُعد في الجنان الأخرى، وعلى النحو الآتي:

١. أن شرابهم ممتزج بالكافور، وقيل أن ماء الكافور اسم عين في الجنة، وماؤها في بياض الكافور، ورائحته وبرده^(٢٥).
٢. إن عين الماء يوجهونها على وفق ما يشتهون، فيقودونها إليهم، والتفجير في الآية، يشير إلى تشقق الأرض بجريان الماء فيها^(٢٦).

٣. لهم شراب ممتزج بالزنجبيل.

٤. هم عين من الشراب تسمى بالسلسبيل.

وهذا الأمر يبين زيادة عطائه لهم. من أجل ذلك يمكن أن تُعدّ البنية اللغوية مظهراً من مظاهر العطاء، الذي كان حاضراً في الآيات الكريمة من سورة الإنسان في أكثر من موضع، وبدا في الأفعال التي تدل على الماضي: ((فوقاهم))، و((لثاقهم))، و((جزاهم)).

بيد أن أهل البيت عليهم السلام وصفت لهم جنتهم، وهم واردون فيها قبل انقطاع التكليف بدلالة القرائن اللفظية، والمعنوية التي تفضي إلى ذلك، أي أن الأفعال التي جاءت بصيغة الماضي؛ إنما تشير إلى أن الجنة التي وعدوا بها متحققة، وأن لهم حضوراً فيها.

وثمة دعوة لرؤية آلاء تلك الجنة بوساطة الفعل الماضي (رأيت) الذي تكرر مرتين في قول الحق:

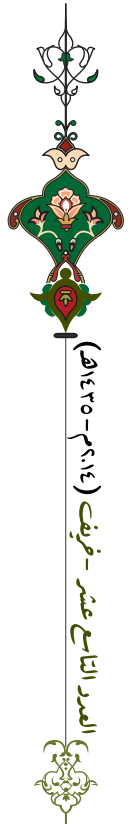
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾

[سورة الإنسان: ٢٠].

فإن (رأيت) الأولى ليس لها مفعول ملفوظ، ولا مقدر، ومعناه أن البصر أينما وقع، سيرى نعيماً وملكاً واسعاً، ويُعزز هذا بـ(رأيت) مرّة أخرى، ويمكن القول



(٢٤) ينظر: مجمع البيان: ١٠ / ١٢٠، وتفسير البضاوي: ٤ / ٣٦٠، ومئة المنان في الدفاع عن القرآن: ١٥٥.
(٢٥) ينظر: الكشف: ٤ / ٥١٤.
(٢٦) مجمع البيان: ١٠ / ١١٧.



تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت..... ﴿الْبَصِيحَ﴾ •

٥. لهم شراب اختصهم الله به في هذه الجنة من دون الجنان الأخرى، فوصفه الحق بالطهور في قوله: ﴿وَسَقَمَهُمْ زُبُومًا شَرَابًا طَهُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢١]. وهذا يتسق مع قول الحق فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. ويرى البيضاوي في تفسيره أنّ وصف الشراب بالطهور ((يريد به نوعا آخر يفوق النوعين المتقدمين؛ ولذلك أسند سقيه إلى الله عزّ وجلّ، ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق، فيتجرد لمطالعة جماله ببقائه باقيا ببقائه، وهي منتهى درجات الصديقين؛ ولذلك ختم بها ثواب الأبرار)) (٢٧).

ومن الجدير بالملاحظة أنّ في الجنة أربع عيون ثلاث منها في سورة الإنسان، فقد جاء في تفسير القرطبي أنّ رسول الله ﷺ قال: ((أربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿يَفْجُرُونَهَا نَفْحًا﴾ والأخرى الزنجيل والأخريان نضاختان من فوق العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾، والأخر بالتسنيم)) (٢٨).

ويُنتفع من هذا أنّها جنة، تحصل على موارد من العيون في حين أن عددا آخر من الجنان، كانت الأنهار المصدر الرئيس لتزود المؤمنين بالماء والشراب منها، كقول الحق:

١- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥].

٢- ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٦].

٣- ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة التوبة: ٧٢].

٤- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [سورة محمد: ١٥].

(٢٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ١٢٥.

(٢٧) تفسير البيضاوي: ٤ / ٣٦١.

ومن المعروف أنّ العيون تُعدُّ مصدراً من مصادر رفا الأناهار بالمياه في الحياة الدنيا، فإما يكون له حضور في العيون أولاً، وبعد ذلك يكون حاضراً في الأناهار، ولعلّ الحقّ - سبحانه وتعالى - يشير إلى أنّ شراب أهل البيت عليهم السلام في جنّتهم في الحياة الآخرة شراب بكر من مصدره من العيون، لأنّ الحقّ خاطب الناس في القرآن الكريم بحسب ما ألفوه وتعارفوا عليه في حياتهم الدنيا، وهذا الأمر لا يقلل من شأن الأناهار في جنّات النعيم، ولا يغفل الفرق بين معطيات الحياتين.

مما تقدّم، يتبين أنّ شراب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في جنّتهم ((يتمزج بالكافور، يشربونه في كأس تغترف من عين تفتجر لهم تفجيراً، في كثرة ووفرة.. وقد كان العرب يمزجون كؤوس الخمر بالكافور حيناً، وبالزنجبيل حيناً زيادة في التلذذ بها... وأنّ في الجنّة شراباً طهوراً ممزوجاً بالكافور على وفرة وسعة. فأما مستوى هذا الشراب، فمفهوم أنه أحلى من شراب الدنيا، وأنّ لذة الشعور به تتضاعف وترقى، ونحن لانملك في هذه الأرض أن

نحدد مستوى ولا نوعاً للذة المتاع هناك. فهي أوصاف للتقريب. يعلم الله أنّ الناس لا يملكون سواها لتصور هذا الغيب المحجوب))^(٢٩). وأنّ تلك الأشربة في جنّة أهل البيت تختلف عن الأشربة الواردة في الآيات الأخرى كقول الحقّ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَاتٍ مِنَ الْمُنْتَفِسُونَ ﴿٣١﴾ وَمَرَاجِعُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة المطففين: ٢٥ - ٢٨]. أو قول الحقّ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الصافات: ٤٥ - ٤٧].

زيادة على ذلك، فإنّ ثمة تنوعاً للفاعلية في تقديم الإشرية لهم، فهم:

أولاً: (يشربون) و (يشربُ بها عبادة الله). فالفاعلية - هنا - ترجع إليهم.

وثانياً: (يُسقون) فإنّ الفاعلية، ينهض بها الولدان المخلدون.

وثالثاً: (سقاؤهم ربّهم) الفاعلية - هنا - مصدرها ربّ العزة - تبارك وتعالى - وذلك النهج لم يرد في القرآن الكريم إلاّ

(٢٩) في ظلال القرآن: ٢٩ / ٣٩٦ - ٣٩٧.



ورغده، على نحو عام، وزيادة في توكيد سمات الجنة، فجاء الحرير مقترنا بها، الذي سيكون له حضور - لاحقاً - في ثياب السندس، وهو الحرير الرقيق، والإستبرق، وهو الحرير السميك^(٣٢)، وقبل الورود إلى نعيمها، استقبلوا بما يليق بهم، وبعد ذلك، تفتح الجنة، فيرى الآلاء التي أسبغها الله عليهم، فكان من أحوالهم الجلوس في الجنة: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ١٣]. فالإستبرق على الأرائك، أي أنهم يجلسون فيها على الأسرة جلوس الملوك ولا يتعرضون لحرارة الشمس وبرودة الجو، وكانت الأشجار ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ [سورة الإنسان: ١٤]. أي أن ظلالها، أو أفياء أشجارها قريبة منهم، ويقال: أن ظلالها لا تنسخها الشمس، وهي بذلك تختلف عن ظلال الدنيا ﴿وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا نِذِيلًا﴾ [سورة الإنسان: ١٤]. فإن ثمارها سُخرت لهم، يأخذون منها متى شاؤوا،

وفي إي حال كانوا قائمين، أو قاعدين، أو مضطجعين^(٣٣) ﴿وَيَطَّافُ عَلَيْهِمِ بُرَائِدٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٌ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ١٥-١٦]، وكانت الآنية والقوارير من فضة، ووردت لفظة (فضة) في القرآن الكريم في ستة مواضع، ثلاثة منها في:

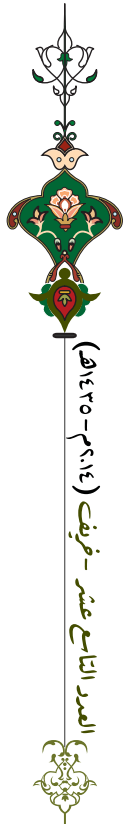
١. قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤].
٢. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ٣٤].
٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣٣].

وهي في تلك الآيات لا علاقة لها بآلاء الجنة، في حين أن المواضع الثلاثة الأخرى للفظ (فضة)، وردت

(٣٢) ينظر: مجمع البيان: ٩ / ١٨٧، والتفسير الكبير: ٣٠ / ٢٣٧، والتفسير المبين: ٧٨٢.

(٣٣) مجمع البيان: ١٠ / ١٢١.





تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت

في [سورة الإنسان: الآيات ١٥، ١٦، ٢١]. وهي تختص بآلاء الرحمن لأهل البيت عليهم السلام في تلك الجنة، ويمكن أن يُقال: أنها جنة، تزخر بالفضة، فالآنية، والقوارير، والأساور كلها من فضة، ﴿بِأَيِّ مَن فِضَّةٍ﴾ [سورة الإنسان: ١٥]، و﴿قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [سورة الإنسان: ١٦]. وزيتهم مع ثياب السندس الخضر، والإستبرق، كانت ﴿أَسَاوِرَ مِّن فِضَّةٍ﴾ [سورة الإنسان: ٢١].

وإذا أردنا الوقوف على ملامح جنة أهل البيت في سورة الإنسان على نحو أوضح، نتوجه تلقاء قوله تعالى من سورة الكهف:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٣١]. فيتبين أن لكل جنة سماتها.

وإذا كانت الجنة في [سورة الإنسان:

٢١]، و[سورة الكهف: ٣١] تتفقان في

عدد من الألفاظ هي: (ثياب، وسندس،

وخضر، وإستبرق، وأساور) ولكن هذا الأمر، لا يغفل الاختلاف في نسق تلك الألفاظ بين الآيتين علاوة على ذلك، الاختلاف في الدلالة الزمنية للأفعال؛ مما وجّه لأن تكون لكل جنة ملامحها، وفضاءاتها التي تميّزها من الأخرى (٣٤)، فالتغيير - بدءاً - برز بين: (عاليهم - يلبسون)، و(ثياب سندس خضر - ثيابا خضراً من سندس)، (وحلوا - يحلون)، و(أساور من فضة - أساور من ذهب).

وقبل دخول أهل بيت النبي عليه السلام الجنة في سورة الإنسان، كانت تعلوهم ثياب السندس الخضر والإستبرق، وزينوا بأساور من فضة كل ذلك أعد لهم من قبل، وهذا ظهر عن طريق صيغة الماضي في حين أن أصحاب الجنة في سورة الكهف، يلبسون فيها الثياب الخضر من السندس والإستبرق، ويزينون بأساور من ذهب كل ذلك وهم في رحاب الجنة. وذلك النهج، بدا في زمن المضارع، الذي يشير إلى الحال والاستقبال، ومادنا

(٣٤) ينظر: جماليات الأداء باللون في القرآن الكريم: ١٠٦.

وافقهم ومنحهم عطاءهم على وفق ما عرفوه في الحياة الدنيا، وكانت الفضة أقصى معرفتهم - في أثناء صيامهم ووفائهم بالندر -؛ فانقل زهدهم، وما عرفوه إلى تلك الجنة. إذ إنَّ عددًا من عطاءات جنة أهل بيت النبي ﷺ وافقت مقتضى حالهم في الحياة الدنيا.

وثمة أمر له علاقة بالأساور في جنتهم، أنها كانت من فضة، ولم تكن من ذهب، أشار إليه محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بقوله: ((ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها من ذهب: قلت: هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لإشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين إمّا على المعاقبة، وإمّا على الجمع؛ كما تزواج نساء الدنيا بين أنواع الحلي، وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سوران: سوار من ذهب، وسوار من فضة!)) (٣٥).

(٣٥) الكشاف: ٤ / ٥١٩ - ٥٢٠، وينظر: تفسير البيضاوي: ٤ / ٣٦٠.

نتحدث عن الزينة التي، كانت (أساور من فضة) وأنها لم تكن من ذهب، مع أن الذهب في معايير الناس أكثر نفاسة من الفضة، وهذا السبيل، يمكن أن يفهم منه الآتي:

١. إنَّ معايير السماء، تختلف عن معايير أهل الأرض، فكان عطاؤهم مخصوصاً بعينه، يتسق مع عملهم في الحياة الدنيا وقت نزول السورة المباركة عندما أوفوا بالندر وأطعموا الطعام للمسكين، واليتيم، والأسير، فكافأهم الحق - تبارك وتعالى - بمصادر من الشراب في الجنة، تتفق وحالهم في الحياة الدنيا، وعلى ذلك، كانت الأساور من الفضة، وليست من الذهب.

٢. إنَّ جنتهم في سورة الإنسان، تختلف عن الجنان الأخرى في آلائها، وهذا الاختلاف سرى على جميع معطياتها، فكانت الفضة واحدة من تلك المعطيات.

٣. إنَّ أصحاب تلك الجنة، هم من الناس الذين جُبلوا على الزهد، وأنَّ الحق،



تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت البصباح

غايات أسلوبية، تبدو في ظاهرها، ولكنها في حقيقة أمرها تعطي دلالات تتفق مع وحدة السياق الذي وردت فيه من أجل ذلك، يمكن القول باختلاف الجنان فيما بينها كل بحسب الآلاء التي ذكرها الحق سبحانه وتعالى.

- النساء والولدان في الجنة:

بحسب أسباب النزول، ثمة امرأتان اثنتان في هذه الجنة، هما السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم ﷺ وخادمتها فضة التي شاركت أهل بيت الرسول ﷺ في النذر والوفاء به، فأصابتها من العطاء ما أصابهم، ولم تذكر السورة المباركة الحور العين، اللائي كان لهن حضور في الجنان الأخرى، إذ يقول مُصنّف تفسير الميزان: ((واعلم أنه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنة في هذه الآيات نساء الجنة من الحور العين، وهي أهم من ما يذكر عند وصف نعيم الجنة في سائر كلامه ويمكن أن يستظهر منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هي (من النساء))^(٣٧) فظهرت الحور العين في

(٣٧) الميزان: ٢٠ / ١٤٣.

وأخذ بهذا الرأي مُصنّف صفوة التفاسير، بيد أنه زاد عليه قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [سورة فاطر: ٣٣]. فرأى ((أنهم تارة يلبسون الذهب فقط، وتارة يلبسون الفضة، وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب ما يشتهون، ويمكن أن يجمع في يد أحدهم أسورة الذهب والفضة واللؤلؤ))^(٣٦).

ومع أن الزمخشري، وغيره يأخذ بسبب نزول الآيات في حق أهل البيت، ولكنه لم يلتفت إلى أن هذه الجنة بالآلها كافة امتياز اختص به الله عباده لمنجز فعلوه، فنالوا به عطاءً محدد المعالم والفضاءات، فليس ثمة مسوغ لتقدير شيء، لم يكن له حضور في الآية الكريمة، كأن تكون لفضة (ذهب) أو غيرها، مادامت الآية لم تصرح بذلك، فلا مجال للتأويل، والزيادة، لأن الجنة -هنا- مخصوصة بعينها، تختلف عن الجنان الأخرى. علاوة على ذلك فإن تكرار عدد من الألفاظ في القرآن الكريم، يفضي إلى

(٣٦) صفوة التفاسير: ٣ / ١٦٢٤.

الجنان الأخرى من دون الجنة في سورة الإنسان، فكأن في قول الحق:

١- ﴿كَذَلِكَ زَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الدخان: ٥٤].

٢- ﴿مُتَكِينٍ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الطور: ٢٠].

٣- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢].

٤- ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [سورة الواقعة: ٢٢-٢٣].

وعلى هذا لم يكن للهور العين حضور في جنة أهل البيت عليهم السلام ويجعل مصنف روح المعاني من ذلك دليلاً على نزولها فيهم عندما يقول: ((ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم، يعني أهل البيت، أنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين، وإنما صرح عز وجل بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول وقرّة عين الرسول)) (٣٨). وقد صرحت بذلك الآية الكريمة من سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا﴾ [سورة الإنسان: ١٩].

(٣٨) المصدر نفسه: ٢٠ / ١٤٣ - ١٤٤.

عندما اتجهت إلى ذكر فئة محددة، في تلك الجنة، نهضت بخدمة أهل بيت النبي عليهم السلام سمّتهم الولدان المخلدون، الذين كانوا ((من الصفاء، وحسن المنظر، والكثرة، فذكر لونهم، وكثرتهم، وقيل: إنما شبههم بالمشور، لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم)) (٣٩). ويمكن ملاحظة دلالة الفعل (ويطوف) الذي يشير إلى استمرار الحركة، وهذا يعني أنّ الذين يقومون بالخدمة في سعي دائم، وحركة مستمرة، لا يصيبها الفتور من أجل انجاز ما أوكل إليهم رب العزة في خدمة أهل البيت النبي عليهم السلام الذين جزاهم الحق أفضل الجزاء، وشكر لهم سعيهم، وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٢].

ومن العطاءات الأخرى، التي ذكرها الحق في سورة الإنسان لأهل البيت عليهم السلام - ومن اتبع سبيلهم، الخدمة التي، نهض بها خلق، لم تصرح الآية بذكرهم: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مِّن فِضْوَىٰ وَكُؤُوبٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [سورة

(٣٩) مجمع البيان: ١٠ / ١٢١.



تأملات في سورة الإنسان وخصوصية اهل البيت البصباح

والمُكْرَمِينَ. وكانت الآيات الكريمة ترصد المنجز في الحياة الدنيا، والعطاء في الحياة الآخرة، ويتوحد المنجز والعطاء، ليظهر في صياغات جمالية، تدعو المتلقي إلى أن يَعِيَ مفردات الآيات، ويتأملها ملياً؛ لأنها تتبغى إيصال رسالة كونية مجملها، أنّ نهج أهل بيت النبوة ﷺ منار للراغبين إلى ربهم يهتدون به أنّى شأواً، وأنّ الحقّ قدّم أنموذجاً لبيوتات الأنبياء ﷺ وأخلاقهم، فكانت جنة أهل بيت محمد ﷺ في سورة الإنسان التي كشف البحث عن بعض من ملامحها، ويمكن إيجاز تلك الملامح على النحو الآتي:

أولاً: إنّ عملهم - بدءاً - محطّ بالجنة، وظهر هذا في السبيل الذي عُرِضت فيه الآيات المباركة، عندما تم بيان حالهم في الجنة في آيتين كريمتين، ثمّ ذمّ عملهم في الحياة الدنيا في أربع آيات، وكان سبباً في نيل العطاء، وبعد ذلك تمت العودة إلى بيان حالهم في الجنة في اثنتي عشرة آية، وعلى هذا، فإنّ عملهم، لا يخرج عن نطاق تلك الجنة ذات الصفات المخصوصة بعينها.

الإنسان: ١٥]. وقد يكون هذا السبيل زيادة في التشويق، والعطاء عندما، لم يتم بيان الذي، يقوم بخدمتهم، وكان هذا عن طريق بناء الفعل (يُطافُ) للمجهول، وحذف فاعله، وفي اللغة يُحذف الفاعل لعدد من الأمور، منها: تعظيمه، أو إبهامه على السامع (٤٠).

الخاتمة:

مما تقدم، ظهرت بعض من منزلة أهل البيت ﷺ في القرآن الكريم، وعلى نحو خاص في سورة الإنسان، وبدا أنّ الأسلوب الذي عُرِضت فيه الآيات المباركة، يتخطى آفاق الزمان الدنيوي ليصب في آفاق الزمان الأخروي السرمدي، وتتداخل الأزمنة بعضها مع بعض، لتشير إلى حتمية الجنة التي رزقوها، مع أنّ المكلفين - أهل البيت ﷺ - أحياء يرزقون، وقت نزول الآيات المباركة، عندما صيغت الكثير من آلائها بصيغة الماضي، وهذا عطاء لا يدانيه عطاء، حصل عليه مؤمن في الحياتين، فكانت جنتهم تشاهد عياناً، وذلك مستهل الإكرام، (٤٠) ينظر: علل النحو: ٢١٦-٢١٧.

ثانياً: وسَمِّهِمُ الْحَقُّ - تبارك وتعالى - بِسِمَاتِ الْأَبْرَارِ، وعبادُ الله، والوفاء بالنذر، والخوف من الله ومن أهوال يوم القيامة، وإطعام الطعام قربة لله للمسكين واليتيم والأسير، والإيثار، والصبر؛ من أجل ذلك كان جزاؤهم الجنة.

ثالثاً: ثمة صلة بين سبب نزول الآيات المباركة من جهة، ونوع العطاء في الجنة من جهة أخرى. أي حال أهل البيت (عليهم السلام) وهم صائمون، من المعروف أنّ الصائم - في الحياة الدنيا - لحظة الإفطار، يحتاج إلى ما يسدُّ ظمأه من ماءٍ وشرابٍ، ويزاد على ذلك، أنهم أمضوا ثلاثة أيامٍ بلباليها، لا يفطرون إلا على الماء، ومن أجل هذا، كان نوع العطاء في الجنة الذي استُهل برصيد وافر من الشراب.

رابعاً: تبين أنّ الجنة في سورة الإنسان المباركة، جنة عيون، وظهر في قول الحقّ: ﴿يَفْجُرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ و ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ و ﴿مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ و ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾.

إذ إنّ ثلاثة أرباع عيون الجنان، تكمن في هذه الجنة، من أجل هذا، كان عطاؤهم

في الجنة رصيلاً كبيراً من الشراب في السورة الكريمة في مستهل الآيات الكريمة، بدءاً من الفعل (يشربون).

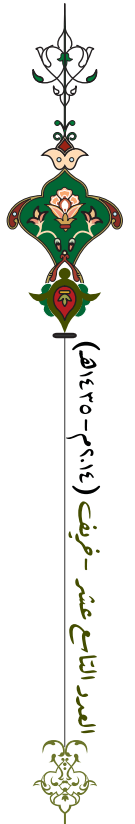
خامساً: تنوع السقاية، فقد كانوا يشربون بأنفسهم، ثم يسقيهم الولدان المخلدون، وفي آخر المطاف سقاهاهم الحقّ في قوله: ﴿وَسَقَّيْنَاهُمْ مِنْ شَرَابٍ طَهُورًا﴾ وهذا منتهى العطاء.

سادساً: ثمة اتساق في البناء اللغوي، كشف عن تداخل عمل الدارين: (الأولى، والآخرة)، وظهر هذا الاتساق في الأفعال التي تشير إلى الآء الجنة - بدءاً - من قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وظهر في الأفعال:

(يشربون، ويشرب، ويفجرونها) وتستمر الأفعال المضارعة، لتبين عملهم في الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعَمُونَ أَلْفًا مِنْ حَبِّ حَبَّةٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾. وظهر في الأفعال:





تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت

البصباح

مُعدّاً سلفاً في الماضي، وهم في الحياة الدنيا.

سابعاً: امتد عطاء الحق إليهم، عندما كافأهم بالبنية اللفظية جزاءً لعملهم، فمع أنّ لفظتي: ((شُكُورا))، و((مَشُكُورا)). ترجعان إلى مادة لغوية واحدة، هي: (شكر)، فإنّ لفظة: ((مَشُكُورا)). يبدو فيها العطاء على نحو أكبر، فزيادة المبنى في العربية يفضي إلى زيادة المعنى، من أجل ذلك، زاد من آلائه عليهم بصور متعددة، ومنها البنية اللغوية بوصفها الأداة الحاملة للمعنى، وتلك الأداة تتضمن في جوهرها العطاء، وهذا الأمر يبينّ زيادة عطاءهم. من أجل ذلك يمكن أن تُعدّ البنية اللغوية مظهراً من مظاهر العطاء، الذي كان حاضراً في الآيات الكريمة من سورة الإنسان في أكثر من موضع. ثامناً: لم يقترن الحرير بالجنان إلاّ بالجنة في سورة الإنسان، وهذا السبيل، يشير إلى أنّها جنة متفرّدة بآلائها.

تاسعاً: لم يقترن النعيم بالملك إلاّ في هذه الجنة من دون سائر الجنان الأخرى، فهي جنة نعيم ومُلكٍ كبيرٍ مما يشير إلى

(يوفون، ويخافون، ويطعمون، ونطعمكم ولا نريد، ونخاف). ثم تنتقل دلالة الأفعال إلى الماضي، فيكون الأمر عوداً على بدء، أي الرجوع إلى التفصيل في ذكر عطاءات الجنة، وهنا تكمن دلالة التغير في الأزمنة، في أنّ بنيتين، حددتا الزمان النحوي للملامح الجنة، وهما (المضارع، والماضي)، وعلى النحو الآتي:

١. المضارع: وجاء يدلّ على زمنين، هما:
أ. المستقبل، وكان في الآيتين: (٥، ٦) وهاتان الآيتان المباركتان، تشيران إلى نوعين من أنواع الشراب في الجنة.
ب. الحاضر، وكان في الآيات: (٧ - ١٠) وتلك الآيات تعبر عن حال أهل بيت النبي ﷺ وعملهم في الحياة الدنيا.

٢. الماضي، وكان في الآيات: (١١ - ٢٢) ويظهر النعيم المُعد لهم من قبل، وفي تلك الآيات يكمن الفوز والعطاء الأكبر، فكان في الأفعال: (فوقاهم، ولقّاهم، وجزّاهم، ودلّلت، وحلّوا، وسقاهم). وتلك الأفعال بمجملها، تشير إلى أنّ عطاءهم، كان

ضمن عدد من الجنان، نالوا آلائها، وهذا ما كشف البحث عنه.

روافد البحث:

القرآن الكريم.

١. أسباب النزول في ضوء روايات أهل

البيت عليه السلام: مجيب جواد الرفيعي، ط ١،

قم - إيران ١٤٢١ هـ.

٢. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن

عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس،

١٩٨٤ م.

٣. تفسير البيضاوي: البيضاوي، عبدالله

بن عمر بن محمد (ت ٦٨٥ هـ)، ط ١،

مؤسسة الأعلمي، بيروت، - لبنان،

١٩٩٠ م.

٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر

بن الحسين الشافعي (ت ٦٠٦ هـ)،

تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة

التوفيقية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣ م.

٥. التفسير المبين: محمد جواد مغنية، ط ٢،

مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

٦. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي،

محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ)،

سعة عطاء المكرمين، ولم يرد هذا الاقتران إلا في سورة الإنسان.

عاشرا: ظهر في أثناء الآيات

الكريمة من سورة الإنسان، أن أهل

البيت عليه السلام نالوا أكثر من جنّة، وهذا

الأمر بدا عندما وصفهم الحقُّ بالأبرار،

وقد وردت لفظة الأبرار ست مرات في

القرآن الكريم، عدد منها يشير إلى تنوع

الجنان التي ينالها الأبرار، وبوصف

القرآن الكريم منظومة معرفية متكاملة،

يبين بعضه بعضا، يمكن الكشف عن

جنان أخرى نالوا آلاءها، ظهرت عندما

وصِفُوا بالخوف من الله في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴾ [سورة

الإنسان: ١٠]. وقد قال الحقُّ في سورة

الرحمن: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾

[سورة الرحمن: ٤٦].

من أجل ذلك، يمكن القول أن

جنّة أهل البيت عليه السلام الوارد ذكرها في

سورة الإنسان المباركة، اتسمت بملامح

خاصّة، وتلك الملامح ميّزتها من الجنان

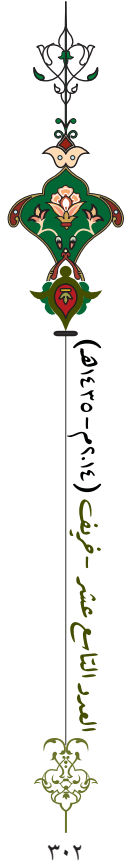
الأخرى التي ذكرها الحقُّ -تبارك

وتعالى- في القرآن الكريم، وأنها جنّة من

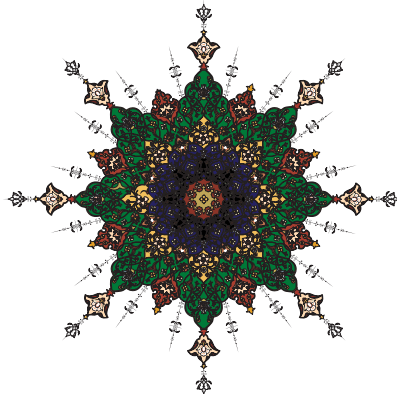


تأملات في سورة الإنسان وخصوصية أهل البيت **التصنيف**

١٢. عجائب القرآن: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م.
١٣. علل النحو: ابن الوراق، محمد بن عبد الله (ت ٣٨١هـ) تحقيق: د. محمود جاسم الدرويش، بيت الحكمة، بغداد - العراق، ٢٠٠٢م.
١٤. الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ١٩٧٩م.
١٥. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط ٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٧١م.
١٦. القرآن وعلم القراءة: جاك بيرك، ترجمة: د. منذر عياشي، ط ١، دار التنوير، بيروت - لبنان، ١٩٩٦م.
١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، شرح وضبط: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، الفجالة، مصر.
٧. جماليات الأداء باللون في القرآن الكريم: د. نوري كاظم، مجلة كلية التربية للبنات، مجلد ٢٠ (١)، ٢٠٠٩م.
٨. حقائق التأويل في متشابه التنزيل: السيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، شرح: محمد الرضا آل كاشف الغطاء، ط ١، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م.
٩. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
١٠. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم: الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٩٧٤م.
١١. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.



١٨. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أمين الإسلام الفضل بن الحسن (ت ٥٨٤ هـ)، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨ م.
١٩. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط ٦، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م.
٢٠. مفهوم الشعر عند السجلماسي: د. نوري كاظم امنسف علي، اطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية كلية
- التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ٢٠٠١ م.
٢١. مئة المئان في الدفاع عن القرآن: السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر، ط ١، طليعة النور، النجف الأشرف - العراق، ١٤٢٥ هـ.
٢٢. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢ م.
٢٣. نهج البلاغة: تحقيق: د. صبحي الصالح، ط ٢، انتشارات أنوار الهدى، إيران، ١٤٢٤ هـ.





وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ
وَمَا يَخْتَارُ
إِلَّا السَّاجِدِينَ
الْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ
قَامُوا
مَعَهُ
وَاللَّهُ
يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ
وَمَا يَخْتَارُ
إِلَّا السَّاجِدِينَ
الْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ
قَامُوا
مَعَهُ

٥٣١٥
٥١٤٢٥

جمال الجرس القرآني

د. تحسين فاضل عباس
جامعة الكوفة - كلية الآداب

فحوى البحث

يثبت البحث ان النص القرآني حقق اقصى درجات الجمال الصوتي في جودة السبك والتناسق في الايقاع الموسيقي الناشئ من تخير الالفاظ ونظمها في نسق خاص. وقد جاء البحث ضمن ثلاثة مباحث هي:

١. مفهوم الجمال والجرس في اللغة والاصطلاح.
٢. الاداء الصوتي في التعبير القرآني.
٣. الفاصلة، مكوناتها وعلاقتها بالاصوات.

واختتم باهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

المقدمة:

الجمال: أمر يؤدي إلى الفحص والتأمل، ويبعث عنصر التفكير والتأويل لعناصر هذا الجمال، فهو حالة استكشافية لماهيته ليبرز عندنا مواطن الذوق والحس المرهف والفهم، وهو الفاصل بين الحسن والقبح، والجيد والرديء، ليفجر عند المتلقي طاقاته الكامنة ويسبر أغواره ليخرج الدرر من أعماقه، فإذا به يبعث البهاء والبهجة عنده من خلال منظومة تفاعلية بين الطرفين - المؤثر والمؤثر فيه - ينسجها التوافق والاتساق بين أطراف العنصر الجمالي، حتى يجعل المتلقي عنصرا فاعلا في عالم الإبداع والتلاحم والسبك الجيد، ليؤثر في عاطفته وإحساسه، ويجذبه إليه، ليعيش الجمال بعناصره تلك في كل زمان ومكان.

والفن القرآني حقق عنصر الجمال من ناحية تأثيره العاطفي والنفسي في المتذوق والمتلقي أيما تأثير وتحريكه إياه لمواطن الذوق والاستخراج لمبنى الصورة الجمالية ومعناها، على وفق قدراته، بل يجعله يرتقي أكثر فأكثر في سلم النقد الأدبي الإبداعي

لوجود الشراء في تلك الصورة.

لقد نزل القرآن بلسان العرب، والعرب أمة شفهية تعتمد على السمع لا على النظر في إثبات المعلومة، لذا اهتموا بالشعر لأن حفظه أسهل من النثر، حتى وصفت بأنها أمة شاعرة، والنثر دخله السجع للغاية نفسها، لوجود الإيقاع والموسيقى فيهما، فكانوا على قدر عالٍ من الخبرة والمهارة في التوافق الصوتي للمفردات.

المبحث الأول:

مفهوم الجمال والجرس في اللغة

والاصطلاح:

يبقى للذوق والفهم والإدراك أهميته في تحديد مواطن الجمال، فقد سئل النبي ﷺ: ((فيم الجمال؟). فقال: في اللسان، يريد البيان))^(١)، والبيان ((اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى))^(٢).

ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أن اللفظ العالي يرد إلى

(١) العمدة: ١ / ٣٨٢.

(٢) البيان والتبيين: ١ / ٧٦.

بنظام^(٦)، ويقصد به الكلمة الانجليزية (Noise) فهو ((أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على الخشب أو الطبلية، وكالاصطدام وضجيج حركة المرور وما يسمع نتيجة سقوط جسم على آخر وحك جسم بجسم وهلم جرا))^(٧).

ويكمن جمال الجرس في اللفظة المفردة من تجنب ما ثقل، ولا يجمعون بين حرفين من مخرج واحد أو مخرجين متساويين، وإذا اجتمعا حصل الإدغام، والتنافر في المخارج الصوتية سببه البعد والقرب الشديدين في مخارج الحروف في التأليف، وخفة الحركات وثقلها، وطول اللفظة وقصرها. أما الجمال الصوتي في الألفاظ المركبة فيحصل في الملاءمة للمعاني التي تليها، و البعد عن الوحشي والغرابية، والاتصاف بالجزالة والسلاسة^(٨).

لقد حقق النص القرآني أقصى درجات الجمال الصوتي في جودة السبك، والتناسق

جرس الحرف وصوته من حيث أنه ((حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخَلُوبٌ رائع، فاعلم أنه ليس ينبتكَ عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضلٍ يقتدحه العقل من زِناده))^(٩)، وهذا لا يكفي فعلاقة ((الجرس بحقيقة الجمال لا تذكر في حسن الصوت فحسب، وإنما فيما يثيره هذا الصوت المسموع من انفعال ذاتي للإنسان؛ لأن أثر الكلمة الملفوظة لا يتحدد في إثارة حاسة السمع، وإنما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان أيضا))^(٤).

والصوت مظهر الانفعال النفسي، الذي هو سبب في تنويع الصوت بحسب الحالة النفسية لمنتج النص، فيخرج الصوت مداً أو لينا أو شدة، وما إلى ذلك مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى^(٥).

ولفظة الجرس تعني الصوت المقطع

(٦) ينظر: فن القول: ٢٠٣.

(٧) مناهج البحث في اللغة: ٥٩.

(٨) ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها: ١٤٦ فما

بعدها: ١٥٧ فما بعدها: ١٦٢ فما بعدها:

١٩٠ فما بعدها.

(٩) أسرار البلاغة: ١٥.

(٤) جرس الألفاظ ودلالاتها: ٣١٠.

(٥) ينظر: تاريخ آداب العرب: ٢ / ٢٢٦.



جمال الجرس القرآني

المصباح

بين الأجراس و((الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص. ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن، وعميقة كل العمق في بنائه الفني، فإن حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري؛ ولم يرتقِ إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق))^(٩)، فالحرف ((الواحد من القرآن معجز في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة؛ وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أدياً))^(١٠).

صرح القرآن الكريم بأنه نزل بلسان العرب، ولكنه انفرد بأسلوب جديد ((لأنه ليس وضعاً إنسانياً البتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة إنسان ليثبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم))^(١١)، فأوا ((جنساً

من الكلام غير ما تؤديه طباعهم))^(١٢)، فجاء القرآن الكريم بفن جديد فلا ينطبق عليه حد الشعر المتمثل بالقافية، فجاء بالفاصلة القرآنية، ذات الأسلوب المتحرر من هذا القيد، الموافقة للدلالة والسياق ليعطي نظماً متألماً بين المبنى والمعنى، فحقق الجمال والكمال وحقق التأثير، وملك قلوب العرب وعقولهم، ونقل عقائدهم من حال إلى حال، كاستماع عمر بن الخطاب لسورة طه، أو عتبة بن ربيعة، وغيرهما.

ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الإنساني فكان إدراكه للجمال والحسن في تخاطبته وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته فيلهج كل إنسان بالحسن من المرئي والمسموع بمقتضى الفطرة، والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة في الصفات والمخارج.

والتناسب في الكيفيات أو الصفات الصوتية هو تلاؤم يوجب لها الحسن،
(١٢) م. ن.

(٩) التصوير الفني في القرآن: ٧٢.

(١٠) تاريخ آداب العرب: ٢ / ٢٢١.

(١١) م. ن: ٢ / ٢١٢.

وينبغي أن لا يخرج من الصوت إلى مدة دفعة بل يتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا. وتناسبها في الأجزاء فيخرج من الصوت إلى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب التناسب^(١٣).

والقرآن الكريم نص لغوي يمثل نصاً محورياً في تاريخ الثقافة العربية، والنص بمفرده لا ينشئ حضارة ولا يقيم ثقافة. إن الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النص من جهة أخرى.

وللقرآن في حضارتنا أثر ثقافي لا يمكن تجاهله في تشكيل ملامح هذه الحضارة. وإذا صح لنا أن نخترل الحضارة ببعد واحد لصح أن نقول إن الحضارة المصرية القديمة هي حضارة (ما بعد الموت)، وأن الحضارة اليونانية هي حضارة (العقل)، أما الحضارة العربية الإسلامية فهي حضارة (النص). إن البحث في مفهوم النص يكمن في ماهية (القرآن) وطبيعته بوصفه نصاً لغوياً. فهو كتاب العربية الأكبر، وأثره الأدبي^(١٣) ينظر: تاريخ ابن خلدون: ١ / ٥٣٤.

الخالد، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس^(١٤).

وقف العربي أمام القرآن الكريم يحمل خصالاً متعددة منها الحيرة، والتعجب من نظمه، والتذوق لأسلوبه، والعجز، بعدما تحداهم بأن يأتوا بمثله وهم أساطين البلاغة، الذين عرفوا بذلاقة اللسان وحسن البيان وروعته، حتى أن الوليد بن المغيرة بعد سماعه قوله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، قال مقولته المشهورة: ((والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق^(١٥)، وإنه يعلو وما يعلو))^(١٦).

(١٤) ينظر: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: ٩ - ١٠.

(١٥) أغدق المطر: كثر قطره، وأسفله أول ما يكون منه، وأعلاه ما ينتهي إليه منه، والمراد أن بدايته يتبعها كثير. ينظر: لسان العرب (غدق).

(١٦) مناهل العرفان: ١ / ١٥٠.



المبحث الثاني:

الأداء الصوتي في التعبير القرآني:

إنّ دراسة القرآن الكريم دراسةً صوتيةً لها جانب البداية والأولية في دراسة الإعجاز القرآني، فاللغة عند العرب أصوات فهي المادة الأولية في نشوء أي نتاج كلامي وتركيب. والصوت والدلالة يجتمعان في تخطيط المنهج واتجاه النص، بحسب ذكاء المبدع أو المنشئ له.

إنّ جمال القرآن اللغوي يتمثل في رصف حروفه، وترتيب كلماته، الجامعة بين اللين والشدّة، والخشونة والرقّة، والجره والخفية، على وجه دقيق محكم، وُضع كل من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه، بميزان حتى تألف من المجموع أساليب تعبير امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة، برقة الحضارة من غير ميوعة. ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى القرآن^(١٧).

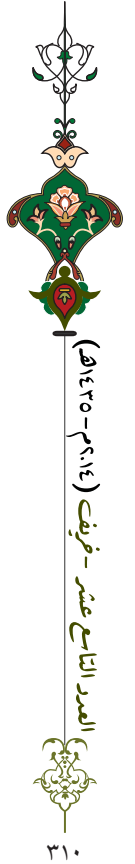
ففي قوله سبحانه تعالى: ﴿يَوْمَ

(١٧) ينظر: م.ن: ٢ / ٢٢٥.

تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا

مَهِيلاً ﴿[سورة المزل: ١٤]، سوف نحسّ صورة للهول واضحة في الآية، ولكن بأية أدوات عبر عنها، فلو أدخلنا الأدوات هذه (الأصوات) في مختبر تحليلي نجد الفعل (تَرْجُفُ) مكونا من صوت انفجاري(التاء)، و(الراء) الذي وصف بالتكرار، أي له الإمكانية في تكرار الحدث، و (الجيم) الصوت المجهور والانفجاري، الذي يضاعف فيه قوة الصوت وشدته، مشفوعاً بخاتمة (الفاء) الصوت الاحتكاكي المسموع، فحقق موازنة وانتقالا من الشدة إلى الرخاوة، أو الإظهار والانتشار عن طريقه. إذ عدّه بعض القدماء من أصوات التفشي، أي إن الفاء قد حقق نشراً للصورة المرعبة.

فنجد صورة مخيفة نبعت من ينباع صوتية حققت لها ما تريد إثباته للمتلقي، ومن الممكن التجديد لها من خلال الصيغة الفعلية (ترجف)، ومَنْ الذي يرتجف؟. إنها صورة عظيمة في ثبات الأرض والجبال، ثم هذا الطود الشامخ (الجل) أصبح (مهياً) وهو ((الذي لا يثبت مكانه



حتى ينهال فيسقط... وشبهه بالرمل في كثرته))^(١٨) ثم تتأمل في العلو والانخفاض في الرفع من صورة الجبال الشاخحة إلى أن أصبحت (مهياً) فعبّر عن صورة الذوبان هذه بالميم الصوت الشفوي المجهور الذي له علو صوتي، ثم الهاء الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس: فنلاحظ الانتقال والانسجام في المخارج الصوتية، ثم أنّ الهاء صوت (مهتوت) لضعفه وخفائه ثم تبعه الياء الذي يشاركه بالخفية (لاتساع المخرج الصوتي فيهما).

فالظاهر تحقق أمرين: الأول: أن الهاء والياء أسهمت في وضوح الصورة النازلة و كأن الجبل الشامخ وقع في منخفض سريع. الثاني: احتواء هذه الصورة السريعة من خلاهما؛ فمن الملاحظ أن القرآن الكريم يستعمل الأصوات التي تنسجم مع المعنى المعين، فكان تلك الأصوات أصبحت عاملاً مساعداً في إضفاء جو مقصود من نوع خاص، من حزن أو سعادة أو انشراح أو ضيق أو عذاب أو فوز، وما إلى ذلك، الذي ينبع من صفة الصوت ومن ثم يصب (١٨) لسان العرب (هيل).

في خدمة المعنى، نحو قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝١٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [سورة طه: ٢٥ - ٢٦]، وبالإحصاء الرقمي في الأصوات الموجودة في الآيتين نجد أن أكثر الأصوات المكررة والمستعملة هي الراء (وردت خمس مرات)، ثم الصائت الطويل (الياء) أو صوت المد (ورد أربع مرات).

فنجد مقام الآيتين مقام الطلب من المخلوق إلى الخالق وغايته يريد المتكلم تحقيق طلبه والاستجابة له، فبأي أدوات عبّر عنها، نجد سيادة استعمال الراء فيها، الذي تحس عند النطق به وجود التضعيف فكان هذا الصوت كان أداة لِكُنْهُ الإلحاح في طلبه، ثم صوت المد الذي يعطي كبر مساحة صوتية في الطول المعبر عن ذلك الطلب، فالطلب كبير يحتاج إلى وعاء كبير فالمناسب له هو صوت المد بإعطائه فسحة زمانية.

ونجد كذلك في تكرار (الراء) بإضفاء جو معين في قوله سبحانه ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ



تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [سورة آل عمران: ٢٧]، فجمعت الآية في الأضداد: الليل والنهار، الحى والميت، وتحول الضد من شيء إلى آخر أمر ليس بالسهل فهو عمل كبير، فالآية تعطي دلائل على عظمة الخالق وقدرته على فعل الصعب في أي وقت يشاء بدوران الأرض حول الشمس، ثم تعدد الفصول و يتغير الليل والنهار في طولها، ومن قدرته العجيبة خروج الشجرة من النواة، أو خروج النواة من الشجرة.

تلك عملية مستمرة عبر عنها الله تبارك وتعالى بتكرار لفظة (تولج)، و(تخرج) في الآية أربع مرات، فضلاً عن شيوخ (صوت الرءاء) في أغلب المقاطع الذي يتصف بالتكرار، وبالضربات المتلاحقة، وبحسب ذلك تحقق الانسجام بين الأدوات الصوتية وجو الآية.

ويستعمل القرآن الكريم صوت (الكاف) الشديد أو الانفجاري في توافق بين الصوت والمعنى العام للنص كقوله سبحانه على لسان النبي موسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّاكُمْ

ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِإِتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلِ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ [سورة البقرة: ٥٤]، المقام مقام تأنيب من النبي لقومه بعبادتهم الوثن (العجل)، وفيه ظلم لأنفسهم من فعلهم وفيه إيحاء إلى عظم جرمهم هذا: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ وفيه دعوة إلى قتل من ارتد عن دينه إلى عبادة العجل من قبل من بقي على الإيمان.

ومن ثمَّ إضفاء النعمة على بني إسرائيل بعد القتل الذي وصل إلى سبعين ألفاً، وهي نعمة الصفح عن جرمهم: ﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩).

ف نجد جو الآية مشحون بالتوتر وتفرعاته من تأنيب وغلظة وقتل ومن ثم توبة، فنلاحظ شيوخ (الكاف) في الآية وما له من ثقل الحدث وعظم الجريمة، بإحداثه رنة إيقاعية قوية تهز النفس، لتبين واقع تلك النفوس.

وكذلك نجد الأصوات الحادة

(١٩) ينظر: تفسير الطبري: ١ / ٣٢٥ تفسير ابن كثير: ١ / ١٣٥، التفسير المبين: ١٤.

في إيقاعها تحوي الجو العام الشديد والقوي، فتصير وعاءً له، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ أثنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنبِضْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ط فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ط وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ وَالسَّلَوى ط كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٠]،

فقد تكرر صوتا (السين) في الآية ثمانى مرات، و(الميم) ثمانى عشرة مرة، وهيمنة وجودهما جاء ليعبرا عن جلال الأمور وعظمتها الموصوفة من تفريق بني إسرائيل إلى قبائل شتى، وانفجار الماء من الحجر، وجعل السحاب يقيهم من حر الشمس، وثقل نعم الله على هؤلاء القوم، فالسين صوت صفيري، أي فيه حدة، تنتج من الاحتكاك الشديد فجاء علو صوت (السين) في الحدة لينسجم مع إظهار المعنى الكبير بعظمة تلك الأمور الدالة على قدرة الله تعالى، والميم الذي

يتصف بالارتفاع الصوتي بسبب جهره، والوقفة غير الانفجارية لأنه يصحبه مرور الهواء من الأنف، فأدى الصوتان وظيفتهما خدمة للمعنى الشامل.

وفي قوله عز من قال: ﴿قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبئس الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران: ١٢] فالآية بمثابة شن حملة قوية على الكفار فعبا لهذه الحملة أدوات تتناغم مع كبر الحدث، وهي الهزيمة التي تنتظرهم، ومسكنهم المكان المخيف (جهنم)، وبئس القرار والمهاد، فالأدوات الصوتية ومعنى الآية صرختان منسجمتان كل منهما يقوي الآخر ليعطوا وصفاً مناسباً.

إن في الآية أكثر من نعمة خوف جاءت متلبسة بأصوات متوافقة معها، تبدأ ب(قل) المكونة من القاف واللام، فالأول يحمل صفة الشدة والانفجار بسبب الانحباس الحاصل، ثم دُعِم من اللام الصوت المجهور الذي يقوم باهتزاز الوترين الصوتيين فيؤدي صوتاً واضحاً عالياً أو الذي يمنع النفس من الجريان به، فاجتماع هذين الصوتين بهذه الصفات



جمال الجرس القرآني المصباح

الغليظة إنما هو بداية لدخول معنى شديد وغلظ.

فلاحظ علو رنين الأحداث الانفجارية من استعمال القاف مرة، والتاء مرتين، والكاف مرة، والهمزة مرتين، والجيم مرة، والذال مرة، والباء مرتين، ثم ختم الله سبحانه هذه الغلظة بلفظة (بئس) المتكونة من صوتين شديدين، والثالث المتمثل بالحدة. ثم اختار لهذا العالم أعلى الأصوات وضوحاً للمعنى وهي الصوائت الطويلة:- ياء مرة، واو ثلاث مرات، والألف مرة، فضلاً عن الصوائت القصيرة.

ونجد في السور القرآنية الخاصة بتصوير يوم القيامة، اختيار الأصوات القوية والانفجارية والصفيرية من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝﴾ [سورة

الزلزلة: ١ - ٦].

فعند قراءتك لهذه المقاطع تجد أنك

تهتز لاهتزاز الحدث العظيم وتضطرب لاضطراب الكوكب الذي سوف يتحول إلى كيان اهتزازي غير مستقر بعد أن كان الاستقرار صفة ملازمة له، على مر السنين الطوال. فكيف تأثرت بالصورة؟ وما الرابط الذي مدّ جسور التواصل العاطفي والفكري بينك وبين هذه الجمل؟ إنه الجرس (الصوت)، فهو آلة اللفظ وبه تتألف الجملة فهو المادة الخام لتكوين الكلام والقول ((والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً وكلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت))^(٢٠)، لذلك من يريد معرفة الإعجاز وكنه القرآن عليه الوقوف أولاً عند الصوت فالقرآن الكريم ((وجّه اهتمام العرب - منذ وقت مبكر - ولفت نظرهم إلى ضرورة الإفادة من الزخم الصوتي في اللغة العربية وهو يستهل بعض السور القرآنية بجملة محددة من الحروف الهجائية))^(٢١).

(٢٠) البيان والتبيين: ١ / ٧٩.

(٢١) الصوت اللغوي في القرآن: ٨٣.

إنَّ الانسجام والتوافق قائم بين العربية والقرآن، فالعربية في طبيعتها تقوم على التوازن ((في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات))^(٢٢)، والقرآن الكريم قام على هذا الانسجام والتجانس في الأصوات، وأول إشارة له (ألم) بدءاً من أقصى الحلق المتمثل في (الهمزة)، ووسط الحلق (اللام)، والنهية في الشفتين (الميم).

فسورة الزلزلة أنموذج من نماذج التوافق بين الأصوات والمعنى. وكانت البداية ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ إيذاناً لما بعدها من تصوير مخيف ومروع ليوم القيامة. وعند تحليلنا للأصوات الأكثر ظهوراً وبروزاً في تلك الآية اللام (٥ مرات)، والزاي (٤مرات)، فاللام ((صوت شديد جرى فيه الصوت

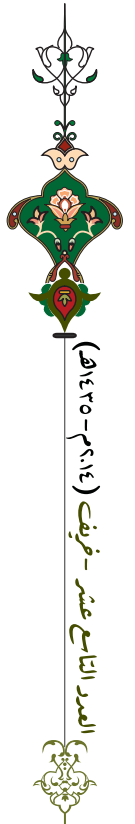
لانحراف اللسان مع الصوت))^(٢٣). فهو صوت اختص بـ(الانحراف) للاستعداد بالنطق بالصوت الذي يليه. وبعده (الزاي) في (زلزل) وكأن الزاي يطلب اللام، واللام يطلب الزاي في اتحادهما في الشدة والجر، ويعضد ذلك الرنين القوي صفير الزاي مما يزيد الإيقاع ضخامة ووضوحاً، ومن ثم إيجاد جو مناسب للمعنى والسياق. ثم يختم صورة الآية الأولى مع الآيات الأخرى (بالألف)، الذي هو أعلى الصوائت الطويلة مداً وسمي (بالهاوي) لعدم وجود أي حائل يعترضه. فهذا النفس الجاري والمد العالي إنما يساعد على زيادة وضوح الصورة.

ويستمر المشهد الذي يخيف القلوب بالتعبير عنه بالأصوات الانفجارية، والأبرز فيه شيوع الهمزة: (أَخْرَجَتْ، الْأَرْضُ، أَنْقَلَهَا، الْإِنْسَانَ، يَوْمَئِذٍ، أَخْبَارَهَا، أَوْحَى، يَوْمَئِذٍ، أَشْتَاتًا، أَعْمَاهُمْ)، فالهمزة تتكون بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً، ثم يحصل انفراج فيهما فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً. فزاد هذا

(٢٢) بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب: ٢٧- ٢٨. نقلاً عن خصائص العربية: ١٦.

(٢٣) الكتاب: ٤ / ٤٣٥.





جمال الجرس القرآني

المصباح

الصوت الصورة شدة وصعوبة.

ومن أمثلة تقديم اللفظ الخفيف

على الثقيل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ

وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٣]،

((فإنها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ

(الطوفان، والجراد، والدم) وأثقلها

(القمل، والضفادع) فقدم الطوفان

بمكان المدين فيها، حتى يأنس اللسان

بخفتها؛ ثم الجراد، وفيها كذلك مدّ، ثم

جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً بأخفها

في اللسان وأبعدهما في الصوت، لمكان

تلك الغنة فيه، ثم جيء بلفظة (الدم)

آخرًا، وهي أخف الخمسة وأقلها

حروفًا، ليسرّع اللسان فيها ويستقيم

لها ذوق النظم ويتم بها هذا الإعجاز في

التركيب)) (٢٤).

ونجد في مواضع غير الشدة

يستعمل القرآن الكريم الأصوات اللينة

والمهموسة، ولاسيما في تصويره معالم

الطبيعة والكون، من ذلك قوله عز من

(٢٤) تاريخ آداب العرب: ٢ / ٢٤٧.

قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَسِ

﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾

[سورة التكوير: ١٥ - ١٨]، نلمس كبر

مساحة السين في هذا المقطع التصويري

الفني موازنة بالأصوات المكونة لهذه

الآيات الثلاث.

فالسين هنا احتوت المعالم الكونية

والطبيعية بما ينسجم مع وجودها وصفاتها

الخاصة، فالسين من الأصوات المهموسة،

والهمس ((عام في كل شيء له صوت

خفي)) (٢٥)، والخفاء والظهور موجود

في: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿١٦﴾

وهي ((النجوم تخنس بالنهار وتكنس

بالليل)) (٢٦)، السين فيه همس ورخاوة،

أي امتداد الصوت معه (٢٧)، ونجد

استمرار هذه الظواهر الكونية وديمومتها

وامتدادها، ومثله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (١٧)

وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ [سورة التكوير: ١٧ -

١٨] كناية عن آخر الليل، والصبح يتنفس

من كابوس الليل فيطلع ويضيء.

(٢٥) لسان العرب (هسس)، وتفسير القرطبي:

١١ / ٢٢٠.

(٢٦) تفسير الطبري: ١٢ / ٤٦٦.

(٢٧) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٦١.

فاختيار هذا الصوت كان منسجماً مع الظواهر والوصف الفني لها، فلا شدة ولا قوة، إنما هناك أمل وارتياح ونشوة تحسها وأنت تقرأ هذه المقطوعة اللينة الهادرة كهدير الماء، احتواها صوت السين الذي هو من الحروف (اللينة)، وأنتك ((تكاد تسمع من قوله تعالى: والصبح إذا تنفس سقسقة العصفور وصيحة الديك))^(٢٨)، واللغة العربية ((بكل مؤثراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح، ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المنفتح أنه بالفعل يتنفس))^(٢٩).

المبحث الثالث:

الفاصلة - مكوناتها وعلاقتها بالأصوات:
لعل مصطلح الفاصلة مشتق من نصوص وردت في القرآن: ﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٣]، فد(بين كل آيتين فصل تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة))^(٣٠). و﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة

الأعراف: ٥٢]، أي ((تفصيل آياته بالفواصل))^(٣١)، وهي ((كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وسجعة النثر))^(٣٢).

وهناك أكثر من فرق بين الفاصلة في القرآن والقافية في الشعر، فمنها أن القافية تتطلب التطابق التام بين عدد من الحروف في آخر كل بيت، على حين أنّ الفاصلة لا تلتزم شيئاً من ذلك فتتحول من نمط إلى آخر^(٣٣)، كقوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ [سورة البقرة: ٧ - ٨]، فالفاصلة الأولى ميم والثانية نون.

مكونات الفاصلة:

١. الوقف:

الوقف في اللغة يعني: السكون، والحبس^(٣٤)، وفي الاصطلاح: ((قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة

(٣١) لسان العرب (فصل).

(٣٢) الفاصلة في القرآن: ١٣.

(٣٣) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١ / ١٩٢ - ١٩٥.

(٣٤) ينظر: لسان العرب (وقف).

(٢٨) التفسير المبين ٦٩٢.

(٢٩) في ظلال القرآن: ٣٠ / ٦٦.

(٣٠) لسان العرب (فصل).



جمال الجرس القرآني

• المصباح

هو ((تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه))^(٣٧)، ويعتمد الإيقاع في العربية- في الشكل التقليدي - على مقابلات بين مقاطع طويلة وقصيرة تحوي قافية في أواخر الأبيات^(٣٨).

ويحدث الإيقاع في الشعر بإيجاد نسيج منظم من العلاقات الداخلية بين الحركات والسكنات، أما في النثر فيحصل بالموازنة بين العبارات بشكل مستقل أو بين الجمل والعبارات. وهو يمثل الوجه الجمالي للفن الأدبي، وسراً من أسرار التأثير في المتلقي.

والإيقاع الموسيقي في القرآن يتألف من عناصر، هي مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، وتناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة، واتجاهات المد في الكلمات، ونهاية الفاصلة وحروف الفاصلة ذاتها^(٣٩).

٣. الروي:

يمتاز الروي باستقطابه قدراً كبيراً

بنيّة استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل (رسماً)^(٣٥).

وللوقف أهمية إذ هو بناء الفاصلة، وبه تتجانس القرائن وتزواج، وبه تبرز موسيقى الفاصلة، لكي تطرب الأذن لسماعها، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون^(٣٦)، كقوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٦١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿[سورة الرعد: ٢٥ - ٢٧].﴾

فجمع الوقف بين (الدار) المجرور و(متاع) المنون و(أناب) المنصوب.

٢. الإيقاع:

(٣٧) دروس في علم أصوات العربية: ١٩٧.

(٣٨) م. ن.

(٣٩) ينظر: في ظلال القرآن: ٤ / ٢٠٣٩.

(٣٥) الإتيان: ١ / ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣٦) ينظر: الإتيان: ١ / ٢٨٠ - ٢٨١.

من الأهمية، لأنه الحرف الأخير الذي يبقى رنينه، ولذته تدور في أذن المتلقي، ويكون في السجع والفاصلة القرآنية، وهو ((الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد))^(٤٠)، وتنسب إليه القصيدة كأن تكون دالية أو تائية^(٤١)، ونجده في القرآن قد يتغير إلى ما يماثله صوتياً، كما في سورة المدثر، والقيامة، والإنسان، وغيرها، وإذا كان الحرف ساكناً، يكون ساكناً، أي ينتهي بمقطع مغلق، أو ما يعرف بالقافية المقيدة، ويلتزم نوع الحركة من ضم وفتح وكسر إذا كان الروي متحركاً، بما يسمى بالمقطع المفتوح، أو ما يعرف بالقافية المطلقة.

وجميع الأصوات تصلح لأن تكون رويًا ((إلا الواو والياء والألف اللواتي يكن للإطلاق، وهاء التأنيث وهاء الإضمار، إذا ما تحرك ما قبلها، وألف الاثنين وواو الجمع إذا ما انضم قبلها))^(٤٢).

(٤٠) كتاب القوافي (الأخفش): ١٠.

(٤١) ينظر: التعريفات (الرجزاني): ١٥١.

(٤٢) كتاب القوافي: ١٠.

أما طريقة الوقف على حرف الروي، فبالسكون في غالب الآيات، وبالألف في القليل منها مع المنصوب المنون^(٤٣)، كقوله سبحانه: ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ ۝١ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ ﴾ [سورة القمر: ١ - ٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۗ ﴾ [سورة الجن: ٢].

الظاهر أن شيوع السكون مع الروي أو مع الفاصلة فيه وجهان، أولهما: إن اللغة العربية تميل إلى المقطع المغلق، والسكون أحد ألوان التخفيف، الذي مالت إليه كثير من اللهجات العربية. ثانيهما: إن السكون مع الروي والفاصلة يحققان انسجاماً في الاستراحة والوقوف على الجمال الصوتي الأخاذ، فبالسكون يظهر هذا النغم الموسيقي الخلاب.

ويعد الجانب الجمالي من أبرز وظائف الفاصلة القرآنية، وآية ذلك أن أغلب أصواتها أجمل الأصوات التي تتصف بـ(الغنة) وهي (النون والميم) لإظهار الجانب الفني الحسن لنهاية رحلة صوتية

(٤٣) ينظر: من أسرار اللغة: ١٩٣ - ١٩٤.



جمال الجرس القرآني

المصباح

يزيد كل منهما عن عشرة آلاف (٤٥)،
فبالإحصاء الرياضي لفواصل سورة البقرة
(٢٨٦) فاصلة، تنتهي (١٩٣) بصوت
(النون) مع تبادل لصوت (الميم)، وهذا
التقارب بين الصوتين جاء من جهة الصفة
لا المخرج، فالصوتان مجهوران، وأقرب
الصوامت إلى الصوائت بسبب وضوحهما
السمعي.

لقد أكد القرآن تلك القرابة بين
صوتي (الغنة): الميم والنون - والصوائت
باقترانها مع (الواو والياء والألف)،
نحو: الظالمين - يعملون - يعلمون -
أليم - العظيم - الرحيم - تكذبان -
جان - حسان، وغير ذلك. وهذا يطرد
في النصوص القرآنية، فيكون حرف
(النون) في الروي أكثر شيوعاً في
الفاصلة القرآنية ثم الميم.

فاقتران الصوائت مع النون والميم
يزيد من المسحة الجمالية بمجاورة صفة
الغنة التي فيهما، وإلى ذلك أشار سيبويه
(١٨٠هـ) إلى أن العرب ((إذا ترنموا فإنهم
يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما
(٤٥) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٥٤.

تتخللها أمواج تطرب الأذن لسماعها،
فإذا بالموجة الأخيرة تكون أكثر وقعاً،
لذلك جاء الاهتمام بها فكأنها دار استراحة
صوتية، يزداد على ذلك أن هذه الأصوات
فيها سمة الخفة وعدم الصعوبة، فهي
الأقرب للصوائت في انطلاقها لذلك
سميت بد(أشبه أصوات اللين) لكي
تكون مناسبة للاستراحة والوقف،
ويلاحظ بأن (الالف) يأتي بالمرتبة الثانية
من كم الاستعمال في الفاصلة.

فالفاصلة ((صورة تامة للأبعاد
التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي
متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً
عجيباً، يلائم نوع الصوت والوجه
الذي يساق عليه بما ليس وراءه في
العجب مذهب؛ وتراها أكثر ما تنتهي
بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان
في الموسيقى نفسها؛ أو بالمد)) (٤٤)،
فالفاصلة تحمل صفة التطريب
والتناسب الصوتي معاً.

فقد لوحظ أن عدد النونات والميمات
في السور العشر الأولى من القرآن الكريم
(٤٤) تاريخ آداب العرب: ٢ / ٢٢٧.

لا يَنْوَن، لأنهم أرادوا مد الصوت))^(٤٦)، فكان (النون) أنسب الأصوات ليحمل الهيكل الجمالي للفاصلة، فهو صوت فيه ((رقعة وعصير أنفاس وألفة، لأرشق بداية تبدأ الألفاظ بها، ولألطف نهاية. ما جاورت النون حرفاً إلا وكان له من سنا أنقتها طيف خفة ورشاقة))^(٤٧).

وللألف حصّة كبيرة أيضاً في فواصل القرآن فقد ورد رويّاً في (٢٦٧) فاصلة من فواصل (١٢) سورة^(٤٨)، فهو أكثر انفتاحاً في مجرى الهواء من الواو والياء، لعدم اقتراب الشفتين، وعدم رفع اللسان، و((أمكن حروف اللين))^(٤٩)، و((أشد امتداداً وأوسع مخرجاً))^(٥٠).

الخاتمة:

حقق الاسلوب القرآني عنصر الجمال من ناحية تأثيره العاطفي والنفسي في

(٤٦) الكتاب: ٤ / ٢٠٤.

(٤٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها (دراسة حسن عباس): ١٦٩.

(٤٨) وردت في سور: طه، النجم، الطلاق، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، والعلق.

(٤٩) المقتضب: ١ / ٢١٠.

(٥٠) سر صناعة الأعراب: ١ / ٦٢.

المتلقي، أيما تأثير، وتحريكه إياه لمواطن الذوق والاستخراج لمبنى الصورة الجمالية ومعناها، على وفق قدراته، بل يجعله يرتقي أكثر فأكثر في سلم النقد الإبداعي لوجود الثراء في الصورة القرآنية.

لقد حقق النص القرآني أقصى درجات الجمال الصوتي في التناسق بين أجراس اللفظة، والإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، والحرف الواحد يمسك الكلمة والآية، وهذا السر في إعجاز جملته.

ويتمثل الجمال في القرآن الكريم باستعماله الدقيق للأصوات، من حيث المخارج الصوتية، والصفات، بحسب الموضوع والمقام، مما يعد عاملاً مساعداً في إضفاء جو مقصود من شدة أو لين، ليجعل المتلقي يعيش تلك الصورة من دون عناء، وفي جاذبيته للفكر والعاطفة.

إنّ تعجب العرب ووقوفهم تجاه القرآن موقف المتحير من نظمه وأسلوبه، إنما جاء بسبب أنه فن جديد فليس هو شعراً ولا نثراً، إنما هو قرآن تحرر من قيد القافية وأتى بالفاصلة القرآنية التي تتحول



من نمط إلى آخر وتوافقها مع الدلالة والسياق.

ويعد الجانب الجمالي من أبرز وظائف الفاصلة، وآية ذلك أن أغلب أصواتها من أجمل الأصوات العربية التي تتصف بـ(العُنة) وهما (الميم والنون)، فكأنها محطة استراحة صوتية، يزداد على ذلك أنها تتمتع بسمّة الخفة، فهي الأقرب للصوائت لذلك سميت بـ(أشباه أصوات اللين) لكي تكون مناسبة للاستراحة والوقف. ويلاحظ أن (الألف) يأتي بالمرتبة الثانية من كم الاستعمال في الفاصلة القرآنية، وتقترن هذه الأصوات مع (الواو والياء والألف)، ليزيد من المسحة الجمالية بمجاورة صفة (العُنة)، ويكون حرف (النون) في الروي أكثر شيوعاً من حيث الإحصاء الرياضي في الفاصلة، ثم الميم، ثم الألف، وهذا الأخير أكثر انفتاحاً من الواو والياء.

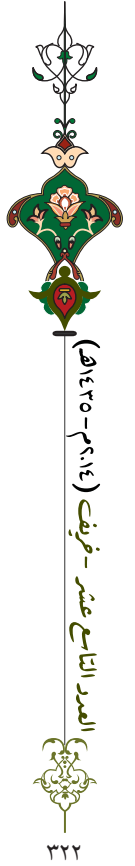
المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

❖ الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ط ١،

دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦ م.

- ❖ أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م.
- ❖ بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب، ط ١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٧ م.
- ❖ البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، ٢٠٠٢ م.
- ❖ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- ❖ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط ٣، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ❖ تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ)، دار الكتب، بولاق، د. ت.
- ❖ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط ٢، دار الشروق، قم، ١٤١٢ هـ.

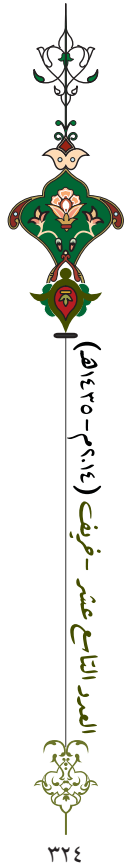


- ❖ التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- ❖ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ١، دار طيبة، ١٩٩٩م.
- ❖ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ) تحقيق احمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- ❖ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ط ٣، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
- ❖ التفسير المبين، محمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٨م.
- ❖ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ❖ جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- ❖ دروس في علم أصوات العربية، جان كانتيني، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث، تونس، ١٩٦٦م.
- ❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تصحيح الشيخ محمد عبده وآخرين، ط ٤، دار المنار، مصر، ١٣٦٧هـ.
- ❖ سر صناعة الأعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسن هندواوي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.
- ❖ الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير، ط ١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ❖ الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، ط ١، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م.



جمال الجرس القرآني المصباح

- ❖ العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ). تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ❖ الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط ٢، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٠م.
- ❖ فلسفة الجمال والفن، د. فائزة أنور أحمد شكري، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م.
- ❖ فن القول، أمين الخولي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ❖ في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.
- ❖ في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ٥، ١٩٦٧م.
- ❖ كتاب القوافي، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٧٠م.
- ❖ كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجليل، بيروت.
- ❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ❖ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (ت ٧١١هـ) ط ١، دار صادر، بيروت، د. ت.
- ❖ مدخل إلى علم الجمال، د. نبيل رشاد سعيد، ط ١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ❖ المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تصحيح فؤاد علي منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ❖ مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ط ٦، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥م.
- ❖ كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن



إِطْلَاقٌ عَلَى مَنْهَجِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ

السيد فالح الموسوي

جامعة المصطفى العالمية - قم - إيران الإسلامية

فحوى البحث

بحث تضمن عرضاً وتحليلاً وتطبيقاً لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، الذي يعد من أهم المناهج التفسيرية وأقربها إلى الصواب لاعتماده في تفسير الآية القرآنية، آياتٍ أخرى تعد المرجع في هذا التفسير وقد استنتج السيد الباحث، بعد تقديمه طائفة من الشواهد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، أن هذا المنهج يأتي في طليعة المناهج، بل هو المنهج الأم في ميدان التفسير على الرغم من أننا لم نجد أحداً من أتباع هذا المنهج، اكتفى به في مقام التفسير، وإن صرح البعض بكفايته.

إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن.

المصباح

تمهيد:

يعدّ منهج تفسير القرآن بالقرآن من أهمّ المناهج التفسيرية، وأكثرها اعتماداً عند المفسرين، ويُراد به: ((بيان الآيات القرآنية وإيضاح مضامينها من خلال الاستعانة بالآيات القرآنية الأخرى والاعتماد عليها))، وبناءً على هذا المنهج تكون الآيات القرآنية هي المرجع الذي يُعتمد والمصدر الذي يُستعان به في تفسير آيات القرآن؛ ففي القرآن توضيحٌ لما أهم، وتقيدٌ لما أطلق، وتفصيلٌ لما أجمل، و.. كما سوف يأتي.

وقد حظي هذا المنهج بدرجةٍ عاليةٍ من الاعتبار والقبول عند المفسرين من الطوائف الإسلامية المختلفة، جعلته يتصدر قائمة المناهج التفسيرية في الاعتبار والاعتماد، قال عبد الرحمن العك: ((أجمع العلماء على أنّ من أراد تفسير القرآن الكريم، طلبه أولاً من القرآن نفسه، فما أُجمل في مكان فقد فسّر في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فقد بسط في موضع آخر منه، فلزم أن ينظر في القرآن نظرةً فاحصٍ مدقق، ويجمع الآيات في

موضع واحد، ثم يقارن بعضها ببعضها (الأخرى)^(١). وسوف نتعرّض لبيان هذا المنهج وذلك عبر المسائل التالية:

المسألة الأولى: الجذور التاريخية

لتفسير القرآن بالقرآن:

يُعدّ منهج تفسير القرآن بالقرآن من أقدم مناهج التفسير، وقد نشأ متزامناً مع بداية الوحي، وعلى يد النبي الأكرم ﷺ تحديداً، فهو أوّل من اعتمد هذا المنهج في تفسير القرآن، واستعان به في بيان ما أهم من آياته، وقد حذا حذوه الأئمة الأطهار عليهم السلام وجماعة من الصحابة والتابعين، وقد حفظت لنا الوثائق المتوافرة نماذج من ذلك، فلما نزل قول الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا:

وأينما لم يظلم نفسه؟. ففسّر لهم النبي ﷺ الظلم في الآية بالشرك، اعتماداً على آية أخرى، فقال ﷺ: ((ليس كما تظنون إنما

(١) أصول التفسير وقواعده، عبد الرحمن العك:

هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣] (٢). فبيّن أنّ مراد الآية الأولى ليس مطلق الظلم بل المصداق الأبرز من مصاديقه، وهو الشرك لا غير.

المسألة الثانية: أدلة اعتبار منهج التفسير بالقرآن:

استدل أتباع هذا المنهج بالعديد من الأدلة النقلية والعقلية لإثبات صحّته، وسوف نعرض بعض الأدلة على نحو الإجمال:

أولاً: الأدلة القرآنية:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

تعُدُّ هذه الآية المباركة من الآيات القرآنية التي يعتمد عليها أتباع هذا المنهج والقائلون به، والمؤيدون له، في الاستدلال على منهجهم، وذلك بالبيان التالي:

إنَّ الآية المباركة تدل بالدلالة المطابعية على أنّ الإنسان لو تدبَّر آيات القرآن

(٢) صحيح البخاري: ج ٨، ص ٥٤.

الكريم، وضمَّ بعضها إلى البعض الآخر، ونظرَ إليها كوحدة مترابطة، فإنَّه سوف يصل إلى حقيقة ثابتة، وهي عدم وجود الاختلاف في القرآن، كما أنّها تدل بالالتزام على أنّ ضمَّ الآيات القرآنية بعضها إلى البعض الآخر، وملاحظة المناسبة بينها، والتمعّن في معطيات الترابط فيما بينها، والاستدلال ببعضها على البعض الآخر، أمرٌ دعا إليه الشرع وجعله أحد الوسائل الموصلة للحقائق القرآنية، وهذه حقيقة تفسير القرآن بالقرآن، قال الطباطبائي في تفسير الآية: ((قد تبين من الآية (أولاً): إنَّ القرآن مما يناله الفهم العادي. و(ثانياً): إنّ الآيات القرآنية يفسر بعضها بعضاً)) (٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

والآية تُشير إلى وجود قسمين من الآيات القرآنية المباركة:

القسم الأول: الآيات المحكمة: ويُراد

(٣) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ٥، ص ٢٠.



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن..... **التصنيف**

مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ومصداقه الخارجي^(٩).

وبعد هذا التقسيم أصبح الاستدلال بالآية واضحاً، وذلك بملاحظة مقدمتين: **الأولى:** إن الآيات المحكمة تتسم بالوضوح وعدم الصعوبة في فهمها ومعرفة مضامينها، بخلاف الآيات المتشابهة فهي تتسم بالغموض وعدم الوضوح.

الثانية: عبّر عن الآيات المحكمة بأنها {أم}، أي الأساس والمرجع في معرفة وفهم غيرها من آيات القرآن.

وعليه فإذا ما أريد معرفة الآيات المتشابهة فلا بدّ من الرجوع إلى الآيات الأم (المحكمة) والاستعانة بها على بيان المتشابهة، وهذا هو أبرز مصاديق تفسير القرآن بالقرآن كما سوف يأتي إن شاء الله تعالى.

قال الطباطبائي - بعد استعراضه الأقوال في معنى الـ {أم} في الآية: ((والحق هو المعنى الثالث [أي كون المحكمات

(٩) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ج ٢، ص ٤-٦.

بالإحكام المنع^(٤) والإتيان^(٥)، وقد ذكرت في بيان الآيات المحكمة عدّة تفسيرات؛ منها: ما عُرف المراد منها، بالظهور أو التأويل، ومنها: ما وضح معناها، ومنها: ما لا تتحمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، ومنها: ما لا تتكرر ألفاظها^(٦)، ومنها: ما دلّ على مفهوم معين، مع عدم الصعوبة والتردد في تجسيد صورته وتشخيصه في مصداق معين^(٧).

القسم الثاني: الآيات المتشابهة: والمشابهة في اللغة: المماثلة، ويُراد بالآيات المتشابهة: ما يتحمل من التأويل العديد من الوجوه. أو ما استأثر الله تعالى بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال، وغيره، أو ما لم يتضح معناه^(٨)، أو ما يدلُّ على

(٤) لسان العرب، ابن منظور: ج ١٢، ص ١٤٢-١٤٣؛ تاج العروس، الزبيدي: ج ١٦، ص ١٦١.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ج ١، ص ١٥؛ تاج العروس، الزبيدي: ج ١، ص ٧٨.

(٦) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ج ٢، ص ٤-٦.

(٧) علوم القرآن، الحكيم، محمد باقر: ص ١٧١.

(٨) روح المعاني، الألوسي: ج ٣، ص ٨٤.

مبيّنة للمتشابهات رافعة لتشابهها] فَإِنَّ معنى الأمومة الذي يدل عليه قوله ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ يتضمن عناية زائدة... فَإِنَّ في هذه اللفظة - أعني لفظة الأم - عناية بالرجوع الذي فيه اشتقاق وتبعض، فلا تخلو اللفظة من الدلالة على كون المتشابهات ذات مداليل ترجع وتتفرّع على المحكمات، ولازمه كون المحكمات مبيّنة للمتشابهات.

الكريم تبياناً لكل شيء، ولا يصح أن يكون كذلك وليس فيه تبياناً لنفسه، بل سيكون تبيانه لنفسه ثابتاً بالأولوية القطعية^(١١)، وهذا محصل ما توصل إليه العلامة الطباطبائي من بحث الآية الشريفة حيث قال: ((وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه))^(١٢).

إشكال واعتراض:

قد يقال: إن بيان القرآن للأشياء لا يتجاوز الكليات والأمور العامة، ومعنى ذلك أن منهج تفسير القرآن بالقرآن لا يعطي ثماراً واضحة عند التعرّض للأمور الجزئية والقضايا الدقيقة، كالمعلقة ببيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها، وما شابه ذلك، وهذا ما يقدح في صحة منهج تفسير القرآن بالقرآن.

جواب الإشكال وردّ الاعتراض:

إنّ ما ذكر من الإشكال إنّما يكون وارداً فيما لو ادّعى أتباع هذا المنهج

على أنّ المتشابه إنّما كان متشابهاً لتشابه مراده لا لكونه ذا تأويل، فإنّ التأويل كما مرّ يوجد للمحكم كما يوجد للمتشابه، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، فللمتشابه مفسّر، وليس إلا المحكم^(١٠)، وبهذا اتضحت حاجة المتشابه إلى المحكم في مقام البيان والتفسير.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: ٨٩].

وقد أثبتت الآية المباركة أنّ القرآن

(١١) تفسير القرآن العظيم، السيد مصطفى الخميني: ج ٤، ص ٥١٤.
(١٢) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ١، ص ١١.

(١٠) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ٣، ص ٤٣.



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن..... **المصباح**

السنة (بيان الرسول ﷺ)، وقد عرّف النبي ﷺ بأنه المبيّن والمعلّم للقرآن بصورة صريحة^(١٤).

فكون المنهج الفلاني هو المنهج الأول والأفضل لا يعنى إقصاء المناهج الأخرى عن مسرح التفسير وعدم الاستفادة منها. ومَن اعتمد إحدى المناهج وأقصى غيرها فقد فاته علمٌ كثيرٌ، ولم يُعطِ الكتابَ حقّه من البيان والتفسير.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرَهُمْ مِنْ رَبِّكَمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٧٤].

سَمَى الباري سبحانه الكتاب الكريم نوراً، والمراد بالنور: الظاهر بنفسه المظهر لغيره^(١٥)، وعليه فلا بدّ أن يكون القرآن مبيناً لنفسه، قبل بيان غيره؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، قال الطباطبائي: ((وكيف يكون القرآن هدىً، وبيّنةً، وفرقاناً، ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون، ولا يكفيهم في احتياجهم إليه، وهو أشد

(١٤) انظر: مباني وروشهاي تفسير قرآن، عباس عميد زنجاني: ص ٢٨٩ (بالفارسية).
(١٥) تفسير الصراط المستقيم، البروجردي: ج ١، ص ٣١٦.

الاستغناء التام عن المناهج الأخرى، والحقّ أنّهم لم يقولوا ذلك^(١٣)، ولم يستغنوا عن الاستفادة من المناهج الأخرى كمنهج التفسير بالأثر وغيره في أغلب الأحيان، وقد أوضح الزنجاني ذلك قائلاً: ((صحيح أنّ القرآن واضح ومبيّن لنفسه، ولكن الروايات الصحيحة يمكن أن تقوم بتوضيح بعض الآيات أيضاً، وكذلك يمكن الاستفادة منها في شرح آيات الأحكام، والقصص، وبعض الأمور التي جاءت في القرآن بصورة مختصرة))، ثم قال: ((ولا يوجد تنافٍ بين وضوح معاني القرآن الكريم، وبين لزوم الاستفادة من السنة في فهم حقائق القرآن، فالقرآن برغم كونه واضحاً ومستغنياً عن الغير في بيانه للمقاصد والمفاهيم، لكن تفصيل بعض الأمور وتوضيح معارف الآيات يقع على عاتق

(١٣) نعم قال العلامة الطباطبائي في مقام التنظير لهذا المنهج والاستدلال عليه بكفاية هذا المنهج، ولكنه اعتمد المناهج الأخرى عند التطبيق، كمنهج التفسير بالأثر والمنهج العلمي، بالإضافة إلى بعض الاتجاهات التفسيرية.

الاحتياج؟)) (١٦).

تعقيب ورفع إبهام:

لابدّ هنا من الإشارة إلى أنّ كون القرآن بنفسه نوراً، لا يعني استواء المخاطبين بفهمه وتدبره، وفيهم العربي والأعجمي، والعالم والجاهل، بل لابدّ من استيعاب كافة الأدوات والعلوم الدخيلة في فهمه كعلم اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبيّنة لتفسير الجملات والمبهمات، وغيرها ممّا لا مجال لمعرفة القرآن بدونه، ولكن ذلك لا يعني احتياج القرآن إلى تلك الأدوات، بل احتياج المفسّر والمخاطب لها، من أجل تسخيرها في فهم القرآن فهماً دقيقاً ومستوعباً.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾

﴿فَأَنْبِئْ قَوْمَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة

القيامة: ١٨-١٩].

ومؤدّي الآية أنّ الله تعالى تكفّل

(١٦) الميزان في تفسير القرآن، العلامة

الطباطبائي: ج ١، ص ١١.

ببيان الكتاب. وبيانه قد يكون بواسطة النبي ﷺ، وقد يكون من خلال نفس الآيات القرآنية بعد اكتمال نزولها. وحيث أنّ البيان الوارد في الآية مطلق، يمكن أن يُستفاد منه إمكانية الاستعانة بالقرآن كمنهج في تفسير القرآن وبيانه.

ثانياً: الأدلة الروائية:

بالإضافة إلى أنّ النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام قد اعتمدوا منهج تفسير القرآن بالقرآن في كثير من الأحيان، ورد الحث والتأكيد على ضرورة الاعتماد على آيات القرآن الكريم في فهم القرآن نفسه، وذلك في العديد من الروايات عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، ومن هذه الروايات - لا على سبيل الحصر:

١. ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف

القرآن الكريم بأنّه: ((ينطقُ بعضُهُ

ببعض، ويشهدُ بعضُهُ على بعض)) (١٧)،

وقد قيل في شرحه: ((أي يفسّر بعضُهُ

بعضاً، ويكشفُ بعضُهُ عن بعض،

(١٧) الميزان في تفسير القرآن، العلامة

الطباطبائي: ج ١، ص ١٢، و ص ١٦، و

ص ٦٦.



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن..... التفسير

صريح في أن آيات القرآن يؤيد بعضها بعضاً، ويعضد بعضها البعض الآخر، وعليه فمن غير الممكن بيان تلك الآيات وتفسيرها مع الإغماض عن الآيات الأخرى.

٣. ما روي عنه عليه السلام: ((لا تنثره نثر الرَّمْل))^(٢٠). ويمكن أن يستفاد من هذه الفقرة أن للقرآن وحدة وارتباطاً لا يمكن أن يؤخذ بصورة أجزاء متفرقة.

٤. ما روي أن: ((القرآن يفسر بعضه بعضاً))^(٢١). ولو صحَّ هذا الكلام

(٢٠) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٢، ص ٦١٤؛ الوافي، الفيض الكاشاني: ج ٩، ص ١٧٣٩؛ وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ٦، ص ٢٠٧؛ الفوائد الطوسية، الحر العاملي: ص ٩١؛ الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج ٨، ص ١٧٣.

(٢١) كلام معروف، استشهد به علماء المذاهب، من المفسرين وغيرهم، من غير أن ينسبوه إلى النبي والأئمة عليهم السلام، نعم نسبه حبيب الله الهاشمي الخوئي (في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٧، ص ٢٨٣) إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ونسبه الشيخ جعفر السبحاني (في كتاب الإيمان والكفر في الكتاب والسنة: ص ١٨٤) إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعبر عنه الشيخ مكارم الشيرازي (في تفسيره الأمثل:

ويُستشهد ببعضه على بعض، فإن فيه مطلقاً ومقيداً، ومجماً ومبيناً، وعمماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، بعضها يكشف القناع عن بعض، ويُستشهد ببعضها على المراد ببعض آخر)^(١٨).

فما على المفسر إلا استنطاق الآيات القرآنية والرجوع إليها وضمها إلى الآية المراد تفسيرها بغية الوصول إلى غوامض تلك الآية والوقوف على أسرارها، وتقديم البيان المناسب لها.

٢. روي عنه عليه السلام: ((إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً))^(١٩). وقوله عليه السلام صريح في أن بين الآيات القرآنية نوعاً من الترابط، لا يمكن الاستغناء عنها في بيان بعض الآيات القرآنية.

وإن كانت دلالة ذلك على التفسير الموضوعي أظهر، ولكنه - على آية حال -

(١٨) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ٨، ص ٣١٧. وانظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ج ٢، ص ٢٨١.
(١٩) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ٢٥٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ج ٩٠، ص ١٢٧؛ البرهان، البحراني: ج ٥، ص ٨٤٣.

كان أقوى ما يمكن الاستدلال به على هذا المنهج.

ثالثاً: السيرة العقلائية:

يمكن الاستدلال على هذا المنهج- بالإضافة لما ذكرنا - بالسيرة العقلائية، فإنَّ سيرة العقلاء قائمة على أساس مراعاة ما يتصل بالكلام من القرائن المتصلة والمنفصلة وغيرها كالمخصصات والمقيدات عند بيان المراد من الكلام، وعليه فلو أردنا بيان مراد المولى سبحانه فلا ينبغي إغفال تلك القرائن والمخصصات

ج ٦، ص ٣٣٠) بـ (القاعدة المسلّمة)، ولكن أغلب العلماء استدلوا به من دون أن يعزوه إلى أحد. انظر على سبيل المثال المصادر التالية: الكشاف، الزمخشري: ج ٢، شرح ص ٢٩٤؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥٤، ص ٢١٨؛ روح المعاني، الألوسي: ج ١٥، ص ١٧٥؛ وج ١٩، ص ١٦٢؛ عمدة القاري، العيني: ج ١٩، ص ١٤٢؛ عون المعبود، العظيم آبادي: ج ١١، ص ٢٤٥؛ التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ١، ص ٧٥؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ج ٥، ص ٢٦٣؛ تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني: ج ٢، ص ٣٨٨؛ الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ٣، ص ٣٦؛ التفسير الحديث، محمد عزة دروزة: ج ٥، ص ٣١٦.

وغيرها مما يرتبط بكلامه سبحانه، سيّما وأن بعض المواضيع وردت متناثرة في سور مختلفة، وتكررت أكثر من مرّة، ولا يمكن البت بها وتفسيرها من غير مراجعة مجموع الآيات ذات الصلة.

المسألة الثالثة: مصاديق تفسير القرآن

بالقرآن:

لتفسير القرآن بالقرآن العديد من المصاديق، أهمها:

أولاً: الجمع بين المطلق والمقيّد:

وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات المطلقة، ولا شك بأنَّ المولى لم يُرد منها المعنى المطلق، وحيثُ فلا يمكن قصر البيان على تلك الآيات، والاعتماد عليها بمعزل عن الآيات الأخرى، بل لا بد من الرجوع إلى الآيات الواردة في مقام تقييد ذلك الإطلاق، وسوف يكون المقيّد مفسراً للمطلق، وبدونه لا نتمكن من إعطاء صورة حقيقية تعكس المراد الحقيقي للشارع المقدّس.

ومن أمثلة هذا القسم: آية الظهار مع آية القتل، ففي كفارة الظهار يقول الله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾، وفي كفارة



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن..... **البصائر** •

القتل، يقول تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ فيحمل المطلق في الآية الأولى على المقيّد في الآية الثانية.

وكذا الحال في العام والخاص، فينبغي للمفسّر الرجوع للآيات الخاصة ووضعها جنباً إلى جنب مع الآيات العامة، فعلى سبيل المثال لا بدّ في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَتِلْكَ وَرِيعٌ ﴾ [سورة النساء: ٣]، من

الرجوع إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا

مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٢٢]،

وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ

الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ

وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ

نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي

حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم

بِهِنَّ فَإِنَّ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ

الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا

بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء:

٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ

تَعُولُوا ﴾ [سورة النساء: ٣]، وغيرها من

الآيات، حتى يحصل اليقين بفحص كل ما

يتصل بالآية ويكون دخيلاً في بيان معناها

ومضمونها.

وكذا الحال بالنسبة للمجمل،

فلا بدّ من ملاحظة المفصل والميّن له

عند تفسيره، ومن أمثلة هذا القسم: أن

يُشرح ما جاء موجزاً في القرآن بما جاء

في موضع آخر مُسهباً، وذلك كقصة آدم

وإبليس، التي جاءت مختصرةً في بعض

المواضع، ومُسهبَةً مطوّلةً في موضع

آخر، وكقصة موسى وفرعون، جاءت

موجزةً في بعض المواضع، ومُسهبَةً

مُفصّلةً في موضع آخر.

ثانياً: إرجاع المتشابه إلى المحكم:

مرّ بنا سابقاً أن آيات القرآن تُقسّم إلى

محكم ومتشابه، وقد بيّنا سلفاً المراد من

ذلك، وقلنا إنّ المتشابه لا يمكن معرفته إلا

من خلال الآيات المحكمة، فهي الأساس

والمرجع في معرفة الآيات المتشابهة، وبدونها لا يستطيع المفسر بيان تلك الآيات المشكلة، كالأيات المشتملة على صفات الباري تعالى كالسميع والبصير، وما أثبت له اليد والعين وما شابه ذلك.

ثالثاً: تعيين مصاديق الآية عن طريق

الآيات الأخرى:

اقتصرت بعض الآيات القرآنية على بيان الأحكام الكلية، من دون أن تشير إلى مصاديق تلك الأحكام وجزئياتها وتفرعاتها، بينما تكفل بعض آخر من الآيات إيضاح المصاديق والإشارة إلى الجزئيات، وعليه فلا بد للمفسر من تصفح تلك الآيات؛ لأن معرفة المصاديق والجزئيات شيءٌ ضروري في عملية التفسير، وبدونه لم يتضح المدلول الحقيقي للآية المباركة.

رابعاً: رفع الاختلاف والتعارض

الظاهري بين الآيات:

عند ملاحظة ظاهر بعض الآيات القرآنية تبدو -ولأول وهلة- أنها تتصادم مع آيات أخرى، وتتعارض مع الأحكام الثابتة، ولكن هذا التصادم والتعارض

الظاهري سرعان ما يضمحل عند ملاحظة الآيات الأخرى ومراجعتها وضم بعضها إلى البعض الآخر، وحينئذ فلا بد من إمعان النظر في عموم الآيات القرآنية وعدم إهمالها عند تفسير بعض الآيات.

ومن أمثلة هذا القسم: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف ومتناقض، كخلق آدم عليه السلام من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التي مرَّ بها آدم عليه السلام من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

خامساً: الجمع بين الناسخ والمنسوخ: هنالك العديد من الآيات جاءت مبيّنة لبعض الأحكام المؤقتة، ثم نسخت بآيات أخرى، وأبدل الحكم المؤقت -تبعاً للمصلحة الخاصة- بحكم دائم، وعليه فلو أردنا تفسير تلك الآيات المنسوخة كان لزاماً علينا الرجوع إلى الآيات الناسخة، لاستخلاص النتائج الصحيحة من التفسير، وبدونه يكون التفسير ناقصاً، والحكم المستنبط خاطئاً.

وهنالك العديد من المصاديق أعرضنا



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن..... البصباح

عن ذكرها، وقد تكفلت المطولات الفقهية بإيرادها وبيانها.

المسألة الرابعة: نماذج تطبيقية من تفسير الأئمة عليهم السلام ذكرنا فيما مضى نموذجاً من تفسير النبي صلى الله عليه وآله لبعض الآيات اعتماداً على بعضها الآخر، وهنا نريد سرد بعض النماذج التطبيقية من تفسير الأئمة عليهم السلام وفقاً للمنهج المذكور:

١. عن أبي الأسود الدؤلي، قال: رُفِعَ إلى عمر امرأة وُلِدَتْ لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام: لا رجم عليها، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿وَفَضْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [سورة لقمان: ١٤]، وكان الحمل ها هنا ستة أشهر، «فتركها عمر، قال: ثم بلغنا أمها ولدت آخر لستة أشهر»^(٢٢).

٢. روي أن رجلاً دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فإذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فسألته عن الشاهد والمشهود، فقال: نعم، أما الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فسألته عن ذلك، فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

فجزتها إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود، فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥]، وقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ﴾ [سورة هود: ١٠٣]. فسألت عن الأول، فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن علي عليهما السلام^(٢٣).

(٢٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج ١٠، ص ٣١٥؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي:

(٢٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج ٦، ص ٤٠؛ تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج ١٨، ص ٢٠٧؛ وانظر: المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ج ٧، ص ٣٤٩ - ٣٥٠؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج ٦، ص ٢٠٥.

٣. عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، فقلت: قوله عز وجل: ﴿يَتَّابِلِينَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥]، فقال عليه السلام: «اليد في كلام العرب القوة والنعمة، قال الله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [سور ص: ١٧]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]، أي: بقوة، وقال: ﴿وَأَيْدِهِمْ يَرْجِعُ مِنْهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، أي قواهم، ويقال: لفلان عندي أياد كثيرة، أي فواضل وإحسان، وله عندي يد بيضاء، أي نعمة» (٢٤).
٤. روي عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٧]، قال: «الختم: هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٥٥]» (٢٥).
٥. عن علي بن يقطين قال: سأل المهديُّ أبا الحسن عليه السلام عن الخمر، هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل، فإنَّ =كنز الدقائق، المشهدي: ج ١١، ص ٢١١؛ الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ٦، ص ٤٠.
- (٢٥) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ١٩٧؛ الفصول المهمة، الحر العاملي: ج ١، ص ٢٣٩؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥، ص ١١؛ التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ١، ص ٩٣؛ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ١٩٦؛ نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج ١، ص ٣٣؛ كنز الدقائق وبحر الغرائب، المشهدي: ج ١، ص ١٥٣؛ تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر)، السيد عبد الله شبر: ص ٤٠؛ تفسير الصراط المستقيم، حسين البروجردي: ج ٤، ص ٢٥٢؛ الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ١، ص ١٠٥.
- =ج ٤٣، ص ٣٤٥؛ الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج ٩، ص ٣٥٣؛ زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني: ج ٧، ص ٣٨٣؛ نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج ٥، ص ٥٤٣؛ كنز الدقائق، المشهدي: ج ١٤، ص ٢١١؛ مطالب السؤول، محمد بن طلحة الشافعي، ص ٣٣٩؛ الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ج ٢، ص ٧٠٢.
- (٢٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ١٥٣؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤، ص ٤؛ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ٣٣٢؛ نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج ٤، ص ٤٤٤؛



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن.....

البصائر

الناس إنَّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون تحريمها؟. فقال له أبو الحسن عليه السلام: «بل هي محرمة في كتاب الله».

فقال: في أيِّ موضع هي محرمة من كتاب الله عز وجل، يا أبا الحسن؟. فقال: «قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، إلى أن قال: فأما الإثم فإنَّها الخمر بعينها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ٢١٩]، فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، وإثمها أكبر من نفعها، كما قال الله تعالى ^(٢٦).

٦. روي عن زرارة ومحمد بن مسلم: أنَّهما قالا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في

الصلاة في السفر كيف هي، وكم هي؟. فقال: «إنَّ الله عز وجل يقول:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [سورة النساء:

١٠١]، فصار التقصير في السفر واجبا كوجوب التمام في الحضر».

قالا: قلنا: إنَّما قال الله عز وجل:

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، ولم يقل: افعلوا،

فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟. فقال: «أوليس قد قال الله

عز وجل في الصفا والمروة: ﴿فَمَنْ حَجَّ

الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ

بِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ١٥٨]، ألا ترون

أنَّ الطواف بهما واجبٌ مفروضٌ؟. لأنَّ

الله عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبئيه،

وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكره الله تعالى في كتابه» ^(٢٧).

المسألة الخامسة: ضرب القرآن بعضه

ببعض:

(٢٧) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ١٦٣؛ تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ج ٢، ص ٢٠٢؛ براهين الحج للفقهاء والحجج، المدني الكاشاني: ج ٤، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢٦) السوافي، الفيض الكاشاني: ج ٢٠، ص ٦٠٢؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٨، ص ١٤٩؛ تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ج ٢، ص ٢٦؛ الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ٢، ص ١٩٩.

وردت بعض الأحاديث المروية عن أهل البيت (عليهم السلام)، تنهى عن ضرب القرآن بالقرآن، منها ما رواه الكليني والصدوق والعياشي والبحراني وغيرهم عن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((قال أبي (عليه السلام): ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر)) (٢٨)، ومنها ما رواه السيوطي عن جماعة من أعلام أهل السنة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ((أن رسول الله ﷺ خرج على قوم يتراجعون في القرآن وهو مغضب، فقال: بهذا ضلّت الأمم قبلكم لاختلافهم على أنبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض، قال: وإن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل أن يصدّق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه عليكم فآمنوا به)) (٢٩)، وغيرها من الروايات الواردة في

مصادر المسلمين (٣٠). وقد تحيّل بعضهم أن هذه الأحاديث تصلح أداةً ودليلاً للقدح بمنهج تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنّها تنهى عن ضرب الكتاب بعضه ببعض، وعليه فلا يمكن الاعتماد على منهج تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنّ ذلك على حدّ الكفر، كما صرح الحديث المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام)، أو أنّه سبب الضلال، كما هو صريح الحديث النبوي.

تعقيب مختصر على أحاديث (ضرب القرآن):

إنّ ما ذكرناشئ من الخلط بين موضوعين لا صلة لأحدهما بالآخر، فإنّ تفسير القرآن بالقرآن نوعٌ من التدبّر الواعي الذي يهدف إلى بيان المراد الحقيقي للمولى وتقديم قراءةٍ ورؤيةٍ متكاملةٍ

(٣٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج ١، ص ٣٥٤؛ الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي: ج ٢، ص ٨؛ فتح القدير، الشوكاني: ج ١، ص ٣٢٠؛ تفسير الألوسي، الألوسي: ج ٣، ص ٨٥؛ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، علي بن أبي بكر الهيثمي: ص ٢٣٠؛ التفسير الحديث، محمد عزة دروزة: ج ٧، ص ١١٩.

(٢٨) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٢، ص ٦٣٢؛ ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ص ٢٨٠؛ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج ١، ص ١٨؛ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ج ١، ص ٤٢.
(٢٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج ٢، ص ٦.



إطالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن..... البصباح

باب الاستخفاف فهو كفر جحد، وإلا فهو كفر النعمة وترك الأدب. **الثاني:** أن يُستعمل الرأي في المجمل والمؤول والمطلق والعام والمجاز والمتشابه وغيرها من المعضلات، ويجمع بينها باعتبار خيالية واختراعات وهمية، ويستنبط منها أحكاماً يعمل بها ويفتي بها من غير أن يكون له مستند صحيح ونقل صريح عن أهل الذكر (٣٢).

٣. قال الفيض الكاشاني: ((لعل المراد بضرب بعضه ببعض تأويل بعض متشابهاته إلى بعض بمقتضى الهوى من دون سماع من أهله أو نور وهدى من الله تعالى)) (٣٣).

٤. قال السيد الخوئي: ((معنى الرواية: خلط القرآن بعضه ببعض، وعدم التمييز بين المحكم والمتشابه والعام والخاص، كخلط بعضه ببعض، والمراد من الكفر حيثئذ هو معناه العام لا الخاص، على أن الرواية ضعيفة،

(٣٢) شرح أصول الكافي، المازندراني: ج ١١، ص ٨٣-٨٤.
(٣٣) الوافي، الفيض الكاشاني: ج ٩، ص ١٧٨٣-١٧٨٤.

ومستوعبة للآيات القرآنية، وذلك من خلال الاعتماد على كلامه، وتقديم البيان التام الذي يكون أقرب إلى مراد المولى، ومن ثم ترتيب الأثر عليه.

وهذا بخلاف مؤدى أحاديث (ضرب القرآن) فإنها واردة في مقام الذم لمن يفسر الحقائق القرآنية بالرأي والهوى ابتغاء الفتنة، فهي بعيدة كل البعد عما نحن فيه، ولم تكن ناظرة لمسألة تفسير القرآن بالقرآن، وليس هناك وحدة موضوعية بين روايات (ضرب القرآن) وما اعتمدها من الروايات، ومع ذلك فقد بين المحققون معنى أحاديث (ضرب القرآن) بأجلى بيان، ومن جملة بياناتهم:

١. قال الشيخ الصدوق: ((سألت محمد بن الحسن (عليه السلام) عن معنى هذا الحديث فقال: هو أن تحيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أخرى)) (٣١).

٢. قال المازندراني: قوله: ((ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر))، يحتمل وجهين: الأول: أن يُراد بالضرب المعنى المعروف، فإن كان من (٣١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص ١٩٠.

أوجه، وهو الذي يصلح تفسيراً لكون (ضرب الكتاب) بمنزلة الكفر، وإلا فلا يُعقل أن يكون الخطأ غير المتعمد في التفسير - خصوصاً مع صحّة الأدوات والمنهج المستعمل - بمنزلة الكفر.

نتيجة المقال وخاتمته:

إنّ منهج تفسير القرآن بالقرآن في طليعة المناهج المعتمدة في تفسير القرآن الكريم، بل هو المنهج الأمّ في ميدان التفسير، وهو منهجٌ تؤيّدُه الأدلّة القويّة، غاية الأمر أننا لم نجد أحداً من أتباع هذا المنهج اكتفى به في مقام تفسير الآيات القرآنية، وإنّ صرّح البعض منهم بكفايته، ولكنهم ضمّنوا تفاسيرهم العديد من البحوث الروائية والفلسفية والعلمية وغيرها.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على أشرف خلقه أجمعين، أبي القاسم محمد الأمين، وآله الطيبين الطاهرين.

حيث أنّ المعمر بن سليمان لا وجود له في كتب الرجال، هذا فضلاً عن أنّ الرواية مرسلّة)) (٣٤).

٥. قال الطباطبائي: ((الروايات كما ترى تعد ضرب القرآن بعضه ببعض مقابلاً لتصديق بعض القرآن بعضاً، وهو الخلط بين الآيات من حيث مقامات معانيها، والإخلال بترتيب مقاصدها، كأخذ المحكم متشابهاً والمتشابه محكماً، ونحو ذلك)) (٣٥).

٦. قال الزنجاني: ((يمكن توجيه هذه الروايات بأنّ المراد من (ضرب القرآن بعضه ببعض)، هو مقارنة الآيات وإرجاع آية بآيات أخرى، بقصد إبراز الاختلاف والتضاد بين الآيات، وإيجاد الفتنة في دين الله)) (٣٦).

والخلاصة: إنّ جميع ما قيل في معنى (ضرب القرآن) وجيه، وإنّ كان الأخير

(٣٤) صراط النجاة، السيد الخوئي: ج ٢، ص ٤٤٩ - ٤٥٠، السؤال: ١٤١٢.

(٣٥) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ج ٣ - ٨٣.

(٣٦) مباني وروشهاي تفسير قرآن، الزنجاني: ص ٣٧٦.





نافذة

المصباح

العرض والنقد والتعريف

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ (عليه السلام) في الأناجيل
(بحث مقارن) بما وردَ عنه في القرآن الكريم
للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

دراسة وتحقيق

الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي

توثيق النص:-

كنتُ قد قرأتُ في كتاب الذريعة ان كتابَ (المسيح والاناجيل) طبع بتمامه في مجلة الهدى التي كانت تصدر في العمارة انذاك لصاحبها ومديرها ومحررها السيد عبد المطلب الهاشمي، فاخذتُ في البحث عن هذه المجلة التي حددها صاحب الذريعة بأعداد سنة ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م، وبعد البحث والتنقيب عثرنا على المجلة وكانت موجودة في مكتبة الجامعة الإسلامية وفي كتب الشهيد السيد حسن القبانجي رحمته الله.

وقد عد هذا الكتاب من المفقودات، فاردت اخراج هذا السَّفَر الى النور بتحقيق ودراسة وارجاع الإحالات الكثيرة فيه وإثباتها في التحقيق.

في بداية النشر رسالة موجهة الى مدير المجلة من احد تلامذة العلامة البلاغي وهو الشيخ محمد علي الاوردبادي وهذا نصها:

الفاضل مدير مجلة الهدى المحترم

ان هذه رشحة من يراع احد النياقد (كذا) الأعلام في النجف الاشرف، دامت افاضاته

الرجاء نشرها على صفحات مجلتكم الغراء ولكم منا الشكر.

محمد علي الغروي الاوردبادي

النجف الاشرف

وضع الشيخ البلاغي مقالته على سلسلة عنوانات من دون وضع اسماء لها ولم يذكر الشيخ البلاغي اسمه الصريح او المستعار سوى الرسالة التي تصدرها من احد تلامذته، وقد جاءت المقالات بالترتيب منشورة في الجزء الخامس للسنة الثانية - رجب ١٣٤٨ هـ الموافق كانون الاول ١٩٢٩ م في الصفحة ٢٠٥، الا انه بعد تمام النشر نرى كلمة (يتبع) في صفحة ٢١٢، ثم يبدأ النشر في الجزء السادس للسنة الثانية - شعبان ١٣٤٨ هـ الموافق كانون الثاني ١٩٣٠ م في الصفحة ٢٥٧، وفي اخر الصفحة ٢٦٠ كلمة (يتبع)، ثم يبدأ النشر في الجزء التاسع للسنة الثانية - ذي القعدة لسنة ١٣٤٨ هـ الموافق نيسان ١٩٣٠ م في الصفحة ٤١٣ الى صفحة ٤١٩ واخره: والحمد لله على نعمته بالهدى ودين الحق فكان مجموع الصفحات المنشورة على المجلة، ١٩ صفحة.

ومن مراجعة النص المنشور تظهر فيه احالات الشيخ البلاغي كثيرا الى كتبه المطبوعة ومنها كتاباه (الرحلة المدرسية) و(الهدى الى دين المصطفى)، وقد اعتمدتها في ارجاع النص ولكن لاختلاف الطباعات اختلفت ارقام الصفحات المذكورة في النص عن التي في الهامش، فاعتمدت طبعة دار الزهراء بيروت لكتاب الرحلة المدرسية وطبعة قم المكتبة الحيدرية لكتاب الهدى.

عملنا في التحقيق:

١. ضبط النصوص القرآنية والنصوص الماخوذة من التوراة والانجيل.
٢. التعريف بالعبارات الغامضة والمصطلحات التي تحتاج الى بيان.
٣. ارجاع الاحالات الى اصلها.
٤. وضع الاقواس المناسبة للنصوص وفق ماياتي:
- أ. (()) اشارة الى نصوص القرآن الكريم.

السيد المسيح (عليه السلام) في الاناجيل البصباح

ب. () اشارة الى نصوص كتب التوراة والانجيل.

ج. () اشارة الى النصوص المقتبسة من الكتب.

النص المحقق:

المسيح والاناجيل

وصلت الينا صورة كتابة لبعض من يتسبب الى النصرانية^(١)، وان كان لَحْنُ اقواله يفتح للظنون ابوابا، ولمضامين الكتابة عناوين، وقبل الكلام عليها نستلفت الانظار الى اعلاننا واعلامنا الذي لا يخفى على احد بانا معاشر المسلمين قد لقننا ديننا القويم وقرآنا المجيد، ورسولنا الامين بقدس المسيح ورسالته من الله فامنا بذلك^(٢)، ولكننا نرى الاناجيل الدارجة^(٣) مضادة لمجد المسيح وقدس، فان اقتضى الجدل ان نذكر هاهنا شيئا من مُضَادَّتها لقدس المسيح فانما ذلك توبيخ وتبكيك للاناجيل ومتبعتها في جرأتها على قدس المسيح ومجده.

العنوان الاول (*):

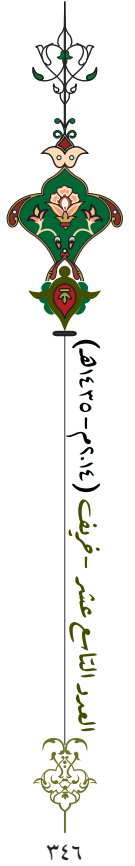
من كلام الكاتب انه قال: (إننا نحن المسيحيين اذا سئلنا سؤالاً واحداً اعترض علينا باعتراض لا نتعثر في الجواب لان المسيح له المجد علمنا في انجيله الطاهر، وقال لنا: اذا احد

(١) لم يذكر اسم الكاتب، والرد للشيخ العلامة البلاغي، وهذا الكلام منشور في الجزء الخامس / السنة الثانية ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م، ص ٢٠٥.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ بِالْقَلَمِ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، [سورة النساء: ١٧١]؛ وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالْبَلْعَامِ نَنْظُرُ كَيْفَ بُيِّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَنْ يُؤْفِكُوا﴾، [سورة المائدة: ٧٥].

(٣) وهي المشهورة المتداولة الان المعروفة بانجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا ويتبعها الرسائل واعمال الرسل.

(*) وضع المؤلف الشيخ البلاغي مقالته على شكل عنوانات متسلسلة من دون ذكر اسماء لها نشرت في الجزء الخامس من مجلة الهدى / السنة الثانية.



سألکم سؤالاً لا تتعثروا في الجواب، لانني ارسل اليکم روح الحق اعني روح البرقليط^(٤)، وهو يعلمکم علم كل شيء ونحن الآن نخبرکم...) ثم اخذ في الاعتراض على رسول الله والقران الكريم.

اقول^(٥): ليس في انجيله قوله: (اذا سألکم سؤالاً لا تتعثروا في الجواب)، فانظر الى انجيل يوحنا ١٤: ١٦ و ٢٦ و ١٥ و ٢٦ و ١٦ و ٧^(٦)، وان شئت فانظر الى العهد الجديد كله، واذا كان انجيلهم يخبرهم بان الباركليت^(٧) المحرف عن بيركلوت يعلمهم علم كل شيء بحيث يكون الصواب قرينا لازما لهم فلماذا يذكر كتبة الاناجيل الاربعة^(٨) في اناجيلهم في شان مسيحهم امورا اسقطته عن هذا المقام، واهوت به الى ضده في مكان سحيق، فقد ذكرت الاناجيل ان مسيحها احتج في اجوبته لسائليه باحتجاجات اخلت باطراف السقوط والوهن بحيث لا تخفى سخافة الجواب وغلطه، فانظر الى الصحيفة ال ١٩٩ - ٢٠٢ من الجزء الاول من كتاب الهدى^(٩) وال ١٣٤ - ١٣٧ من الجزء الاول من المدرسة السيارة لكي

(٤) اللفظ اليوناني بيركلوطوس الذي تعريبه فيراقلوط بمعنى احمد او محمد كما يدعيه النصارى ويصححونه بيرا كلي طوس ويعبرون عنه فارقليط كما عن التراجم المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ م وسنة ١٨٣١ م وسنة ١٨٤١ م، وفي مطبوعة وليم واطس في لندن سنة ١٨٥٧ م على النسخة المطبوعة في روميه سنة ١٦٦٤ م، وفي الترجمة العبرانية للاصل اليوناني المطبوعة سنة ١٩٠١ م، وفي انجيل برنابا يصرح باسمه الشريف وقد حرّم هذا الانجيل البابا جلاسيوس الاول الذي نال البابوية سنة ٤٩٢ م او جلاسيوس الثاني سنة ١١١٨ م، للمزيد ينظر: البلاغي، الرحلة المدرسية، ص ٢٥٨.

(٥) القول للعلامة البلاغي^{رحمته} في الرد على المعارض الذي لم يصرح باسمه.

(٦) اشارة الى رقم الاصحاح وبعد النقطتين اشارة الى فقرات الانجيل او فصوله.

(٧) مرت الاشارة اليه في الهامش رقم (١).

(٨) هذه الاناجيل المشهورة الاربعة كتبها كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا وعرفت باسماهم منذ كتابتها الى اليوم.

(٩) جاء فيه: (الاحتجاج للمنعم من الطلاق ومنها ما عن المسيح في احتجاجه للمنعم من الطلاق، ففي تاسع عشر متى ٣: (وجاء اليه الفريسيون ليخبروه فاثلين له: هل يحل للرجل ان يطلق امراته لكل سبب ٤؟. فاجاب وقال لهم: اما قراتم ان الذي من البدء خلقها ذكرا وانثى ٥، وقال: من اجل هذا يترك اباه وامه ويلتصق بامرته ويكون الاثنان جسدا واحدا ٦ اذا (اذن) ليسا بعد اثنين بل جسدا واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان ٧، قالوا له: فلماذا اوصى موسى ان يعطى كتاب طلاق=



السيد المسيح (عليه السلام) في الاناجيل البصباح

ترى كيف احتج مسيحيهم للمنع من الطلاق^(١٠)، والى الصحيفة الـ ٢٠٢ - ٢٠٤ من الجزء الاول من الهدى^(١١)، والـ ١٣٧ و ١٣٨ من الجزء الاول من المدرسة السيارة لكي ترى كيف احتج للقيامة من الاموات، وكيف احتج في جوابه لعدم الزواج في القيامة^(١٢).

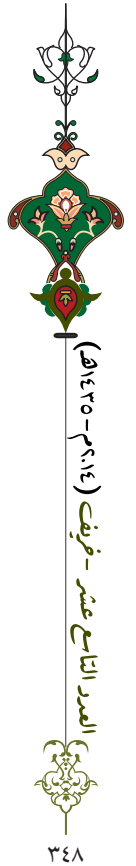
والى الصحيفة الـ ١٩٧ و ١٩٨ من الجزء الاول من الهدى، و ٣٧ من الجزء الاول من

=فتطلق ٢٨؟، قال لهم: ان موسى من اجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا ٩، واقول لكم: ان من طلق امراته الا بسبب الزنا وتزوج باخرى يزني)، والجواب عنه (هذا من كلام الشيخ البلاغي) قوله: مامعنى ان الرجل وامراته يصيران جسدا واحدا وانها ليسا بعد اثنين... افمن ماتت زوجته او طلقها لسبب الزنا يكون نصف جسد، واذا تزوج باخرى يعود جسدا واحدا ويصير الثلاثة والاربعة والعشرة جسدا واحدا، وايضا ما معنى القول بان ما جمعه الله لا يفرقه انسان... وايضا ما معنى قول المحتج بان موسى من اجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم... افيقول ان موسى جاء بشريعة الطلاق من عند نفسه مداراة لقومه القساة القلوب لا من عند الله؟)، للمزيد ينظر: البلاغي، الهدى، ج ١، ص ٢٤١ - ٢٤٣.

(١٠) هو كما نقلناه سابقا ومن مصادره الاصلية، فان الجواب لا يجوز الطلاق الا بزنا الزوجة واتهام للديانة السابقة ان سبب الطلاق قساوة القوم وهذا كما تعرف مخالف لطبيعة البشر واحتياجه للزواج والطلاق لظروف الحياة وتقلبها، فقد جاء في كتاب المدرسة السيارة المشهور بالرحلة المدرسية وهو من اهم كتب الشيخ البلاغي في الرد على الديانة المسيحية والاناجيل المتداولة قوله: (فجعلت الوسيلة الى الطلاق هتك الشرف والستر اويبقى الرجل مبتلى بامرأة كثيرة الزنا حيث لا يقدر ان يثبت زناها، وربما توصل الرجل الى خلاصه من امراته العفيفة بان يرميها بالزنا لكي يقبل منه طلاقها...)، للمزيد ينظر: الرحلة، ص ١٥٨.

(١١) ذكر انجيل لوقا في الفصل العشرين ان اليهود الصدوقيين المنكرين للقيامة سألوا المسيح ان المرأة اذا مات زوجها وتزوجها اخوه ثم مات وتزوجها الاخ الثالث وهكذا الى الاخ السابع ثم مات وماتت المرأة فلاي واحد من السبعة تكون المرأة زوجة في يوم القيامة، فاجاب المسيح بان ابناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ولكن الذين حُسيبوا اهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الاموات لا يزوجون ولا يزوجون اذ لا يستطيعون ان يموتوا ايضا لانهم مثل الملائكة وهم ابناء الله اذ هم ابناء القيامة. لقد ناقش الشيخ البلاغي هذا الكلام فقال: انظر وتامل وقل ما وجه التعليل لعدم الزواج في القيامة بان القائمين من الموت لا يستطيعون ان يموتوا ايضا، وما وجه الحجة في ذلك.. فهذا انكار للقيامة من الاموات والمعاد الجسماني الذي عليه صريح العهد الجديد، الهدى، ج ١، ص ٢٤٤؛ الرحلة، ص ١٦٠.

(١٢) ذكرناه بنصه من كتاب الهدى والرحلة وهما متطابقان في الرد لذلك احال اليهما الشيخ البلاغي ﷺ.



المدرسة لكي ترى كيف اجاب تلاميذه بالجواب الإِشراكي بتعدد الارباب^(١٣). وكيف حرف لفظ المزامير ومعناها^(١٤)، وكيف تناقض الانجيل في نسبته المسيح الى داود... . والى الصحيفة الـ ١١٥ و ١١٦ من الجزء الاول من الهدى و ٧٣ من الجزء الاول من المدرسة كيف اجاب اليهود بالجواب الإِشراكي بتعدد الآلهة وحرف المزامير ولم يفهم معناها الظاهر^(١٥).

(١٣) جاء في كتاب الهدى، ج ١، ص ١٥٨ ما نصه: (في ثامن يوحنا عن قول المسيح اذ قال له الفريسيون: انت تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقا حيث قال: وايضا في ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق انا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الاب الذي ارسلني وقد نسبوا الى قدسه بهذا الكلام تمام الجهل بحكم التوراة ومعرفة المكتوب وحكم القضاء شرعا وعرفا فان المدعي لا يكون احد الشهود البتة)، وجاء ايضا في ج ١، ص ١٥٩ ما نصه: (في عاشر يوحنا في شأن المسيح اجابة اليهود قائلين لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف فانك وانت انسان تجعل نفسك لها اجابهم يسوع اليس مكتوبا في ناموسكم انا قلت انكم آلهة ان قال: آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ولا يمكن ان ينقض المكتوب فالذي قدسه الاب وارسله الى العالم، اتقولون له: انك تُجَدِّفُ؟. لاني قلت: اني ابن الله)، قال الشيخ البلاغي رحمته الله: فاقول في هذا الكلام وفرض نسبته الى المسيح وحاشاه ان كان هذا الاحتجاج بما في الناموس جدلا من المسيح لليهود واسكاتا بما في ناموسهم لزم ان يكون في ناموسهم ما ليس من الاله بل هو كذب عليه فجادلهم به المسيح الزاما لهم وانتقادا عليهم، وهذا من شواهد التحريف الذي ادعيناه وان كان برهاننا من المسيح لزم ان يكون معتقدا مصدقا بتعدد الآلهة وكثرتهم وحيث ان يكون ما في التوراة ولا تذكر اسم آلهة اخرى ولا يسمع من فمك.

وجاء مثله في المدرسة السيارة، ٨٩ و ٩٠ ولكنه اضاف اليه مانصه: (وهل يكون صالحا من يقول: بتعدد الآلهة والارباب ويحرف الكتب المقدسة ويحمل ما فيها على غير معناه فيقول عليها لكي يمويه احتجاجه الاشراكي الواهي)، ثم قال: (ان الاناجيل تنسب الى المسيح القول بتعدد الارباب ففي الفصل الثاني والعشرين من انجيل متى والثاني عشر من انجيل مرقس والعشرين من انجيل لوقا المسيح انكر على اليهود قولهم ان المسيح ابن داود واحتج عليهم بان داود يدعو المسيح بالروح ربا). (١٤) بل حَرَفَ وافترى على المزامير فان في اول المزمور العاشر بعد المائة في الاصل العبراني (نأم يهوه لادنائي شب ليميني) وترجمته اوحى الله لسيدي اجلس ليميني فلم يقل لربي بل قال لسيدي والسيد يجوز ان يكون من البشر واين معنى السيد واين معنى الرب، الرحلة المدرسية، ص ٩٠.

(١٥) جاء في كتاب الهدى ج ١، ص ١٥٨، والرحلة ص ٩٠ ما نصه عن الاخير للتشابه بينها: (ياسيدي القس فاناجيلنا تبين لنا ان المسيح ليس هو النبي الصالح الموعود به في التوراة بل مقتضاها وحاشا المسيح انه ضد ذلك النبي الصالح داود ياسيدي وهل يكون صالحا من يقول: بتعدد الآلهة والارباب



السيد المسيح (عليه السلام) في الاناجيل البصباح

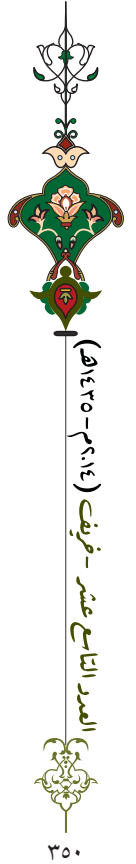
وانظر ايضا من الصحيفة الـ ٢٠٥ - ٢٢٥ من الجزء الاول من الهدى و١٣١ - ١٤٥ من الجزء الاول من المدرسة لكي ترى ما نسبته الاناجيل الى مسيحيهم من الكلام المتناقض والتعليم المتهافت والامثال السخيفة^(١٦).

وانظر ايضا من الصحيفة الـ ١٥١ - ١٨٤ من الجزء الاول من المدرسة لكي ترى ما في منقولات العهد الجديد من الخبط والتحريف ونسبة الكذب الى مسيحيهم^(١٧)، وان شئت

=ويحرف الكتب المقدسة ويحمل مافيهما على غير معناه فيقول عليها لكي يموه احتجاجه الاشراكي الواهي).

(١٦) جاء في المدرسة السيارة ص ١٦٤ ما نصه: (ان العدد الثلاثين من الفصل الثاني عشر من انجيل متى والعدد الثالث والعشرين من الفصل الحادي عشر من انجيل لوقا ينسبان الى المسيح قوله: من ليس معي فهو عليّ ومن لا يجمع معي فهو يفرق... والعدد الاربعين من الفصل التاسع من انجيل مرقس والعدد الخمسين من انجيل لوقا ينسبان ايضا الى المسيح قوله فيمن لم يتبعه ولم يؤمن به: من ليس علينا فهو معنا الا تنظر... الى التناقض بين هذين الكلامين وايضا ان الفصل التاسع من انجيل متى والعاشر من انجيل مرقس والثامن عشر من انجيل لوقا جاء فيها ان بعض الناس قالوا للمسيح: ايها المعلم الصالح فانكر عليه ذلك، وقال: لماذا تدعونني صالحا ليس احد صالحا الا واحد هو الله، وهذا مناقض لما يذكره الفصل الثاني عشر من انجيل متى والسادس من انجيل لوقا عن قول المسيح: الانسان الصالح، ومناقض ايضا لما يذكره الفصل العاشر من انجيل يوحنا مكررا عن قول المسيح: اما انا فاني الراعي الصالح... هل ترضى بان يكون كلام المسيح متناقضا). وجاء في كتاب الهدى، ج ١، ص ٦٣ ما نصه: (والتلاميذ الاثني عشر مالوا الى الرئاسة الدنيوية وتشاجروا في انه من يكون الاكبر بعد المسيح... واغتاط عشرة منهم على المسيح من اجل ابني زبدي... ووبخهم على قلة ايمانهم... وانهم لا ايمان لهم... وليس لهم من الايمان مثل حبة خردل... ووصفهم الانجيل بغلظ القلوب... وان كبير التلاميذ بطرس صار يتنهر المسيح حتى قال له المسيح: اذهب عني يا شيطان انتم معثرة لي لانك لاتهتم بما لله بل بما للناس، وقد انكر المسيح ثلاث مرات وابتدأ يلعن ويحلف انه لا يعرفه...).

(١٧) الرحلة ص ١٤٦ ما نصه: (عمانوييل: من صنف هذه الاناجيل. القس: يذكر انهم اربعة رجال اثنان من تلاميذ المسيح الاثني عشر وهما متى ويوحنا واثنان من اتباع التلاميذ وهما مرقس ولوقا. عمانوييل: باي تاريخ صنفت هذه الاناجيل، القس: يذكر انه صنف انجيل متى بعد تاريخ الميلاد سنة ٣٢ - او ٣٨ - او ٤١ - او ٤٣ - او ٤٨ - او ٦١ - او ٦٢ - او ٦٣ - او ٦٤، وصنف انجيل مرقس ما بين سنة ٥٦ و ٦٥ والاعلج انه سنة ٦٠ - او ٦٣، وصنف انجيل لوقا سنة ٥٣ - او ٦٣ - او ٦٤، وصنف انجيل يوحنا سنة ٦٨ - او ٦٩ - او ٧٠ - او ٨٩ - او ٩٨، ونسب الى المسيح الكذب، قال=



فانظر في كتاب اعاجيب الاكاذيب لكي ترى العجب العجاب من اكاذيب مبشريهم وما نسبته كتب العهدين من الكذب الى الانبياء وياليتهم لم يتعدوا بنسبة الكذب الى الله جل شأنه وتعالى عما يقول الظالمون^(١٨).

فليت شعري اين ذهب روح الحق روح البرقليط عن الاناجيل وكتبتها ومسيحها ورسل العهد الجديد وانبيائه، وعن العهد القديم وانبيائه لكي يعلمهم ويصرفهم عما اشرنا اليه من الطامات^(١٩).

فهل كان روح الحق مشغولا بتلاعب ابليس به كما تذكره الاناجيل من خرافة تلاعبه بالمسيح اذ صار ينقله من مكان الى مكان ويتصرف ببصره ويطلب منه السجود له ولم ينفك عنه الا بعد اللتيا والتي، وانجيل لوقا يقول: ان ابليس انفك عن مسيحهم الى حين فلا يدري بزمان الانفكاك ومتى جاء ذلك الحين، فانظر في الصحيفة الـ ١٦١ - ١٦٣ من الجزء الاول من الهدى، والـ ١٤١ - ١٦٤ من الجزء الاول من المدرسة السيارة ولنكتف ههنا بهذا المقدار^(٢٠).

= الشيخ البلاغي في كتابه الرحلة، ص ٨٢: (ان انجيل يوحنا يقول في الفصل السابع: ان المسيح لما قال له اخوته: اصعد الى هذا العيد قال لهم انا لست اصعد بعد الى هذا العيد ثم صعد الى ذلك العيد بالخفاء، اليس هذا من الكذب ولو ان اناجيلنا اقتصرنا على هذا الهان، ولكنها نسبت الى قدس المسيح امورا عظيمة... منها شرب الخمر والكذب والكلام القبيح مما ينتزه عنه الانبياء ﷺ).

(١٨) كتاب اعاجيب الاكاذيب لم اعثر عليه، والعهدين: اشارة الى العهد القديم وهو التوراة والعهد الجديد وهو الانجيل.

(١٩) وهو كل شيء كثر حتى علا، ويقال فوق كل طامة طامة ومنه سميت القيامة طامة، الرازي، مختار، ص ٣٤٠.

(٢٠) نقل الشيخ البلاغي في كتابه الهدى، ج ١، ص ٢٠٥، والاختلاف في ارقام الصفحات راجع الى اختلاف الطبعات، جاء فيه (انجيل لوقا ١٣: ولما اكمل ابليس كل تجربة -أي مع المسيح- فارقته الى حين، وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨١١ م مضى عنه الى زمان ولم يعلم من الاناجيل مقدار زمان المفارقة ولعله كان يوما)، وجاء في كتاب الرحلة، ص ١٨٥: (لوقا يقول: ان ابليس فارق المسيح الى حين، والامر المدهش ان يكون نزول الروح يعقبه تصرف ابليس ونفوذ قدرته في المسيح رسول الله وينقله من مكان الى مكان، وقيد لوقا المفارقة وجعلها الى حين).



السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... البصباح

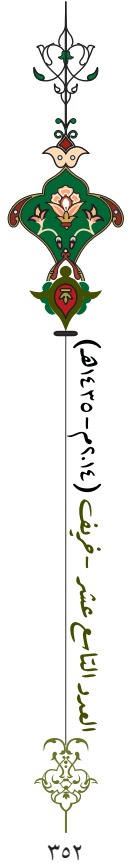
العنوان الثاني (*):

من كلام الكاتب هو اعتراضه على قدس رسول الله بما جاء في القرآن الكريم من قول الله جل اسمه: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّنَّهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]، فكان اعتراضه على ذلك بامرین:-

احدهما: ان كلمة (ننسخها) التي هي بضم النون الاول وسكون الثانية مع كسر السين قد حرفها وقرأها بفتح النون الاول والسين فقال: واني لا اجد كيف يكون الله قديرا على كل امر ولا يقدر على حفظ كلمة قالها او آية او حاشاها - ما عن كذا - ان سها عنها او نسيها، وزيادة على تحريفه قد تحكم بجهله وزعم ان الآيات المرادة بقوله - آية - النكرة الواقعة في سياق النفي هي من آيات القرآن.

وقد اوضح في الصحيفة الـ ٣١٩ و ٣٢٠ من الجزء الاول من الهدى ان المراد من الآيات المنسوخة والمنسأة هي الآيات الواردة في كتب الوحي الحقيقي للانبيا السابقين، وقد عرض لها النسخ بحسب اقتضاء المصالح او عرض نسيان الخلق لها بسبب تضييعهم اياها واتباع ضلالهم حتى صارت نسيا منسيا، ومعنى انساء الله لها هو انه جل شأنه بمقتضى حكمة التكليف لم يلجئ العباد على حفظها لانه جل اسمه انما يريد منهم الطاعة الاختيارية، ولم يلطف بهم بحفظها من الضياع كما حفظ القرآن الكريم وذلك لاجل شدة اولئك الامم في تمردهم فخرجوا بتمردهم وطغيانهم عن كونهم اهلا للطف، وبهذا الاعتبار وان بقاءها محفوظة لا يكون الا بعنايته وحفظه جلت آلاؤه نسب الانساء الى فعله مجازا، وقد اتضح من مباحث اظهار الحق وكتاب الهدى والمدرسة السيارة ان الذي بايدي الناس من التوراة والانجيل - ودع عنك سائر العهدين - هو اجنبي عن آيات التوراة الحقيقية والانجيل الحقيقي وان الذي هو حقيقي من كتب العهدين قد اضاعه الضلال والتحريف حتى صار نسيا منسيا^(٢١)، ولكن الله - جلت الآؤه - لم يقطع لطفه عن عباده الذين هم

(*): نشر في الجزء الخامس من مجلة الهدى - السنة الثانية رجب ١٣٤٨ هـ الموافق كانون الاول ١٩٢٩ م.
(٢١) وهنا ينتقد الشيخ البلاغي في كتابه الهدى الى دين المصطفى المحدثين في موضوع نسخ التلاوة =



اهل اللطف فأتاهم بما هو خير من تلك الآيات او مثلها بحسب ما يعلمه من المصالح والمقتضيات، وهذه الآيات التي جاء بها الانبياء السابقون واضاعها ضلال الامم قد بدلها الله في تجديد الرسالة بآيات القران الكريم: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

كما في الآيتين ١٠٣ و ١٠٤ من سورة النحل المكية^(٢٢)، واما النسخ فقد افرد بعض المبشرين بالاصرار على انكاره وامتناعه وخبطوا في ذلك حسبها اقتضته بواعثهم وتغاضوا عما في كتبهم الرائجة من امتلائها بما هو من نحو النسخ لو كانت كتب وحي الهي. هذا وقد اوضح المسلمون ماهية النسخ وحقيقته وانه لا يتعلق باصول الدين، وانما يتعلق بالاحكام الشرعية باعتبار اختلاف المصالح بحسب الازمان، وواضحوا فلسفته ولزومه في بعض الاحيان وعلى ما اشرنا اليه من فلسفة النسخ، واختلاف المصلحة المقتضية في اول التشريع وبعد تمرن الناس على الانقياد الى احكام الشرع وتأديباته جاء قوله تعالى في الآية التاسعة عشرة من سورة النساء في امساك الزانيات في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا^(٢٣)، ثم بعد ان تمرن الناس على التشريع وخضعوا لتأديباته وقويت

= وآية حفظ القرآن الكريم فيقول: (ان هذه الروايات وامثالها قد افردت في الاكثار حتى جعلت مقدار الذاهب من القرآن اكثر من الموجود، فتتبع كتب المحدثين الذين لا هم لهم في تحقيق الحقائق وانما همهم حفظ اساطير الاثر والتاريخ فيكتبون كل ما يسمعون او يجدون ويوكلون امر التحقيق الى اهله ويحملون الفقه الى من هو افقه منهم... ثم قال -الشيخ البلاغي- وان آية الحفظ للذكر لتدل على ان الإنساء لا يقع بالنسبة الى القرآن الكريم الموعود بحفظه فتدل على ان المقصود بالنسخ والانساء في آيتها هو ما اوحى من الآيات في الشرائع السابقة فنسخ بعضها وعفت بعضها عواصف الايام حتى جعلته نسيا منسيا)، البلاغي، الهدى، ج ١، ص ٣٥٣.

(٢٢) الآية المذكورة هي برقم ١٠٢ ولعله خطأ مطبعي، ونص الآية الكريمة: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وتليها الآية رقم ١٠٣ ونصها: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئِيَّاكَ تَعْلَمُونَ إِنَّ إِلَهَهُمْ إِلَهُكَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، اما الآية رقم ١٠٤ من سورة النحل فهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يُكَايِدُونَ إِلَهَ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٢٣) الصحيح الآية الخامسة عشرة من سورة النساء ولعله خطأ مطبعي، ونص الآية الكريمة: ﴿وَأَلَّتِي



السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... البصباح

سطوة الشريعة شرع حد الجلد على الزنا في سورة النور^(٢٤) وشرع حد الرجم للمحصن والمحصنة بالسنة^(٢٥).

واوضح المسلمون ايضا موارد الجدل وقالوا لليهود والنصارى ان كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد ان كانت كتب وحي كما تزعمون فانظروا الى ما فيها من النسخ الكثير بكثرة مفرطة مدهشة واعتبروا بذكرها لوقوع الناسخ والمنسوخ في شريعة نوح ونسخ التوراة لما قبلها من الشرائع ونسخ البعض من احكامها بما فيها، وبما عن حزقيال وبما عن المسيح في الانجيل في الطلاق والتزوج بالمطلقة والحلف والصوم والقصاص ونسخ حكم الانجيل في تبشير التلاميذ ونسخ احكام التوراة بما عن التلاميذ ونسخ ما ابقاه التلاميذ بما عن الرسائل المنسوبة الى بولس الى حد لم يبقوا لشريعة التوراة اثرا بينهم وان شئت ان تعرف مواقع ذلك وشرحه فانظر الى الجزء الاول من كتاب الهدى ٢٤٠-٢٦٥ واعجب مما في كتبهم ومع هذا كله يقول المبشرون وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ^(٢٦).

العنوان الثالث (*):

ذكر الكاتب قوله تعالى في الآية الستين من سورة آل عمران وسياها سورة زخرف:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢٧) ، وقوله

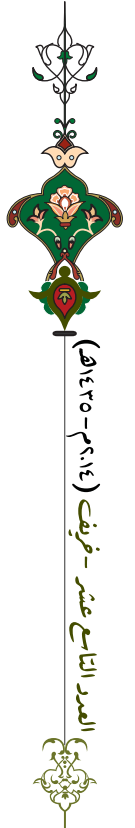
يَأْتِيكَ الْفَدْحَسَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا .

(٢٤) قال تعالى في سورة النور الآية الثانية: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْهُمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(٢٥) قال الشيخ الطوسي في كتابه الخلاف: (يجب على الثيب الرجم وبه قال جميع الفقهاء... روى عبادة بن الصامت ان النبي ﷺ قال: خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)، الخلاف، ج ٥، ص ٣٦٤.

(٢٦) انظر: الجزء الاول من ٢٩٥-٣٥٥ فيه تفصيل المتناقضات وخلاف اقوال المسيح عليه السلام وما جاء به التوراة من الاوامر والنواهي والعبادات والزواج والطلاق والحرب والجهاد والسياسة الشرعية والمواثيق وغيرها، والنسخ واقع في اغلب هذه الامور اقرأ وتأمل!

(*) نشر في الجزء الخامس من مجلة الهدى - السنة الثانية - رجب ١٣٤٨ هـ الموافق كانون الاول ١٩٢٩ م. (٢٧) الآية رقم ٦٧ بدلا من رقم ٦٠ من سورة البقرة.



• الصَّبَاحُ

..... الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي

تعالى في الآية الرابعة عشرة من سورة الانعام المكية في خطاب رسول الله ﷺ بعد خطاب اهل عصره وذكر شيء من تمردهم وموعظتهم: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (٢٨)، فاعترض الكاتب بانه كيف يكون محمد اول من اسلم وهو في الجيل السادس بعد المسيح؟ وكيف تيسر لابراهيم ان يظفر بدين الاسلام قبل هذا الدين باجيال؟.

واقول: لم يفهم هذا المعترض ان مراد القرآن الكريم من الاسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وعلى ذلك كان ابراهيم عليه السلام مسلما وما كان من المشركين، وفي الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة في شأن ابراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٩)، وفي الآية الثانية والعشرين بعد المائة منها من قول ابراهيم وابنه اسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ (٣٠)، وفي الآية المائة والسادسة والعشرين منها في وصية يعقوب لنيه: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣١).

وفي الآية الثانية بعد المائة من سورة يوسف عن قول يوسف في دعائه ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ (٣٢)، وفي الآية الثالثة والعشرين في دعاء سحرة فرعون: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣)، وفي الخامسة والثمانين من سورة يونس عن قول موسى لقومه: ﴿ إِنْ

(٢٨) رقمها صحيح ونص الآية الكريمة: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

(٢٩) الآية رقم ١٣١ بدلا من ١٢٥.

(٣٠) الآية رقم ١٢٨ من سورة البقرة وليست ١٢٢ ونص الآية هي: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَبِعَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

(٣١) الآية رقم (١٣٢) من سورة البقرة وليس ما موجود في المطبوع وهو (١٢٦) منها واليك نص الآية: ﴿ وَوَضِعْنَا يَمَافُ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِي إِدْرِيسَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.

(٣٢) الآية رقم ١٠١ من سورة يوسف وليست ١٠٢، واليك نصها: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَليٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلِحِينَ ﴾.

(٣٣) الآية ١٢٦ من سورة الاعراف، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ أَمَّا نَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾.



السيد المسيح (عليه السلام) في الاناجيل البصباح

كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾، وفي الآية الخامسة والاربعين من سورة آل عمران والحادية عشر بعد المائة من سورة المائدة عن قول الحواريين لعيسى: **﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾** ﴿٣٥﴾، الى غير ذلك مما في القرآن الكريم ﴿٣٦﴾ هذا معنى الاسلام في القرآن ولم يكن ابراهيم يقول بالثالوث البرهمي البوذي، ولم يتخذ كالاناجيل كتابا ينسبه الى الوحي وفيها التعليم بتعدد الارباب والآلهة ولم يقل بما جاء في رسائل العهد الجديد من تأليه البشر ولم يتخذ كالعهد القديم كتابا يقول في الآله المعبود - ألوهيم - أي آله، ويصف الله جل شأنه بما يصف به الوثنيون او ثنائهم وينسب الكذب ولوازم التجسيم والضعف الى الله **﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**.

واما كون رسول الله ﷺ اول المسلمين فالمراد منه اول المسلمين في عصره لاجل عموم الوثنية والشرك في ذلك العصر، ومن ذلك ما ذكرناه من الثالوث والتثليث وتأليه البشر وما في توراة اليهود وسائر كتب العهد القديم.

نعم قد كان قوم من اليهود ومن الصابئين اتباع يحيى بن زكريا ومن النصرارى في الاعصر القديمة قوم لم يلوثوا توحيدهم بتعدد الآلهة وضلال الوثنيين ومنه التثليث قد آمنوا بالله حق الايمان واتبعوا رسله حق الاتباع فهم لاخوف عليهم ولا هم يجزنون.

وعلى ذلك جاء قوله تعالى في الآية الثالثة والسبعين من سورة المائدة: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾** ﴿٣٧﴾، لا مطلقا بل من امن من هذه الفرق الثلاث حق

﴿٣٤﴾ الآية ٨٤ وليست ٨٥، قال تعالى: **﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾**، وقال تعالى: **﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنَّيَّ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [سورة يونس: ٧٢].

﴿٣٥﴾ الآية ٥٢ من سورة آل عمران وليست ٤٥، قال تعالى: **﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾**.

﴿٣٦﴾ قال تعالى: **﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾** [سورة النمل: ٣١]، وقال تعالى: **﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ...﴾** [سورة النمل: ٤٤]، وقال تعالى: **﴿قَبِلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾** [سورة النمل: ٣٨]، وكذا في الآيات [سورة الحجر: ٢] و [سورة آل عمران: ٨٠، ٨٣، ٨٥]، والعديد منها في القرآن تبين لفظ الاسلام والمسلمين قبل ظهوره.

﴿٣٧﴾ الآية رقم ٦٩ وليست ٧٣ من سورة المائدة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**.

• الصَّبَاحُ

.....الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي

التوحيد والايان ﴿ يَا لِلّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وان هؤلاء الكرام مسلمون ولم يبتغوا غير الاسلام دينا فان (الدين) دين الحق (عند الله) هو (الاسلام) بالمعنى الذي ذكرناه، ودلت عليه الآيات المتقدمة (٣٨) ، ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ وحادوا عن نهج التوحيد الحقيقي ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ من دلالة العقل وارشاد الرسل وقيام الحجة اختلفوا ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ فيدين بمثل دين الوثنيين ويقول بتعدد الآلهة والارباب ويؤله البشر ويقول بالثالوث ويمحق الشريعة ويتبع عادات الوثنيين ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ ﴾ ذلك ﴿ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ كما نطقت به الآيتان السابعة عشرة والتاسعة والسبعين من سورة آل عمران (٣٩) .

العنوان الرابع (*):

ذكر الكاتب قوله تعالى في الآية التاسعة والتسعين من سورة يونس: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٠) ، ولكن هذا الكاتب كأنه لم يفهم من ظاهر الآية المشرق بانواره، ولم يتعقل ان المراد منها تسليية رسول الله ﷺ اذ كان يحزن ويتألم من إصرار المشركين على غيهم فسلاّه الله بان ايمان الناس بالقلب وانقيادهم بانفسهم الى الحق و صرف نفوسهم بالإلجاء الى الهدى، غير داخل تحت قدرتك ولا انت مسؤول عنه.

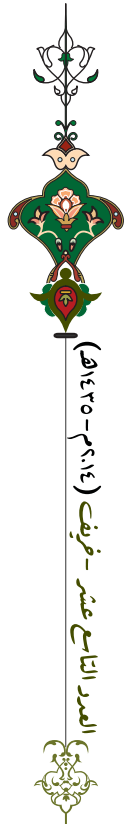
كما قال الله تعالى له في الآية الثانية والسبعين من سورة المائدة: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾

(٣٨) قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

(٣٩) الآية الاولى رقمها ١٩ وليس ١٧، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ، اما الآية الثانية فقد ذكرناها في الهامش السابق برقمها الصحيح وهو ٨٥ من سورة آل عمران.

(*) نشر في الجزء السادس من مجلة الهدى السنة الثانية - شعبان ١٣٤٨ هـ الموافق كانون الثاني ١٩٣٠ م. (٤٠) رقم الآية صحيح.





السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... **البصباح** .

مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ .

وفي العشرين من سورة الزمر المكية: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (٤٢)، وفي الثانية من سورة الشعراء المكية: ﴿ لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٣)، وفي السادسة والخمسين من سورة القصص المكية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾، ونحوها السادسة من سورة الكهف المكية (٤٤).

ولكن الله هو القادر على التصرف بضمائر العباد وإلجاء نفوسهم بالجبر على الايمان ولا يجعل لهم في ذلك اختيار ولو شاء ذلك لفعل فآمن كل اهل الارض ولكنه يمتنع في حكمته ولطفه ورحمته وغناه ان يشاء ذلك لان ذلك يسد على العباد باب الترتي بالكمال وفضيلة الايمان والصلاح الاختياري والنعمة والابتهاج بهذا الكمال وسعادته وجزائه .

اذا اتضح هذا فاعلم ان الكاتب ذكر الآية المتقدمة واعررض بانها منافية لآية الجهاد للدفاع عن التوحيد والموحدين وصلاح المجتمع الانساني وسعادته في حاله ومستقبله فزعم انها مضادة لقوله تعالى في الرابعة والخامسة من سورة محمد ﷺ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا اُنْخَسَمُوهُ فَشِدُّوا أَلْوَتَاقًا فَمَا مَثَا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَيْنَهُمْ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّبَلَّوْا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤٥).

افلا يشعر هذا المعترض ان هذه الآية من السور المدنية بعد الهجرة وبعد اصرار المشركين وتكالبهم على اضطهاد المسلمين بانواع الاضطهاد وانواع التشريد من الاوطان

(٤١) رقمها الصحيح ٦٨ من سورة المائدة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ رَبِّكُمْ وَلَٰكِن كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

(٤٢) رقمها ١٩ .

(٤٣) رقمها ٣ .

(٤٤) قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾، والآية من سورة القصص صحيحة الرقم .

(٤٥) الصحيح رقمها ٤ .

واذا هم بانواع الاذى وتألبوا على حرب مَنْ في دار الهجرة في اكثر من عشر سنين واستمروا على معاداة التوحيد والموحدين ليردوهم الى الشرك وحالوا بين كثير منهم وبين الفرار بدينه من عدوانهم، ولكن لما صار للمسلمين في دار الهجرة نحو قوة للدفاع لم يرض الله لهم ان يستسلموا لضلال الكفر وظلم الشرك فتذهب دعوة التوحيد ودين الحق ضياعا بل اذن لهم بالدفاع عن التوحيد ودين الحق وشريعة المدينة الصالحة وامرهم بالدفاع الصالح وصد اولئك الوحوش المتكالبين على عداء التوحيد والصالح فكان القرآن يحدد هذا الدفاع باحسن ما يكون من حدود الرحمة والامتنان كما ترى ذلك ظاهرا من قوله تعالى في الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْأوثَاقَ﴾ فلم يقل فانفوسهم بالقتل وحرقوا كل نسمة منهم بالاهلاك بل اوثقوهم اتقاء من شرهم مادامت الحرب قائمة وانتم بالخيار بعد ذلك بحسب المصلحة والنظر فيما هو الصالح الذي تقتضيه الحالة الحاضرة ((فاما منا)) عليهم باطلاقهم، ((واما فداء)) تاخذونه منهم لاجل ارغامهم والتوسعة على المجاهدين او صرف ذلك في مصالح الدفاع ولم يامرهم الله في الآية المذكورة بالتهاجم بل ذكر لهم التعاليم الدفاعية الجامعة بين الحزم والرحمة اذا لقوا الذين كفروا، وقال جل اسمه في الاية الثانية والستين من سورة الانفال المدنية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لاجل دفاعهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ليكون ذلك كاسرا لسورة طغيانهم ورادعا لهم عن العدوان الاشراكي بحيث ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ المعاند لتوحيده والايان به وبشريعته العادلة ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ المتكالب على عدائكم وحربكم لاجل نصرتكم لدين الحق وشريعة الصلاح ((و)) ترهبون به ايضا ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ ينبغي اربابهم لئلا يحملهم شركهم ومعاداة دين الحق وشريعته على معاضدة المحاربين لكم وهؤلاء الآخرون ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ اذا لم يتظاهروا الى الان لكم بالعدوان، ولكن ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ وهؤلاء الناهضون لعدائكم ومحاربتكم واذاكم ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ يا رسول الله الذي تجب طاعته واتباع اوامره على المسلمين^(٤٦)، هذا بعض ما في القرآن من حدود الدفاع الكريمة القائمة بالحزم والرحمة

(٤٦) الصحيح الاية ٦٠ - ٦١ من سورة الانفال قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ



السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... **البصياح**

والصلاح، وفي الجزء الثاني من المدرسة السيارة من الصحيفة الثالثة الى السادسة عشرة قد اشير الى الوجه الفلسفي لصلاح لازم في دفاع رسول الله صلى الله عليه واله واسباب دفاعه ولزومه في اصلاح الدين المدني وتحديد حدود الرحمة والاحسان^(٤٧) واشير ايضا الى دعوة المسيح وهويتها واستعداده للدفاع ووهن اصحابه فليراجع ذلك فان فيه شيئا من تفصيل هذا الاجمال^(٤٨).

العنوان الخامس:

افتخار الكاتب بشريعة الانجيل حيث يقول في انجيل متى ٥: ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ سمعتم انه قيل عين بعين و سن بسن و اما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ايضا و من اراد ان يخاصمك و ياخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا^(٤٩)، و قريب منه في انجيل لوقا ٦: ٢٩^(٥٠).

رَبَّاطِ الْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

(٤٧) ذكر الشيخ البلاغي^{رحمته} في كتابه الرحلة المدرسية سبب حروب الرسول^{صلى الله عليه وسلم} وسراياه واثبت انها كانت دفاعية عن الاسلام والتوحيد ضد الوثنية والشرك، وكانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي احسن فحروبه باجمعها دفاع لعدوان المشركين الظالمين عن التوحيد وشرعية الاصلاح، وكان يجنح للسلام والصلح والهدنة، قال البلاغي: (ان هؤلاء الذين انقادوا الى الاسلام بالسيف لما تشرفوا بنعمة الاسلام صار محمد^{صلى الله عليه وسلم} احب الناس اليهم وذلك لما وجدوه من صلاح دعوته وحسن سيرته في تبليغها واجراء شريعتها فيما عاملهم به من التحمل والملاينة). ص ٢٢٦ و ٢٣٦ و ٢٣٨.

(٤٨) ان الانجيل قد ذكرت وهن التلاميذ وضعفهم عن الصبر على الشدائد وتفرقهم عن المسيح عند هجوم اليهود عليه كما اخبرهم به المسيح قبل ذلك، فقد جاء في انجيل لوقا ان المسيح اراد من تلاميذه الاستعداد للدفاع بالسيف وقال لهم من ليس له سيف فليبع ثوبه ويشتر سيفاً، ولكن ياللاسف لم يجيوا امره المؤكد لهم جميعا بالسمع والطاعة. البلاغي، الرحلة المدرسية، ص ٢٣٦.

(٤٩) وايضا: (ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين * من سألك فاعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده...) انجيل متى ٥: ٤٣ و ٤٤ و ٤٨.

(٥٠) (لكني اقول لكم ايها السامعون احبوا اعداءكم، احسنوا الى مبغضيتكم، باركوا لاعنيكم، وصلّوا=

وياللعجب من هذا الكاتب اذ لم يكن له شعور يعرف به ان هذا التعليم بهذا الافراط وهذا الخنوع التافه وهذه الضراعة السخيفة للشر والاشرار مما يقصم ظهر المدنية والعمران وانتظام الاجتماع ويرفضه جميع العقلاء الذين لهم نحو عناية بالمدنية.

وفي الصحيفة الـ ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ من الجزء الاول من المدرسة السيارة قد اشير الى شيء من ذلك والى شيء من شريعة القرآن المعقولة في نظام الاجتماع وكرم الاخلاق وحسن السياسة وحفظ النظام فليراجع (٥١).

وليت شعري اذا كان هذا الكاتب يجذ هذا التعليم من انجيله ويزعم انه هو التعليم الصحيح ويعترض على دفاع رسول الله ﷺ عن التوحيد ودين الصلاح بما لذلك الدفاع الحميد من الطريقة القويمية والحدود الكريمة فماذا يصنع بتوراته فيما تذكره عن امر الله لموسى بتلك الحروب القاسية الفظيعة في قتل كل نسمة من الرجال والنساء والاطفال حتى الرضع وحتى البهائم بنحو تشمئز منه النفوس وتقشعر منه الجلود، ولم تذكر ان تلك الحروب القاسية او القتل الشنيع كان لاجل دفاع عن دين او لاجل دعوة الى حق بل لم تذكر غاية لذلك الا استلاب الارض من سكانها المطمئنين بها واعطائها الى بني اسرائيل الذين لم يثبتوا على التوحيد جيلا حتى في زمان موسى بعد خروجهم من مصر ولم تمنح الوثنية مما بينهم جيلا واحدا، والتوراة وكتاب يوشع يذكران ان موسى وخليفته بامر الله يوشع بن نون عملا بقساوة تلك الحروب على افطع وجه حاشا لله وحاشا رسله وأولياءه.

وقد اشير الى شيء من ذلك في الصحيفة التاسعة والستين من الجزء الاول من المدرسة

= لاجل الذين يسيئون اليكم، من ضربك على خدك فاعرض له الاخر ايضا، ومن اخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ايضا... انجيل لوقا ٩: ٢٧-٣١.

(٥١) لقد شرع الاسلام نظام العفو ونظام الاجتماع فالقصاص له حكمته الفائقة في المدنية والاجتماع فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [سورة النحل: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]، فمن الهين ان يموت شخص المعتدي الظالم او يتالم بشريعة القصاص كما يقطع العضو الفاسد حفظا لحياة الانسان من عدوى الوباء وحفظ نظم المجتمع الانساني. البلاغي، الرحلة المدرسية، ص ١٧٢.

السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... البصياح

السيارة و ٢٩١ و ٢٩٢ من الجزء الثاني من الهدى (٥٢).

العنوان السادس:

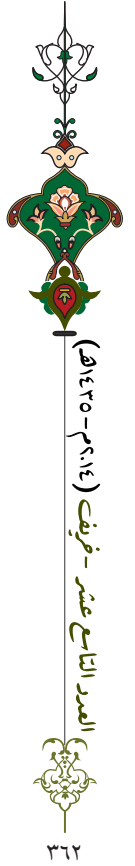
ذكر هذا الكاتب قول انجيل متى ٥: ٤٣- ٤٧، ونحوه انجيل لوقا ٦: ٢٧- ٣٤، (احبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات... الى اخره) (٥٣).

فاعترض بذلك على قول الله جل اسمه في الآية الرابعة عشرة من سورة التوبة: ﴿ قَتَلُوهُمْ يَعِدُّبَهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (٥٤)، وتغاضى الكاتب عن مورد هذه الآية وسياقها مع ما قبلها فهل تراه لا يعقل معنى قوله تعالى في الآية الرابعة من السورة المذكورة: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾، مما عاهدوكم عليه فلم يخذروا ﴿ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ واتقوا الله ولا تخالفوا عهدكم اذا وفوا به ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ لله منكم الذين يراعون العهد ويجبون صلاح البشر، وهل تراه لا يعقل مرمى قوله تعالى في الآية السابقة من السورة المذكورة ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ بدون ان يستقيموا للسلم ولا يضطهدوا

(٥٢) جاء في كتاب المدرسة او الرحلة، وهو مجلد واحد بثلاثة اجزاء غير منفصلة طبعة بيروت، لذلك اكتفيت بذكر الصفحة فقط، ص ٨٤: (لما تغلب بنو اسرائيل على المديانيين وسبوا نساءهم واطفالهم امرهم موسى ان يقتلوا كل ذكر من الاطفال وكل امراة ثيبة اما الاطفال من النساء اللواتي لم يقربهن ذكر فانهن يبقين حيات لهم وقد كن اثنتين وثلاثين الفا... وعلى ذلك جرى يوشع ابن نون في حروبه كما تراه في سفر يوشع وان المقتولين من الاطفال والنساء يزيدون على مئات الالوف). وجاء في كتاب الهدى، ج ٢، ص ٣٤٧، فيما يخص الحرب والجهاد فمن تعاليمهم في التوراة ان مدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين يجرمها بنو اسرائيل تحريبا لا يستبقون منها نسمة ولا يقطع معهم عهدا ولا يشفق عليهم، واما مدن غير هؤلاء من الامم فتستدعى الى الصلح فان اجابت فكل الشعب الذي فيها يستعبد وان حاربت وفتحت فجميع ذكورها يقتلون وتكون النساء والاطفال والبهائم وكل ما فيها غنيمة...

(٥٣) ذكرنا ذلك في بداية العنوان الخامس نقلا عن الانجيل من نسخة عندنا مطبوعة سنة ١٩٦٣ م في مطبعة عنتر بالقاهرة، من انجيل متى ٥: ٤٣- ٤٤- ٤٨ وانجيل لوقا ٩: ٢٧- ٣١.

(٥٤) تكملة الآية: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة: ١٤].



دعوة التوحيد والموحدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٧]، فامر الله جل شأنه بالمسالمة والاستقامة لمن استقام ولم يغدر او يحارب التوحيد والموحدين ودين الحق واهله وامر بمدافعة الغادرين من المشركين واطهر الحكمة في ذلك بيان خبثهم وسوء نياتهم مع اهل الحق بقوله تعالى في الآية الثامنة^(٥٥)، ((كيف)) يكون لهم عهد بحيث يؤمن شرهم وضغائن شركهم وكيف يخالجهم الوهن في امرهم ((و)) من الخبث الاشرافي وسوء النية للتوحيد وطغيانهم في الضلال بحيث انهم ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ بمساعدة الفرصة وحصول الغرة منكم والوهن في الحذر منهم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بزرج الكلام وكذب القول ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ فتبعثهم على العداة والغدر الى ان قال جل اسمه في الآية العاشرة [سورة التوبة: ١٠]: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ فهم اعداء ايمانه وتوحيده ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾، الى ان قال جل اسمه في الآية الثانية عشرة [سورة التوبة: ١٢]: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ وغدروا وطعنوا في دينكم وصدوا عن الهدى ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن ضلالهم وسوء نياتهم في الغدر والعداء، الى ان قال جل اسمه في الآية الثالثة عشرة [سورة التوبة: ١٣]: ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ﴾ في الدفاع ﴿فَوَمَا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ وخانوا عهودكم وغدروا بالموحدين وقتلوهم ((و)) هم الذين ﴿وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من بعد ما عاملوه بما اقتضاه شركهم وطغيانهم جهد قدرتهم من انواع الجرة والاضطهاد عنادا لدعوته الى التوحيد والصلاح ونظام المدنية العادلة ((وهم)) الذين ((بدؤكم)) بالقتال ((اول مرة)) طغيانا وحماية للشرك والعادات الوحشية وعداوة للتوحيد والصلاح فماذا يصدكم عن دفاعهم حسب ما يوجبه الفن الحربي في الدفاع ((تحشونهم)) وتهاونون في دفاعهم ورد عاديتهم على الحق لا لاتهنوا خشية منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فان دعوة التوحيد لا حياة لها مع وحوش المشركين الا

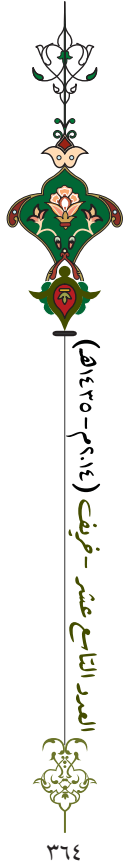
(٥٥) ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨].



السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... البصياح •

بدفاعهم فان حكمة الله لا تقتضي الجاءهم الى الايمان وسلب اختيارهم هؤلاء ﴿ قَتَلُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ١٤] بالغلبة الحربية ((ويخزهم)) بظهور كلمة التوحيد ودين الحق وبخبيتهم فيما مناهم به الضلال والطغيان والشيطان، وقد ذكر الله جل اسمه بعض قوانين الدفاع في سورة البقرة فقال جل شأنه: ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠] والدعوة الى التوحيد ودين الحق اولئك ﴿ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ ﴾ على دعوتكم هذه عنادا لطاغوتهم ووحشيتهم وتركهم لصلاحها ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ على من لا يقاتلكم على ذلك ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، وقال جل شأنه: ﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٢] يغفر لهم ما سلف من طغيانهم ويرحمهم بدلالتهم على الهدى، وقال جل شأنه: ((و)) هؤلاء الذين يقاتلونكم ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣] اشراكية جاهلية ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ وتستقيم به قوانين الصلاح ونظام السعادة هذه هي الحكمة في دفاعهم والمقصود منه ((فان انتهوا)) وعرفوا للحق فضيلة فيا حبذا، ولا تعتدوا عليهم ﴿ فَلَا تُعَدُّوْنَ اِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ لاجل ردعهم عن الظلم ودفاعهم عن حرب الحق واهله.

وفي الآية الثامنة والثلاثين من سورة الانفال المدنية: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ يَنْتَهُوا ﴾ [سورة الانفال: ٣٨] عن نصب العداوة واثارة الحرب على التوحيد والموحدين ﴿ يُعَفِّرْ لَهُمْ ﴾ في الدنيا ((ما سلف)) من اعمالهم العدوانية ولتستوسق مسالمتكم لهم حبا لخير البشر ﴿ وَاِنْ يُعُودُوا ﴾ الى تلك الاعمال الشركية الجائرة وذلك العدوان ((فقد مضت)) وتقررت ((سنة الاولين)) في دفاعهم وانتقام الله منهم بالحروب الدفاعية ((و)) هؤلاء المشركون المحاربون للتوحيد ودين الحق ((قاتلوهم حتى)) تنكسر شوكة طغيانهم وشركهم ويندفع شرهم و﴿ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ اَنْتَهُوا ﴾ فلا عدوان عليهم. واما اعمالهم بالصلاح والتقوى فحسابهم وحكمهم فيها على الذي لا تخفى عليه خافية ﴿ فَإِنَّ اَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. [سورة الانفال: ٣٩] هذه بعض قوانين الدفاع لطغيان الشرك واضطهاد المشركين للتوحيد ودين الحق والصلاح واهله،



وهذه حدود الدفاع على ارقى نهج يتصور في تثبيت الدعوة الى الحق والصلاح والاصلاح ونظام العدل والمدنية لا كما زوره الضلال على التوراة الحقيقية فذكر في التوراة الدارجة ان الله امر موسى بقتال لم تعهد مثل قساوته وفضاعته ووحشيته في صبغ الارض بدماء مئات الالوف من النساء والاطفال حتى الرضع فراجع ذلك في كتاب الهدى والمدرسة السيارة^(٥٦).

ثم اقول^(٥٧): عودا على بدء ان الذي يعترف بان التوراة وسائر العهد القديم كتب الهية مع ما فيها من الامر بالقتل العام الفظيع حتى للنساء والاطفال، كيف يجترىء ويعترض على دفاع القرآن وما فيه من الحكمة الراقية والغاية الشريفة والحدود الصالحة الرحيمة. واما تعليم القرآن بالاخلاق الفاضلة فمنه قوله تعالى في اواخر سورة الفرقان المكية في وصف من يرتضي لان يندرج في عداد عباد الرحمن لا عبدة الهوى والشیطان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، الى قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣ - ٧٢] وفي الجزء الثاني من المدرسة السيارة من الصحيفة ٣٥ - ٤١ قد اشير الى شيء من تعليم القرآن بالاخلاق الفاضلة^(٥٨) وبعض الشرح لما تضمنته الآيات المشار اليها من سورة الفرقان.

واما تعليم القرآن بالعفو والاحسان على النهج المعقول والامر بذلك فهو كثير ومنه الآية التسعون من سورة النحل المكية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، وفي سورة البقرة: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥]، وفي سورة آل عمران في صفات المتقين: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظْمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِيَةِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]، واذا نظرت الى مذكره الكاتب من كلام الانجيل وجرده من الافراط المخل بنظام المدنية والمبالغة التافهة

(٥٦) نقلنا ذلك في موضوع العنوان الخامس عن هذين الكتابين للشيخ البلاغي.

(٥٧) القول للشيخ البلاغي رحمته الله.

(٥٨) يراجع كتاب الرحلة المدرسية للشيخ البلاغي ص ١٧٢ و ٥٥٥ ومايتبعها فيه التفصيل.



السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل البصياح

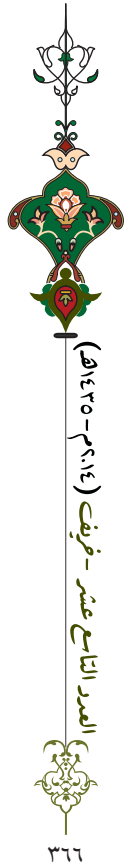
تجد ان الحد الاوسط والتعليم المعقول منه هو بعض ما تضمنته هذه الآية الكريمة.
ثم انظر الى الآية الخامسة والاربعين من سورة المائدة: ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي على بني اسرائيل ((فيها)) أي في التوراة ﴿ أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَانَ بِاللِّسَانِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ [سورة المائدة: ٤٥]، ولاجل التعليم بفضيلة العفو عن القصاص والترغيب فيه بقوله جلت آلاؤه ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ أي ان فيه فضل الصدقة المطلوب بها وجه الله وجزاؤه له يكون كفارة لذنوب العاقي.

وظاهر القرآن الكريم هو ان قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ هو حكاية عما في التوراة وبناء على الحكاية يكون القرآن الكريم قد اظهر مجد التوراة الحقيقية في هذا التعليم الحميد واطهر سخافة التوراة الرائية حيث اسقطت من الحقيقة هذا التعليم الراقى.

واظهر بذلك سخافة الانجيل الرائج في اعتماده على التوراة الرائية وافراطه بتلك المبالغات الواهية.

هذا وان العارف ليجد تعاليم القرآن الكريم بمكارم الاخلاق الفاضلة ممتازة بالارتقاء الى اعلى درجات الصحيح بحسب الحكمة واعطاء كل مقام ما يناسبه فلم تتلوث بالافراط المخل بالنظام ولا بالتفريط القاسي الوحشي وان الحد الوسط والمناسب للحكمة والفضيلة هو موجود في تعاليم القرآن الكريم في اكثر سوره باحسن البيان والاساليب هذا ولان كان الكاتب يمجد ما ذكره من تعليم انجيله فليقل اين مضى هذا التعليم عند الامور التي ذكرتها الاناجيل عن المسيح فمنها ان امه المقدسة اشتاقت اليه وطلبت منه ان يخرج اليها لتراه فقال: (من هي امي وندد بقداستها وطاعتها لله)، انظر: متى ١٢: ٤٦ - ٥٠، ومرقس ٣: ٣١ - ٣٥، ولوقا ٨: ١٩ - ٢٢ (٥٩).

(٥٩) جاء في انجيل متى مانصه: (وفيما هو يكلم الجموع اذا امه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه فقال له واحد هو ذا امك واخوتك واقفون خارجا طالبين ان يكلموك فاجاب وقال للقاتل



ومنها لعنة بطرس المقدس الذي اعطاه مفاتيح ملكوت السموات والحل والربط
اذ قال: (اذهب عني يا شيطان... الى اخره)، انظر: متى ١٦ : ١٢ - ٢٤، ومرقس ٨ :
٢٧ - ٣٤ (٦٠).

العنوان السابع (٦١):

ما لهج به هذا الكاتب في اكثر كلماته وجميع عناوينه من انواع الشتم والجرأة على قدس
رسول الله خاتم النبيين وصفوة المرسلين ﷺ وقد جعل تلك الاعتراضات السخيفة وسيلة
للتغلب في شتم رسول الله ﷺ بنحو لا يجتريء به ولا يقدم عليه حتى ابنا الاكليروس (٦٢).
نعم وذلك ادب اخذوه من كتبهم التي ينسبونها الى الوحي ويقدمونها فانها نسبت
الكذب والخداع والتعليم بالكذب وصفات النقص الى -الله تعالى عما يقول الظالمون -كما

=له من هي امي ومن هم اخوتي ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها امي واخوتي لان من يصنع مشيئة
ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي)، ومثله في انجيل مرقس باختلاف بعض العبارات
وكذا ما جاء في انجيل لوقا.

(٦٠) انجيل متى يقول: (فاخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب لا يكون لك هذا فالتفت
وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان انتم معثرة لي لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس)، ومثله في انجيل
مرقس ٨ : ٣٣ مع حذف بعض العبارات من النص الموجود في انجيل متى؟
ومنها ان الكنعانية خضعت له واسترحمته بشفاء بنتها فلماذا لم يرحمها وفقاً لذلك التعليم بل قال
ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب، ولماذا شتمها اذ جعلها من الكلاب فاين محبته
للمبغضين واين البركة لللاعنين ولماذا انعكس الامر؟، انظر: في متى ١٥ : ٢٢ - ٢٩.

(٦١) جاء فيه مانصه: (واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن
داود ابنتي مجنونة جدا فلم يجيبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لانها تصيح ورائنا
فاجاب وقال لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة فاتت وسجدت له قائلة يا سيد اعني
فاجاب وقال ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب فقالت نعم يا سيد والكلاب ايضا
تاكل من الفتات الذي يسقط من مائدة اربابها حينئذ اجاب المسيح وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك
ليكن لك كما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة).

(٦٢) الاكليروس: بالفرنسية كلرجي وبالانكليزية ايضا من كليروس باليونانية ومعناه قرعة او قسم او
ميراث اسم يطلق على خدمة الدين عند النصراني سموا بذلك اشارة الى كونهم قَسْمُ الرب او ميراثه
كما كان سبط لاوي في ناموس موسى ميراثا للرب. البستاني، المعلم بطرس، كتاب دائرة المعارف،
٤م، ص ١٤٦.



السيد المسيح (عليه السلام) في الانجيل..... البصياح

نسبت الكذب والشرك الى الانبياء وخصوصاً المسيح، فانظر الى مواقع ذلك في كتاب اعاجيب الاكاذيب^(٦٣)، والجزء الاول من المدرسة السيارة وكتاب الهدى^(٦٤).

ايها الكاتب^(٦٥): ان رسول الله ﷺ لم يقابلكم الا بالدعوة الى التوحيد ودين الحق وشريعته وخطاب الناصح الرؤوف حيث بلغكم عن الله قوله جل شأنه في سورة النساء: ﴿يَتَّاهَلُ الْكُتَّابُ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٧١]، فترفعون البشر الضعيف العاجز عن محله من نقص البشرية وتشركونه مع الله في الالهية ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الذي هو بشر ولد من انثى طفلاً ثم تدرج بالنمو والقوة وهو يجوع ويعطش ويتالم ويحزن قد انعم الله عليه بالرسالة والوحي فهو ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ في خلقته بقوله جل وعلا كن من غير فحل تلك كلمة القدرة ﴿الْقَهَّاءَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ومن نعمة قدرته نفخها في مريم كما في الآية التسعين من سورة الانبياء والاخيرة من سورة التحريم [سورة التحريم: ١٢] و [سورة الانبياء: ٩١] لا بواسطة ما جعله من الاسباب وتوسط نزول المني في علق الروح بالانسان كما جاء في القرآن في شأن آدم حيث خلقه الله من غير تناسل وقال فيه جل شأنه في الآية ٢٩ من سورة الحجر، والآية ٧٢ من سورة ص: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ﴾ ولا تؤهلوا البشر ولا تشركوا مع الله الها اخر فان الاله لا يعقل ان يتعدد وان القول بالشرك وتعدد الالهة يرجع في الحقيقة الى جحود الله واهيته فامنوا بالله ﴿وَرُسُلِهِ﴾ الذين دعواكم الى توحيد الله ((ولا تقولوا)) ان الالهة ((ثلاثة)) الاب والابن والروح القدس وتجعلون المسيح الها وابن الله ((انتهاوا)) عن هذا القول الذي هو خارج عن حد المعقول وان تنتهوا يكن الانتهاء

(٦٣) لم اعثر على هذا الكتاب للشيخ البلاغي رحمه الله.

(٦٤) جاء في المدرسة السيارة ما نصه: (وهذا انجيل يوحنا في الفصل السابع ينسب الكذب الى المسيح - وحاشاه - حيث يذكر ان اخوة المسيح قالوا له اصعد الى هذا العيد فقال: لا اصعد الى هذا العيد ثم صعد متخفياً، وهناك الكثير من هذه الاقوال المثورة في كتب العهدين من الاساءة ونسب المعاصي والذنوب الكبيرة للانبياء والاولياء ونقل ذلك الشيخ البلاغي في كتابه الهدى ج ١، ص ٩٣- ١٦٦. (٦٥) الخطاب موجه من الشيخ البلاغي رحمه الله الى الكاتب المعترض.

((خيرا لكم)) في سلامة دينكم من الشرك ومخالفة المعقول كيف و ﴿ إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [سورة النساء: ١٧١] منبثق منه كما تزعمون.

ايها الكاتب ليتك تعقل ماذا قلت وماذا صنعت في مخالفة المعقول ومخالفة التوحيد اذ قلت في مفتتح كلامك (بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد)، فليت شعري كيف يكون الاله الواحد ابا وابنا وروح قدس، فسل قُسُوسَكَ^(٦٦) ومعلميك وقل لهم كيف يكون ذلك ولا تقتنع منهم بقولهم لك: (اسكت يا ضعيف الايمان زل ايمانك هذا امر وراء العقل آمن به ايانا بسيطا كما قررتُهُ المجامع ومدارس علم اللاهوت)^(٦٧)، لا لا تقنع فان كرامة العقل وشرف الانسانية وحقيقة الايمان لا ترضى بهذه الواهيات والحمد لله على نعمته بالهدى ودين الحق^(٦٨).

مصادر التحقيق

القران الكريم.

اغا بزرك، محمد حسن الطهراني (ت ١٩٧٠م).

١. الذريعة الى تصانيف الشيعة، (بيروت: دار الاضواء، ١٩٧٠م).

٢. الانجيل والتوراة المعروف بالعهد الجديد والعهد القديم.

(القاهرة: مطبعة عنتر، ١٩٦٣م).

البستاني، بطرس.

٣. كتاب دائرة المعارف، (بيروت: دائرة المعارف، ١٨٨٠م).

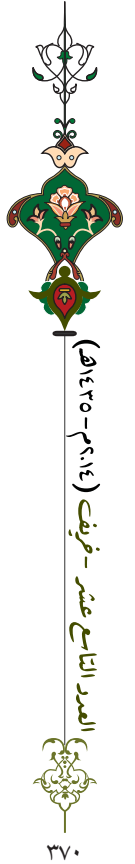
(٦٦) القس: رتبة دينية عند النصارى هي بين الاسقف والشماس جمعه قسوس، وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، م٧، ص٧٨٦.

(٦٧) علم اللاهوت: علم العقيدة عند النصارى، اللاهوتي العالم عندهم، قلعي، محمد، معجم لغة الفقهاء، ص٣٨٨.

(٦٨) انتهى ماجاء في مجلة الهدى العمارة وبعبارة دلالة واضحة على ختام اجابته عن أسئلة احد المعترضين، وكانت اجابة الشيخ البلاغي^{رحمته} اجابة موضوعية عقلية وبادلة واضحة مقارنة، رحم الله الشيخ العلامة البلاغي على جهاده في رد شبهات المعترضين على الاسلام.

السيد المسيح (عليه السلام) في الاناجيل البصباح

- البلاغي، محمد جواد (ت ١٣٥٢هـ).
٤. اربع رسائل، اعداد: محمد علي الحكيم، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٤٢٦هـ).
٥. الهدى الى دين المصطفى، (قم: شريعة، ١٣٧٩هـ).
٦. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى، (بيروت: دار الزهراء، ١٤١٤هـ).
حرز الدين، محمد.
٧. معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٣٨٣هـ).
الحسيني، احمد.
٨. تراجم الرجال، (قم: صدر، ١٤١٤هـ).
الحكيم، محمد علي.
٩. رسالتان في البداء احدهما للشيخ البلاغي والاخرى للسيد الخوئي، بدون معلومات.
الحلي، مسلم.
١٠. القران والعقيدة.
الخباز، ضياء السيد عدنان القطيفي.
١١. العارف ذو الثفتان قراءة تحليلية للابعد المشرقة من حياة سماحة اية الله العظمى السيد عبد الاعلى السبزواري، (قم: وفا، ١٤٢٧هـ).
الخوئي، ابو القاسم (ت ١٤١٣هـ).
١٢. البيان في تفسير القران، (الكويت: دار التوحيد، ١٣٩٩هـ).
الرازي، محمد بن ابي بكر.
١٣. مختار الصحاح، (دمشق: مطبعة الملاح، بلا).
الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ).
١٤. المفردات في غريب القران، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ).
١٥. ربع قرن مع العلامة الاميني.



• **المصنّاع** الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي

ضناوي، محمد امين.

١٦. المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والانشاء والعروض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٠هـ).

الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).

١٧. الخلاف، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٥هـ).

عليان، عدنان.

١٨. الشيعة والدولة العراقية الحديثة، (بيروت: مؤسسة العارف، ١٤٢٦هـ).

الغفاري، عبد الرسول.

١٩. الكليني والكافي، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٦هـ).

قلعجي، محمد.

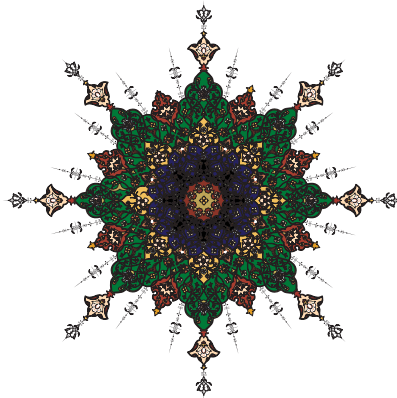
٢٠. معجم لغة الفقهاء.

مجلة تراثنا مؤسسة آل البيت.

٢١. (قم: ستارة، ١٤١٤هـ).

وجدي، محمد فريد.

٢٢. دائرة معارف القرن العشرين، (مصر: مطبعة دائرة المعارف، ١٩٢٤م).



التفسير المستترسل

جُزءٌ عَشْرٌ
(٣٠)

الشيخ محمد صادق الكرباسي

مكتبة دار علوم القرآن

ص. ب 840 كربلاء - العراق
00964 / 032 / 324059

التفسير المُستَرسِل .. نمطٌ جَدِيدٌ وأُسلوبٌ مُغايرٌ

(قراءة جديدة لمضامين أحدث التفاسير المعاصرة)

د. حسين رشيد الطائي
المركز الحسيني - لندن

♦ يبقى القرآن الكريم على مر العصور، أكبر معجزة أنزلها الله تبارك وتعالى على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، تبياناً لشريعته ودليلاً على صدق رسالته التي تبيّن الحلال والحرام، ودستوراً تستقيم به البشرية في جميع جوانب حياتها، فالقرآن لم يغادر صغيرة ولا كبيرة في شتى نواحي الحياة إلا وأجملها أو فضلها، وتلك التعاليم السماوية الربانية التي أنزلها الله تبارك وتعالى لم تكن على سبيل الإعجاز الذي يدل على النبوة وصدق الرسالة فحسب، بل كان هدفها الرئيس هداية البشرية الى صراط العزيز الحميد في ضوء القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الاسراء: ٩]. وقال أيضا عز من قائل: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ

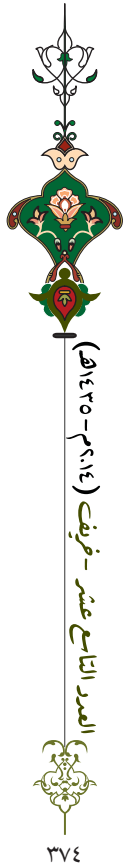
التفسير المسترسل .. نمط جديد واسلوب مغاير..... **التصنيف**

**اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** [سورة المائدة: ١٥-١٦].

فالقرآن إنما جاء لإصلاح الخلق، وقد تكفل بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم، سواء في العقائد أو الأخلاق أو في العبادات أو في المعاملات بجميع أنواعها، وهو في كل ذلك حكيم كل الحكمة، لا يعتريه خلل ولا اختلاف، ولا تناقض ولا اضطراب، وصدق الله حيث قال: ﴿ **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [سورة النساء: ٨٢]. والقرآن أصيل غاية الأصالة، وعدل غاية العدالة، ورحيم غاية الرحمة، وصادق غاية الصدق، قال تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [سورة الأنعام: ١١٥]. فلا عجب.. إن كانت السعادة الحقة لا تُنال إلا بالاهتداء بهديه، والالتزام بما جاء فيه، فهو الشفاء من امراض النفوس وأدواء المجتمع، فاهتدت به القلوب بعد ضلال، وأبصرت به العيون بعد عمى، واستنارت به العقول بعد جهالة، واستضاءت به الدنيا بعد ظلمات.

من هنا كان القرآن الكريم ككتاب يحوي كل هذه الحقائق واللطائف والمعارف والحكم والتبينات محط أنظار المتلهفين الى الحقيقة ونظر الدارسين والباحثين عن الدراية، فألفت فيه الآلاف من البحوث والدراسات والموضوعات، تناولت آياته وموضوعاته ومفرداته ومعانيه، واهتمت بتفسيره شريحة من العلماء الأفاضل جرياً على سنة المصطفى، الذي كان أول من فسره وحضّ الناس عليه، وكذلك فعل الأئمة الأطهار عليهم السلام، الذين تركوا مصنفاً عديدة اهتمت بتفسيره، كما فعل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث جمع القرآن على حسب نزوله وأردفه بتفسير الآيات وجمعه في سبع مجلدات ضخام.

وبالإضافة الى إفاضات الأئمة الأطهار في إيضاح مفردات القرآن وآياته وسوره للناس والتي أصبحت المصادر الرئيسة للمفسرين الإمامية وغيرهم، والتي شكلت جانبا مهما من التفسير بالأثر، فلا يخفى أن أهل البيت عليهم السلام كانت لهم تصانيف كثيرة في تفسير القرآن



وتوضيحه، منها ما وصل إلينا مُسندا لهم ومنها ما أُسند لتلامذتهم، هذا غير المسائل التي نقلتها لنا الكتب والمؤلفات. واتباعاً لِسُنَّةِ المصطفى عليه الصلاة والسلام وأهل بيته الأطهار قام جمهرة من علماء الإمامية بتأليف كثيرة في تفسير القرآن الكريم بدءاً بالصدر الأول للاسلام والى يومنا هذا. والمكتبة التفسيرية الآن حافلة بكتب التفسير المتنوعة من حيث المنهج والسعة والاتجاه، فمنها ما اهتمَّ بالجانب الفقهي ومنها ما اهتمَّ بجانب البيان واللغة ومنها ما اهتمَّ بالعرفان ومنها ما اهتمَّ بالاجتماع والأخلاق وغيرها من الموضوعات التي تتعايش في المجتمعات الانسانية، وتبعاً لاختلاف المناهج والاتجاهات والاهتمامات اختلفت أساليب المفسرين عبر العصور.

وفي خضم هذه المنظومة الضخمة والمتشعبة والطويلة من التفاسير، يطل علينا آية الله العلامة الدكتور الشيخ محمد صادق محمد الكرباسي بتفسيره الموسوم (التفسير المسترسل)، والذي يُعد من التفاسير الحديثة، التي حاول فيها سماحته توظيف الكم الهائل من التفاسير ومناهجها واتجاهاتها وجعلها طيعة وسهلة ومُحَبَّدة الى الباحث عن الحقيقة من غير تعقيد أو غموض أو إطالة، وبلغت سهولة، مع وسائل إيضاح معروفة ومبتكرة قام بها سماحته.

منهجية التفسير:

المحقق العلامة الكرباسي من خلال تفسيره (المسترسل) لم يكن تقليدياً، كما أن تفسيره لم يكن على نمط التفاسير التي وضعت قبله، فلقد حاول أن يستفيد من تجارب المفسرين الماضين والمعاصرين قبله ويوظفها في العملية التفسيرية.

ومن خلال دراسة المحقق الكرباسي للعديد من التفاسير التي وضعت قديماً وحديثاً وبالتزامن مع الثورة المعلوماتية التي نعيشها، كان للكرباسي وجهة نظر خاصة في دراسة هذه الأمور مجتمعة، فهو دارسٌ جيّد للتفاسير ومناهجها ومدارسها، بل وحتى لغاتها وتوجهاتها، وفي نفس الوقت عارفٌ بأن الناس على مستويات عدّة في الفهم والإدراك، فأراد من خلال وضع تفسيره (المسترسل) أن يكون القرآن مقروءاً من قبل الجميع ومفهوماً أيضاً على اختلاف مداركهم وتفاوت أذهانهم.



التفسير المسترسل .. نمط جديد واسلوب مغاير..... **التصنيف**

فالفقيه المفسر الكرباسي قَسَمَ مجمل التفاسير التي ألفت قبله واستخرج مفاهيمها الوسط، بمعنى أنه اهتم بتفسير المسائل المعقدة، وبنفس الوقت لم يكن تفسيره من المختصر كباقي التفاسير المختصرة كتفسير شُبْر وتفسير الجلالين والتفسير المعين وغيرها، مما لا تتطرق للتفاصيل. وانصبَّ عمله على مفهوم وسط للآيات من غير تعقيد أو إيغال بمسائل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وعلوم القرآن والبيان وغيرها.

ولتوضيح هذا الأمر سنختار ثلاثة من المفسرين، واحدا منهم اهتم بالجانب اللغوي، والآخر اهتم بالجانب النقلي، والثالث اهتم بالجانب القرآني (أي تفسير القرآن بالقرآن) من خلال تعرضهم لتفسير آية واحدة في القرآن، ثم نقارن عملهم ومنهجهم بعمل ومنهج المفسر الكرباسي، فقد تناول الزمخشري في تفسيره (الكشاف) تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [سورة النبأ: ٣٨]، فأورد في بداية كلامه إعراب الألفاظ القرآنية وقال من جملة (يوم تقوم) متعلق بما يملكون أو بلا يتكلمون، بمعنى إن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السماوات والأرض، ثم قال: والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين، ثم نقل الأقوال في معنى الروح^(١)، أما الكاشاني في تفسيره (الصافي)، وهو معروف عنه أنه يهتم بالجانب النقلي من باب ما يسمى (التفسير بالأثر)، أي بمعنى التفسير المعتمد على أحاديث الرسول الأكرم ﷺ وروايات المعصومين عليه السلام، فقد تناول لفظة الروح في هذه الآية وقال: نقلا عن القمي في تفسيره، أنه قال: الروح ملك عظيم أعظم من جبرئيل وميكائيل عليه السلام كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الأئمة عليه السلام، وقال رواه في المجمع عن القمي عن الصادق عليه السلام، وفيه عنه عليه السلام وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام قال: نحن والله المأذونون لهم يوم القيامة والقائلون صوابا، قال ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نُمجِّد ربنا ونُصَلِّي على نبيِّنا ونُشفع لشيعتنا ولا يردُّنا ربنا^(٢). وبهذا يتضح أن

(١) الزمخشري: تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢١٠ - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر ١٩٦٦ م.

(٢) الفيض الكاشاني: تفسير الصافي ج ٥ ص ٢٧٧ - ط ٢ - مؤسسة الهادي - قم - ١٩١٦.

الكاشاني لم يتطرق الى اللغة أو الإعراب والآراء الكلامية والبيانية في هذا المقطع من تفسيره، واكتفى بروايتين عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام.

أما الطباطبائي في تفسيره الأوسع والأدق والمُعتمِد فيه بشكل واضح على منهج تفسير القرآن بالقرآن (أي اعتماد الآيات الأخرى في التفسير)، فقد أفرد بحثا خاصا فتناول الآيات التي تحدثت عن موضوع الروح ودرس معانيها، من قبيل قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورة الشورى: ٥٢] ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [سورة الاسراء: ٨٥]، وبقية الآيات التي تحدثت عن الروح، واستخرج من خلالها معاني اللفظ وخاص فيها كلاما مطولا، ثم أفرد بحثا روائيا خاصا بالمسألة أورد فيه الروايات الشريفة عن المعصومين في مسألة الروح، ثم استخلص نتيجة بحثه بأنه خَلَقَ أعظم من الملائكة وساق رواية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ^(٣).

أما العلامة الكرباسي فقد تناول تفسير هذه المفردة بقوله: (حين يقوم الملك الروح جبرائيل أو غيره، وكذلك تقوم الملائكة بين يدي ربه صفا وبشكل منتظم مهيب، وحينئذ جميعهم لا يتكلمون هيبة منه تعالى إلا مَنْ أذن له الله الرحمن في الكلام وقال الملك أو الإنسان حديثا صوابا صحيحا، وربما التمسوا من الله مقولتهم أمرا) ^(٤).

وواضح منهج الشيخ الكرباسي في تقديمه لخلاصة نتيجة تفسير المفردة القرآنية المقصودة، فهو لم يخض في مسائل الكلام واللغة والبيان، ولم يتطرق الى البحوث المفصلة، والتي ربما تشوش أذهان بعض عوام الناس، وانتقل الى تفسير اللفظة بشكل مباشر، مستفيدا من جميع البحوث السابقة لدى المفسرين، ومركزا على المعنى الوسط الذي من الممكن أن يتفق عليه الجميع، فقال في تفسير لفظة الروح بأنه (الملك الروح جبرائيل أو غيره، وكذلك تقوم الملائكة بين يدي ربه صفا)، وقد نقل كل من الزمخشري والصابي

(٣) أنظر الطباطبائي: تفسير الميزان ج ١٣ ص ١٩٩ - مؤسسة النشر الاسلامي - قم - إيران.

(٤) التفسير المسترسل: ج ٢٠ ص ٢٥.



التفسير المسترسل .. نمط جديد واسلوب مغاير..... **التصنيف**

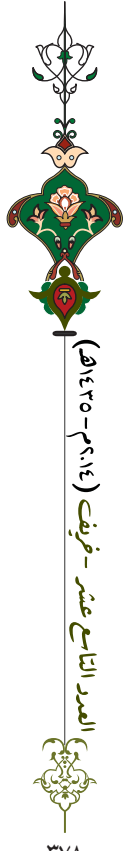
والطبائبي روايات عديدة يُفيد قسمٌ منها بأن البعض ذهبَ الى أن الروح مَلَكٌ، لكنه مختلف عن باقي الملائكة أعرضا عن ذكرها لعدم التطويل، ولذلك استفاد الكرباسي من كل ذلك واختصره بقوله تعالى (الملك) الروح جبرائيل أو غيره، وبذلك جاء المعنى صافيا الى النفس من غير تطويل ولا تعقيد ولا تشويش.

الأمر الآخر الذي يميّز عمل المُفسّر الكرباسي في تفسيره (المسترسل) ومنه أخذ التفسير اسمه، إنه جعل تفسير الآيات الكريمة على شكل قصة ذات موضوع وهدف واحد، ويكاد يكون الكرباسي أول من يقوم بهذا العمل المهم مُحطّمًا القيود التي حصرت التفسير بالمقطع الجزئي وصلته بوحدة السياق والنظم، وهو من خلال هذا كله يرى أن القرآن الكريم وحدة واحدة غير مجزأة والقراءة الأصيلة التي يجب أن نقرأها بها، قراءة الفهم والإدراك وهي بأن نتبع مفهوم آياته حسب ورودها في المصحف بعملية سردية أشبه ما تكون بالقصة، وهو بالفعل بعدما قام بتفسير الآيات بشكل متسلسل ومرتب ومتوالٍ، أرفده بقصة عن موضوع السورة أو الجزء بشكل عام، حيث يرى العلامة محمد صادق محمد الكرباسي (أيده الله) أن الآيات المجموعة ضمن إطار سورة أو جزء تتوحد من حيث الموضوع العام ويمكن أن تكون هناك قراءة مختلفة لها من حيث الهدف من مضامينها والغاية من نزولها، ومن أجل تطبيق أن (الغاية تبرر الوسيلة) تسامى الشيخ المحقق الكرباسي على القوانين الموضوعية في تأليف التفسير وتأطيره بحيث أصبحت قالبا لم يجعل من وسائل معرفة النص منطلقة نحو أفقها الشاسع الذي ينبغي أن تكون عليه.

أهم مميزات التفسير:

استنبط العلامة الكرباسي علامات توضيحية وتبينية كثيرة في تفسيره (المسترسل)، مثل علامة الاستفهام (?) لتوضيح الآيات التي جاءت بصيغة الاستفهام، كقوله تبارك وتعالى ﴿ **أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ** ﴾؟. [سورة الفيل: ٢].

وعلاوة التعجب (!) مثل قوله تعالى ﴿ **أَلْهَمَكُمْ التَّكَاثُرُ** ﴾!. [سورة التكاثر: ١] للدلالة على التعجب على ما هم عليه من الانتهاء بالتكاثر وجمع الأموال والانشغال بالدنيا عن



طاعة الله تعالى.

وعلامة القسم التي رمز لها بعلامة الاستفهام بشكل مقلوب للدلالة على أن الآيات مُقسَّم بها من قبل الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ [سورة التين: ١]، وكذلك علامة التمني ورمز لها العلامة الكرباسي بعلامة التعجب بشكل مقلوب، كما في قوله تعالى ﴿يَقُولُ بَلَيْتَنِي فَدَمَّتْ لِحْيَاتِي﴾ [سورة الفجر: ٤٢].

ووضع ساحتها علامة للشرط في الجمل الشرطية التي تضمنتها بعض الآيات الكريمة، ورمز لها بعلامة الفاصلة المنقوطة - أي الفاصلة التي تكون تحتها نقطة - والتي تُستخدم في الإملاء العربي، ومثلها في تفسير المسترسل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١١) ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ (١٣) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [سورة التكويد: ١١ - ١٤].

وقد وضع كذلك علامة للآيات التي تضمنت معاني الردع وسماها علامة الردع ورمز لها بالفاصلة المنقوطة، ولكن بشكل مقلوب، أي أن النقطة فوق الفاصلة، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [سورة العلق: ١٥].

ووضع علامة للفصل ما بين الآيات سماها علامة الفاصلة، ورمز لها برمز الفاصلة المستخدمة في أسلوب الكتابة العربية (،)، وهذه العلامة تبين أن الآيات عبارة عن مقاطع مجزأة يوحدتها المعنى للموضوع العام، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ (٣٠) ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٩ - ٣٢].

وجعل النقطتين الشارحة للآيات التي تتضمن جملة مقول القول، وهذه العلامة أيضا مُستخدمة في الإملاء العربي لنفس الغرض (:)، ومثل استخدام هذه العلامة في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَقُولُ بَلَيْتَنِي فَدَمَّتْ لِحْيَاتِي﴾ (٢٤) ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الفجر: ٢٤ - ٢٥].

وكذلك وضع العلامة الكرباسي علامة النقطة (.) للدلالة على انتهاء الموضوع أو المعنى الخاص بالآية، كما في قوله تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى: ١١]. وللجملة الاعتراضية كما في الجمل المفصلة والمبينة للقول وضع خطين لما يُسمى في



التفسير المسترسل .. نمط جديد واسلوب مغاير..... **البصباح** •

الإملاء بالشحطتين (- -) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٢) إِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ
ءَابُنُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ
﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿﴾ [سورة المطففين: ١٢ - ١٦].

وتكون قراءة الآيات وفقاً للرمز (الجملة الاعترافية) هكذا ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ﴾ (١٢) إِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ ءَابُنُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا
الْجَحِيمِ ﴿﴾ والآية ما بين الآيات الكريمة ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ جملة اعترافية
جاءت على سبيل التفصيل والتعليل.

وكذلك علامة التنصيص (،)، والتي تدل على أن هذه الجملة خاصة وسط كلام عام،
كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنًا كَأَحدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ أَجْهَلِيَّةِ
الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢ - ٣٣].
الألوان:

حاول العلامة الكرباسي أن يستفيد من جميع الألوان ويوظفها في خدمة النص القرآني
وقارئه، مُراعياً التفاوت في أذهان القارئ وبساطة بعضهم، فجعل كل لون يرمز الى
حُكم من أحكام التلاوة، فاختار اللون الأحمر للإدغام والأزرق للوصل والسماعي للمد
والرمادي للتنقيط والكموني لرقم الآيات والبُني عند قراءة الحركة بصوت الحرف المجانس
لها كالفتحة التي تجانس الألف فتقرأ ألفاً، والضمّة التي تُجانس الواو فتقرأ واواً، والكسرة
التي تُجانس الياء فتقرأ ياءً. أما اللون الأسود فجعله لكتابة سائر آيات القرآن الكريم، الى
غير ذلك من العلامات والوسائل التوضيحية الأخرى.

لقد حاول الشيخ الكرباسي في تفسيره هذا أن يكون عملياً وموضوعياً وأن يتعامل مع
الواقع بنظرة تناسبه، من أجل أن يوصل أفكار وتعاليم ومفاهيم القرآن الكريم للناس،
مراعياً اختلاف أذهانهم وثقافتهم، ولذلك اهتم بالألوان والعلامات والخطوط والوسائل

التوضيحية الأخرى، لكي يسهل على القارئ عملية قراءة القرآن الكريم وفهم تفسيره ومعانيه بطريقة تحببه في ذلك كله.

وهذه الوسائل التي ابتكرها سماحة الشيخ الكرباسي لتؤكد بحق مدى اهتمام هذا الرجل بأهمية إيصال معاني وتفسير آيات الله تبارك وتعالى وتعاليمه في القرآن الكريم الى أذهان كل الناس، وهذا الأمر بالنسبة اليه جاء من خلال إدراكه أهمية ذلك وتأثيره في الناس والمجتمع بصفة خاصة، بالاضافة الى كونها، كما يشعر هو سماحته، مسؤولية ألقاها على عاتقه. فلا ريب إذا رأينا هذا الكم الهائل من المؤلفات وهذا الإحساس العجيب بأهمية إيصال معاني القرآن وتعاليمه الى الناس، بالاضافة الى الجهد والمثابرة في وصل الليل بالنهار من أجل خدمة الدين.

علامات الضبط بالرسم القرآني:

لم يكتف العلامة الكرباسي بابتكار علامات استيضاحية بالنسبة لقراءة القرآن والتفسير، كما مرّ بنا، لكنه راعى المهتمين بالقراءة على الخط العثماني وضوابطه الخاصة به فأوردها، إلا انه زاد عليها علامات أخرى، كما نرى في علامتي السجدة الواجبة والسجدة المستحبة، فوضع خطأً صغيراً تحت الكلمة للدلالة على أن هذه الآية فيها سجدة واجبة، ووضع خطأً فوق الكلمة للدلالة على أن السجدة هي مستحبة.

وكذلك وضع علامة للشكل المعين وتدلل على القراءة بالإمالة كما في قوله تعالى: ﴿رَسْمٌ أَلَلَّهُ بِجَرْدِهَا وَمُرْسِنًا﴾ [سورة هود: ٤١]، حيث تُمال الفتحة الى الكسرة والألف الى الياء، وكذلك بقية العلامات والرموز التي وضعها سماحته والتي تصب في فائدة قراءة القرآن بالشكل المطلوب، وتسهل على جميع الواردين من هذا المعين العذب طريق الاستزادة والمعرفة بشكل تبسط للقارئ والمهتم بالقرآن ولوج آياته ومعرفة معانيها وتفسيرها وطريقة قراءتها.

ويبدو لي أن المحقق الكرباسي ابتغى من وراء ذلك العمل هدفين مهمين:

الهدف الأول: استهداف شريحة كبيرة من المجتمع لم تتثقف بثقافة القرآن الكريم ولم

تتل من معارفه إلا الشيء القليل.



التفسير المسترسل .. نمط جديد واسلوب مغاير..... **التصنيف** •

الهدف الثاني: محاولة تطويع النصوص المطوّلة والمعقّدة لمُجمل التفاسير التي اهتمت بتفسير آيات القرآن الكريم، للقارئ البسيط بأسلوب مُشوّق وسهل وينفذ الى القلوب بسهولة ويُسر ويفهمه الجميع.

الفهارس:

ومن منطلق أفق العلامة الكرباسي في استعمال ما أمكنه من وسائل الايضاح عملَ على إيجاد فهارس تُحيط بجميع جوانب النص القرآني من حيث التفصيل والتفسير، فقد أُرِدَ في العلامة الكرباسي تفسيره بجداول وفهارس هي لوحدها تُعتبر عملاً جباراً، فالفهرس الأول اشتمل على السور وتسلسلها في القرآن الكريم، وأسماؤها المتداولة، بالاضافة الى الأسماء الأخرى التي عُرفت بها وأرقامها الترتيبية في المصحف، وكذلك أرقامها حسب النزول، ومن ثم عدّ آياتها، كما أورد موارد الخلاف في ذلك، ويذكر الجدول كذلك الطابع العام للسورة أو الآية كون بعض الآيات تحسب آية أو أكثر أو أقل حسب الاختلافات، وكذلك يشمل الفهرس مكان نزول الآية وعدد كلماتها وحروفها.

وكما قلنا سابقاً فإن مثل هذا العمل عظيم ومهم وقد ملأ فراغاً كبيراً كان موجوداً، إذ أن التفاسير التي كانت قبله أو عاصرته إذا ما ذكرت بعض هذه التفاصيل لم تذكرها كاملاً، بل ربما تذكر نَتِفاً منها كما في المكي والمدني وعدد الآيات ومكان النزول، إلا أنها لا تذكرها بالتفصيل وبهذه الطريقة الوافية، بالاضافة الى التفاصيل الأخرى التي خلت التفاسير الأخرى منها، وهذه ميزة أخرى لتفسير العلامة المحقق الكرباسي (المسترسل).

أما الفهرس الآخر، فقد اشتمل على ثلاثة أمور مهمة:

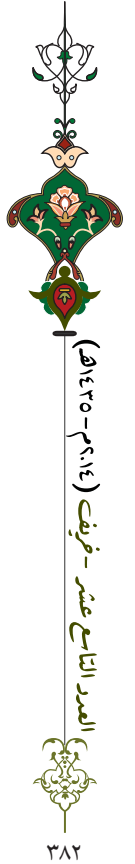
الأمر الأول: اللفظ.

الأمر الثاني: المعنى.

الأمر الثالث: الإعراب.

ففي الأمر الأول اهتمّ الكرباسي باللفظ القرآني.

وفي الأمر الثاني اهتم بالمعنى.



أما الأمر الثالث فقد اهتم فيه بالإعراب، كما أورد في قوله تبارك وتعالى على سبيل المثال: (أبًا) فجاء في الفهرس كالتالي:

(أبًا) عشا معطوف عبس - ٣١.

وكذلك في قوله تعالى (أبدا).

أبدا دائما ظرف زمان البيئة - ٨.

ولم يكتف العلامة الكرباسي بهذا، فأتبعه بهامش أسفل الصفحات فصّل فيه الإعراب والمعنى بشكل جميل ومفهوم، كما عرض لمختلف الآراء وحاول مناقشتها لاستخراج النتائج من خلالها.

ثم يأتي دور الفهرس الموضوعي للآيات الواردة في السور، والتي قسّم فيها الآيات حسب موضوعاتها الاختصاصية، كالفقه والفلسفة والاجتماع والفلك والفيزياء، وغير ذلك كما في قوله تحت باب الآيات التي موضوعاتها في الفقه مثلا:

استحباب إجابة السائل - الضحى ١٠، استنادا الى قوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾

وفي موضوع العقيدة مثلا جاء تحت باب علم البلاغة مثلا:

التأكيد - النبأ ٥ النزعات ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦.

وبذلك فقد اشتق العلامة الكرباسي فهرس جديدة للآيات تُضاف الى الفهارس الواردة في كتب التفسير أو الكتب التي تهتم بآيات القرآن الكريم، ولكن بأسلوب جديد وبشكل آخر مفيد.

القرآن قصة:

ومن وحي إيمان العلامة الكرباسي بأن القرآن الكريم وحدة واحدة لا يفصل بينها شيء، فقد أردف سماحته في تفسيره المميز بقصة للجزء أو للسورة متسلسلة الأحداث مترابطة المعاني حاول من خلالها استقطاب وحدة الهدف والمعنى لاستخراج المركب النظري لها، وهو ما يُذكرنا بما دعا اليه العلامة الكبير السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله التفسير التوحيدي للقرآن الكريم، وهو محاولة ربط التفسير التجزيئي بالموضوعي ثم

التفسير المسترسل .. نمط جديد واسلوب مغاير..... **البصائر**

استخراج النظرية الموحدة لجميع الأهداف والمعاني التي ترمي لها السورة أو الجزء بأكمله، وكذلك فعل العلامة الكرباسي حينما حاول ربط معاني وأهداف جزء كامل من القرآن كما رأينا في تفسير جزء عم وجعله على شكل قصة جميلة متسلسلة الأحداث تناسب الى النفوس وتتقبلها الأذهان من غير تعقيد أو إطالة، وبذلك فقد عالج العلامة المحقق الشيخ الكرباسي من خلال تفسيره هذا الحلقات المفقودة في التفاسير التي كانت قبله أو عاصرته من حيث الغموض والإبهام والإطالة والتعقيد، من خلال تفسير مُبسَّط غير مُعقَّد مُهذَّب غير مُتشعَّب ومُرَكَّز غير مُطوَّل وينفع لثلاثة مستويات من الفهم والإدراك:

المستوى البسيط: الذي من الممكن أن يكفي بالقصة التفسيرية.

المستوى المتوسط: الذي يهتم باللفظ والمعنى والقراءة.

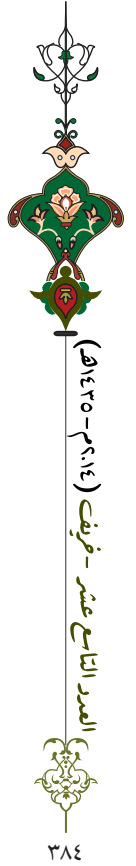
المستوى المتقدم: الذي يركِّز على القراءة والإعراب والمضامين وغيرها من العلوم التي

تدخل في تفسير القرآن.

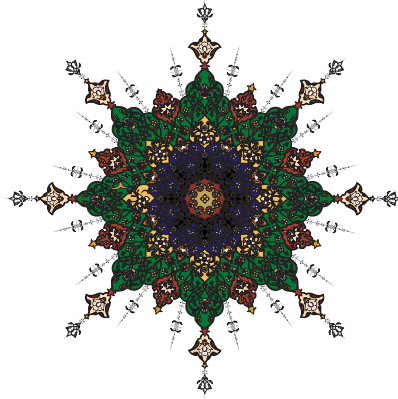
كلمة أخيرة:

يُعتبر تفسير (المسترسل) نقطة تحول في عالم التفاسير، حيث حاول فيه المُفسِّر الشيخ العلامة الدكتور المحقق آية الله محمد صادق محمد الكرباسي لفت الأنظار الى جانبيين مهمَّين: **الجانب الأول:** إن المفسرين دائماً ما كانوا يستهدفون المختصين والملمَّين بالشأن القرآني وبعلم التفسير في تفاسيرهم، فنجدها زاخرة بالآراء الكلامية والفلسفة والمنطق وعلوم القرآن وغيرها، والعلامة الكرباسي من خلال تفسيره هذا نبه الى أن القرآن يجب أن يصل الى كل الشرائح في المجتمع وليس الى شريحة واحدة فحسب، فجاء تفسيره سهلاً سَلِساً.

الجانب الثاني: إن المفسر الكرباسي أراد أن يثبت للمفسرين سواء ممن عاصروه أو سبقوه، أنهم أغفلوا جوانب مهمة كان ينبغي لهم الالتفات لها كاستخدام أكثر ما يمكن من الوسائل التوضيحية والمُحبِّبة للقارئ والمتابع لتفسير القرآن مثل استخدام الألوان والرموز والقصص المحببة والتبسيط مع مجموعة من الفهارس الممكنة لاستهداف أكبر شريحة في المجتمع مع الأخذ في الاعتبار شريحة المختصين بعلم القرآن وتفسيره.



(التفسير المسترسل) يأخذ أهميته وتميّزه من نواحي عديدة، إلا أن ما يميّزه بالدرجة الأساس خلوه من التعقيد، وأنه يوصل المعنى الى القارئ من غير مشقة ولا تعب. سدد الله خطى شيخنا الجليل العلامة المحقق الدكتور آية الله محمد صادق محمد الكرباسي وأمد الله بعمره ليزيدنا من علمه وإفاضاته، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين (*).



(*) مؤلف التفسير المسترسل هو سماحة آية الله الشيخ محمد صادق محمد الكرباسي المولود في كربلا في ٥ / ١٢ / ١٣٦٦ هـ (٢٠ / ١٠ / ١٩٤٧ م)، من أسرة علمية عريقة يصل نسبها إلى مالك الأشتر النخعي، تخرّج من الحواضر العلمية في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف وطهران وقم المشرفة، نال من أساتذته المراجع عدداً من الشهادات العلمية وغيرها، مُنح شهادات دكتوراه فخرية من جامعات مختلفة في العالم، تجاوزت مؤلفاته ألفي عنوان منها: دائرة المعارف الحسينية في أكثر من ٨٠٠ مجلد، وسلسلة الشرايع في ١٠٠٠، وسلسلة الاسلام في ٣٠٠، والتفسير المسترسل في ٣٠، والتفسير المنظوم في ٣٠، بالإضافة الى أكثر من مئة عنوان في مختلف العلوم والفنون، يقيم الآن في لندن، له عدد من المشاريع في لبنان وسوريا ولندن وغيرها.



www.azizihonar.com

نماذج من مصاحف أثرية مُحفوظة في (مركز إحياء التراث الإسلامي) في قم

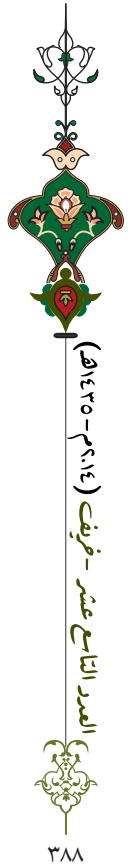
افئثارها ووثقها

سماعة المحقق السيد احمد الحسيني الاشكوري

♦ تفنن المسلمون منذ الزمن القديم في كتابة المصحف الشريف وزخرفته واختيار الورق له وصنع التجليد، وفي بعضها نماذج ممتازة جداً في الزخرفة والتجليد خاصة، تدل على الذوق المرهف للخطاط والفن الرفيع للفنان والدقة المتناهية للمجلد. ان لكل مدرسة فنية وكل بلد اسلامي، سمات خاصة تختلف عن المدارس والبلدان الأخرى. إن الفن التركي والكشميري والمغربي والمصري والايرواني، لكل واحد منها بصماته المتميزة في التصميم والتلوين وتركيب الخطوط المستقيمة والمتعرجة ونقش الورود أو الأشكال المناسبة في حواشي الصحائف. والحديث في هذا الموضوع متشعب يحتاج إلى تأليف مجلد كبير تُستوفى فيه الجوانب المختلفة فيه يحتاج إلى فرصة واسعة ليس هذا وقته. لقد تجمع في مكتباتنا العامة والخاصة عدد كبير من المصاحف القديمة النادرة أو المزخرفة الثمينة جداً، ولمركزنا «مركز إحياء التراث الإسلامي - قم» شرف حفظ وصيانة جملة من هذه النسخ العزيزة. وشاء أخونا الأستاذ الفاضل محمد علي هدو تقديم بعض النماذج القديمة أو الفنية إلى مجلة «المصباح» ليشاركنا قارئها الكريم في هذه البهجة القرآنية التي لا تثنى.

نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز أحياء التراث الإسلامي)..... (المصباح)

١. قطعة من المصحف الشريف كتبت على الرق بخط متطور من الكوفي إلى ما يميل إلى النسخ. كتابة علي بن شاذان الرازي في سنة ٣٦١. الإعراب موضوع للكلمات بالنقطة الحمراء الدقيقة غير الكاملة على الطريقة التي ابتكرها أبو الأسود الدؤلي. علائم الهمزة والمد والتشديد باللون البني. على بعض الحروف وضعت دوائر سوداء ترمز إلى الروم والإشمام على الطريقة التي اتخذها الخليل بن أحمد الفراهيدي. فواصل الآيات معلّمة بالدوائر الذهبية. عناوين السور بالذهبي يكتنف حروفها خط أسود. بين الحاء والميم من كلمة «الرحمن» في البسملة خط ممدود على غير المعهود في كتابة هذه الآية الكريمة. علائم التشعير في الهوامش دوائر ذهبية تكتنفها بعض النقوش البسيطة، وهي نوع من الزخرفة البدائية المتسرّبة إلى المصاحف المكتوبة في القرون الهجرية الأولى.
٢. نسخ إيراني جيد متقن. كتبه زين العابدين الرضوي وأتم الكتابة في شهر رجب سنة ١٢٤٢. مترجم إلى الفارسية بين السطور وكتبت الترجمة بخط نستعليق دقيق بالمداد الأحمر. الصحائف مجدولة بالذهبي والأسود وعناوين السور باللأزورد على أرضية ذهبية وهي مكتوبة بالثلث. في الصفحة الأولى والثانية سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة في لوحين بنقوش دقيقة تكتنفها في الحاشية وأسفل الصفحة نقوش ورود بالذهبي والأحمر والأزورد والأسود. فضائل السور بالفارسية مكتوبة بالخط نستعليق المعروف بـ«شكسته» وهي ترجمة أحاديث مروية عن أهل البيت (عليهم السلام).
٣. سور الفاتحة وهل أتى والرحمن والواقعة والجمعة. تقليد خط كوفي قديم مائل إلى الخط المغربي. تقليد لا يخلو عن الإتقان. كتبها السيد زين العابدين في سنة ١٣٢٥. كتبت على وجه واحد في جميع الأوراق. وضعت للحروف المعجمة نقاط دقيقة جداً لتيسير قراءة الكلمات وهي خارجة عن الرسم الأصيل في الخط الكوفي القديم.
٤. نسخ معرب إيراني متوسط. كتبه ملا حسن بن أبي القاسم الخوانساري في سنة ١٣١٨. الصحائف مجدولة بالذهبي والأسود والأحمر والأزورد، في الصفحتين الأولى والثانية دعاء التلاوة والإستخارة وفي الصفحتين الثالثة والرابعة سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة في لوحات فنية بالألوان بريشة الفنان ميرزا يوسف (بن محمد مهدي) المذهب



• **الخطاط** ساحة المحقق السيد احمد الحسيني الاشكوري

الخوانساري. عناوين السور في أرضية ذهبية تكتنفها نقوش ملونة. فواصل الآيات دوائر ذهبية وعلائم التجويد بالحمرة. بداية الأجزاء كتبت في الهوامش في طرر منقوشة بالألوان.

٥. خط نسخ تركي متوسط. كتبه محمد أسعد العلي خادم الفقراء النقشبندية المنزوي بزواية أمير أحمد البخاري الواقع داخل باب اكرى. كتبه سنة ١٢١٤. الصحائف مجدولة بالذهبي والأسود والأحمر. في الصفحة الأولى والثانية سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة وفيها لوحة بالألوان الطبيعية. فواصل الآيات دوائر ذهبية حولها خط أسود. عناوين السور بالأبيض في أرضية ذهبية. الأعشار كتبت بالحمرة في الهوامش.

٦. نسخ هندي معتاد. من القرن الحادي عشر. الصحائف مجدولة بالأسود والذهبي واللازورد. الصفحة الأولى والثانية ذات لوحة ملونة دقيقة في أرضية ذهبية. المصحف مقسم على سبعة أقسام لتلاوته في أيام الأسبوع السبعة وهوامش الصفحتين الأوليين من كل قسم ذات نقوش ذهبية. فواصل الآيات دوائر ذهبية. الأعشار وبداية الأجزاء في نقوش ملونة.

٧. نسخ إيراني جيد. يوم الاثنين من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٤٤ في أصبهان. الصحائف مجدولة بالذهبي والأسود والأحمر واللازورد. الصفحتان الأوليان فيها دعاء قراءة القرآن والصفحتان الثالثة والرابعة فيها سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة وهذه الصحائف الأربع ذوات لوحات ملونة فنية دقيقة. فواصل الآيات دوائر ذهبية بألوان وعلائم الأحزاب والأجزاء في الهوامش في طرر ملونة. عناوين السور بالحمرة في الأرضية الذهبية إلى جانبيها نقوش باللازورد.

٨. نسخ إيراني ممتاز. أحمد النيريزي، الخطاط الإيراني المعروف. الصحائف مجدولة بالأسود والذهبي. الصفحتان الأولى والثانية فيها لوحة ملونة فنية. فواصل الآيات دوائر ذهبية وعلائم التجويد بالحمرة. فضائل السور أحاديث مروية عن أهل البيت كتبت بالخط الفارسي الممتاز. عناوين الأجزاء وتقسيماتها كتبت بالحمرة في الهوامش.



فاما الذي املوا بالله واعلموا ان
 في ذلك لهم اجر كبير منه وفصل ونهك
 بهو الفه كذا كما سئلوا بسرعونا
 قال الله بعينكم في الكلاله ان امرؤ هلك
 بسوله ولد وله اخذ فلها نصف ما ترك
 وبيرتها ان لو بكر لها ولد وان كانا
 ابنين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا
 اخوة رجالا ونساء فالله كدر مرحك
 الا تفسر بتق الله لكون ان تقوا الله يكل
 له شقوة
 الحمد لله الذي هدانا لهذا
 نكنا الله الواحد من الاله
 بالها الله واملوا او حوا بالعمود اخذت
 لكونهم الانعام الا ما بيني عليكم
 كذا على الصبي وان يوحده ان الله يكو
 ما يدرك بالها الله من املوا لا تفلوا الشعايد
 الله ولا السهرا الحوام ولا الهدي ولا الفلانة
 ولا امين لهد الحوام يتبعون وصلا من دهر
 ورضوانا واخبار الله واصطاك و
 ولا يرميكم في النار فوم ارضكم
 عن المسجدا الحوام ان تعنه واولعوا بوا



الصدر التاسع عشر - خريف (١٢١٤م - ١٢٣٥هـ)



ردعوا اليهود لعلمهم بحدك دون بابها الله بن املوا
 فانلوا الذين يلوون من الكفار وليكروا فلو
 كل كره واعلموا ان الله مع المتقين واما اما
 ان ذلك سوره فمنهم من يقول انك واداه نه
 هذه آياتنا واما الذين املوا فاداه نه واما اما
 وهو يسألون واما الذين في قلوبهم
 مرض فاداه نه وحسنا الي رحمتهم واما اما
 وهو كافرين ولا يديرون انهو يهلون في
 كل عام مره او مره بل يتولوا يلوون ولا هو
 يدكرون واداه اما انزلت سوره نظير
 نعم هو الي بعض هل يدكرون من احد
 ثوانيد فوا كره الله فلو هو ما تكرو
 قوم لا يههون بعد حاكم رسول من
 انفسكم كره كليه ما علموا حذر علموا
 باله من روه دخلوا فان تولوا فقل حسبي
 الله لا اله الا هو كليه توكلت وهو رب
 العرش العظيم

تسويته او ح...
 الاصل ايات الدعوات المتكبره اكان للناو
 كحما ان او حسنا الي رجل منهم ان اندد العالو



نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز أحياء التراث الإسلامي) **التصنيف**

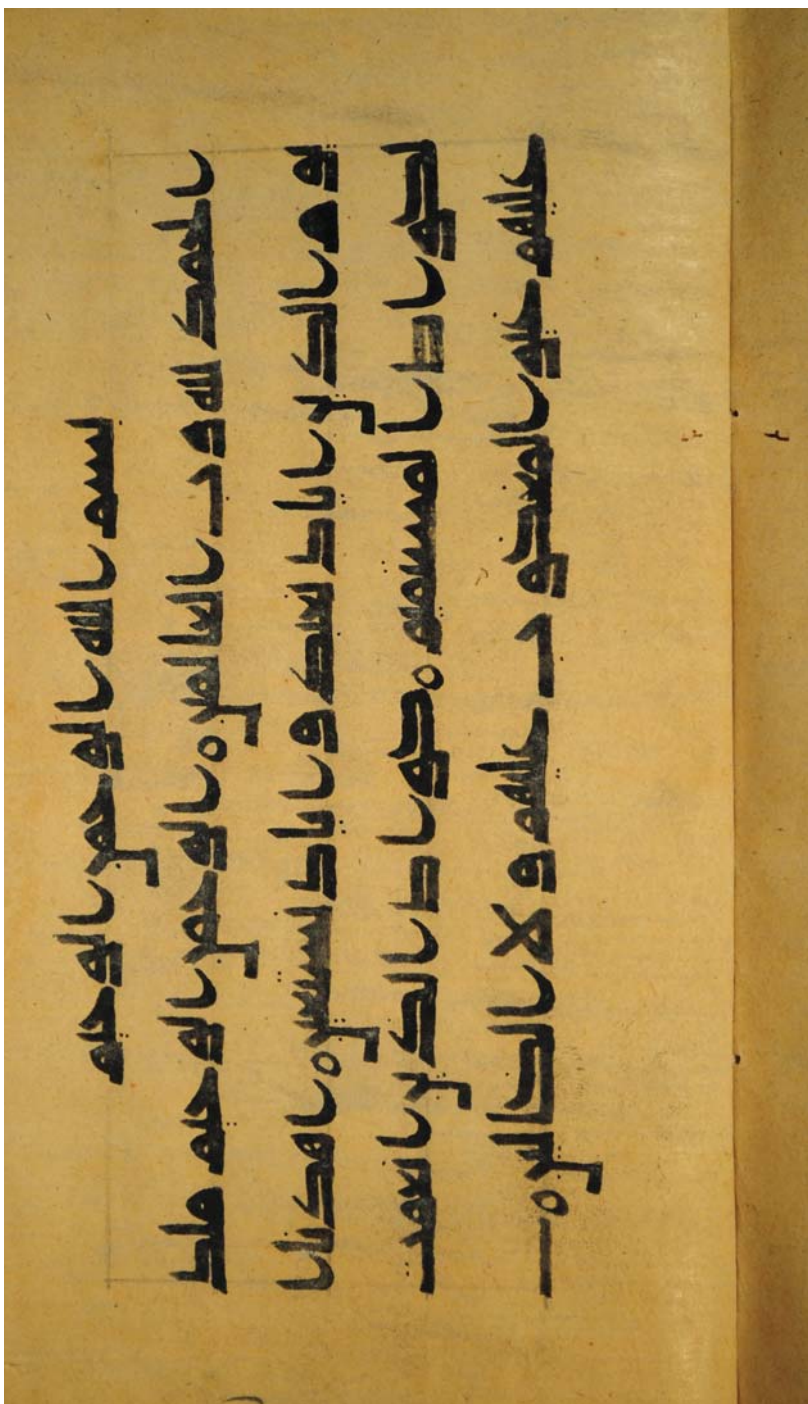


الصدر التاسع عشر - خريف (١٤١٤م - ١٤٣٥هـ)

٢٤٦



نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز احياء التراث الاسلامي) **التبليغ**



الصدر التاسع عشر - خريف (١٤١٤م - ١٤٣٥هـ)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَ مَا فِي السَّحَابِ مَطَرٌ
 وَالْقُرْآنِ وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ
 وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ
 وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ وَالْحِكْمِ

نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز احياء التراث الاسلامي) **التصنيف**



المصدر التاسع عشر - خريف (١٤١٤م - ١٤٣٥هـ)
٤٦



نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز احياء التراث الاسلامي)..... **التصنيف**





نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز أحياء التراث الإسلامي) **التصنيف**

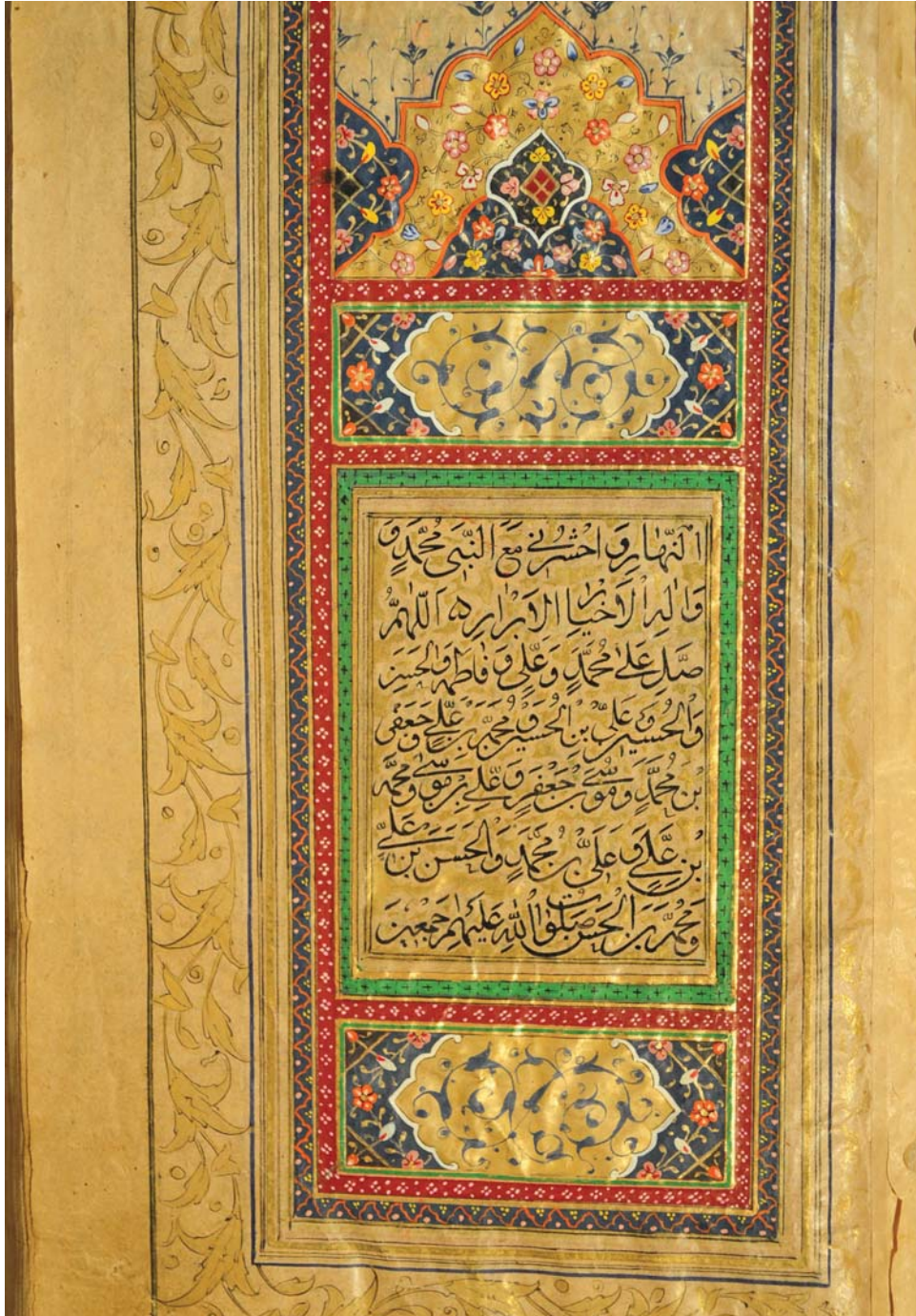


الصدر التاسع عشر - خريف (١١١٤هـ - ١٤٣٥هـ)
٣



نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز احياء التراث الاسلامي) **التصنيف**

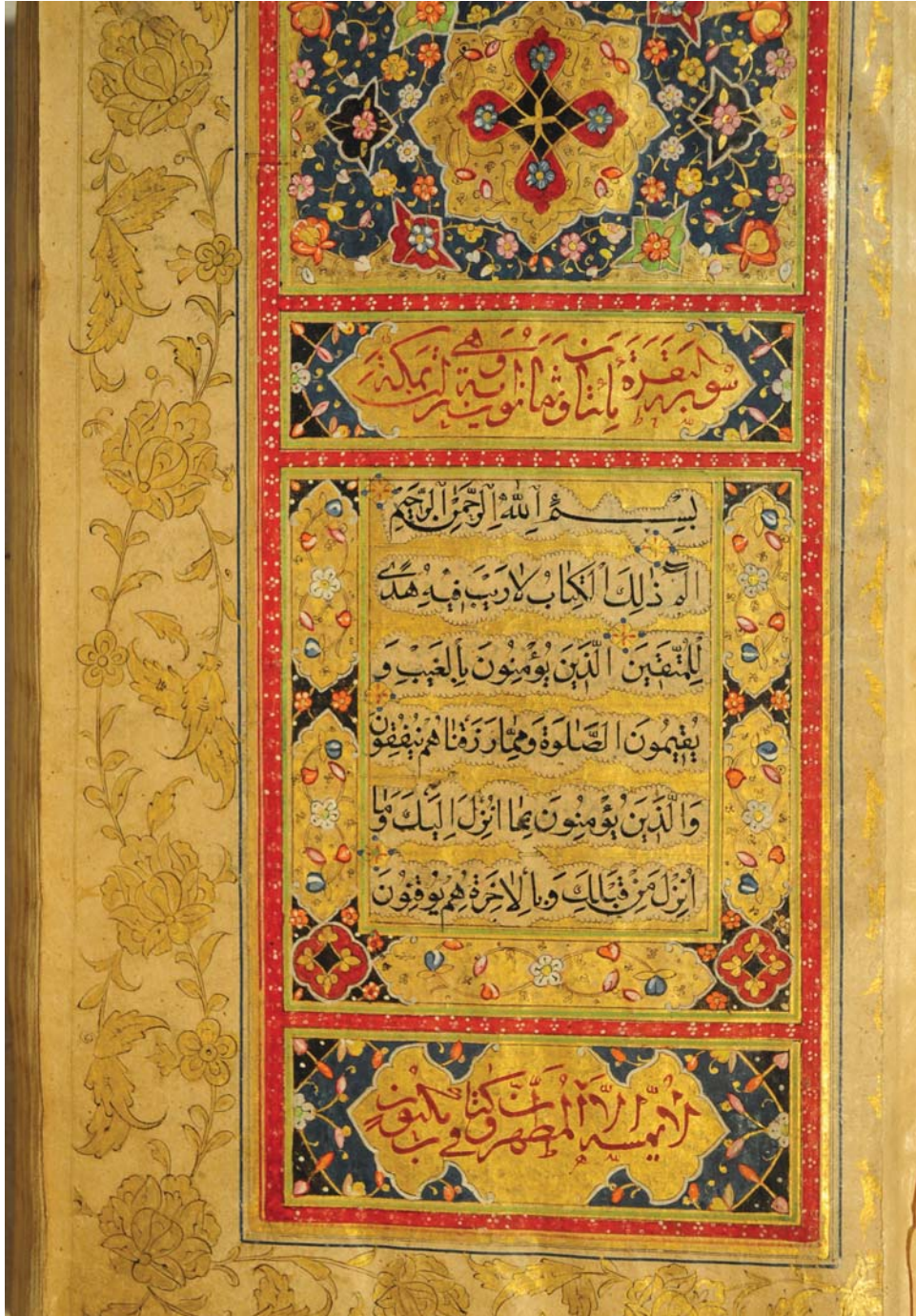




نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز أحياء التراث الإسلامي) **التصنيف**



الصدر التاسع عشر - خريف (١٤١٤م - ١٤٣٥هـ)
٤٤



نماذج من مصاحف أثرية محفوظة في (مركز احياء التراث الاسلامي) **التصنيف**





إقرأ في العدد القابل

التعقيب المصدري ودلالاته في القرآن الكريم

د. وائل عبد الأمير الحربي

الروح والقلب (ابحاث لم يسبق نشرها)

سماحة العلامة المرحوم محمد هادي معرفة

القرآن... بين حرية العقيدة وإشكالية الارتداد

الشيخ الدكتور عزام فرحان الربيعي

المخالفة الاسلوبية المؤثرة إعرابياً في معاني أي القرآن الكريم

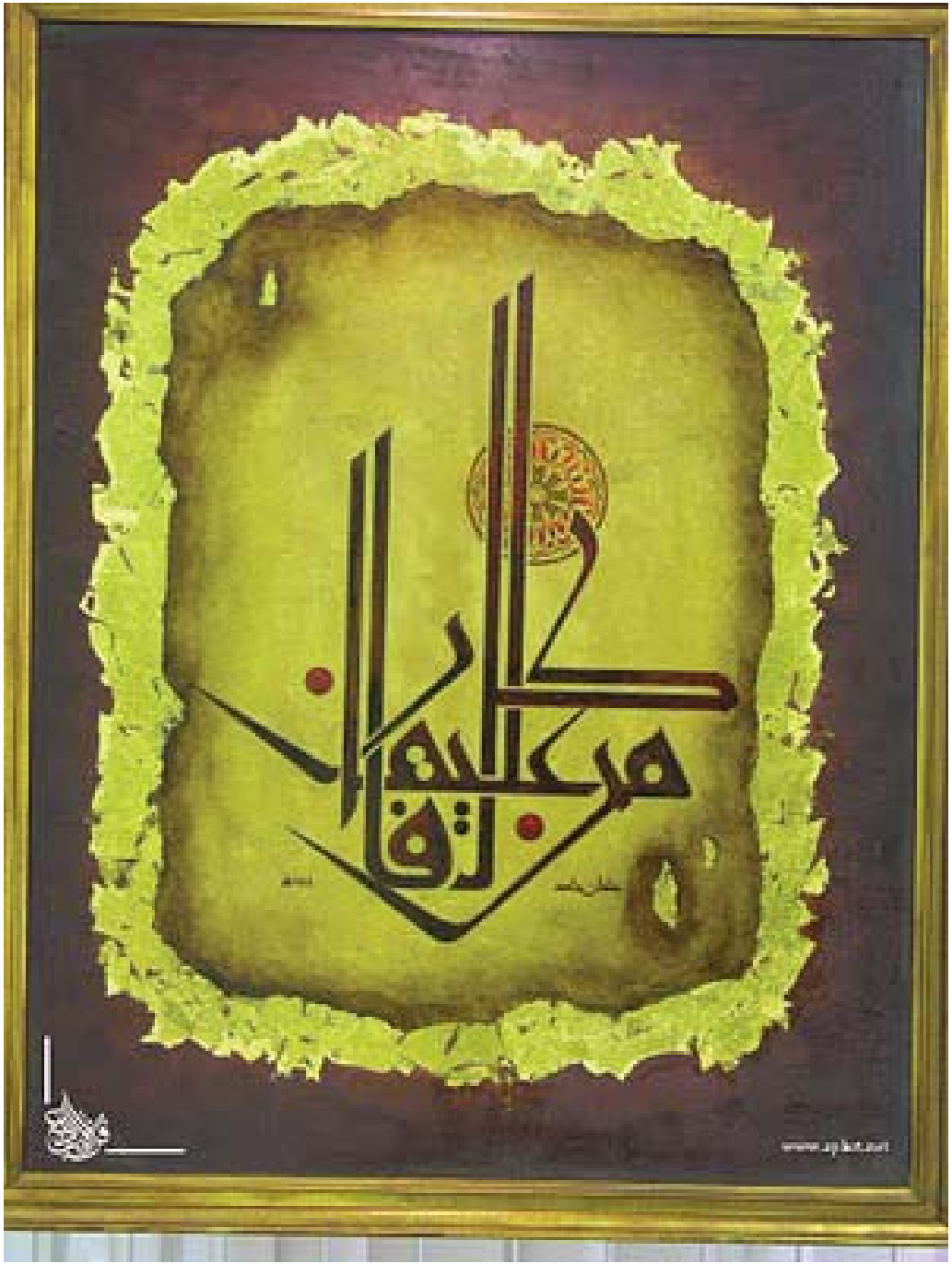
د. عبد الجواد عبد الحسن البيضاني

حادثة الذبح والذبيح بين التوراة والقرآن

د. زيدان خلف الموزاني

(وموضوعات أخرى)





www.ay.kit.net